

مِصْرُ فِي عَصْرِ الْاِخْشِيَايِينِ

تأليف

الدكتورة سيده اسماعيل كاشف

المدرسة بمعهد التربية للعلماء بجامعة ابراهيم باشا الكبير
دكتورة في الآداب بتقدير ممتاز ، وماجستير برتبة الشرف الأولى
وليسانس ممتازة من جامعة فؤاد الأول
ودبلوم بامتياز من معهد التربية للعلماء

مطبعة جامعة فؤاد الأول

القاهرة - ١٩٥٠

الفهرس

تصدير

صيفة

- ١ موضوع الكتاب ، المصادر الرئيسية ، قلة الوثائق المحفوظة ، الأوراق البريدية ، كتب السكة ، الكتابات الأثرية ، الكندي ، ابن زولاق ، المسيحي ، ابن سعيد ، ابن ظافر الأزدي ، القرزى ، أبو المحاسن ، السيوطي ، عريب ، ابن سعد ، المسعودي ، مسكويه ، هلال الصابي ، يحيى بن سعيد الأنطاكي ، ابن الأثير ، أبو الفداء ، الذهبي ، جوتشك ، منز ، مؤامات المحدثين .

مقدمة

١١

تفكك الامبراطورية الاسلامية

الباب الأول

مصر قبيل قيام الاخشيد

- ١٧ زوال الدولة الطولونية وعودة مصر الى الخلافة العباسية
٢٠ ثورة ابن الخليج
٢٤ الحلقة الأخيرة من الولاة العباسيين في مصر
٢٦ هجوم الفاطميين على مصر سنة ٣٠١ هـ
٣٢ هجومهم عليها سنة ٣٠٧
٣٧ الماذرائيون
٣٨ الماذرائي الأطروش
٣٩ علي بن احمد الماذرائي
٤٠ محمد بن علي ابن احمد الماذرائي
٤٥ الحسين بن احمد الماذرائي المعروف بأبي زنبور

الباب الثاني

أسرة الاخشيد

أسرة الاخشيد ٥٥

الباب الثالث

علاقة الأمراء الاخشيديين بالدولة العباسية

تولية محمد بن طفج الاخشيد ٦٩
 تميمت ابن طفج واتساع سلطانه ٧٦
 خلعاء الاخشيد وعلاقة مصر بالخلافة في عهدم ٩٣
 العلاقة المالية بين مصر والخلافة في العصر الاخشيدى ١٠٣

الباب الرابع

الأمراء والبلاط

محمد بن طفج الاخشيد ١١١
 كافور وأولاد الاخشيد والامراء الاخشيديون ١٢٥
 موظفو البلاط ١٤٩
 الحاجب ١٤٩
 الحرس الخاص ، الخازن ، طبيب البلاط ١٥١
 سائر الوظائف ١٥٢

الباب الخامس

الادارة والموظفون

الوزير ١٥٥
 الكاتب ١٦٥
 ولاية الاقاليم ١٦٩
 صاحب الشرطة ١٧٢
 عامل الخراج ١٧٦
 ممثل الامير في بغداد ١٧٩
 صاحب الطراز ١٨٠

الباب التاسع

الفقهاء والعلماء والأدباء

٣٠٥	الفقهاء .
٣١١	الأدباء .
٣٢٦	العلماء .

الباب العاشر

السياسة الداخلية

٣٣٢	السياسة الدينية .
٣٣٨	الأمن .
٣٤١	السياسة المالية .

الباب الحادى عشر

العلاقات الخارجية والغزو الفاطمى

٣٤٩	مع الحمدانيين .
٣٥٥	مع البيزنطيين .
٣٥٨	مع النوبيين .
٣٦٠	مع الفاطميين .

الخاتمة

٣٧١	الخاتمة .
٣٧٩	المراجع العربية .
٣٨٧	المراجع الافرنجية .
٣٩٥	فهرس الاشكال واللوحات
٣٩٧	كشاف
٤١٩	تصويب
.	خريطة مصر السفلى وإقليم الفيوم .
.	خريطة الامبراطورية العباسية فى القرن الرابع الهجرى

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

تصـدیر

موضوع هذا الكتاب « مصر في عصر الاخشيديين » ، أى تاريخ مصر الإسلامية في فترة أربع وثلاثين سنة من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، أو على وجه التحديد بين عامى ٣٢٣ و ٣٥٨ هـ (٩٣٥ — ٩٦٩ م) .

وقد دفعنى إلى الكتابة في تاريخ هذه الفترة رغبتى في أن يستكمل المؤرخون المصريون المحدثون دراسة تاريخ مصر الإسلامية في مراحلها المختلفة . وقد قام أساتذة كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول وقام تلاميذهم من أبناء هذه الكلية بنصيبتهم في هذا الميدان ، فكتبوا في تاريخ مصر في عصور الطولونيين والفاطميين والمماليك . وأتيح لى شرف المساهمة في هذا المضمار بالكتابة في تاريخ مصر في فجر الإسلام أى منذ الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية . ورأيت بعد ذلك أن عصر الاخشيديين لم يظفر حتى الآن بدراسة علمية مفصلة على الرغم مما له من شأن في تاريخنا الإسلامى بوصفه — بعد العصر الطولونى — الفترة التى وضع فيها أساس استقلال مصر عن الخلافة ، التى مهدت للفتح الفاطمى وقيام خلافة في وادى النيل تماهض الخلافة العباسية وتجعل مصر قطب الرحى في تاريخ الشرق الإسلامى .

وقد بدأت الكتاب ببحث مفصل في تاريخ الفترة الواقعة بين سقوط بنى طولون وقيام الدولة الاخشيدية ، لأن تاريخ الاخشيديين لا يفهم حق الفهم قبل دراسة تلك الفترة التى مهدت لقيام محمد بن طغج الاخشيد والتي تربطها بتاريخ الاخشيديين أوامر وثيقة .

وحملت نفسى فى هذا الكتاب على الإيجاز فى عرض النظريات العامة والآراء
الفقهية التى ترد فى كتب التاريخ ، ويمكن الاستفادة منها فى دراسة النظم الإسلامية بوجه عام .
ورأيت أن ألتزم دراسة الأحداث التاريخية ونظم الحكم وأحوال المجتمع فى العصر
الذى نحن بصددده وأن أطنب فى سرد القصص والحوادث التى تستنبط منها الحقائق
التاريخية عن هذا العصر .

أما المصادر التى رجعت إليها فكثيرة ومتنوعة . ولكن بعضها يستحق أن أخصه
ببعض الإشارة فى هذا التصدير . ولست أعرض هنا للمعاجم وكتب التراجم والموسوعات
والمؤلفات الأساسية فى التاريخ والأدب وتقويم البلدان والفقه ، وما إلى ذلك ، مما لا بد
من الرجوع إليه لكل باحث فى التاريخ الإسلامى ، فسوف يأتى ذكرها جميعاً
فى حواشى الكتاب وفى ثبت المراجع فى نهايته .

ومما يلاحظ فى مصادر التاريخ الإسلامى بوجه عام قلة الوثائق المحفوظة التى يمكن
الاعتماد عليها والتى تعتبر عادة أهم المصادر لدراسة المجتمع . والواقع أن مثل تلك
الوثائق الإدارية والقضائية والمكاتبات الخاصة تصور لنا حياة الشعوب تصويراً دقيقاً
على نحو ما نرى فى تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى . ولكن كثيراً من الوثائق المحفوظة
فى تاريخ العصور الوسطى الأوربية مصدره الكنيسة والامارات الاقطاعية وهيئات
المدن والصناع وما إلى ذلك من الهيئات التى كانت تعنى بالاحتفاظ بمثل هذه الوثائق
التي تكسبها حقاً أو تثبت تقليداً . أما فى الإسلام فكان المرجع فى نظام المجتمع فيه
إلى القرآن الكريم والسنة ، ولم تكن ثمة حاجة إلى مثل تلك الوثائق ؛ ولذلك كانت
الوثائق التى وصلت إلينا من تاريخ الإسلام فى العصور الوسطى ووثائق حكومية وليس
من بينها وثائق كثيرة هيئات مختلفة من المجتمع يمكن أن نستنبط منها شيئاً كثيراً
عن حياة الشعب ، فضلاً عن أنها بوجه عام ليست من الكثرة بحيث نستطيع
أن نستنبط منها أحكاماً عامة مطمئنين إلى أن مثل هذه الأحكام لا تكون خاصة
بمحالات استثنائية .

ومهما يكن من الأمر فقد أفدت في دراسة العصر الاخشيدى من بعض ما جاء في الأوراق البردية المحفوظة في دار الكتب المصرية ، والتي نشرها الأستاذ أدولف جرومان ، ومن بعض نصوص في أوراق بردية لم ينشرها الأستاذ جرومان بعد ولكنه تفضل فأطلعني عليها . وأفدت أيضاً من نصوص أوراق بردية محفوظة في مجموعة الأرشيدوق رينر بالكتابة الأهلية في فيينا .

ورجعت إلى ما ألف من الكتب عن السكة الاسلامية لكشف المعروف من النقود الاخشيدية ومحاولة استنباط بعض الحقائق التاريخية من الأسماء والنصوص المنقوشة عليها .

وأفدت كثيراً من الحواشي والبيانات التي دونها فان برشم وثبتت في الجزئين الحاصلين بمصر من كتاب جامع الكتابات العربية (Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte) ، كما اعتمدت على بعض الكتابات الأثرية التي جمعها سوفاجيه وكومب وثبتت في السجل التأريخي للكتابات العربية (Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe)

أما ما كتب عن الأخشيديين في المراجع التاريخية القديمة فنوعان : الأول ما كتبه المؤرخون المصريون في العصور الوسطى الاسلامية ، وطبعي أنهم يمثلون وجهة النظر المصرية وأن تاريخ مصر نفسه هو أساس ما كتبه ، ولكنهم يعرضون لتاريخ الخلافة وسائر ديار الاسلام ولا سيما ما يتصل منه بتاريخ مصر ، والثاني ما جاء في مؤلفات المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ الخلافة والامبراطورية الاسلامية بوجه عام ، وطبعي أنهم يمثلون وجهة نظر الخلافة ، ولكنهم يعرضون أحيانا لتاريخ الاخشيديين ، ولا سيما ما يتصل بعلاقتهم بسائر ديار الاسلام . ولا شك في أن كلا النوعين يكمل أحدهما الآخر .

ومن يمثل النوع الأول الكندي وابن زولاق والمقرزي وأبو المحاسن والسيوطي . أما الكندي فقد عاصر الاخشيديين وتوفي سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) ، وسوف نفصل الكلام عليه في الباب الذي سنعده في هذا الكتاب للحديث عن العلماء والأدباء . وكتابه

الأساسى الذى وصل إلينا هو كتاب الولاية وكتاب القضاة الذى نشره المستشرق
الانجليزى رثن جست (Rhuvon Guest) سنة ١٩١٢ ، وقد تحدث الكندي
فى كتاب الولاية عن تاريخ مصر منذ فتحها العرب حتى ولها أبو القاسم
أونوجور بن الاخشيد سنة ٣٣٥ ، فهو مرجع معاصر عظيم الشأن فى تاريخ الفترة
التي سبقت قيام الدولة الاخشيدية وفى تاريخ الاخشيد نفسه . أما تاريخ خلفاء الاخشيد
فان الكندي لم يعرض له . والمعروف أن ابن زولاق كتب ذبلا لكتاب الكندي
أتم فيه تاريخ الدولة الاخشيدية ووصل إلى بداية الدولة الفاطمية فى مصر ، ولكن
الراجح أن التذييل الذى نشر فى طبعة جست من كتاب الولاية ليس هو التذييل
الذى كتبه ابن زولاق وإنما هو لمؤلف مجهول . وسوف نعرض لهذه المسألة عند ما نقف
للموازنة بين بعض النصوص التاريخية بشأن التكييف القانونى لحكم كافور . وتحدث
الكندى فى كتاب القضاة عن ولى القضاة فى مصر من سنة ٢٣ هـ إلى سنة ٤٦ هـ
ولكن أحمد بن عبد الرحمن بن برد كتب ذبلا له انتهى به إلى سنة ٣٣٦ هـ ، وقد أفدت
من هذا الدليل كما أفدت من الملحق الذى نشره جست واستوفى به أختيار القضاة الذى
ولوا بمصر بين سنتى ٢٣٧ و ٤١٩ نقلا عن كتاب رفع الاصر عن قضاة مصر
لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، وكتاب النجوم الزاهرة بتلخيص أخبا
قضاة مصر والقاهرة لجمال الدين يوسف بن شاهين سبط ابن حجر ، وكتاب تاريخ
الاسلام للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

ولكن أهم مرجع فى تاريخ الاخشيديين هو ابن زولاق لأنه كان معاصرا له
وعنى بتاريخهم عناية خاصة فقد ولد سنة ٣٠٦ هـ وتوفى سنة ٣٨٧ هـ وسوف نفصل الكلام
عليه أيضا فى الفصل الذى نغده فى هذا الكتاب للعلماء والأدباء فى العصر الاخشيدى
والذى يعنىنا هنا من آثاره العلمية كتابان : الأول سيرة الاخشيد والثانى أخبار سميميود
المصرى . أما كتاب سيرة الاخشيد فقد ذكره ياقوت فى ترجمته لابن زولاق
فى معجم الأدباء (ج ٧ ص ٢٢٥ وما بعدها) وذكره ابن سميدي فى كتاب المغرب
(ص ٤ — ٥) والمقرئزى فى الخطط (ج ٢ ص ٢٥ و ١٨١) . ولكن هذا الكتاب

لم يصل إلينا مستقلاً قائماً بذاته وإنما نقله ابن سعيد المؤرخ المغربي في كتابه « المغرب في حلى المغرب » والواقع أن سيرة الاخشيد لابن زولاق قوام جزء كبير من السفر الرابع من كتاب المغرب سماه ابن سعيد « كتاب العيون الدعج في حلى دولة بنى طنج » ونقل فيه فضلاً عن سيرة الاخشيد لابن زولاق أخباراً عن الاخشيديين من تاريخ الكامل لابن الأثير ومن تاريخ مصر للقرطبي .

وقد نقل ابن سعيد عن الحسن بن زولاق أن الذى دعاه إلى كتابة سيرة الاخشيد أنه قرأ سيرة هذا الأمير بقلم محمد بن موسى بن المأمون الهاشمى وأتى على عيوبها . والظاهر أن الهاشمى كتبها للاخشيد فى آخر أيامه ليتقرب بها إليه ولكن الاخشيد أدرك أنها أقرب إلى الذم منها إلى المدح لأن المؤلف أطنب فى ذكر نفاقه واقتصاده وحامه ومحبهه للسلم والصفح ولم يذكر « أبوته ولا موضعه ولا ولاياته ولا حروبته ولا سفراته ولا أفعاله مع أعدائه » . ولذا فقد منع الإخشيد الناس من نسخ هذه السيرة التى كتبها الهاشمى . وبعد وفاة الإخشيد طلب ابنه الأمير على ابن الإخشيد من ابن زولاق أن يكتب سيرة أبيه فكتب ابن زولاق الكتاب الذى نحن بصدده .

وقد أعجب به على بن الإخشيد ووالده وأجزلا العطاء لابن زولاق وكانا يصلانه كل عام .

ولكن النسخة التى نقلها ابن سعيد من سيرة الاخشيد لابن زولاق ليست هى النسخة التى قدمت لعلى بن الإخشيد وإنما هى النسخة التى زاد فيها ابن زولاق « أشياء بعد وفاة على بن الاخشيد »^(١) والراجح أن ابن زولاق تأثر فى بعض هذه الزيادات باتصاله بالفاطميين وعمله على التقرب إليهم ، والحق أن كلامه على ما حل بجثة الاخشيد وبعض إشارات أخرى فى كتابه لا ينتظر أن يتضمنها كتاب عن الاخشيد يقدم الى ابنه ويحوز رضاه . وفضلاً عن هذا فإن سيرة الاخشيد لابن زولاق — كما نقلها ابن سعيد — تبدو لنا مفككة الأطراف ضعيفة التأليف ، بل تبدو مجموعة من الجرازاغ غير المرتبة ، غنية بالبيانات والاخبار والحقائق التاريخية ولكن بغير ترتيب موضوعى أو تاريخى .

أما « كتاب أخبار سيديو المصرى » فقد جمع فيه ابن زولاق نوادر زميل له في الدراسة وهو سيديو الذى كان يعتبر من عتلاء المجانين وكانت له حوادث ونوادر طريفة مع الأمراء والعطاء والعلماء ، كما كانت له تعليقات على ما يراه من أحداث أو يعامله من أخبار . وطبيعى أن مثل هذا الكتاب يكشف ، بطريق غير مباشر عن كثير من النواحي الاجتماعية والعلمية والأدبية فى العصر الاخشيدى .

ومن المؤرخين المصريين الذين عرضوا لتاريخ الدولة الاخشيدية عز الملك المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ . وكانت له مع الحاكم بأمر الله مجالس ومحاضرات . وأهم آثاره العلمية « كتاب أخبار مصر » تحدث فيه عن حكمها إلى سنة ٤١٤ هـ ^(١) . وفى مكتبة الاسكوريال أجزاء مخطوطة من هذا الكتاب . ولكن الذى يعيننا هنا أن المؤرخين المصريين بعد العصر الفاطمى — ولا سيما المقرئى وأبو المحاسن — كانوا يعتمدون على كتاب المسبحى وينقلون عنه .

وثمة مؤرخ مغربى هو ابن سعيد المتوفى سنة ٦٧٣ ، وقد ولد فى غرناطة سنة ٦١٠ وتلقى العلم فى اشبيلية ^(٢) . ونستطيع أن نلحقه بالمؤرخين المصريين — فيما يخص الكتابة على الدول الطولونية والابخيدية والفاطمية والأيوبية — لأنه وصل إلى مصر سنة ٦٣٩ وأقام فيها بضع سنوات واتصل ببعض أمرائها وساهم بالكتابة فى تاريخها . وقد مر بنا أنه نقل فى كتابه « المغرب فى حلى المغرب » سيرة الاخشيد التى كتبها ابن زولاق . ونضيف هنا أن السفر الرابع الذى نشره المستشرق تلىكوست من هذا الكتاب يضم — عدا سيرة الاخشيد — نبذا عن الأدباء والعلماء وأعلام رجال الدولة فى مصر الاسلامية وقد نقلها ابن سعيد عن القرطى والمسبحى وغيرهما ، وقد أفدنا كثيرا من هذه المقطعات فى دراسة رجال العلم والأدب والسياسة فى العصر الاخشيدى .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥١٥

(٢) ابن شاکر : فوات الوفیات ج ٢ ص ٨٩

ومن المراجع الثمينة في تاريخ الدولة الاخشيدية ما كتبه جمال الدين علي بن ظافر الازدى المصرى . وقد ولد هذا المؤرخ سنة ٥٦٧ هـ واتصل بالأمرء الايوبيين وولى الوزارة لبعضهم ثم توفى سنة ٦٢٣ هـ وأهم آثاره العلمية كتاب الدول المنقطعة^(١) ، ويضم تاريخ الدول الحمدانية والساجية^(٢) والطولونية والاخشيدية والفاطمية وتاريخ الدولة العباسية إلى سنة ٦٢٢ هـ . ولا يزال هذا الكتاب مخطوطا في مكتبة (Ghota) غوطا فى ألمانيا وفى المتحف البريطانى ، ولكن الجزء الخاص بالدولة الساجية فيه نشر فى مدينة بون على يد المستشرق فريتاج ، كما أن الجزء الخاص بالدولتين الطولونية والاخشيدية نشره المستشرق وستنفلد سنة ١٨٧٥ فى كتابه عن ولاية مصر^(٣) . وقد نقل وستنفلد هذا الجزء من مخطوطة غوطا (رقم ٢٤٥) . واعتمدت فى هذا الكتاب على الجزء الذى نشره وستنفلد ورجعت إلى صفحاته المطبوعة ومع ذلك فلم يفتى الرجوع إلى الصورة الشمسية المحفوظة فى دار الكتب المصرية لجزء من مخطوطة المتحف البريطانى يضم تاريخ الدولة الاخشيدية وتاريخ بعض الدول الاخرى فى كتاب ابن ظافر^(٤) . وتبين لى أن هذه النسخة المحفوظة فى المتحف البريطانى تمتاز بزيادات يسيرة عما نشره وستنفلد ، ولسنا ندرى هل يرجع هذا إلى نقص فى مخطوطة غوطا أو إلى أن وستنفلد حذف فيما نشره جزءا من القسم الخاص بتاريخ الدولة الاخشيدية فى المخطوطة المذكورة . ومهما يكن من الامر فقد أفدت من تلك الزيادات وفصلت الكلام عليها فى موضعها من الكتاب .

أما تقي الدين المقرزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ فقد عرض لتاريخ الدولة الاخشيدية فى كتابين من كتبه : الأول « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » والثانى « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » . وقد نقل المقرزى فى الكتاب الأول

(١) المرجع نفسه ج ٢ ص ٥١

(٢) فى اذريجان أنظر Zambaur : Manuel de Généalogie p. 179

(٣) F. Wustenfeld. Die Statthalter von Agypten zur Zeit der Chalifen 111 pp. 58-62 & IV pp. 57-62.

(٤) دار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ . وفى مجموعة الصور الشمسية بجامعة الدول العربية صورة أخرى من هذه المخطوطة .

معظم تاريخ الفترة التي سبقت قيام الدولة الاخشيدية وتاريخ الدولة الاخشيدية نفسها عن كتاب الولاة للسكندی^(١)، وعن الذيل الذي كتبه ابن زولاق لهذا الكتاب . ونقل عن ابن زولاق ما كتبه عن أسرة الماذرائيين التي سيأتي الكلام على ما كان لها من شأن في الحياة المصرية العامة من العصر الطولوني إلى نهاية العصر الاخشيدى . أما كتاب اتعناظ الحنفا فقد أفدت منه في دراسة علاقة الاخشيديين بالفاطميين إلى أن تم للفاطميين الاستيلاء على مصر .

ومن المؤرخين المصريين الذين كتبوا في تاريخ الاخشيديين أبو المحاسن بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٨٩ م) . وقد تقلد بعض المناصب الرفيعة في الدولة على عهد السلطان المملوكى برقوق وابنه السلطان فرج ودرس على أعلام المؤرخين في ذلك العصر ولا سيما المقرزى والعينى وابن حجر^(٢) . وأهم آثاره العلمية كتاب « النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة » ويشمل تاريخ مصر من الفتح الإسلامى إلى سنة ٨٥٧ هـ . وعلى الرغم من أنه لا يمد أصيلا إلا في كتابته عن عصر المماليك وأن ما كتبه عن العصور السابقة نقله عن سبقوه من المؤرخين ، أقول إننى مع ذلك أفدت منه في الكتابة عن الاخشيديين فائدة جليلة .

ورجعت إلى كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ فأفدت منه كثيرا في الكلام على الفقهاء والشعراء والعلماء والأدباء في العصر الاخشيدى .

أما المؤرخون الذين كتبوا في تاريخ الخلافة عامة فقد أفدت من بعضهم ولا سيما في دراسة العلاقة بين الاخشيديين والخلافة . فرجعت الى الذيل الذي كتبه عريب ابن سعد على تاريخ الطبرى وانتهى فيه الى سنة ٣٦٥ هـ . كما رجعت الى كتاب مروج الذهب

(١) راجع عن العلاقة بين السكندی والمقرزى مقال الأستاذ فييت في المدد الثانى - نشر Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale. (١٩١٦ م) من مجلة الأجمع العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة

G. Wiet : L'Historien Abul-Mahasin (Bulletin de l'Institut d'Égypte T. XII) pp. 89-105. (٢)

ومعادن الجواهر وكتاب التنبيه والاشراف وكلاهما للمسعودى الذى عاصر صدر الدولة الاخشيدية وزار مصر عدة مرات وأقام بها فترة من الزمن قبل وفاته سنة ٣٤٦ هـ .

وعرض مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) لتاريخ الدولة الاخشيدية فى بعض المواضع من كتاب « تجارب الأمم » .

أما هلال الصابى المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ^(١) فقد خلف لنا فى كتابه « تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » بيانات دقيقة عن أخبار الوزراء وأعمالهم المالية والإدارية وعلاقاتهم بأنحاء الإمبراطورية الإسلامية . فأفدت كثيرا فى دراسة أسرة الماذرائيين وعلاقة مصر بالخلافة فى العصر الاخشيدى .

وكتب يحيى بن سعيد الانطاكى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ذيلًا على تاريخ ابن البطريق وقد أفدت منه فى دراسة علاقة الاخشيديين بأهل الذمة فى مصر . أما ابن الأثير وأبو الفدا والذهبي فلا حاجة بنا إلى التعريف بهم ، وحسبنا أن نشير إلى ما أفدنا من نواربهم فى علاقة الاخشيديين بالخلافة وبالحملايين .

وقد رجعت إلى عدد كبير من مؤلفات المحدثين من مصريين ومستشرقين وسوف يأتى ذكرها جميعاً فى ثبت المراجع فى نهاية الكتاب . ولكننا نشير هنا إلى كتاب « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » للاستاذ آدم متر لأنه رجع إلى مخطوطات فى دور الكتب الأوربية ، وأسرت إلى ما نقله من بعض تلك المخطوطات التى لم أستطع الرجوع إليها .

ومن المراجع الحديثة التى أفدنا منها فائدة طيبة الرسالة التى كتبها عن الماذرائيين المستشرق الألمانى جوتشلك (Hans Gottschalk) سنة ١٩٣١ م . وقد عرض فيها

(١) راجع ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٢ والأب لويس شيخو اليسوعى : هلال الصابى وتأليفه (فى مجلة المشرق ، السنة السادسة سنة ١٩٠٣) ص ٤٦٦ — ٤٧٥

لتاريخ هذه الأسرة ورجع إلى كثير من المصادر التاريخية القديمة ولا سيما قطعتين كبيرتين من كتاب المقفى للمقرئى وقطعة من تاريخ الإسلام للذهبى . وكلها عن تاريخ الماذرائيين . وذيل جواتشلك رسالته بنشر هذه القطع الثلاث . وقد رجعنا إليها ووازننا بين ما جاء فيها وما نعرفه من النصوص التاريخية الأخرى ما

سيرة اسماعيل باشف

القاهرة أغسطس ١٩٥٠

مقدمة

تفكك الامبراطورية الاسلامية

وطد الأمويون أركان الامبراطورية الاسلامية فعمظت واتسعت أرجاءها وامتدت من الهند وآسيا الوسطى شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، ومن البحر الأسود والبحر المتوسط وجبال البرانس شمالا الى بحر العرب وصحارى السودان جنوبا ^(١) .

ولسكن بنى أمية تركوا فيها رغم ذلك بذورا أدت الى التمزق والاضمحلال ، فان التعصب للعرب ألب الموالى وحبيهم فى كل خارج على سلطان بنى أمية ، وأذكى الأمويون نار النزاع بين القمطانيين والعدنانيين فظهر أثره فى كل قطر حل العرب به ، كما أن إيمانهم فى اضطهاد بنى هاشم ربط مصيرهم بمصير الموالى فتمهد الأمر للخلافة العباسية واتقلت العاصمة من دمشق الى بغداد فكان هذا إيذانا ببدء عهد الانقسام والتفرق بين أنحاء تلك الامبراطورية ، لأن قيام العباسيين — كان ثورة من الفرس ضد أهل الشام — الذين قامت على اكتناهم الدولة الأموية . فعلا شأن الفرس وصارت لهم الكلمة الأولى فى الدولة وأمسك البرامكة بأزمة الأمور حتى نكبهم الرشيد . وقد ظهرت الشعوبية بصورة جلية وفرقت البيت الخليفى فانقسم على نفسه وقام النزاع بين الأمين والمؤمن وكان له أثره فى تمزيق الوحدة الاسلامية ، فاستقلت جهات من الامبراطورية فى عهد المؤمنين وأسس والى اليمن فى عهده أسرة بنى زياد التى ظلت تحكم البلاد حتى بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) كما أن طاهر بن الحسين والى المؤمنين استقل بخراسان وأسس الدولة الطاهرية .

(١) أنظر المقديسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ٦٤ وابن حوقل : المسالك والممالك

وفضلا عن ذلك فإن العناصر المختلفة التي كانت تتألف منها الامبراطورية الاسلامية أحست بكيانها وساعد على ذلك اتساع الامبراطورية وعجز الخلفاء عن السيطرة على أقطارها المترامية الأطراف .

وكان أول تمزق في الامبراطورية ذيلا لسقوط بني أمية ، فان عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام أفلح في النجاة من التعذيب والاضطهاد اللذين حلا بأفراد الأسرة الأموية على يد العباسيين حين آلت اليهم مقاليد الحكم ويم عبد الرحمن شطر مصر ثم افريقية ثم المغرب ، ولكن أنظاره اتجهت الى الأندلس واتخذها مسرحا لنشاطه السياسي ، وكان النزاع في شبه جزيرة ايبيريا قائما بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، أي بين القيسيين واليمانيين ، ونجح عبد الرحمن في التوفيق بين الفريقين حتى استقبلوه ونصبوه أميرا عليهم سنة ١٣٨ هـ (٧٥٩ م) فأسس امارة قرطبة ، وانفصلت اسبانيا عن الامبراطورية الاسلامية .

ولم تفلح الحكومة العباسية في أن تعيد الأندلس الى حظيرة سلطانها وظلت أسرة عبد الرحمن الداخل واكتفى حكامها بلقب الامارة الى أن جاء عبد الرحمن الناصر فاتخذ لقب الخلافة سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) .

ولم تلبث افريقية أن نمت على منوال الأندلس وكان عبد الرحمن بن حبيب والى افريقية قد ثار على الأمويين سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) وطرد أتباعهم من القيروان ولما انتقل الحكم الى بني العباس ثبتوا عبد الرحمن في ولاية افريقية ، ومع ذلك فانه أبي الاعتراف بسultan الخليفة ولكنه فشل وفشلت حركته الاستقلالية . وكان البربر في المغرب يقومون بالثورة بعد الأخرى وتأسست أسرات خارجية كبنى مدرار في سجلماسة وبنى رستم في جنوب تونس والجزائر كما قام بنو أدريس في المغرب الأقصى .

وهكذا لم يبق للعباسيين في نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) من الإمبراطورية الإسلامية في المغرب إلا افريقية (أو تونس الحالية) ، ولم يستطيعوا الاحتفاظ بها إسمياً مدة قرن من الزمان إلا بوساطة أسرة الأغالبة التي ظلت تحكمها (مع سيادة إسمية للخليفة العباسي) من سنة ١٨٤ إلى سنة ٢٩٦ هـ (٨٠٠ — ٩٠٩ م) .

ثم ظهر في الأفق السياسي عامل جديد ، فقد زاد عدد الجند الترك ونما نفوذهم منذ عهد هرون الرشيد ، وشطب المعتصم العرب من ديوان الجيش واستبدل بهم الترك وشيد لهم سامرا . واستفحل أمر أولئك الجند وأصبح في يد زعمائهم مصير الخلفاء .

وكان من أثر ذلك كله أن ضعفت السلطة المركزية ضعفاً ملحوظاً وبدأت سنة جديدة في حكم بعض الأقاليم الإسلامية إذ أصبح الخلفاء يقطنونها أولياء عهدهم ثم بعض قواد الجند . وكان هؤلاء القواد الترك يؤثرون البقاء على مقربة من بلاط الخليفة خشية أن تدبر الدسائس ضدهم أو أن يبعدوا عن مسرح الأحداث السياسية . وكان الخلفاء أنفسهم يرحبون ببقائهم في العاصمة خشية أن يستقلوا بما يولونه من الأقاليم ، فكان الولاة لا يحكمون بأنفسهم بل يوفدون إلى الأقاليم نواباً عنهم ويتلقون منهم ما يتبقى من الضرائب بعد دفع نفقات الإدارة فيدفعون إلى بيت مال الخلافة جزءاً منه . وبدأ هذا النظام في مصر منذ سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) ^(١) وبقى إلى أن وفد أحمد بن طولون إليها نائباً عن واليها القائد التركي . واستغل ابن طولون ضعف حكومة العراق واشتغالها بثورة الزنج في إقليم البصرة فأفلق في الاستقلال عن الدولة العباسية وأسس في مصر الدولة الطولونية التي حكمت من سنة ٢٥٤ إلى سنة ٢٩٢ هـ (٨٦٨ — ٩٠٥ م) .

على أن ما حدث بمصر قد حدث غيرها من الأقطار الإسلامية المختلفة فإن أبادلف والى همدان في بداية القرن الثالث الهجري استقل بها وخلفه أفراد أسرته بعد أن استولوا على أصفهان ونهاوند .

وقد أخطأ العباسيون كما أخطأ الأمويون من قبل فأمنوا في اضطهاد العلويين فانتشرت الدعوة لهم في كافة الأقطار كما ظهرت الدعوة القرظية في البحرين والدعوة الاسماعيلية في سامية بالشام وفي المغرب ، كما أن بعض العلويين نجحوا سنة ٢٥٠ هـ في الاستيلاء على الحكم في طبرستان وبلاد الديلم وجبلان جنوبي بحر قزوين وقد ظلت

(١) أنظر سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ص ٣٥

هذه الأسرة العلوية تسود تلك الأقاليم إلى سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) . حين هزم السامانيون آخر ملوكها الحسن بن قاسم .

على أن الشيعة أحرزوا النجاح الأعظم في بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري حين خرج الدعاة الإسماعيليون إلى أرض كتامة يبشرون بمذهبهم ويدعون لخليفة من ولد علي وانتهى الأمر بقيام الدولة الفاطمية بالمغرب على يد عبيد الله المهدي . على أن الفاطميين بعد أن تم لهم الأمر لم يكتفوا بالسلطان الديني بل اتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة بعد فتح القيروان في سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م) وتبعهم عبد الرحمن الناصر في الأندلس فتسمى بأمر المؤمنين سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) .

الباب الأول

مصر قبل قيام الأخشيدي

مصر قبيل قيام الاخشيدي

(١)

زوال الدولة الطولونية وعودة مصر إلى الخلافة العباسية

عادت مصر ولاية تابعة للخلافة العباسية في سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) وذلك على أثر سقوط الدولة الطولونية على يد القائد العباسي محمد بن سليمان الكاتب . ولما دخل هذا القائد مدينة الفسطاط دعا على المنابر للخليفة المكتفي بالله^(١) وكتب اليه يبشره بفتح مصر . وأمر محمد بن سليمان باحراق القطائع فأحرقت وأطلق سراح المسجونين ونهب جنده مدينة الفسطاط واستباحوا النساء وأتوا من الفطائع والمنكرات ما تقشعر له الأبدان . بل إن قائدهم نفسه كان مضرب المثل في أخذ المصريين بالشدّة والقسوة وحسبنا ما كتبه أبو المحاسن بن تغري بردي في هذا الصدد . قال : « كان محمد بن سليمان هذا لا يسمي باسمه ولا بكنيته وما كان يدعى إلا بالأستاذ ، وكان حكمه في أهل مصر يضرب أعناقهم ويقطع أيديهم وأرجلهم جوراً ، وتمزيق ظهورهم بالسياط وصلبهم على جذوع النخل ونحو ذلك من أصناف النكال ، ولا زال على ذلك حتى رحل عن مدينة مصر في يوم الخميس مسهب شهر رجب من سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، واستصحب معه الأمير شيبان بن احمد بن طولون وبنى عمه وأولادهم وأعوانهم حتى إنه لم يدع من آل طولون أحداً ، والجميع في الحديد إلى العراق وهم عشرون إنساناً ، ثم أخرج

(١) الولاة والقضاة ص ٢٤٧ ، وينص الكندي على أن محمد بن سليمان دعا لأمر المؤمنين المكتفي بالله وحده ، لأن الدعاء للخليفة على المنابر لم يطل خلال الدولة الطولونية وإنما كان يدعى الأمير الطولوني معه . راجع عن العلاقة بين بني طولون والخليفة العباسي : Zaky M. Hassan

قوادهم إلى بغداد على أقبح وجه فلم يبق بمصر منهم أحد يذكر وخلت منهم الديار وعفت منهم الآثار وحل بهم النذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اللذثم سيق جماعة من أصحاب شيان إلى محمد بن سليمان ممن كان أمنهم فذبحوا بين يديه ^(١).

وإذا جاز لنا ان نفسر هذا العنف بأنه من الظواهر التي تصحب فترات الانقلاب فيلوح أنه يشهد بأن المصريين كانوا لا يزالون يؤثرون حكم بني طولون على حكم الولاة التابعين للدولة العباسية تماما والذين لم يكن لهم أي حظ من الاستقلال . والحق أن شعور المصريين هذا يمكن استنباطه من لهجة المؤرخين المصريين — ولا سيما أبو المحاسن ^(٢) — في استهجان الفظائح التي ارتكبتها « الاعراب الخراسانية من جنود محمد بن سليمان » . وبعد أن استقر محمد بن سليمان في مدينة الفسطاط اتخذ بعض الاجراءات لتأمين البلاد وضمان سيادة الأمن فأمر باخراج الأعراب الذين قدموا معه وساعده على القضاء على الدولة الطولونية ، كما عمل على تفريق القواد الطولونيين الذين خرجوا على بني طولون في نهاية حكمهم فبعث بطنج بن جف والياً على قنسرين وأرسل معه طائفة من جنود بني طولون وعين بدر الحماحي والياً على دمشق ^(٣) واستطاع بذلك أن يكافئهما على موته في حملته على مصر ولسكنه في الوقت نفسه أبعدهما عن وادي النيل كما أبعده سائر قواد بني طولون ومواليهم .

ثم خرج محمد بن سليمان من مصر في بداية شهر رجب من سنة ٢٩٢ هـ (سنة ٩٠٥ م) وأخرج معه كل من بقي فيها من أتباع بني طولون ومواليهم وكبار الموظفين في دولتهم وسار إلى دمشق ثم حلب حيث وافاه رسول الخليفة يطالبه بتسليم ما كان معه من الأموال والخيل والمنسوجات النفيسة والذهب وغير ذلك مما حمله من مصر وقد قدر ما اضطر إلى تسليمه من الأموال بنحو مليوني دينار (نحو مليون جنيه) ^(٤)

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٣٩

(٢) المرجع نفسه ج ٣ ص ١٣٩

(٣) السكندی : الولاة والفضاة ص ٢٤٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٦ — ١٤٧

ولسنا نظن أن في هذا التقدير شيئاً كثيراً من المبالغة التي ألقاها عند المؤرخين في العصور الوسطى .

وقد اختلف المؤرخون في ولاية محمد بن سليمان على مصر فمنهم من لا يعده من الولاية بل يذكره بوصفه القائد الذي قضى على حكم بنى طولون وأعاد مصر إلى حظيرة الدولة العباسية ، وأصحاب هذا الرأي يؤيدونه بأن الخليفة المكتفي بعنه لقتال الدولة الطولونية ولم يوله على مصر ولما بلغه فتحها ولى عليها عيسى النوشري ، وليكن من المؤرخين من عده والياً عليها « بحكم الفترة القصيرة التي صرف فيها أمورها »^(١) .

(٢)

ثورة ابن الخليج

بعد أن انتقل الحكم في مصر من الطولونيين إلى العباسيين على يد القائد محمد بن سليمان ورد كتاب الخليفة المكتفي بولاية أبي موسى عيسى بن محمد النوشري عليها فأرسل إليها هذا الوالي نائباً عنه ، قدم إليها في ١٤ من جمادى الأولى سنة ٢٩٢ هـ ثم وصل إليها عيسى النوشري نفسه في ٧ من جمادى الثانية من السنة نفسها ^(١) .

ولسنا ندرى لماذا بادر هذا الوالي بإرسال نائب من قبله مع أن محمد بن سليمان كان لا يزال بصرف الأمور في البلاد بوصفه قائد الحملة العباسية . ولعله أراد بذلك أن يضع حداً لهذا الحكم العسكري . ومع ذلك فالراجح أن محمد بن سليمان لم يفقد سلطانه حين قدم نائب النوشري وإيما سلمه بعض الأعمال وبقي إلى أن وصل النوشري نفسه فاستقبله وخلع عليه ^(٢) .

وقد كان النوشري من القواد الذين أتوا إلى مصر مع محمد بن سليمان للقضاء على الدولة الطولونية ، وبعد أن تم زوال هذه الدولة خرج عيسى النوشري نحو العراق ولكنه لم يكده يصل إلى دمشق حتى وافاه كتاب المكتفي بولايته على مصر فعاد إليها ^(٣) .

وقد قدم عيسى إلى مصر قبل خروج محمد بن سليمان منها وكانت مدة إقامة محمد بن سليمان في مصر أربعة أشهر خرج بعدها إلى الشام مع جنده وبعض قلوب الجيش الطولوني . وقد مر بنا أن رسولا من قبل الخليفة لقيه في الشام برسالة من دار الخليفة ليسلم ماغنمه في مصر من مال وخيل ومنسوجات نفيسة . وطبيعي أن هذا الحادث كان له أسوأ الأثر في نفس القائد المنصور وعند حاشيته . وعلى كل حال فقد بادر

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٥٨

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٥

(٣) المرجع نفسه ج ٣ ص ١٤٥

بالانفصال عن ركبته ضابط من الجيش الطولوني اسمه ابن الخليج^(١) . أو ابراهيم الخليجي^(٢) أو محمد بن علي الخليج^(٣) أو محمد بن علي الخليجي^(٤) . والتف حول هذا الضابط عدد كبير من الجند والضباط الذين كانوا في خدمة بني طولون قبل زوال دولتهم ، والذين كانوا لا يزالون يذكرون عظمة هذه الدولة ويكرهون أن يغادروا مصر ويخشون ما كان ينتظرهم في العراق . وكان ابن الخليج قبل سقوط الدولة الطولونية من صفار الضباط في قسم من الجيش الطولوني كان يرأسه القائد صافي الرومي الأصل^(٥) .

خرج ابن الخليج من ركب محمد بن سليمان وبإيعاز من الف حوله من الجند والضباط قائداً عليهم وعقدوا العزم على إحياء الدولة الطولونية وانضم إليهم أنصار جدد ويم الجميع شطر مدينة الرملة فهزموا واليها ، وأمر ابن الخليج بالدعوة على منابرها في يوم الجمعة للخليفة ومن بعده لابراهيم بن خارويه بوصفه أميراً للبلاد ومن بعدها لنفسه بوصفه نائباً عن ابراهيم .

وهكذا نرى أنه أراد أن يبعث دولة الطولونيين وأن يحتفظ بالتبعية الإسمية للخلافة العباسية . ومع ذلك فإن قيام ابن الخليج بمثل هذا العمل في تلك الظروف كان معناه الخروج على الخليفة . ولسنا ندرى هل كان ابن الخليج مخلصاً في دعواه لبني طولون أم كانت دعواه لابراهيم بن خارويه (الذي كان حينئذ أسيراً في بغداد) — ستاراً لمطامعه الشخصية — ومهما يكن من الأمر فقد أعجب كثير بشجاعته وإقدامه فزاد عدد أنصاره ، ولما علم الوالي عيسى بن النوشري بخروج ابن الخليج جهز جيشاً لمقابله على حدود مصر الشرقية والتقى الجيوش عند غزة وكان النصر لابن الخليج فاتجه إلى العريش ثم إلى الفرما وتتابعت انتصاراته على فلول الجيش المنهزم ، فأضطر النوشري إلى إعداد جيش آخر ضخم العدد والعدة ، وسار على رأس هذا الجيش إلى مدينة

(١) السكندی : الولاية والقضاة ص ٢٥٩

(٢) الطبری : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٣٩٢ ؛ وابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٣١١

(٣) المقرئی : الخطط ج ١ ص ٣٢٧

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٧

(٥) المقرئی : الخطط ج ١ ص ٣٢٧

العباسة^(١) لملاقاة ابن الخليفة ، ولكنه هزم ولم يجد بدا من الجلاء عن الفسطاط ونزل بجيشه عند الحيزة .

ودخل ابن الخليفة مدينة الفسطاط فأحسن الشعب استقباله ودعا له الإمام على المنبر بعد الخليفة إبراهيم بن خمارويه ، وعمل ابن الخليفة على تهدئة الأمور والقضاء على الفوضى في البلاد ، وأفلح في جمع الضرائب ، وفي دفع رواتب الموظفين والجند ، وما لبث أن استولى على الإسكندرية واستقر له الأمر في العاصمة والدلتا ، ولكنه رأى أن عيسى النوشري لا يزال والياً على مصر من قبل الخليفة ، وإن يكن قد فر بقول جيشه في اتجاه الإسكندرية ، فبعث إليه جيشاً بقيادة خفيف النوبى ، ثم تابع ابن الخليفة إرسال الامداد إلى خفيف النوبى برا . كما أرسل إليه محمد بن مجور في ست سراكب بالسلاح والرجال ، ويظهر أن الحرب كانت سجالاً بين الجانبين ، جانب عيسى النوشري ، وجانب خفيف النوبى وابن مجور ، ولم ينتصر فيها فريق على الآخر إذ عاد ابن مجور إلى الفسطاط ، وانصرف عيسى النوشري إلى تروجه^(٢) ، وهناك وقعت معركة بين جيشه وجيش خفيف النوبى هزم فيها خفيف وعاد بعدها إلى الفسطاط^(٣) .

ولما علم الخليفة المكتفى ، بشورة ابن الخليفة أرسل جيشاً بقيادة أبو الأغر وكان في الجيش الأمير أحمد بن كيفلغ وهزم ابن الخليفة هذا الجيش شرهزيمة في أوائل المحرم سنة ٢٩٣ هـ^(٤) . وقد عظمت تلك الهزيمة على الخليفة . فأرسل جيشاً ثانياً

(١) العباسة بلدة صغيرة موقعها إلى الشمال الشرق من مدينة بلبس الحالية سميت باسم عباسة بنت أحمد بن طولون التي شيدت فيه قصراً نزلت به قطر الندى بنت خمارويه في طريقها إلى المراق عند زواجها بالمعتضد . أنظر ياقوت : معجم البلدان ، مادة العباسة .

(٢) تروجه : بالفتح ثم الضم وسكون الواو وجيم . هذه القرية درست مساكنها الآن ومحاطها كوم تروجة بجوز تروجة بأراضى ناحية زاوية صقر بمركز أبي المطاير بمدينة البحيرة .

أنظر : ابن ماقى : كتاب قوانين الدواوين ص ١٢٤ و ص ٢٢٦ و ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٤ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٠ حاشية رقم (٣) وابن الجيعان : التحفة السنوية ص ١٢٤

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥١

(٤) المرجع نفسه : ج ٣ ص ١٥٣

بقيادة فاتك المعتضدى ، كما أرسل جيشاً بحرياً بقيادة دميانة ، وقد التقى فاتك مع ابن الخليج بالقرب من النويرة^(١) ، وروى أن أربعة آلاف من جنود ابن الخليج انضموا إلى جيش الخليفة . وعلى كل حال فقد اضطر ابن الخليج إلى التقهقر ، وتخلّى عنه كثير من أتباعه فماد إلى الفسطاط واحتفى عند صديق له ، ولكن خانه هذا الصديق وكشف أمره فقبضوا عليه في رجب سنة ٢٩٣ هـ بعد أن دام سلطانه نحو سبعة أشهر وعشرين يوماً^(٢) .

وأخذ ابن الخليج إلى بغداد ، ووقف بين يدى الخليفة العباسى فعنفه ، ثم طيف به وبأصحابه على ظهور الجمال في بغداد ، ثم قتل شر قتلة^(٣) .

ولا يمكننا أن نفسر نجاح ابن الخليج وتحمديه للحكومة المركزية في بغداد دون أن نأخذ بعين الإعتبار تمسك الشعب المصرى ضد تلك الحكومة التى قضت على دولة لها في مصر طابع قومى ، وكانت الأموال المصرية تنفق على يدها في مصر ولا تنسرب إلى بيت مال الخليفة وجيوب كبار الموظفين في بغداد ، فضلاً عن أن تخريب القطائع ترك ألماً وحسرة في نفوس المصريين .

على أن فشل ابن الخليج زاد في سوء الحالة التى كانت سائدة في مصر منذ سقوط بنى طولون ، ولاسيما أن النزاع بينه وبين عيسى النوشرى ألقى بالبلاد في هوة من الفوضى وعدم الاستقرار . وفى ذلك يقول أبو المحاسن^(٤) : « فانه — أى ابن الخليج — أراد أخذ ثأر بنى طولون والانتصار لهم غيرة على ما وقع من محمد بن سليمان الكاتب من إفساد الديار المصرية فوقع منه أيضاً أضعاف ما فعله محمد بن سليمان الكاتب وكان حاله كقول القائل :

رام نفعاً وضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقاً

(١) إحدى قرى بنى سوييف .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥٢ — ١٥٤ ، والسكندى ، الولاية

والتقضاء ص ٢٦٢

(٣) السكندى : الولاية والتقضاء ص ٢٦٣ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥٤

(٤) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٥

(٣)

الحلقة الاخيرة من الولاة العباسيين في مصر

ذكرنا أن أول وال حكم مصر من قبل الخليفة بعد زوال الدولة الطولونية هو عيسى النوشري . وفي ولايته حدثت ثورة ابن الخليج وقد أوجزنا الكلام عليها في الصفحات السابقة . ونضيف هنا أن في ولايته في عهد الخليفة المكتفي ظهر أمر عبيد الله المهدي ، وكان أبو عبد الله الشيعي يدعوه في المغرب ، وحاول الخليفة القبض عليه ولكنه هرب هو وابنه أبو القاسم نزار الذي ولى بعده وتلقب بالقائم .

وقد خرج عبيد الله المهدي من الشام مع ابنه ومعه خاصته ومواليه وعقد العزم على الاتجاه إلى بلاد المغرب . ولما وصل إلى مصر استتر بزى التجار . ووصلت إلى النوشري كتب الخليفة بوصف المهدي والأمر بالقبض عليه وعلى كل من يشبهه . ويظهر أن بعض خاصة هذا الوالي كان متشيعا فأخبر المهدي بذلك وأشار عليه بالرحيل عن مصر فبادر المهدي بمغادرة البلاد . أما النوشري فقد فرق الرسل في طلبه وخرج بنفسه فلحق به وقبض عليه . ولكنه أطلق سراحه ، ويقال إنه رقى لحاله وعطف عليه كما يقال أيضا ان النوشري لاحظ من بعض أعماله أنه ليس شخصا مرييا وربما شجعه هذا على إطلاق سراحه . ولا نستطيع تعليل ذلك تماما ومن المحتمل أن مما دفع عيسى النوشري إلى مخالفة أمر الخليفة رشوة نالهها من المهدي الذي كان يحمل معه أموالا كثيرة^(١) . ولعله تأثر أيضا بوساطة بعض خاصته الشيعيين ، وعلى كل حال فقد أصبح المهدي هذا أول الخلفاء الفاطميين وأسس الدولة الفاطمية التي كان مركزها في البداية مدينة القيروان .

وعلى أثر تأسيس هذه الدولة الفاطمية فكر المهدي في غزو مصر وأخذ يضع الخطط لذلك . وهذا طبيعي لدولة فتية تريد أن تنافس بغداد ، إذ أن بلاد المغرب فقيرة بالنسبة لمصر التي تتمتع بالثروة الطبيعية والرخاء فضلا عن موقعها الجغرافي الممتاز .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٣

وعمل عبيد الله المهدي على القضاء على دولة الأغالبة التي كانت تعترض طريقه إلى وادى النيل . وتم له سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٦ م) إيقاع الهزيمة بزيادة الله بن عبد الله ابن ابراهيم بن الأغلب أو زيادة الله الأصغر آخر أمراء تلك الدولة .

وفر زيادة الله إلى مصر ومعه جمع من أتباعه فنزل الحيزة في شهر رمضان سنة ٢٩٦ هـ ، ولم يحسن النوشري الظن به فكانت بينه وبين جند هذا الوالي مناوشة عند الحيزة قبل أن يسمح له بالعبور ليلاً إلى الفسطاط ^(١) .

وحدث في ولاية النوشري على مصر أن توفي الخليفة المكتفي بالله في ذى القعدة سنة ٢٩٥ هـ ، وبويع جعفر بن أحمد المعتضد ولقب المقتدر بالله فأقر النوشري على ولايتها .

ثم توفي عيسى النوشري في نهاية شعبان سنة ٢٩٧ هـ (٩١٠ م) وكانت ولايته على مصر زهاء خمس سنين وقام بالأمر من بعده ابنه أبو الفتح محمد بن عيسى النوشري إلى أن قدم الوالي الجديد أبو منصور تكين بن عبد الله من قبل المقتدر . عين في شوال ووصل إلى الفسطاط في بداية ذى الحجة . ووجه عنايته منذ البداية إلى دفع خطر الفاطميين في المغرب فجهز جيشاً عقد قيادته لأبي النضر ^(٢) أحمد بن صالح بعد أن ولاء على برقة ^(٣) . وسار هذا القائد على رأس جيشه إلى مقر عمله الجديد واستتب له الأمر فيه وحسنت سيرته ولكن حباسة بن يوسف الكتاتمي كان يقف له بالمرصاد

(١) السكندی : الولاية والقضاة ص ٢٦٧ والمقریزی : المخطوط ج ١ ص ٣٢٧ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٩١
(٢) هكذا سمي في السكندی (الولاية والقضاة ص ٢٦٨) أما في ابن سعيد (المغرب ص ٨) والمقریزی (المخطوط ج ١ ص ٣٢٧) فقد سمي أبا يعن بينما سمي في أبي المحاسن (النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٢) أبا اليمنى .

(٣) نص السكندی في كتاب الولاية والقضاة ص ٢٦٨ على أن احمد بن صالح هذا كان من الأبناء ولسنا ندرى تماماً هل يقصد بذلك أنه كان من السلالة التي ولدت باليمن من الفرس المهاجرين إليها أو أنه كان من سلالة أوائل الداعين لنصرة الدولة العباسية أو أنه كان من سلالة سعد بن زيد مناة مع استثناء ولديه كعب وعمرو وهي السلالة التي كان يطلق عليها اسم الأبناء وتسكن سهل الدهناء الرملي . أنظر مقال « الأبناء » في دائرة المعارف الاسلامية .

على رأس جيش بعث به صاحب توزر^(١) في أفريقية لحساب المهدي . ولم يفلح حباسة في القضاء على سلطان أحمد بن صالح فلجأ إلى الخدعة ولاسيما حين علم أن تكيئا والى مصر عزم على عزل هذا القائد من ولايته بركة وعلى أن يعقد عليها لقائد اسمه خير المنصوري . وهكذا كتب حباسة إلى ابن صالح يسأله عما يحمله على حربه وهو معزول وبعث إليه بكتاب ورد عليه من مصر بأبناء هذا العزل . وعاد ابن صالح إلى مصر ومد حباسة سلطانه على بركة . ثم خرج إليها خير المنصوري من مصر ومعه عبد العزيز بن كليب الجرشي، والظاهر أن تكيئا والى مصر أشرك عبد العزيز هذا في حكم بركة مع خير المنصوري . ومهما يكن من الأمر فقد وقع بينهما من الخلاف والمنافسة والجفاء ما مكن حباسة من هزيمتهما والظفر بحكم بركة .

ولم يستطع تكيين أن يعيد سلطان مصر إلى هذا الاقليم فبعث إلى صاحب أفريقية بكتاب على لسان أمير المؤمنين المقتدر يدعو فيه إلى الطاعة والتسك بها^(٢) وكان ذلك في سنة ٣٠٠ هـ (٩١٣ م) . ومما يستحق الذكر أنه جمع وجوه أهل مصر وقرأ عليهم هذا الكتاب قبل إرساله^(٣) . ولعلنا نستطيع أن نستنبط من هذا أن مبدأ الشوري كان يتبع في كثير من الأحيان ، وأن الوالي كان يجمع وجوه القوم ليعرض عليهم بعض الشؤون الرئيسية في البلاد .

وكانت هزيمة المصريين في بركة أكبر حافز للفاطميين على الهجوم على مصر نفسها فوجه إليها المهدي جيشا من أفريقية بقيادة ابنه أبي القاسم سنة ٣٠١ هـ وقيل ان سبب تحرك هذا الجيش أن القاسم بن المهدي بعث إلى بغداد بقصيدة يفخر فيها بأسرته وبما فتح من البلاد فأجابه أبو بكر الصولي بقصيدة على وزنها ورويتها ومنها :

فلو كانت الدنيا مثالا لطائر
اسكان لكم منها بما حزتم الذنب

(١) توزر بالفتح ثم السكون وفتح الزاي وراء مدينة ببلاد الجريد في إمارة تونس الحالية أنظر : أبو عبيد البكري : المغرب ص ٤٨ — ٧٤ والمراكشي : كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٥٨ ، وياقوت معجم البلدان ج ٢ ص ٤٢٨ — ٤٢٩

(٢) السكندی : الولاة والقضاة ص ٢٦٨

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦٨ — ٢٦٩

فحرك همته هذا البيت ، وقال : « والله لا أزال حتى أملاك صدر الطائر ورأسه — ان قدرت — وإلا أهلك دونه » ^(١) .

وسار أبو القاسم بجيشه من برقة الى الاسكندرية والفيوم ودان له جزء كبير من مصر فبعث اليه المقتدر بالله جيشا على رأسه مؤنس الخادم من اعلام القواد العباسيين وأفلح هذا الجيش في صد الفاطميين وارغامهم على الجلاء عن مصر ^(٢) .

ولكن الفاطميين لم يأسوا من فتح مصر نهائيا ، فلما كان العام التالي أى سنة ٣٠٢ هـ أرسل عبيد الله المهدي جيشا كبيرا بقيادة حباسة بلغ عدده في رأى السكندى ^(٣) « مائة ألف أو زيادة عليها » وهو رقم مبالغ فيه . وإن دل هذا على شىء فأنما يدل على أن عدد هذا الجيش زاد بكثير على الجيوش التى وجهها الفاطميون الى برقة ومصر قبل ذلك .

وعلى كل حال فالظاهر أن الفاطميين قدموا الى الاسكندرية هذه المرة بطريق البحر ^(٤) وسقط هذا الثغر فى يدهم دون كبير مقاومة ^(٥) ، ولكن قدمت الجيوش من المشرق مددا لتكئين والتقت جيوشه بالفاطميين على مقربة من الجزيرة وكان النصر حليف المصريين وفر حباسة بفلول جيشه الى المغرب فقتله المهدي .

ومما يستحق الذكر فى القتال الذى دار بين الجيشين أن أهل الفسطاط اشتركوا فيه مع الجيش اشتركا ملحوظا وأبلوا فيه بلاء حسنا . وفى ذلك بقول السكندى ^(٦) : « وسار حباسة من الاسكندرية فعمسكر بمشول فنودى بالنفير فى الفسطاط يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة فلم يتخلف عن الخروج إلى الجزيرة أحد من الخاصة والعامة ثم انصرفوا عشيا ولم يكن لقاء ، ثم نودى بالنفير من الغد يوم الأربعاء فخرج الناس أيضا

(١) المقرئى : اتماظ الحنفا ص ٩٩

(٢) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٣٠ ، المقرئى : اتماظ الحنفا ص ٩٨

(٣) الولاة والقضاة ص ٢٦٩

(٤) المقرئى : اتماظ الحنفا ص ١٠٠

(٥) المقرئى : المخطط ج ١ ص ٣٢٧ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٣

(٦) الولاة والقضاة ص ٢٧٠

ثم لم يكن لقاء ثم نودي يوم الخميس بفرج الناس خروجاً لم ير مثله قط في الاجتماع والنشاط وحسن البصيرة وأنهم حباسة في جيشه يومئذ فيما بين الظهر والعصر فالتقوا وكثرت القتلى منهم وقتلت رجاله حباسة كلهم ثم من الله وله الحمد بهزيمتهم ومنح أهل مصر أكتافهم ومضوا على وجوههم هارين ورأوا من اجتماع الناس ونصر الله ما لم يسمع بمثله .

ونظم الشعراء المصريون القصائد في وصف هذا القتال وفي رثاء من استشهدوا فيه من المصريين^(١) . وتشير بعض الأبيات في تلك القصائد إلى أن الفاطميين كان لهم دعاة وأعوان بين سكان مصر ، وأن هؤلاء الأعوان كانوا يكتبون إليهم ، ولعلمهم كانوا ينقلون إليهم مواطن الضعف في البلاد ويدعونهم إلى القدوم لفتحها ومن تلك الأبيات قول ابن مهران متحدثاً عن حباسة :

وأقبل جاهلاً حتى تخطى وجاز بجهله حد التخطى
بكتب جماعة قد كاتبوه من أقباط بمصر وغير قبطنى
وكل كاتبوه منافقونا وكل في البلاد له موطنى^(٢)

ولعل الإشارة إلى القبط في هذه المناسبة تشهد بأن مصر كانت تمر حينئذ بفترة من فترات التعصب الديني ، وبأن بعض القبط كانوا يعرفون عن الفاطميين من التسامح الديني ما يبشر بتحسن أحوال أهل الذمة على أيديهم .

ثم قدم إلى مصر القائد مؤنس الخادم على رأس جيش من العراق ، ولسنا نعرف تماماً هل كان وصوله قبل هزيمة حباسة أو بعدها . فالكندى^(٣) ينص على أن مؤنس الخادم أقبل من العراق فدخل مصر « يوم الإثنين للنصف من شهر رمضان ومعه جمع من الأمراء سار بهم ونزل الحمراء^(٤) ولقي الناس من جنده كل ما كرهوا » كما ينص

(١) المرجع نفسه ص ٢٧٠ — ٢٧٣

(٢) المرجع نفسه ص ٢٧٢

(٣) الولاة والقضاة ص ٢٧٣

(٤) خطة من خطط الفسطاط : أنظر سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٤٥ وانظر خريطة خطط الفسطاط في المرجع نفسه .

على أن معارك المصريين مع جيش حباسة كانت جمادى الآخرة^(١) . أما ابن الأثير^(٢) فيشير إلى أن الخليفة المقتدر « أرسل مؤنسا الخادم في عسكر إلى مصر لمحاربة حباسة وأمدته بالسلاح والمال فسار إليها فالتقى العسكران في جمادى الأولى سنة ٣٠٢ فاقتلوا قتالا شديدا فقتل من الفريقين جمع كثير وجرح منهم ثم كان بينهم وقعة أخرى بنجوها ثم وقعة ثالثة ورابعة فانهزم فيها المغاربة أصحاب العلوي وقتلوا وأسروا فكان مبلغ القتلى سبعة آلاف مع الأسرى وهرب الباقيون وكانت هذه الوقعة سلخ جمادى الآخرة وعادوا إلى المغرب فلما وصلوا إلى المغرب قتل المهدي حباسة » .

ونحا المقرئى^(٣) نحو ابن الأثير فكتب أن مؤنسا الخادم التقى بحباسة في جمادى الأولى (سنة ٣٠٢) وأن حباسة انهزم في نهاية جمادى الآخرة . أما أبو الحسن^(٤) فيشير إلى أن مؤنسا الخادم وصل إلى مصر بعد أن انتهى تكوين من هزيمة حباسة . والملاحظ بوجه عام أن النصوص القديمة مضطربة في هذا الصدد ، وحسبنا أن أبا الحسن يذكر في موضع أن جيش الفاطميين كان بقيادة حباسة^(٥) ثم ينص في موضع آخر^(٦) على أن عبيد الله نفسه هو الذى قدم من المغرب إلى الإسكندرية ومعه حباسة « فجرت بينه وبين جيش الخليفة حروب قتل فيها حباسة وعاد مولاه عبيد الله إلى القيروان »^(٧) .

(١) المرجع نفسه ص ٢٧٠

(٢) تاريخ الكامل ج ٨ ص ٣١

(٣) اتعاظ الحنفا ص ١٠٠

(٤) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٣

(٥) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٣

(٦) المرجع نفسه ج ٣ ص ١٨٤

(٧) وفضلا عن ذلك فان ابن عذارى (البيان المغرب في أخبار المغرب ج ١ ص ١٨٣) يروى أن القائم بن المهدي ولى على هذه الحملة عند وصولها إلى الفيوم قائدا جديدا هو ابن فريدون فنضرب حباسة وهرب مع بعض خاصته ميمماً شطر المغرب وكتب القائم إلى أبيه المهدي بذلك ، واتجه حباسة إلى أخيه عروبة بن يوسف السكتاني وكان قد خرج على المهدي ونجح الأخير في القبض على الأخوين وقتلهما ، راجع المقرئى : اتعاظ الحنفا ص ١٠٠

ومهما يكن من الأمر فإن مؤنسا الخادم قرر عزل تكسين عن ولاية مصر وأمره بالرحيل عنها فخرج في السابع من ذى الحجة سنة ٣٠٢ هـ وكتب مؤنس إلى الخليفة بذلك^(١). ولسنا ندرى هل كان مؤنس مفوضاً من قبل الخليفة بإحداث مثل هذا التغيير في ولاية مصر، كما أننا لا نعرف سببه، ولا سيما بعد انتصار تكسين على جيش الفاطميين. ولكن الراجح عندنا أن كبار القواد كان لهم سلطان واسع وكان في استطاعتهم عزل الولاة الذين يوفدون لتجديدهم. فضلا عن أن مؤنسا الخادم كان من أكبر قواد العباسيين ومن أخص المقربين إلى الخليفة المقتدر.

أقام مؤنس في مصر يدبر أمورها إلى أن عين الخليفة المقتدر والياً جديداً يحل محل تكسين. هو ذكا الأعر^(٢) أو ذكا الرومي^(٣). ووصل هذا الوالى إلى مصر في الثانى عشر من شهر صفر سنة ٣٠٢ هـ فخرج منها مؤنس الخادم بجميع جيشه في الثامن من شهر ربيع الآخر.

وكان مؤنس الخادم أثناء إقامته في مصر مطلق التصرف في أمورها وكان يلقب بالأستاذ بل كان يدعى له على المنابر بعد الخليفة، على نحو ما كان يحدث لبعض كبار الامراء الذين كانوا يقطعون مصر منذ بداية العصر العباسى الثانى^(٤).

ولما استقر الأمر لذكا الرومى عنى بالكشف عن عيون الفاطميين في مصر وهن كانوا يكاتبونهم من سكانها فقبض على كثير منهم، ومثل باخرين بقطع أيديهم أو أرجلهم. وعنى كذلك بمدينة الاسكندرية فخرج إليها ونظر في أمر تحصينها والدفاع عنها وولى عليها ابنه مظفر بن ذكا وبعث إليها بجمع من القواد مرة بعد أخرى. ولا عجب فقد دلت التجارب على سهولة غزوها وعلى نجاح الفاطميين فى الاستيلاء عليها. وكان ذكا يخشى أن يتجدد الغزو الفاطمى.

(١) أبو المحاسن: اللجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٣

(٢) المرجع نفسه ج ٣ ص ١٧٤

(٣) يسميه لينبول باسمه اليونانى Ducas انظر Lane — Poole: A History of Egypt in the

Middle Ages p. 80

(٤) الكندى: الولاة والقضاة ص ١٩٤، وجرومان: المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية

ص ١٢، وسيدة أكشف: مصر فى فجر الاسلام ص ٣٥

وقد وقع ما كان يخشاه المصريون ، إذ جهز المهدي جيشا كثيفا عقد لواءه لابنه أبي القاسم سنة ٣٠٧ هـ ، ووصلت مقدمة هذا الجيش إلى الاسكندرية في شهر صفر ، ثم وصل أبو القاسم بسائر الجيش وسقطت المدينة ونهبها الغزاة وحل الذعر بسكانها وانتشر خبر الغزو الفاطمي في مصر فهرب كثير من أهلها إلى الشام في البر والبحر ومات بعضهم في الطريق .

أما الجيش الفاطمي فقد تقدم عدد كبير منه فاحتل الفيوم والاشمونين وجزءا كبيرا من الصعيد ، والظاهر أن قائده أبا القاسم كتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يلبوا دعوته ^(١) . ويبدو أن الذي أخرج الفاطميين عن دخول الفسطاط وباء انتشار بين جنودهم في مصر الوسطى ^(٢) .

أما ذكا الرومي وإلى مصر فكان مقيما في الفسطاط يعمل على الاستعداد لقتال الجيش الفاطمي ويسعى في حشد جنده ولكن عددا كبيرا منهم كان يأبى الخروج للقتال ، واستطاع ذكا أن يخرج بجيشه إلى الحيزة بعد جهد وكان صاحب الحراج حينئذ الحسن ابن أحمد الماذرائي وقد قام بتوزيع العطاء على الجند فأرضاهم .

وجد ذكا في التأهب للحرب وأمر ببناء حصن على الجسر الغربي بالحيزة وحفر خندقا يحيط بعسكره حتى لا يفجأه العدو . وما زال ذكا جادا في أمر هذه الحرب حتى مرض وتوفي في الحيزة في ربيع الآخر سنة ٣٠٧ هـ (٩١٩ م) ^(٣) .

وبعد وفاة ذكا عهد الخليفة المقتدر بولاية مصر إلى تكيين للمرة الثانية فقدم إليها في شعبان سنة ٣٠٧ هـ . والراجح أن الخليفة اختاره لسابق خبرته بمحاربة الفاطميين وصددهم عن مصر . وكان المقتدر قد جهز جيشا لنجدة ذكا ووصل هذا الجيش إلى الفسطاط قبل وصول تكيين .

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٧٥ ، القرزبي : تماظ الحفا ص ١٠٣ ، وأبو الحسن :

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٨٧

(٢) Wustenfled : op. cit. IV, pp. 14-15.

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٧٥ — ٢٧٦

ولما قدم تسكين خرج بجيوشه المصرية والعراقية إلى الحيزة وعسكر بها ثم حفر خندقاً حول جنده غير الخندق الذي كان قد حفره ذكا الأعور قبل وفاته ، والظاهر أن عودة تسكين إلى مصر وثمة أهلها بقدرته على صد الجيش الفاطمي فضلاً عن وصول المدد من العراق ، كل ذلك أعاد الهدوء إلى قلوب المصريين فرجع كثير ممن كانوا قد فروا إلى الشام والحجاز .

وأرسل المهدي إلى الاسكندرية نجدة لابنه القائم أسطولا قوامه ثمانون سفينة وعلى رأسه سليمان الخادم ويعقوب الكناني ، وعلم الخليفة المقتدر بذلك فبعث إلى مصر بخمسة وعشرين سفينة من طرسوس تحت إمرة ثمل الخادم ^(١) . والتقى الأسطولان عند رشيد في شوال سنة ٣٠٧ هـ ، وكانت سراكب العباسيين غنية بالنفط وعدد القتال فكان النصر حليفهم في هذه الموقعة ، وأحرقت معظم المراكب الفاطمية وقتل رجالها أو أسروا ودخل بعدها ثمل الخادم مدينة القسطنطينية ومعه جمع كبير من الأسرى معظمهم من قبيلة كتامة . ثم أمر بإطلاق الأسرى من أهل القيروان وطرابلس وبرقة وصقلية ، أما أهل كتامة وزويلة فقد أذن للجند والرعية في قتلهم بوصفهم أخطر العناصر في جند الفاطميين . وقيل إن عدد القتلى بلغ سبعمائة قتيل . وطيف بسليمان ويعقوب قائد الأسطول الفاطمي مقيدين ومعهم رؤساء المراكب ومات سليمان في السجن ونقل يعقوب إلى بغداد ولكنه هرب منها وعاد إلى المغرب ^(٢) .

ولكن هزيمة الأسطول الفاطمي لم تقض على الحملة الفاطمية قضاء مبرما ، فقد كانت جيوش الفاطميين لا تزال تحتل الفيوم وجزءاً من مصر الوسطى ، ومع ذلك فإن الأوبئة ووفاة كثير من الفواد وصعوبة التقدم ، كل ذلك عطلها عن العمل . وعندما تحركت لقتال تسكين في عسكره بالحيزة كان النصر حليف هذا الوالي العباسي ، ولكنه لم يكن نصراً حاسماً . وعاد المغاربة إلى مصر الوسطى ورجع تسكين بجيوشه إلى القسطنطينية .

(١) الكندي : المرجع نفسه ص ٢٧٦ ، وسعيد بن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص ٨٠ ، وابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٣٩ ، وابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٣١٢ ، والمقريزي : اتماظ الحنفا ص ١٠٤

وطبيعي أن الخليفة لم يرض عن فترة الركود بين الجيشين وعن عجز المصريين وإخفاقهم في طرد الفاطميين فرأى أن يقوم بعمل حاسم في هذا السبيل وبعث إلى مصر بمدد قوامه ثلاثة آلاف جندي على رأسهم مؤنس الخادم . ووصل هذا المدد إلى مصر في شهر المحرم سنة ٣٠٨ هـ ولكن جهوده ذهبت سدى ، إذ أن مؤنسا الخادم اكتفى بإرسال فريق من الجيش إلى الأشمونين . وكان على رأس هذا الفريق القائد ابراهيم بن كيغاغ ومات هذا القائد بالهينسا وهزم المغاربة جنده وعاد الركود بين الجيشين ، إلى أن وصلت إلى مصر نجدة ثانية من العراق بقيادة جنى الخادم المعروف بالصفواني . وسارت الجيوش العباسية كلها إلى الفيوم بقيادة مؤنس وتكين وجنى الخادم وأوقعت بالفاطميين عدة هزائم وفر القائم ابن المهدي بفلول جيشه إلى برقة .

ومما يشهد باضطراب الأحوال الداخلية بمصر في تلك الفترة من تاريخها أن بعض وجوه القوم في الفسطاط كانوا لا يزالون يكتبون الفاطميين في المغرب وأن تكين علم أثناء استعدادده لقتال المغاربة أن ابن المديني القاص وجماعة بمصر يدعون المهدي ويتصلون به فقبض عليهم وقتلهم وسجن أتباعهم^(١) . بل يظن أيضا أن صاحب الحراج في مصر حينئذ وهو أبو زبور الحسين بن أحمد الماذرائي وابن أخيه محمد بن علي بن أحمد الماذرائي كاتبا المهدي ونقلوا إليه أن مصر لم يكن فيها جنود يستطيعون الدفاع عنها ، وأن سقوطها في يد الفاتحين أمر ميسور ، ووعداه أن يقدم له كل عون في إخضاع سكانها إذا قدم بنفسه لفتحها^(٢) . ولكننا لا نميل إلى تأييد هذا الظن لأن الماذرائيين كانت لهم مكانة مرموقة في الإدارة ولم يكن لهم نفع في تغيير الحكم في البلاد . اللهم إلا إذا ذهبنا إلى أن أبا زبور الماذرائي وقريبه كانا يظنان أن مصر توشك أن تقع في يد الفاطميين وأنهما أرادا أن يكون لهما من الأمر شيء تحت الحكم الفاطمي .

وقد كان لا تتصارع مؤنس الخادم وقع عظيم في بغداد نفلع عليه الخليفة ولقبه بالمظفر^(٣) .

(١) الكندي : الولادة والقضاء ص ٢٧٧ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٩٦

(٢) Wüstenfeld : Die Statthalter IV. pp. 16-17

(٣) مما يستحق الذكر أن أبا المحاسن (النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠٣) لاحظ الشبه

بين هذا اللقب والألقاب التي انتشرت في عصر المماليك فكتب : « وهذا أول لقب سمعناه من ألقاب ملوك زماننا » .

ومهما يكن من الأمر فقد أصبحت مصر مرتعا للجيوش العديدة التي وفدت إليها من بغداد لقتال الفاطميين والدفاع عن مصر . وطبيعي أن أهل مصر كانوا يقاسون الأمرين من عنف الجند وما يقومون به من السلب والنهب . وقد أدى ذلك كله إلى اضطراب الأحوال المالية في البلاد ، فلا عجب إذا كتب محمد بن علي الماذراني العامل على الخراج ينبه الحكومة المركزية في بغداد إلى كثرة الجيوش في مصر وما تحتاج إليه من نفقات طائلة^(١) .

وظل تكيين في ولايته الثانية على مصر إلى أن عزله مؤنس الخادم في ربيع الأول سنة ٣٠٩ هـ وولى عليها أبا قابوس محمد بن حمك^(٢) . وسبب العزل غير واضح في المراجع التاريخية ، ولكننا نرجح أن مؤنسا كان يحقد على تكيين لأن الأخير كان محبوبا من أهل مصر ، كما يشهد بذلك استنكارهم لعزله واستهانتهم بالوالي الجديد ، إلى حدٍ خشي معه مؤنس قيام فتنة في البلاد ، ولا سيما حين ألح عليه وجوه القوم في عودة تكيين ونهوه إلى عاقبة عزله . وكان القائد العباسي حكيما بعيد النظر فأعاد الوالي المنزول بعد ثلاثة أيام من عزله ولكنه فعل ذلك إلى أن يستعد لإخاد أي حركة قد يقوم بها أهل مصر أو جند تكيين ، فلم يتم له ما أراد وانخذ للأمر عدته قرر مع مساعديه من القواد عزل تكيين وإبعاده عن مصر . وهكذا عزل هذا الوالي للمرة الثالثة وخرج إلى الشام على رأس أربعة آلاف من الجند ، ولم تزد ولايته الأخيرة على أربعة أيام^(٣) .

وأقر الخليفة كبير قواده في عزل تكيين وبعث إلى مصر بوالٍ جديد هو هلال ابن بدر كما استدعى مؤنسا إلى بغداد ، فخرج هذا القائد من مصر ومعه الجيوش العراقية التي وفدت إليها لصد الفاطميين .

ولم يكن هلال بن بدر موفقا في ولايته فزاد الاضطراب على يده وثار عليه فريق كبير من الجند وقامت بينه وبين أولئك الثوار حروب طويلة وعم الفساد في البلاد

(١) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ص ٢٨

(٢) هو محمود بن جهل في خطط المقرئى ، ج ١ ص ٣٢٨ ومحمود بن جهل في النجوم

الزاهرة لأبى المحاسن ج ٣ ص ١٩٩

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٠٠

وكثر القتل والنهب وقطع الطريق ، فلم ير الخليفة المقتدر بدا من عزل هذا الوالى .
وأرسل إلى مصر والياً جديداً ، هو أحمد بن كيغلق (١) .

ولم يكن هذا الوالى غريباً عن مصر ، فقد سبق أن اشترك مع جند العراق فى صد الفاطميين عنها سنة ٣٠٢ هـ (٩١٥ م) . وقدم معه محمد بن الحسين الماذرائى عاملاً على الخراج وكان أول ما عنيا بتنظيمه عطاء الجند . والظاهر أنهما لاحظا أن هذا العطاء أصبح ثقيلاً على الميزانية فأسقطاه عن كثير من الجند المشاة السابقين وثار هؤلاء الجند ولم يستطع الوالى إخماد ثورتهم ففر إلى مدينة فاقوس وأراد محمد بن الحسين الماذرائى الخروج إلى بلاد الشام ولكن منعه الجند واضطروه إلى البقاء فى الفسطاط .

وظل ابن كيغلق محتبئاً فى فاقوس وطنى الجند وزاد نفوذهم واضطرب جبل الأمن فى البلاد ولم تستطع الحكومة المركزية فى بغداد أن تقوم بعمل حاسم لتأديب الثوار بسبب ضعفها وحاجتها إلى جميع الجند للدفاع عن مصر فاكتمى الخليفة المقتدر بعزل ابن كيغلق وأعاد إلى ولاية مصر عاملاً خبيراً بشئونها محبوباً عند أهلها وجندها ، هو تكيين الذى وليها ثلاث مرات قبل ذلك (٢) .

ولم تكن مهمته هذه المرة سهلة ، لأن استبداد الجند بلغ حداً لم يمكن السكوت عليه إذ كان يهدد البلاد بأوخم العواقب فعمل تكيين منذ ولايته سنة ٣١٢ هـ (٩٢٤ م) على كبح جماح أولئك الجند ، واضطر إلى تغيير كثير من معاونيه وإلى ترتيب الخطط المحيطة لكسر شوكة المشاعيين من رجال الجيش والادارة . ولم ينجح فى ذلك كله أقدم على إسقاط العطاء عن هؤلاء المشاعيين وأمر بخروجهم من مصر ، وتم له ما أراد فحسنت حال البلاد .

ولما قتل الخليفة المقتدر فى شوال سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) وبويع بالخلافة أخوه القاهر أقر تكيين على ولاية مصر وبعث إليه بالخلع علامة على رضائه

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٧٩

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٠٦ — ٢٠٧

عن إدارتها ، ولكن تكين لم تطل ولايته بعد ذلك إذ مرض ووافته المنية في ربيع الأول سنة ٥٣٢١هـ (٩٣٣م) .

ولا ريب في أن ولاية تكين الأخيرة على مصر كانت شوطاً بعيداً في عودة الاستقرار إلى مصر ، فقد كان على حد يقول أبي المحاسن^(١) « أميراً عاقلاً شجاعاً عارفاً مديراً ، ولى الأعمال الجليلة ، وطالت أيامه في السعادة وكان عنده سياسة ودربة بالأموال ومعرفة بالحروب » .

وكادت وفاة تكين تقضى على الاستقرار الذي بلغته مصر في ولايته الأخيرة ، وذلك بسبب النزاع في حكم البلاد بعد وفاته . وبيان ذلك أن ابنه محمد بن تكين تسلم مقاليد الحكم من غير ولاية الخليفة بل باستخلاف أبيه . ولكن أبا بكر محمد بن علي الماذرائي لم يرض عن ذلك . وحدث أن ثار الجند بسبب تأخر عطايتهم واستطاع الماذرائي أن يرغم محمد بن تكين على مغادرة البلاد والخروج إلى الشام . وكتب ابن تكين إلى الخليفة في بغداد يطلب أن يولى على مصر وجاء جواب الخليفة القاهر بأن يكون الوالي محمد بن تكين وأن يقوم الماذرائي بتدبير أمر البلاد ، ولعل المقصود بذلك تدبير الشؤون المالية ، ولكننا سوف نرى أن الماذرائيين كانوا ينفذون من تدبير الشؤون المالية إلى السيطرة على معظم مرافق الإدارة في مصر . وهما يمكن من الأمر فإن محمد بن علي الماذرائي استطاع أن يمنع ابن تكين من العودة إلى مصر^(٢) . وهنا ظهر محمد بن طنج على مسرح السياسة المصرية لأول مرة فقد أفلح في تحقيق حلم قديم له وحصل من الخليفة على تقليد بولاية مصر . وسوف نعود إلى تفصيل الكلام على ذلك في الصفحات التالية .

(١) المرجع نفسه ج ٣ ص ٢١١

(٢) راجع الروايات المختلفة في الكندي : الولاة والفضاة ص ٢٨١ وابن سعيد : المغرب ص ١٠ والمقرنزي : الخطط ج ٢ ص ١٥٦ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٦—٢٣٧

(٤)

الماذرائيون

كانت مقاليد الأمور بمصر في الفترة الواقعة بين الدولتين الطولونية والاششيدية في أيدي ثلاث قوات: الولاة وقواد الجيش العراقي في مصر والماذرائيين . وقد مر بنا الكلام على الولاة وعرفنا أن أعظمهم مكانة وأكثرهم توفيقاً هو تكين ، كما عرفنا ما كان للقواد العباسيين في مصر من نفوذ وسلطان حتى استطاعوا عزل الولاة قبل الرجوع إلى الخليفة . وكان أظهر أولئك القواد مؤنسا الخادم المظفر .

أما الماذرائيون فأسرة فارسية الأصل^(١) تنسب إلى ماذرايا أو مادرايا وهي قرية من أعمال البصرة وقيل من أعمال واسط^(٢) . ولكن هذه الأسرة لم تصل إلى الثروة والسلطان إلا بسبب نزوح كثير من أفرادها إلى مصر ، ولسنا نعرف تماماً متى كان خروج أول عضو منها إلى هذه البلاد ، والراجح أنه وفد إلى مصر في حاشية والٍ من ولايتها لعاه أحمد بن طولون . ولما لقي فيها الرخاء والنجاح استدعى إليه من العراق نفراً من أفراد أسرته ، وتبعهم آخرون وأتيح لبعض أعضاء هذه الأسرة ولاية طائفة من الوظائف الرئيسية في مصر ، ولكنهم لم يقطعوا أسباب الصلة بمسقط رأسهم في العراق .

(١) أنظر مقال الأستاذ جست في A Volume of Oriental Studies Presented to Professor

Browne pp. 171-172.

(٢) جاء اسمهم بالذالك المعجمة في بعض المراجع مثل السكندی : الولاة والقضاة ص ٣٤٤ وياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٣٥٣ ، مادة ماذرايا؛ وسام القرزي الماردانيين (الخطط ج ١ ص ٣٣٢ و ج ٢ ص ١٥٥ ؛ وسام السمعاني الماردانيين (كتاب الأنساب ورقة ٤٩٩ ولعل النون تصحيف في المخطوط) . راجع :

Becker: Beiträge p. 171; H. Gottschalk: Die Madaraijzun p. 20-22, Zaky M. Hassan: Les Tulunides: 284; Wüstenfeld: Statthalter IV, 2.

وأول من نفرأ عنه من الماذرائيين في إدارة مصر هو أحمد بن إبراهيم أو محمد بن أحمد بن إبراهيم الماذرائي الأطروش^(١) الذي ولي خراج مصر سنة ٢٦٦ هـ شركة مع علي بن الحسين (أو الحسن أو أبو الحسن) بن شعيب المدايني. وقد ذكر المقرئزي أن الذي ولاء هو الخليفة المعتمد^(٢). وذكر البلوي^(٣) وابن سعيد^(٤) (عن ابن الداية) أن الذي ولاء هو أحمد بن طولون نفسه. والراجح عندنا ما ذكره البلوي وابن سعيد لأن ابن طولون أشرف على مالية البلاد بعد تخلصه من ابن المدبر وأصبح منذ سنة ٢٦٤ هـ في عداة ظاهر مع الحكومة المركزية في بغداد واستقل عنها بإدارة مصر^(٥). ومهما يكن من الأمر فإن شركة الماذرائي مع علي بن الحسين في خراج مصر لم تدم طويلا لأن ابن طولون أمر بسجن علي بن الحسين حتى مات، وذلك بسبب كتاب وجهه إلى ابن المدبر — عدو ابن طولون — يشكو فيه من أعمال وظيفته^(٦). وهكذا أصبح الماذرائي وحده عاملا على خراج مصر.

وبدأ عميد الماذرائيين في مصر سياسة محكمة في جذب أفراد أسرته ورفع شأنهم في مناصب الدولة فكان ينصب عنه أحيانا أخاه أو ابنه علي بن أحمد الماذرائي وأخذ كآبأه. وقد روت بعض المراجع قصة تبيين كيف استطاع علي هذا أن يثبت براءة عميد الأسرة من تهمة اختلاس مبلغ كبير من أموال الخراج فتنابه ابن طولون إلى حضور ذهنه وكفأيته وذكائه ورفع مكآته في إدارة مصر^(٧). وفضلا عن ذلك فقد استطاع

(١) اختلفت المراجع العربية في تسمية رأس هذه الأسرة في مصر وقد ناقش المستشرق جوتشلك الروايات المختلفة في رسالته عن الماذرائيين ص ٣٠ — ٣٣ ولم ينته إلى نتيجة يمكن الاطمئنان إليها.

(٢) راجع النص العربي المنقول عن كتاب المقفي للمقرئزي، في رسالة جوتشلك عن الماذرائيين.

ص ١١٩

(٣) سيرة أحمد بن طولون ص ١٦١ و ص ١٧٨

(٤) Ibn Said, Vollers p. 67.

(٥) Zaky M. Hassan: Les Tulunides pp. 63, 247.

(٦) البلوي: سيرة أحمد بن طولون ص ١٨٧

(٧) البلوي: المرجع نفسه ص ١٦١ — ١٦٤ وانظر النص العربي المنقول عن المقفي

للمقرئزي في رسالة جوتشلك عن الماذرائيين ص ١١٩ — ١٢٠

عميد الماذرائين أن يحمل ابن طولون على تعيين ماذرائي آخر — هو الحسين بن أحمد المعروف بأبي زنبور — في عمل رئيسي بالشام^(١) .

وأصبحت زعامة الماذرائين منذ ولاية خمارويه لعل بن أحمد الماذرائي ، فقد اختاره خمارويه وزيراً له^(٢) أو كاتباً . وأغرى على الماذرائي خمارويه بالحسن بن المهاجر الذي كان عاملاً على البريد ومستشار الابن طولون ونقل إليه أن ابن المهاجر يعرف وحده مجباً أموال كثيرة خلفها ابن طولون فلم يزل خمارويه بابن المهاجر حتى وصل إلى تلك الأموال . وقد كتب المقرئزي^(٣) أنها بلغت ألف دينار وأن خمارويه سلمها لعل بن أحمد الماذرائي لينفق منها في الصلوات والتنفقات التي كان يأمر بها ، ولكن الماذرائي كان ينفق على ذلك كله من فأض أموال الضياع والمرافق ، فظل المال الذي كشفه ابن المهاجر محفوظاً عند علي بن أحمد الماذرائي حتى أفاد منه ابنه أبو بكر محمد بن علي لما صودرت أملاكه في عصر الاخشيد . وعلى الرغم مما في هذه الفصحة من المبالغة فإنها تشهد بأن علي بن أحمد الماذرائي كان يشرف على ضياع الأمير وأمواله الخاصة وأنه كان موضع ثقته ، فعظم سلطانه في إدارة البلاد حتى كتب عنه المقرئزي أنه « كان يملك النظر في جميع أمور مصر خلافة لأبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ووزارة »^(٤) .

وفي سنة ٢٧٢ هـ استقدم علي بن أحمد الماذرائي إلى مصر ولديه أبو بكر محمد بن علي وأبا الطيب أحمد بن علي ، وأصبحت مصر منذ تلك السنة وطن الماذرائيين^(٥) . واستخاف علي بن أحمد الماذرائي ابنه أبو بكر محمد ، على الخراج ، ثم استخلفه على ديوان الرسائل^(٦) .

(١) المقرئزي : المتقى (في المرجع السابق ص ١١٩) .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٨ ص ٦٥

(٣) الخطط ج ١ ص ٣٣٠ — ٣٣١

(٤) أنظر النص العربي المنقول عن المتقى في رسالته جوتشك عن الماذرائيين ص ١٢٠

(٥) المرجع نفسه ص ١٢٠

(٦) المرجع نفسه ص ١٢٠ وابن سعيد : المغرب ص ١٦٣

وكان علي بن أحمد الماذرائي في دمشق مع خمارويه عند ما توفي هذا الأمير وعاد بعد ذلك إلى مصر وأصبح صاحب الأمر والنهي فيها طوال الفترة القصيرة التي حكم فيها أبو العساكر حيش بن خمارويه ، ولما ثار الجند على هذا الأمير عمل علي الماذرائي على تهديئة الحال ولكنه أخفق وانتهى الأمر بقتله وقتل حيش بن خمارويه ^(١) . وكان علي بن أحمد الماذرائي قد أودع عند القاضي محمد بن عبده وعند ابراهيم بن هروان العباسي مالا كثيرا تسلمه بعد وفاته ابنه أبو بكر محمد بن علي ^(٢) .

ومهما يكن من الأمر فإن إخفاق علي بن أحمد الماذرائي لم يؤثر في مركز أسرته وسلطانه إذ خلفه ابنه أبو بكر محمد بن علي في زعامة الأسرة واستوزره الأمير هارون ابن خمارويه وظل يدبر أمور الحكومة في مصر إلى أن قدمت الحملة العراقية للقضاء على دولة بني طولون فغادر مصر مع من غادرها من عمال الطولونيين في صحبة محمد بن سليمان إلى بغداد . وأقام بعد ذلك في العراق من سنة ٢٩٢ إلى سنة ٣٠١ هـ . فلما سار مؤنس الخادم من العراق بجنده لقتال الجيش الفاطمي بمصر سبقه إليها فوصل في ربيع الأول سنة ٣٠٢ هـ . وكان الخراج حينئذ في يد أخيه أبي الطيب أحمد ابن علي . وتوفي أبو الطيب سنة ٣٠٣ هـ خلفه أخوه محمد علي الخراج وبقي في هذه الوظيفة إلى آخر سنة ٣٠٤ هـ . وقد كتب المقرئ عن سلطان محمد الماذرائي وثروته الواسعة وأظن في الكلام على الأموال التي كان يحملها إلى الحجاز كلما توجه لأداء فريضة الحج ^(٣) وذكر أن تكئين أمير مصر حينئذ كان يشبعه إذا خرج للحج ويلقاه حين يرجع ^(٤) ، والواقع أن أبا بكر محمد بن علي الماذرائي منح سلطانا واسعا في مصر

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٢٨٣ وأبو المحاسن: انجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٣

(٢) ابن حجر في ملحق أخبار القضاة بكتاب الولاة والقضاة للكندي ص ٥١٨

(٣) المقرئ: الخطط ج ٢ ص ١٥٥ — ١٥٦

(٤) روى ابن سعيد (في المغرب ص ٣٠) حادثاً وقع في الحج بين محمد بن طنج وأبي بكر محمد الماذرائي كان سبباً في الجفاء والوحشة بينهما منذ البداية . وخلاصته أن تكئين عهد إلى محمد بن طنج وهو في دمشق بقيادة قافلة الحج وكان فيها أحد خواص الخليفة ، هو أبو صالح مفلح المقتردي . وأراد ابن طنج أن يكرم أبا صالح ، فلما كان الركب في عرفات ورأى أن قبة محمد بن علي الماذرائي أعلى قبة تقدم هو وغلمانه وضربوا وجه ناقة الماذرائي وقدموا قبة مفلح فكبر ذلك على الماذرائي وظل يحتد على ابن طنج .

منذ قدومه سنة ٣٠١ هـ . فقد ذكر عريب بن سعد في صلة تاريخ الطبري عند كلامه على سنة ٣٠١ هـ أن أبا بكر محمد الماذرائي قلد في هذه السنة أعمال مصر والإشراف على أعمال الشام وتدير الحيوش ^(١) . كما ذكر السكندی أن أبا بكر محمد بن علي بن أحمد الماذرائي وأبا علي الحسين بن أحمد الماذرائي ^(٢) قدما إلى مصر سنة ٣٠٢ هـ على تدبيرها ^(٣) . وأقر أبو بكر الماذرائي أخاه أبا الطيب على الخراج وكان أبو بكر على حد قول ابن زولاق ، « أمير البلد في الحقيقة » ^(٤) . ولكن الظاهر أن سلطان مؤنس الخادم ^(٥) كان يحد من سلطانه فأضطر بعد وفاة أخيه إلى الاحتفاظ بالنظر في الخراج سنة ٣٠٣ هـ ، ثم تركه عند نهاية سنة ٣٠٤ هـ كما مر بنا وظل يقيم في مصر ولكنه استدعى إلى دار الخلافة عدة مرات مع عمه أبي زبور الماذرائي وطولبا بأداء أموال كثيرة وصادر جزء كبير من أملاكهما كما صودرت أملاك بعض أقرارهما ^(٦) .

وبعد أن ظل أبو بكر الماذرائي بعيدا عن الوظائف أربعة عشر عاما عين عاملا على خراج مصر في جمادى الأولى سنة ٣١٨ هـ ^(٧) ولكن حدث في السنة التالية أن استطاع محمد بن جعفر القرطبي أن يحصل في بغداد على تلك الوظيفة . ولعل الحكومة المركزية

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١٢ ص ٢٣

(٢) أشرنا إليه من قبل وسوف يأتي الكلام عليه .

(٣) السكندی : الولاة والقضاة ص ٢٦٩

(٤) ملحق أخبار القضاة في السكندی : الولاة والقضاة ص ٢٧٥

(٥) مما يستحق الذكر أن ابن سعيد (المغرب ص ١٦٣) والمقرئزي (المغني في رسالة جوتشاك عن الماذرائيين ص ١٢١) يذكران أن أبا بكر الماذرائي قدم مع مؤنس الخادم من العراق ولكن الحقيقة أنه سبقه فوصلها في ربيع الأول سنة ٣٠٢ هـ كما تذكر هذه المراجع وغيرها ، بينما وصل مؤنس في منتصف رمضان من السنة نفسها . ولعل المقصود أن الماذرائي قدم إلى مصر في المناسبة التي قدم فيها مؤنس وهي صد الفاطميين ، وكان المقرئزي أدق في كتابه الخطط (ج ٢ ص ١٥٥) فكتب أن الماذرائي قدم إلى مصر « حجة المساكر لقتال حباسة » ولم يحدد أن قدومه كان مع مؤنس الخادم .

(٦) عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبري (في تاريخ الأمم والملوك ج ١٢ ص ٣٤ — ٣٥)

(٧) المرجع نفسه ج ١٢ ص ٧٧

كانت غير مطمئنة إلى الماذرائي حتى إنها كتبت إلى تكين في مصر تطلب إليه أن يبق الماذرائي إلى أن يصل القرطى وأرسلت قائدا للقبض عليه وأراد الماذرائي الخروج من مصر فلم يأذن له تكين إلا بعد أن أهدى إليه وإلى زوجته جواهر قيمتها عشرون ألف دينار (نحو عشرة آلاف جنيه مصرى) ، وتوفى القرطى فى الطريق ورجع الماذرائي إلى مصر « أعز ما كان »^(١) .

ولما توفى تكين فى السادس عشر من ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ أصبح الأمر كله فى مصر بيد أبى بكر محمد بن على الماذرائي^(٢) ، ولكنه لم يرض عن استخلاف تكين ابنه محمد بن تكين . وكانت الحالة فى مصر مضطربة إلى حد كبير كما تشهد بذلك قصة خلاصتها أن الماذرائي خاف أن يحضر جنازة تكين (ولعله كان يخشى أن يعتدى عليه فيها أو لعله كان ذا صلة بموت تكين) ولكن صديقا له أقنعه بالحضور ولما كانت الصلاة على الميت حدث أن قرأ الإمام (إن الملائم يأترون بك ليقتلوك)^(٣) فقطع أبو بكر الماذرائي الصلاة وبادر بالانصراف^(٤) .

ونار الجند فى مصر على أبى بكر الماذرائي مطالبين بعطائهم وأحرقوا دوره ودور أهله ودور كثير من أتباعه وقبضوا على بعض الموظفين من قبله فلم يربداً من الاختفاء وخرج محمد بن تكين إلى الشام ومعه تابوت أبيه ، وكتب من الشام إلى بغداد يطلب أن تقره الحكومة المركزية فى ولاية مصر ، وكتب الماذرائي إلى بغداد أيضا ولكنه كتب « يلتبس أميرا »^(٥) ولم يطلب الامارة لنفسه . والظاهر أنه كان يكره تولية محمد بن تكين ولكنه وسائر أفراد أسرته كانوا يؤثرون أن يحكموا مصر فعلا لا اسما

(١) ابن سعيدي : المغرب ص ٩

(٢) الكندي : الولاية والقضاء ص ٢٨١ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٨ و Wüstenfeld :

Statthalter IV. p. 21.

(٣) قرآن كريم : سورة القصص ، آية ٢٠

(٤) ابن سعيدي : المغرب ص ١٦٣ — ١٦٤ والنص العربى المقول عن كتاب المفتى للمقرئى

فى رسالة جوتشلاك عن الماذرائيين ص ١٢٢

(٥) النص العربى المقول عن المفتى فى المرجع السابق ص ١٢٢

وأن يكونوا مع الولاية بمثابة « أمير الأمراء » مع الخليفة في بغداد . ومهما يكن من الأمر فقد تسلم ابن تكين ردا من بغداد بتوليته على مصر كما تسلم الماذرائى في الوقت نفسه ردا « بتفويض أمر مصر ورد تدبيرها إليه وأن يولى من يخاره » وقد حمل إليه هذا الرد أحمد بن كيغلق ، ويخيل إلينا من هذين الردين ومن سلطان الماذرائين بوجه عام أن الحكومة المركزية كانت تحرص على أن تتعدد السلطات في مصر وعلى ألا تتركز في يد الوالى حتى تأمن بذلك أى نزعة استقلالية تكرر ما حدث في العصر الطولونى .

وخرج الماذرائى من مخبئه واستعاد مركزه في ادارة مصر وأراد محمد بن تكين أن يدخل مصر مزودا بالتقليد الذى جاءه بولاية مصر ولكن الماذرائى لم يعترف به وجمع جيشا من الجنود المغاربة ونجح في منعه من دخول البلاد وبقيت مصر بغير وال فيها الى أن ورد من بغداد أمر بتولية محمد بن طنج و كان في دمشق حينئذ . وظل اسمه يذكر على المنابر في مصر بعد اسم الخليفة نحو اثنين وثلاثين يوما أى من ٧ من رمضان الى ٩ من شوال سنة ٣٢١ هـ ^(١) .

ثم جاء كتاب من بغداد بتولية أحمد بن كيغلق ، ولسنا ندرى سبب هذا التغيير السريع ولسكنه يشهد على كل حال بعدم استقرار الأمور في مصر وفي الحكومة المركزية ببغداد .

وثار الجند مرة ثانية على أبى بكر الماذرائى يطلبون رواتبهم وأحرقوا دوره ودور أهله وقامت فتن ومعارك بين طوائف الجند ولا سيما بين المغاربة والمصريين ، وماكاد السلام يعود بين تلك الطوائف المختلفة حتى ظهر محمد بن تكين قادما من فلسطين في الثالث عشر من ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ وأعلن أنه ولى على مصر من قبل الخليفة . ولكن أبى بكر الماذرائى لم يعترف بولايته بينما تعصب له جماعة من المصريين

(١) السكندى : الولاية والقضاة ص ٢٨١—٢٨٢ وابن سعيد : المغرب ص ١٦٢ والمقرئى :

الخطط ج ١ ص ٣٢٨ والمقرئى : المقفى (فى رسالته جوتشلك) ص ١٢٢ و : Wüstenfeld

ودعى له بالامارة على المبار وقام القتال بين أنصار ابن كيغلع وأنصار ابن تكين وانتهى الأمر بهزيمة ابن تكين وفراره من الفسطاط بعد أن دام حكمه فيها مائة وأثنى عشر يوماً . وانصرف ابن كيغلع الى اصلاح أمور البلاد ولكن جاءه الخبر بخلع الخليفة القاهر بالله وتولية الراضى بالله وعاد محمد بن تكين الى مصر مظهرا أن الخليفة الجديد ولاء إياها . وقامت الحروب ثانية بينه وبين ابن كيغلع وكان النصر للأخير ووقع ابن تكين في الأسر ونفى الى الصعيد . واستقر الحكم لابن كيغلع ولكن تدير الأمور ظل بيد الماذرائى وأولاده ولم يكن لابن كيغلع معهم أمر ولا نهى ^(١) .

ولا عجب فقد سار الخليفة الجديد على سنة خلفه في التفريق بين السلطات الحاكمة في مصر فكتب الى الماذرائى يقر احمد بن كيغلع في ولاية مصر وينهى اليه في الوقت نفسه « أن الأمر يصير اليك فتقلد من شئت وتصرف من شئت » ^(٢) .

ثم وقعت في بغداد أحداث كان لها أثر خطير الشأن في حكم مصر فقد عين الخليفة الراضى بالله الفضل بن جعفر بن الفرات وزيرا لكشف أمور مصر ومنحه سلطات مطلقة . وكان بنو الفرات يكرهون الماذرائيين ويحسدونهم ، فلم يكن غريبا أن يعمل الفضل على القضاء على سلطان الماذرائيين في مصر وزاد الخطر على هؤلاء حين تصاهر محمد بن طنجج الاخشيدي مع الوزير الفضل بن جعفر بأن زوج الاخشيدي ابنته من ابنه جعفر بن الفضل . واستعمل الفضل السلطة المطلقة التي منحها في تدير أمور مصر فعين محمد بن طنجج واليا عليها .

وسوف نعود في الباب القادم الى الكلام على المراحل التي مر بها استيلاء ابن طنجج

على الحكم في مصر .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٢) المرجع نفسه ص ١١

(٣) المرجع نفسه ص ١١

بقى علينا أن نتحدث عن علم آخر من أسرة الماذرائيين . هو أبو علي الحسين ابن أحمد الماذرائي المعروف بأبي زبور^(١) . ولسنا نعرف عن نشأته إلا أنه كان كاتباً للوالي في إقليم من أعمال البصرة براتب شهري قدره عشرون ديناراً^(٢) . والراجح أنه قدم الى مصر مع عميد الأسرة ثم عين في وظيفة رئيسية في الشام من قبل أحمد بن طولون . وعاد الى مصر بعد ذلك وظل مقيماً بها الى أن أوفد مرة ثانية الى الشام سنة ٢٨٣ سنة ٢٨٤ هـ مع بدر القائد الطولوني على رأس جيش ليصلحها الحال فيها وليستخلفا على دمشق طعج بن جف من قبل هارون بن خمارويه وليستخلفا غيره على سائر الأقاليم الشامية^(٣) . والراجح أنه بعد عودته الى الفسطاط كان يتركها ويعيم أحياناً في دمشق كما تشهد بذلك قصة زواج ابنته بان القاضي أبي زرعه محمد بن عمان وهي القصة التي نقلها ابن حجر عن ابن زولاق وأطبب عندها في الكلام على عظمة الحفل الذي أقيم في تلك المناسبة^(٤) .

ثم كان للحسين الماذرائي شأن كبير في سقوط الدولة الطولونية ونجاح الجيش العباسي الذي كان يقوده محمد بن سليمان ، إذ انضم الماذرائي سنة ٢٩١ هـ إلى محمد بن سليمان ومعه بدر الحمصي والى مصر من قبل هارون بن خمارويه . وهكذا خان الماذرائي قضية الطولونيين واستطاع بذلك أن يثبت صلاحيته للعمل مع النظام الجديد في مصر وأن يضمن بقاء نفوذ أسرته . ولم تكن الحكومة المركزية لتكره الاستفادة من خبرته بالشئون المالية المصرية فلا غرو إذا عينته عاملاً على الخراج في مصر بعد أن أبعدت عنها سائر أفراد أسرته المخلصين لبني طولون ، والواقع أن انتقال الحسين

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : أخبار الرازي بالله والمتقى بالله من كتاب الأثران ، نشر هيورث دن ص ٢٣٧ — ٢٣٨ والسكندی : الولاة والقضاة (الملحق ص ٥٢١) وياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٣٥٣ (مادة ماذرايا) والمقرئزي : النص العربي المطبوع من كتاب المتقى في رسالة جوتشك ص ١١٩ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢١٥ — ٢١٦

(٢) هلال الصابي : تاريخ الوزراء ص ٢٢

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠١ وابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٧٤

وإبن خلدون : كتاب العبر ج ٤ ص ٣٠٩

(٤) السكندی : الولاة والقضاة ص ٥٢١ — ٥٢٢

الماذرائى إلى جانب الحكومة المركزية أكسبه رضا الدوائر الرسمية في بغداد بسبب ما كان له من شأن في القضاء على الطولونيين . وحسبنا أن نقرأ القصيدة التي رواها الكندي للشاعر الجبشى في بيان فضل هذا الماذرائى في سقوط بني طولون ^(١) .

وهكذا حل الحسين الماذرائى محل ابن أخيه أبى الطيب أحمد بن على في إدارة الشؤون المالية في مصر وضم إليه الخليفة المكتفى النظر في أموال بني طولون وضياعهم ^(٢) . ثم كانت ثورة ابن الخليفة التي من بنا الكلام عليها وظل الحسين الماذرائى مخلصاً للحكومة المركزية . وكان قد أعد نحو تسعمائة ألف دينار عبأها في الصناديق لتجمل إلى الخليفة في بغداد فلما أحس هو والوالى عيسى النوشرى بانتصار ابن الخليفة وقرب استيلائه على العاصمة وزما تلك النقود وحمل الحسين بن الماذرائى سجلات الخراج والدواوين حتى يصعب على ابن الخليفة جمع الخراج وإدارة الشؤون المالية ^(٣) . وفر والولى والماذرائى إلى الإسكندرية لتنظيم المقاومة والاستعداد لقتال ابن الخليفة . ولما تم لها دخول القسوطا ثانية سنة ٢٩٣ هـ عاد أبو زنبور الماذرائى إلى ولاية الخراج .

ولكننا نلاحظ أن أبا زنبور الماذرائى وأخاه أبا اسحق ابراهيم بن أحمد ^(٤) يرد ذكرها كثيراً في تاريخ الأحداث التي وقعت في بغداد منذ تولية الخليفة المقتدر بالله سنة ٢٩٥ هـ (٩٠٨ م) . والواقع أن تاريخ الماذرائيين مرتبط بالتنافس بين الوزيرين العباسيين على بن عيسى وعلى بن محمد بن موسى بن الفرات فإن الأول كان صديقاً للماذرائيين

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٥١ ، وهلاك الصابى^٦ : تاريخ الوزراء ص ٩٢
 (٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٥٨ والمقرزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٧ وأبو المحاسن :
 النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤١ — ١٤٥
 (٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٩ — ١٥٠
 (٤) كتب ابن عساكر (في التاريخ الكبير ج ٢ ص ١٦٧) أن هذا الماذرائى كان من كتاب خمارويه وكان معه بدمشق حين قتل نجرم من دمشق الى بغداد في أحد عشر يوماً وأخير المعتضد بقتل خمارويه وتوفى سنة ٣١٣ هـ .

بينما كان الثاني من أعدائهم الألداء^(١) . وقد اشترك على بن عيسى وإبراهيم بن أحمد الماذرائى فى الثورة التى أدت إلى خلع المقتدر وبيعة ابن المعتز ، ولما أخفقت هذه الثورة وولى المقتدر على بن الفرات الوزارة أطلق جماعة ممن كانوا قد بايعوا المعتز ومنهم إبراهيم بن أحمد الماذرائى^(٢) ولكنه عزل أبا زنبور الماذرائى عن خراج مصر وولى عليه أحمد بن محمد بن بسطام فى ربيع الأول سنة ٢٩٦ هـ . وظل الأخير فى هذا المنصب إلى أن توفى فى العام التالى وخلفه ابنه أبو القاسم على بن أحمد بن بسطام^(٣) ، ثم عزل على بن أحمد هذا وعادت ولاية الخراج إلى أبى الطيب أحمد الماذرائى سنة ٣٠٠ هـ واستعاد الماذرائيون قسماً وافراً من سلطنتهم فى بغداد ومصر حين آلت الوزارة فى الدولة العباسية إلى على بن عيسى سنة ٣٠١ هـ فقلد أبا بكر محمد بن على الاشراف على الخراج والإدارة فى مصر وقلد أبا زنبور الماذرائى الاشراف على الخراج فى الشام ، وهكذا أصبحت الشؤون المالية فى مصر والشام فى يد هذه الأسرة وكان الاتصال بين أفرادها قويا والتعاون موفراً .

ولكن عودة ابن الفرات إلى الوزارة بعد سقوط على بن عيسى سنة ٣٠٤ هـ أدت إلى الحد من سلطان الماذرائيين وإلى مصادرة بعض أملاكهم^(٤) . ثم عزل ابن الفرات ورد إليهم بعض ماصودر من أملاكهم وأعيد إليهم الاشراف على مصر والشام بعد أن اعترف ابن الفرات بصحة ما قرره أبو زنبور من أنه سلمه أثناء وزارته الثانية ستماية ألف دينار . وكان ذلك فى مجلس بقصر الخليفة للمناظرة بين الوزير المعزول ابن الفرات والوزير الجديد حامد بن العباس ومعه أبو زنبور ليستمع الأول التهم التى يوجهها إليه الثانى وليرد عليها إذا استطاع . ومما يلفت النظر مما دار فى هذه المناظرة أقوال ابن الفرات بشأن ثروة الماذرائيين والأراضى الواسعة التى يملكونها فى مصر والشام^(٥) .

(١) الراجح أنه كان ينسب إلى الماذرائيين مساعدة خصومه ومدد بالأموال .

(٢) عريب : صلة تاريخ الطبرى (فى تاريخ الطبرى ج ١٢ ص ١٦) .

(٣) مسكويه : تجارب الأمم ج ١ ص ٦١ و H. Gottschalk : Die Madaraijūn pp. 54-55 .

(٤) عريب : المرجع السابق ج ١٢ ص ٣٤ .

(٥) المرجع نفسه ج ١٢ ص ٣٩ ، ومسكويه : كتاب تجارب الأمم ج ١ ص ٦١ ،

وقد اتفق أبوزنور مع الحكومة قبل عودته إلى مصر (في نهاية سنة ٣٠٦ هـ) على أن يقدم إلى خزائنها كل عام مليون دينار من خراج مصر والشام بعد أن يقوم بنفقات الجيش والإدارة . والواقع أنه لم يبر بهذا الوعد بسبب هجوم الجيوش المغربية وما تطلبه صدها من نفقات ثم بسبب اقامة جموع غفيرة من الجند العباسيين في مصر بعد ذلك للدفاع عنها وصد الفاطميين إذا عادوا إلى الهجوم .

وحدث أن مؤنسا الخادم عزل أبا زنور عن خراج مصر وولى محمد بن جعفر القرطبي ^(١) . ولكن الخليفة المقتدر رد إلى الماذرائيين هذا العمل ^(٢) .

والواقع أن أبا زنور كان قد أفلح في كسب محبة مؤنس منذ قدومه من العراق وذلك بفضل إقباله على إكرامه وبذل النفقات في سبيله وسبيل جنده ^(٣) .

ولما عاد ابن الفرات إلى الوزارة في بغداد سنة ٣١١ هـ استدعى أبا زنور إلى بغداد وصادر جزءاً كبيراً من أموال سائر أفراد أسرته ^(٤) ، ثم انتهت وزارة ابن الفرات وعين على بن عيسى لكشف مصر « والتفتيش » على شئونها ^(٥) فكان يزورها من حين إلى آخر ليطلع على إدارة شئونها المالية . وقد خلف لنا هلال الصابي ^(٦) نصاً تاريخياً يحدثنا عن حادث وقع في إحدى هذه الزيارات الكشفية التي كان يقوم بها ابن عيسى . وبالنظر إلى أهمية هذا النص وإلى ما يستنبط منه عن الشئون الإدارية والمالية في الخلافة حينئذ فإنا نفضل أن ننقله هنا ، فهو وثيقة عظيمة الشأن :

(١) هذه هي المرة الأولى التي قلده فيها القرطبي خراج مصر . والمعروف أنه ولى ثانية ، حين كان أبو بكر الماذرائي حاملاً على الخراج ، ولكنه لم يصل إلى مصر إذ توفى في الطريق كما ذكرنا من قبل (ص ٤٢) .

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٨

(٣) القرطبي : الخطط ج ١ ص ٣٣١ — ٣٣٢

(٤) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٤٨ ومسكويه ، كتاب معارج الأمم ج ١ ص ١١٤

(٥) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٥٤ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢١٣

(٦) تاريخ الوزراء : ص ٣١٩ — ٣٢١

« وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصالحى قال : حدثني أبو الحسن بن ظفر السكرخى بمصر قال : كنت أكتب لأبي على الحسين بن أحمد الماذرائى ووافى أبو الحسن على بن عيسى من مكة في أيام وزارة أبي القاسم عبد الله بن محمد بن خاقان للاشراف على مصر والشام فدخل إلى مصر وتحتة حمار وعليه طيلسان . وكان المتولى للمعونة^(١) تمكين فتلقاه وترجل له وعظمت هيئته في النفوس جداً وجلس ونظر . ثم ركب في بعض الأيام متفرجاً وعاد فحين دخل من باب الدهليز ونحن مجتمعون في داره لانتظاره صاح : اللصوص ! ففزعنا كلنا خوفاً من أن يكون قد وقف لنا على خيانة . فلما استقر في مجلسه قال : يا معاشر الناس اجتزت الساعة على جسر قارون (وهو يزيد من الزنيدات وتسمى الزنيدات بمصر جسوراً) فقدرت النفقة عليه عشرة دنانير ووجدت العمال يحتسبون عنه على السلطان ستين ألف دينار في كل سنة . وكرر ذلك وأكثر التمتع منه والقول فيه . وكان أبو على (الماذرائى) حاضراً فلم يجبه عن كلامه . فقال : الشأن أنى أقول ما أقوله فلا تحيبني عنه يا أبا على ؟ فهض وانصرف . واغناط أبو الحسن على بن عيسى من ذلك وأطبق دواته وقال لعن الله أمر السلطان إذا انتهى إلى هذا الحد . وقام ودخل ، فانصرف الناس ومضيت إلى أبي على قلما بما شاهدته وسميته ، ووجدته قد أنفذ خادماً إلى على بن عيسى يستأذنه في حضوره عنده على خلوة . فأذن له ومضى وأطال فجلست أنتظره . فلما عاد سألته عما جرى فقال : دخلت إليه وقلت له : لم أترك جوابك سوءاً أدب عليك ولا استهانة بقولك وإنما كرهت أن أعترف بمحضرة الناس فألزم نفسي ما لا يلزمها أو أجيئك بما حضرت الآن لذكره فيكون ما عليك فيه أكثر مما على فيه فامتعت إكراماً لك وصيانة . ثم قلت له : كم جرى^(٢) ؟ فقال : ثلاثة آلاف دينار في الشهر^(٣) . فقلت : يمكنكى وأنا عامل مصر أن أكون

(١) المتولى على المعونة أو صاحب المعونة هو الوالى أو صاحب الشرطة . راجع Wiet : Corpus

Inscriptionum Arabicarum, Egypte, T. 11. pp. 30, 54, 231 وما يشير إليه من مراجع . وانظر

الأب أنستاس السكرملى : النقود العربية وعلم النميات ص ٥

(٢) أى راتجى : أنظر Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes 1. p.190.

(٣) قد يبدو هذا الراتب كبيراً ولكن الظاهر أنه يشمل رواتب الموظفين الذين يعينهم الماذرائى لخدمته ومن نسميهم اليوم موظفى مكتبه .

بغير كتاب ولا عمال ولا كُراع^(١) ولا جمال ولا إعطاء ولا أفضال؟ قال: لا، قلت: أفلا تعلم أن لي حرماً وأولاداً وأقارب وأهلاً أحتاج لهم إلى مؤونة؟ قال: بلى، قلت: فأخو من أن يرد عليّ زوار بكتبك وكتب أمثالك من الرؤساء فتقتضى المروعة أن أبرهم وأصلهم؟ قال: بلى لعمري، قلت: فهذا الجبار الذي أجاوره^(٢) وفائق خادمه له ثمانون مرقداً وهو متسلط على الأمر كله يمكنني أن أقيمه على الطاعة وأمنعه ادخال اليد في الضياع إلا بمؤونة أتكلفها له وأولاده وخدمه وكتابه حتى يستقيم ما بيني وبينه؟ قال: هذا ما لا بد منه. قلت: فالخليفة والسيدة والحالة والقهرمانه ومؤنس ونصر الحاجب وكتابهم وأسبابهم^(٣) يجوز أن لا أهاديهم في كل سنة؟ قال: هذا رسم لا يمكن الاخلال به. قلت: فالوزارة إذا تقلد الواحد منهم هل يدخل داره شيء قبل ما يحمله خليفتي إليه؟ وإذا نكب فهل يؤدي من مال مصادرة^(٤) شيئاً قبل ما يستدعيه مني؟ وهذا أنت أيدك الله (وأنت أعف الوزراء ومن لا يعرف له نظير) ألم أحمل إليك في وقت كذا وكذا وفي وقت كذا وكذا وأجبر على عيالك في مدة كذا وكذا؟ فقال: أنا والله شاكر لذلك. فقلت: ما ذكرت هذا اعتداداً عليك وإنما ذكرته لتعلم أنه يلزمي لغيرك مثله وأكثر منه. وهذا حق بيت المال في ضياعك بمصر والشام وهو بضعة عشر ألف دينار في السنة أديت منها درهما واحداً؟ فقال: ما أدري. فقلت: هذا مال عظيم ولست أبرح أو أعلم أنه قد حصل لك أو كان أصحابك خانوك فيه^(٥) حتى أرثجعه منهم للسلطان؟ فأعاد الشكر. فقلت: يا سيدي فمصادرتي في كل وقت تزيد على ألف ألف دينار هل من الثلاثة الآلاف الدينار الجاري تكون؟ فقال: دع هذا

(١) الكراع الخيل والبغال والحمير.

(٢) يقصد الوالي.

(٣) أقاربهم وأتباعهم.

(٤) هو المال الذي يلزم بدفعه وفاء لما ينسب إليه من اختلاس أو عقاباً على ما يوجه إليه

من تهمهم. أنظر Dozy: op. cit. 1. p. 822.

(٥) أي حتى أعلم هل أدى إليك أو أوهك أتباعك أنهم دفعوه عنك لبيت المال.

يا أبا علي فإن كبار الرجال بغضى لهم السلطان عن كثير الأموال . وما سمعناه بعد ذلك أعاد في شيء من أمور أعمالنا قولاً .»

وهكذا يتبين لنا من هذا النص كيف كان كبار المشرفين على الإدارة المالية يختلسون أموال الدولة بما يقدمون من بيانات خاطئة لوجوه الصرف حتى تنهياً لهم الأموال الطائلة يدفعون قسماً كبيراً منها في رشوة الوزراء ورجال البلاط وسائر كبار الموظفين .

وتوفى أبو زنبور بمصر سنة ٣١٧ هـ^(١) بعد أن أفلح في مد نفوذ الماذرائيين حتى أصبحت مصر والشام في يدهم من الناحيتين المالية والاقتصادية وامتد نفوذهم إلى العراق فكان لهم في بغداد شأن عظيم . وحسبنا شاهداً على الثروة العظيمة التي جمعها الماذرائيون ما نقرأه من بيانات في بعض المراجع التاريخية فقد أشار الوزير علي بن محمد بن الفرات عند مناظرته الوزير حامد بن العباس ، إلى أن أبو زنبور الماذرائي وابن أخيه محمد بن علي كانا يملكان في مصر مائة فرسخ^(٢) مربع من الضياع^(٣) . وروى أبو بكر محمد الماذرائي أن محمد بن طنجح الأخشيد صادر من بضائه ما يساوي أكثر من ثمانين وية من الدنانير^(٤) . وروى المقرئ أبي بكر الماذرائي بلغت مرة في سنة واحدة نيفا وستين ألف دينار وأنه ملك بمصر من الضياع الكبيرة ما لم يملكه قبله أحد فبلغ إيراد ضياعه أربعائة ألف دينار في كل سنة سوى الخراج^(٥) .

ولا ريب في أن أهم الوسائل التي جمع بها الماذرائيون هذه الثروة الطائلة ضماهم خراج مصر والشام في بعض السنين أي تعهدهم بدفع مبلغ معين إلى خزانة الحكومة

(١) عريب : صلة تاريخ الطبري (جزء ١٢ من تاريخ الطبري) ص ٧٥

(٢) الفرسوخ نحو خمسة كيلو مترات وسبعمائة واثنتين وستين متراً أو ثلاثة أميال .

(٣) هلال الضياع : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٩٣ — ٩٤

(٤) المقرئ : المغني ص ١٢٦ (من النص العربي المنشور في رسالة جوتشلك عن الماذرائيين) .

(٥) المرجع نفسه ص ١٢٧

المركزية في بغداد ، على أن يأخذوا على عاتقهم جباية الخراج في هذين الاقليمين ^(١) .
وطبعي أنهم كانوا يجمعون من المال أكثر مما يدفعون إلى بيت المال . كما كانوا
يحتجون في بعض الأحيان بكثرة نفقات الجند فلا يدفعون إلى بغداد ما تعهدوا بدفعه .
ومما يؤيد تأخرهم في الدفع ما تحدث به المقتدر بالله إلى مؤنس الخادم ، حين أراد
إبعاده عن بغداد بتدبير ابن الفرات في سنة ٣١١ هـ ، فقد ختم هذا الحديث بقوله :
« والوجه أن تخرج إلى الرقة وتتوسط في عمالك وتنفذ عمالك في اقتضاء الأموال
وتستخرج ما يجب على الماذرائيين من الأموال العظيمة التي يذلوها بها خطوطهم
وتهابك عمال المعاوم بمصر والشام فيستقيم أمر الملك » ^(٢) .

(١) مثال ذلك ما قرره ابن الفرات في المناظرة التي أشرنا إليها ، فقد أشار إلى أنه « آخذ
خط الحسين بن احمد الماذرائي بحضرة أمير المؤمنين بألف ألف دينار عن مصر والشام
خالصاً للحمل بمد النفقات ومال الجند في تلك الأعمار . أنظر هلاك الصابئة : المرجع السابق

ص ٢٩٠

أنظر أيضاً مسكويه : الجزء الخامس من كتاب تجارب الأمم ص ١٠٦

(٢) مسكويه : المرجع نفسه ص ١١٦

البابُ الثاني

أسرة الاخشيذ

أسرة الاخشيد

(١)

حكمت الدولة الاخشيدية مصر نحو ٣٤ سنة . ومؤسسها هو محمد بن طغج الاخشيد ، وقد خلفه في حكم مصر ابنه أبو القاسم أونوجور ثم أبو الحسن علي بن الاخشيد . وكان القائم بأمر مصر والمدبر الحقيقي لها في عهد كل من هذين الابنن هو العبد الحبشى أبو المسك كافور ، الذى كان أبوهما قد اشتراه ثم أخذ يرتقى فى مناصب الدولة حتى أصبح قائدا فى الجيش ومربيا لها ، وصارت له الوصاية عليهما مدة توليها إماره مصر ، ثم أصبح بعد وفاتها الحاكم الفعلى والاسمى فيها . وبعد وفاة كافور ولى حكم مصر أبو الفوارس أحمد بن على حفيد الاخشيد . وكان صبيا فى الحادية عشرة من عمره ولم يطل حكمه فى البلاد ، إذ كانت مصر فى ذلك الحين يهددها الفرامطة فى الشرق والفاطميون فى الغرب والنوبيون فى الجنوب ، كما كانت تتناهبها كوارث اقتصادية ويفتك بها القحط والوباء فأضطرب الأمن فيها . وكانت كل هذه الظروف بالاضافة إلى ضعف الجيش المصرى وعجز خلافة بغداد مما شجع الفاطميين على غزو مصر بقيادة جوهر الصقلى .

(٢)

تنسب الدولة الاخشيدية إلى الاخشيد وهو اللقب الذى منحه الخليفة العباسى الراضى بالله لمحمد بن طغج فى سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٧ / ٩٣٨ م) على رأى ^(١) أو فى سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) على رأى آخر ^(٢) . وقد روى ابن سعيد نقلا

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٣

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٤

عن الحسن بن زولاق أن محمد بن طنج كتب إلى الرازي بالله يسأله أن يلقب بالاخشيد وقال في كتابه: « وقد كنت أمير المؤمنين جماعة ولقبهم، فليشرنى بما سألت » فاستفسر الرازي من حاجبه ذكا عن معنى « الاخشيد » ولم يعرف الحاجب هذا المعنى ، فسأل وقيل له ان هذا اللفظ معناه « عبد » ولكن لقب به ملك الملوك . ويبدو أن المعنى الأصلي لهذا اللفظ جعل الرازي لا يرى بأسا في منح طنج هذا اللقب ، فقال : « لا نبخل عليه بهذا ، اكتبوا له بذلك »^(١) .

وقيل ان لفظ « الاخشيد »^(٢) معناه بلغة إقليم فرغانة « ملك الملوك » وانه كان لقب ملوكهم كما كان قيصر لقب ملوك الروم وكسرى لقب ملوك العجم وفرعون لقب ملوك مصر القدماء^(٣) .

وكانت فرغانة ، مثل سائر أقاليم ما وراء النهر ، يسيطر عليها كبار الملاك والفرسان . وكان أمير تلك البلاد أكبر الملاك والفرسان فيها . وكان يسمى « دهقان » وانه كان يدعى بلقب « اخشيد » .

ومؤسس الدولة الاخشيدية هو أبو بكر محمد بن طنج بن جف بن بلتسكين ابن فوري بن خاقان^(٤) . ونذكر بعض المراجع التاريخية القديمة أنه من أولاد ملوك فرغانة^(٥) . وكتب المستشرق الفرنسي هوارد (Huart) أن محمد بن طنج لقب بالاخشيد لأن أباه من نسل أمراء فرغانة الذين كان لهم هذا اللقب الايراني الأصل (من Khchaëta بمعنى الذكي أو التابح le brillant)^(٦) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٣ — ٢٤

(٢) ورد هذا اللفظ بالذال المعجمة في معظم المراجع التاريخية كالكندى وابن الأثير وابن سعيد والمقريزي ولكن ضبطه ابن خلكان وأبو الحسن بالذال المعجمة .

(٣) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٧

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٥٥ . وفي ابن خلكان (وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٣) محمد بن طنج ابن جف بن بلتسكين بن فوران بن فوري بن خاقان . وقد أضاف المرجعان بعد خاقان أنه « صاحب سرير الذهب » وسرير الذهب إقليم من أقاليم بحر الخزر ، أنظر ياقوت : معجم البلدان مادة « سرير » والمسمودي : صروج الذهب ج ٢ ص ٤١

(٥) ابن سعيد وابن خلكان : المرجعان السابقان .

(٦) Huart : Histoire des Arabes : T. I. p. 326.

ولسكن هذه النسبة إلى ملوك فرغانة ليست ثابتة كل الثبوت . وهى ، إن دلت على شىء فأنما تدل على نسبة الاخشيد إلى إقليم فرغانة . ولعله عندما وصل إلى منصب الولاية أراد أن يصل نسبه ببيت الامارة فى موطنه إعلاءً لشأن أسرته . ولسنا أول من شك فى تلك النسبة . فقد كتب القلةشندى فى كلامه على ملوك فرغانة . « وكان كل منهم يلقب الاخشيد ولذلك لقب الراضى بالله العباسى محمد بن طغج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية بالاخشيد لأنه كان فرغانياً »^(١) .

وكان جف جد الاخشيد من بين نفر من فرسان فرغانة وشجعانها ، قدموا أوجىء بهم إلى الخليفة العباس المعتصم بالله فعنى بهم أشد العناية وعول على أن يتخذهم عوناً له وأقطمهم قطائع فى مدينة سامرا . وظلت قطائع جف تنسب إليه حتى زمن ابن خلصكان المتوفى سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م) .

ولما توفى المعتصم انتقل جف إلى خدمة ابنه الواثق . ولما مات الواثق سنة ٢٣٢هـ (٨٤٧م) صحب جف أخاه المتوكل وظل فى بطائه إلى أن توفى فى بغداد فى الليلة التى قتل فيها المتوكل سنة ٢٤٧هـ (٨٦١م)^(٢) .

أما طغج^(٣) بن جف فقد التحق بعد وفاة أبيه بخدمة أحمد بن طولون^(٤) بعد أن اتصل بلؤلؤ الذى كان من اتباع هذا الأمير . والظاهر أنه انضم بعد ذلك إلى اسحق ابن كنداج والى الموصل وعدو ابن طولون ، ثم كان الصلح بين خمارويه بن أحمد بن طولون واسحق بن كنداج فعاد طغج بن جف إلى العمل لبني طولون وعينه خمارويه واليا على دمشق وطبرية^(٥) .

وحدث فى سنة ٢٨١هـ أن أرسل خمارويه . عامله طغج بن جف لغزو البيزنطيين ، فصار طغج من طرسوس على رأس جيش كبير وتقدم فى آسيا الصغرى حتى بلغ طرابزون

(١) القلةشندى : صبح الأتشى ج ٥ ص ٤٨٤

(٢) ابن خلصكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٣ — ٥٤ وابن سعيدي : المغرب ص ٥

(٣) تذكر بعض المراجع القديمة مثل ابن سعيدي وابن خلصكان أن طغج معناها عبد الرحمن .

(٤) كتب ابن سعيدي (المغرب ص ٥) أن ابن طولون « قلده مصر » ولعله يقصد أنه قلده

عملا رئيسياً فى إدارتها .

(٥) ابن خلصكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٤

وهزم الروم في عدة وقائع وعاد إلى دمشق بعد بضعة شهور محملاً بالغنائم^(١) . ويبدو أن خارويه غضب على طنجج بعد هذه الحادثة لأنه كان قد طلب منه أن يقبض على راغب^(٢) وإلى طرسوس وأن يقتله ولكن الزحيب الذي لقيه طنجج من هذا الوالي حبيه إلى نفسه وجعله يصغى إلى رجاء بعض أهل طرسوس في الإبقاء عليه ، فاشتركا في غزو الروم وعاد طنجج يتلمس المآذير عند خارويه لامتناعه عن القبض على راغب . وعزم خارويه على الانتك بطنجج ، غير أنه قتل قبل تحقيق نيته^(٣) .

ويروى أن طنجج بن جف كان معه في القصر ليلة قتله وأنه طارد الخدم الذين اشتركوا في ذبحه فقبض عليهم وأمر بذبحهم وصلبهم^(٤) . وظل طنجج والياً على دمشق وطبرية في عهد جيش بن خارويه . ثم ثار القواد على جيش وقتلوه وولوا أخاه هارون بن خارويه سنة ٢٨٣ ، وكان طنجج من الساخطين على جيش فسق عليه عصا الطاعة في دمشق . وكان بين القواد الثائرين أخ لطنجج هو القائم بدر بن جف^(٥) .

ولما تولى هارون بن خارويه كان طنجج يحكم الشام مستقلاً عن مصر إلى حد كبير فخرج إليه بدر الحمصي قائد الجيش المصري ومعه الحسين بن احمد الماذرائي وأعاد الشام إلى حظيرة الدولة الطولونية بعد أن نجحوا في الوصول إلى تسوية سلمية مع طنجج ابن جف وأقراه في حكم دمشق من قبل هارون بن خارويه^(٦) .

(١) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٦٧ وأبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٦٠ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٦ والملاحظ أن المسعودي أشار إلى هذا الغزو في مروج الذهب وسمى قائده « طنجج ابن سيب » (ج ٨ ص ١٤٦) . وفي طبعة المطبعة الهيئة سنة ١٣٥٦ « طنجج بن شيت » (ج ٢ ص ٤٧١) .

(٢) اقرأ عن هذا الوالي وعلاقته بالطولونيين والعباسيين Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 122, 140, 141. والمصادر العربية المذكورة في هذا المرجع . أنظر أيضاً ابن خلدون :

العبر ج ٣ ص ٣٥٢

(٣) ابن سميذ : المغرب ص ٦

(٤) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٠

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٧٠

(٦) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠١

وبينما كان طغج يحكم الشام لهارون تقدمت جموع القرامطة بعد أن طاردتهم جيوش الخلافة العباسية في العراق^(١) فعانت في الشام فسادا وقتلت كثيرا من سكانها سنة ٢٨٩ هـ واتصل الأمر بطغج ولم يقدر خطورته ، وظنهم من بعض الأعراب نخرج للقائهم بغير أهبة ولا عدة « ومعها البراة والصقورة كأنه خارج للصيد » على حد تعبير أبي الحسن^(٢) ، وكان النصر للقرامطة وعاد طغج إلى دمشق منهزما بعد أن قتل عدد كبير من جنده . وفي السنة التالية أرسل طغج بن جف جيشا آخر لقتال القرامطة ولكنه هزم شر هزيمة ، كما قدم من مصر جيش لقتالهم بقيادة بدر الحامى ولكنه لم يكن أحسن حظا . وتشجع القرامطة فأقبلوا على حصار دمشق وأشرف أهل هذه المدينة على الهلاك . وكان المكتفي بالله الخليفة العباسي الحديدي راقب هذا النضال بين القرامطة والطولونيين ، ولا ريب في أنه أراد أن يضرب ضربة حاسمة ليتخلص من الفريقين فبعث إلى الشام بجيش كامل العدة على رأسه القائد محمد بن سليمان . وعلم القرامطة بقدوم هذا الجيش فبادروا بترك دمشق بعد أن دفع لهم أهلها مبلغا كبيرا من المال ثم انسحبوا إلى حص وأدركهم الجيش العباسي وهزمهم على مقربة من حماه سنة ٢٩١ هـ^(٣) .

وكان طغج بن جف من القواد الطولونيين الذين لم يرضوا عن قتل هارون بن خنارويه ولم يعترفوا بخلفه شيبان بن أحمد بن طولون . وقد قرر هؤلاء القواد أن يتصلوا بالجيش العراقي الذي كان يقوده محمد بن سليمان والذي سار إلى مصر للقضاء على حكم بني طولون بعد أن أفلح في هزيمة القرامطة . وتم انضمامهم إلى هذا الجيش عند مدينة العباسية وكانوا ومن معهم من الجند عوننا له في فتح مصر .

(١) اقرأ عن القرامطة مقال الأستاذ ماسنيون Massignon في دائرة المعارف الاسلامية والفصل الذي كتبه عنهم في A Volume of Oriental Studies Presented to Professor Browne pp. 329-338 . والطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٣٣٧ وما بعدها .
ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٧٥ وما بعدها .
(٢) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠٤ وابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٨٢
(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٣٧٧ — ٣٩١

ويبدو أن محمد بن سليمان أراد أن يفيد من خبرة طعج بن جف أو أراد أن يتخلص من وجوده في مصر فبعث به واليا على قنسرين وضم اليه جمعا من جند ابن طولون^(١) ولكنه لم يبق طويلا في هذا المنصب ، فان محمد بن سليمان عندما غادر مصر ، صحب معه الى بغداد طعج بن جف وولده وأخاه^(٢) . وكان وزير المكتفي بالله ، الخليفة العباسي حينئذ ، هو العباس بن الحسن . ولم يكن محمود السيرة ، بل كان عاكفا على لذاته ومعروفا بالمكر والدهاء^(٣) . وقام الخلاف بين هذا الوزير وطعج بن جف . وكتب ابن زولاق في تفسير هذا الخلاف أن الوزير كان يريد من طعج اذا لقيه في موكبه أن يترجل له وأن طعج لم يكن ليقبل ذلك فما زال الوزير بالخليفة المكتفي يوغر صدره على طعج ويحذره من اخلاصه لبني طولون حتى أمر الخليفة بسجنه فحبس ومعه ابناه محمد وعبيد الله^(٤) . وظل طعج محبوسا الى أن توفي سنة ٢٩٤ هـ وأطلق ولداه ولزما خدمة الوزير العباس بن الحسن الى أن عمل الحسين بن حمدان على القضاء عليه ، فاشتركا في قتله أخذا بثأرها . ثم هرب عبيد الله بن طعج الى شيراز فخدم أميرها وخرج محمد بن طعج الى الشام . واستطاع عبيد الله العودة الى بغداد في أيام المقتدر بالله والظاهر أنه وفق فيها الى منصب رئيسي^(٥) .

وكان طعج مشهورا بحبه للتطيب حتى بولغ في ذلك فقبل انه كانت له خزانة طيب تحمل في سفره على نيف وخمسين جملا وأنه كان اذا تطيب لم يخف على أكثر أهل دمشق بخوره^(٦) .

(١) السكندی : الولاية والقضاة ص ٢٤٨

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٦

(٣) ابن الطقطقي : الفخرى ص ١٩٢

(٤) جاء في ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤ أن الذي حبس مع طعج هو ابنه

محمد وحده .

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٧

(٦) المصدر نفسه ص ٥

وكان لطفج سبعة أبناء ذكر منهم ابن سعيد خمسة : هم أبو بكر محمد وأبو الحسين عبيد الله وأبو المظفر الحسن وأبو نصر الحسين وأبو القاسم علي^(١) .

وكان أكبر هؤلاء الأخوة أبا بكر محمد بن طفج . وقد ولد بمدينة بغداد في منتصف شهر رجب سنة ٢٦٨ هـ (٨٨٢ م)^(٢) . ولسنا نعرف شيئاً عن نشأته ، ولكننا نلقاه لأول مرة عندما كان أبوه واليا على دمشق وطبرية فإنه كان يستخلفه في الحكم على هذه المدينة الأخيرة .

ولما خرج محمد بن طفج الى الشام ، بعد قتل الوزير العباس بن الحسن ، اتصل بأبي العباس أحمد بن بسطام الذي كان عاملاً على الخراج فيها . وكان يخدمه في شؤون الصيد على وجه خاص فكان يحمل له الجوارح حتى عرف باسم بازيار ابن بسطام^(٣) . ولما تقلد ابن بسطام خراج مصر سنة ٢٩٦ هـ صحبه محمد بن طفج اليها . ثم توفي ابن بسطام في العام التالي وخلفه على خراج مصر ابنه أبو القاسم علي بن أحمد بن بسطام . وظل ابن طفج في خدمته فترة من الزمن^(٤) . وعزل علي بن بسطام سنة ٣٠٠ هـ . أما ابن طفج فقد اتصل بتسكين والي مصر وعندما قدم الجيش الفاطمي لغزو مصر بقيادة حباصة سنة ٣٠٢ هـ أبلى محمد بن طفج بلاه حسناً مع تسكين في قتال هذا الجيش وتوثقت صلته به حتى أصبح منه « بمثابة الولد »^(٥) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٥

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥

(٣) البازيار أو البازدار هو الذي يحمل على يده الطيور الجوارح المعدة للصيد ، أنظر

القاغشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٩ و

L. Mercier : La Chasse et les Sports chez les Arabes. P. 81 et suiv. figs 4 et 5.

Zaky M. Hussen : Hunting as Practised in Arab Countries of the Middle Ages pl. 3 & 9.

E, Panty : Bois Sculptés d'Eglises Coptes pl. 2 & 3.

(٤) مما يلفت النظر أن ابن خلكان لا يعرف شيئاً عن اتصال محمد بن طفج بأسرة ابن بسطام وأنه يشير إلى الفترة الواقعة بين خروجه من بغداد واتصاله بتسكين بقوله « وهرب أبو بكر إلى الشام وأقام متنزلاً في البادية سنة ثم اتصل بأبي منصور تسكين » (وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤) .

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٧

ولما نحي تكين عن ولاية مصر وخرج الى الشام صحبه ابن طنج ثم تقلد تكين ولاية دمشق فأتاب عنه محمد بن طنج في عمان وجبل السراه^(١) . وروى أن حادثا وقع لابن طنج أثناء نيابته عن تكين في عمان وأدى الى شهرته ولفت نظر البلاط الخليفة اليه . وبيان ذلك أن ابن طنج عرف سنة ٣٠٦ هـ أن اعرابا من لحم وجذام كمنوا لركب الحجاج المارين بالشام ، وكان من بينهم نفر من وجوه أهل العراق وجارية لأم الخليفة المقتدر . فخرج محمد ومعه أخوه علي بن طنج على رأس جمع من الجند وهزم قطاع الطرق شرهزيمة فشكره الحجاج وأظنوا في الحديث عن شجاعته في بغداد وقدر له الخليفة العباسي هذا العمل حق قدره^(٢) « فأنفذ اليه خلعاً وزاد في رزقه »^(٣) .

ويبدو أن تكين ولاءه بعد ذلك على الإسكندرية^(٤) ، وأنه ظل مقبها إليها إلى أن غزا الفاطميون مصر مرة ثانية بقيادة القائم في سنة ٣٠٧ هـ فأبلى في قتالهم بلاء حسنا . ولا ريب أنه عمل منذ ذلك الوقت على توثيق علاقته بكبار رجال الحكم فأتصل بأبي بكر محمد بن علي الماذرائي وبأبي زنبور الحسين بن أحمد الماذرائي . ويبدو أنه عرف عن كتب الضياع والأموال الطائلة التي جمعها الماذرائيون فأفاد من ذلك في مصادر قسط كبير منها بعد أن آلت اليه مقاليد الحكم في مصر^(٥) . كما اتصل محمد بن طنج بالقائد العباسي مؤنس الخادم الذي قدم من العراق سنة ٣٠٨ هـ على رأس جيش عباسي لطرده الفاطميين من الاراضي المصرية .

(١) السراه : جبل يصل ما بين أقصى اليمن والشام (أنظر ياقوت : معجم البلدان ، مادة السراه ج ٥ ص ٥٩ — ٦١) .

(٢) نلاحظ أن المؤرخين المساهين يقبلون على رواية مثل هذه القصص فيما ينسجون حول سير عطاء الرجال فتصيح وكأنها « كاشيات » لا تعرف نصيبها من الصحة . ومثال ذلك ما رووه عن ابن طولون في رحلته من طرسوس إلى سامرا إذ يزعمون أنه كان في قافلة تشتمل على متاع للخليفة المستعين وأن الأعراب سطوا عليها فخارهم ابن طولون وأنفذ القافلة وحفظ متاع الخليفة فأجازته ووصله بالعطايا .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤

(٤) لا نعرف مؤرخاً أشار إلى ذلك سوى ابن سعيد في المغرب ص ٧ ، نقلا عن ابن زولاق ،

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٨

وتقلد محمد بن طنجح حكم الحوفين الشرقي والغربي من قبل تكين ، وحدث أثناء ولايته هذه أن استولى على دار القاضى أبى عبيد الله على بن الحسين بن حرب بن عيسى المعروف بابن حربويه والذي قدم إلى مصر سنة ٢٩٣ وعزل عن قضاها سنة ٣١١ فعاد إلى بغداد حيث توفي سنة ٣١٩ هـ .

وتوفي بالاسكندرية سنة ٣١٦ هـ حاكمها أبو الين أحمد بن صالح ، ويبدو مما كتبه ابن سعيد أن محمد بن طنجح استولى على تركته وأن تكين لم يرض عن ذلك فكان هذا بداية الخلاف بين الرجلين ^(١) .

وحدث أن عين مؤنس الخادم محمد بن جعفر القرطى على الحسبة ثم على الخراج فى مصر وصرف بذلك الماذرائيين فما لبث هؤلاء أن اتهموه باختلاس الأموال من خراج البلاد فزله المقنتر وبادر القرطى بالاختفاء عند محمد بن طنجح الذى كان صديقا له منذ قدومه إلى مصر ^(٢) . وأفلاح ابن طنجح فى تدبير خطة لاجراج القرطى من مصر وإفناذه من الوقوع فى يد الماذرائيين الذين كانوا يجردون فى البحث عنه . وحفظ القرطى لابن طنجح هذا الصنيع واستطاع أن يحصل له على تبايد من بغداد بولاية الرملة سنة ٣١٦ . والغريب أن محمد بن طنجح لم يخرج من مصر إلى عمله الجديد علانية وإنما احتال للهرب منها . وعند ما غادر مقر إقامته بادر الجند بإبلاغ تكين أنه هرب . ولسنا نعرف حقيقة الحال فى هذا كله ولا ندرى كيف لا يستطيع موظف عينه الخليفة حاكما على إقليم من أقاليم الخلافة أن يخرج إلى مقر ولايته ، ولسكن هذا مثال من أمثلة الفوضى التى كانت تسود البلاد فى ذلك الوقت . ولعل محمد بن طنجح خشى أن يغضب تكين ولى نعمته لأنه لم يزل هذا المنصب بوساطته فيعمل على منعه من مغادرة مصر أو يعتقله بأى تهمة من التهم . والراجح أن الرجلين كانت بينهما أمور لا نعرفها على وجه التحقيق وأن ابن طنجح كان ينتظر أن يتقلب عليه تكين من حين إلى آخر .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٨

(٢) أنظر أيضاً Gottschalk : Die Madaraijzun p. 90.

ومهما يكن من الأمر فإن ابن طنج عند ما بلغه وحده نبأ تقليده ولاية الرملة طلب إلى محمد بن تكين أن يستأذن له ولنفسه في أن يخرجها معا للصيد في إقليم الحوف ثم أفلح ، قبل بداية الصيد ، في إبعاد محمد بن تكين لاختضاع نفر من قطاع الطرق في صحراء الحوف ، وبادر بأخذ ثلاثمائة دينار من مبلغ من المال كان قد أودعه عند أمه ثم غادر مصر هاربا إلى الشام سنة ٣١٦ هـ ، أما أمه وسائر أفراد أسرته المقيمين بمصر فقد اضطروا إلى الاختفاء^(١) .

وعلق تكين لهرب محمد بن طنج وبعث إليه في دمشق كتابا يستعطفه فيه ويعتب عليه ومن عبارات هذا الكتاب ، « لو أعلمتني لأعتك وعضدتك » ومنها : (أَلَمْ تُرَبِّبْكَ فِينَا وَآسِيدَا وَلَبِثَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَعْتَ)^(٢) . وجاء في رد ابن طنج على هذا الكتاب « فهت كتاب الأمير أطال الله بقاءه وما تلاه من القرآن والجواب ما أجاب به موسى الذي هو خير من الأمير ومنى (فَفَسَّرْتُ مِنْكُمْ لِمَا خَفْتُمْ) »^(٣) .

ولما علم الراشدي أمير الرملة بتقليد محمد بن طنج وبقدمه إليها بادر بالهرب وترك داره وأمتعته فوَقعت كلها في يد ابن طنج .

تسلم ابن طنج من الخليفة المقتدر كتابا يثبت فيه على ولاية الرملة وعوض الراشدي عنها بولاية دمشق . والظاهر أن ابن طنج سعى في تحسين مركزه وأن صديقه القرطبي ساعده في بغداد فجاءه في سنة ٣١٩ بتقليد من الخليفة بولاية دمشق^(٤) ، وصرف عنها الراشدي وردت إليه ولاية الرملة . وكان لابن طنج أصدقاء كثيرون في دمشق وكان محبوبا عند أهلها فرحبوا بتوليته « ودخلها أحسن دخول »^(٥) .

(١) ابن سديد : المغرب ص ٩

(٢) قرآن كريم : سورة الشعراء ، الآيات ١٨ — ١٩

(٣) إشارة إلى ما جاء على لسان موسى في القرآن الكريم ، سورة الشعراء ، آية ٢١

« ففترت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعاني من المرسلين » .

(٤) وفي سنة ٣١٨ هـ عند ابن خاسكان وأبي الفدا .

(٥) عريب : صلة تاريخ الطبري (في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١٢ ص ٨٢) .

واستطاع ابن طغج الاخشيد أن يوطد لنفسه في دمشق ، ويلوح أن قائداً من أتباع مؤنس المظفر ، اسمه بشرى الخادم ، انتهر فرصة الفوضى التي كانت تسود بغداد في ذلك الوقت بسبب الخلاف بين مؤنس والحليفة المقتدر^(١) ، فأراد أن يفتح بحد السيف إقليمها ينصب نفسه حاكماً عليه ويسم شطر دمشق ، ولما قرب منها فأوضه الاخشيد وتم بينهما الصلح واجتمعا . ولكن ما لبث بشرى الخادم أن عقد العزم على القتال والتقى أتباعه بمجنود الاخشيد وكان النصر للأخيرين وهزم بشرى وجرى به أسيراً إلى الإخشيد فأقام أياماً ثم أصبح ميئاً . وقيل ان الإخشيد سقاه سماً^(٢) .

ومهما يكن من الأمر فقد أتيح للاخشيد أن ينظم لنفسه جيشاً ضم إليه طائفة كبيرة من الجند الذين كانوا تابعين لتكئين ولراشدى ولبشرى الخادم . كما اجتمع حوله اخوته عبيد الله والحسن والحسين وعلى بنو طغج . وولد له بدمشق في ذي الحجة سنة ٣١٩ هـ ابنه أبو القاسم أونوجور .

والظاهر أن الاخشيد سار منذ بداية حكمه في دمشق على السنة التي سنعرفها عنه بمصر في جمع المال بمختلف الطرق والوسائل ، وعلى رأسها مصادرة الأموال عند من يعرف عنهم الثراء والغنى . ومن ذلك ما يروى من أنه خرج يوماً للصيد في ظاهر دمشق فرأى حماماً فأطلق إليه طائر الصيد فأمسكه فاذا مع الحمام كتاب من أحد أتباع الراشدى إلى رجل من أهل دمشق يذكر فيه أن ما بقى عند هذا الدمشقي ثمانون أنف دينار . ورجع الاخشيد إلى داره واستدعى الرجل وطالبه بالمال وأخذ منه^(٣) .

ومن ضروب القصاص التي ينسجها الكتاب حول سيرة أعلام الرجال ما يروى من أن الاخشيد كان يجلس في دمشق ذات يوم فرأى طائراً يقال له السدلى ، وزعم الناس أن من دار هذا الطائر على رأسه ثلاث مرات وتمنى على الله شيئاً بلغه ،

(١) المرجع نفسه ج ١٢ ص ٧٦ — ٩٤

(٢) ابن سعيدي : المغرب ص ٨

(٣) المرجع نفسه ص ١٠

فلما رأى الأخشيد هذا الطائر وقد دوّم على رأسه ثلاث دورات تمى إمارة مصر فبلغه الله ذلك ^(١) .

وهكذا نرى أننا لا نعرف شيئاً كثيراً عن أسرة الأخشيد ولا عن البيئته التي نشأ فيها، ولا عن نوع التزوية التي تلقاها في صباه . وحسبنا أنه كان من أولئك الجند الترك الذين حفل بذكرهم تاريخ الدولة العباسية منذ عصر المعتصم والذين استطاع نفر منهم أن يشق لنفسه الطريق وأن يتحكّم في مصير الأقاليم الإسلامية، وأن يظهر إلى أى حد يمكن لحاكم قوى بشخصيته وعبقريته أن يفيد من الجيوش المؤلفة من العناصر المختلفة الجنس وأن يصل إلى السلطان السياسى والحربى فى امبراطورية اسلامية اتسعت أرجاؤها حتى أصبح من العسير على الخلفاء الضعفاء أن يحتفظوا بنفوذهم فيها ^(٢) .

(١) وازن بن هذم القصة (ابن سعيد : المغرب ص ١٠) وقصة السكرة التي كان يقال ان من تقع في كفه يملك مصر فوقعت في كم عمرو بن العاص حين زار الاسكندرية في الجاهلية . انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها (طبعة توري) ص ٥٣ .

(٢) انظر في سلطان الجند الترك المراجع التي جاء ذكرها في مقال الدكتور زكي محمد حسن بعنوان «دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامى» (مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، المجلد ١٢ ، مايو سنة ١٩٥٠ ص ١٨٤ - ١٨٥) .

الباب الثالث

علاقة الأمراء الأخشيديين بالدولة العباسية

علاقة الأمراء الأخشيديين بالدولة العباسية

(١)

تولية محمد بن طغيج الاخشيد

ذكرنا في الباب الأول أن محمد بن طغيج ولي مصر للمرة الأولى نحو ثلاثين يوماً وذلك بعد وفاة تكين . والواقع أنه كان يطمع في حكم مصر قبل وفاة هذا الوالي ^(١) ، ولكنه انتظر إلى أن خلا مكانه واضطربت الأمور في مصر فبعث من دمشق بكتابه على بن كلا إلى الخليفة العباسي يلتمس تعيينه والياً على مصر . ورفض الخليفة القاهر محتجاً بأنه قد ولي عليها محمد بن تكين .

وزعم ابن زولاق أن على بن كلا ، كاتب الاخشيد بادر برشوة كاتب من كتاب القاهر بالله بعد أن خلع هذا الخليفة ، واشترى ابن كلا من هذا الكاتب بعشرة آلاف درهم تقليداً مزوراً على القاهر بولاية مصر للاخشيد ثم أرسل هذا التقليد إلى سيده في دمشق ^(٢) . ولكن هذا الزعم بعيد عن الحقيقة التاريخية لأن خلع الخليفة القاهر حدث في جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ (ابريل سنة ٩٣٤ م) بينما كانت تولية ابن طغيج الأولى على مصر في شعبان سنة ٣٢١ هـ وورد الكتاب بولايته عليها في السابع من شهر رمضان في السنة نفسها ^(٣) . والراجح إذن أن الخليفة القاهر عاد ، على الرغم من رفضه الأول ، فعين الاخشيد والياً على مصر .

(١) الكندي : الولاية والقضاة ص ٥٤٤ وانظر أيضاً المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٨١

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٠

(٣) الكندي : الولاية والقضاة ص ٢٨٢ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٨ ، وأبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٦ — ٢٣٧ و Wüstenfeld : Statthalter IV .p. 22

ولكن اضطراب الأمور في مصر وفي مقر الخلافة نفسه لم يترك للاستقرار سبيلاً ، إذ لم يُدع للاخشيد على منابر مصر إلا نحو اثنين وثلاثين يوماً ، ورد بعدها كتاب من الخليفة القاهر بولاية أحمد بن كيغنج على البلاد للمرة الثانية . وكان ذلك في شوال سنة ٣٢١ هـ .

وقامت الفتن بين الجند ثم أقبل محمد بن تكين من فلسطين زاعماً أن الخليفة الجديد الراضى بالله محمد بن المقتدر قد ولاءه على مصر ، وانقسم الجند طائفتين : طائفة تنصر ابن تكين وطائفة تنصر ابن كيغنج . وانتهى الأمر بهزيمة ابن تكين في مكان اسمه الطواحين بين فافوس وبلبيس ، فأسر ونفي في أخميم . وكاد الأمر يستقر لابن كيغنج ، ولكن ما لبث الخليفة العباسى أن قلد محمد بن طنج ولاية مصر للمرة الثانية ^(١) .

ويزكر ابن زولاق ^(٢) أن الفضل في تولية محمد بن طنج مصر في هذه المرة يرجع إلى المصاهرة بينه وبين الفضل بن جعفر . إذ أن الخليفة الراضى ندب الفضل بن جعفر لتفقد أحوال مصر والشام فأشترط الفضل على الخليفة وعلى وزيره محمد بن أبى على بن مقله أن يكون تفويضه كاملاً ، وأن يكون الأمر كله إليه « لأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » فأجيب إلى طلبه . وحدث بعد ذلك أن زوج محمد بن طنج ابنته من جعفر بن الفضل ابن جعفر ثم كتب الفضل كتاباً بتقليد ابن طنج أمور مصر استناداً إلى شرطه الذى قال فيه إن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب .

وكما أثار ابن زولاق الشك في صحة التقليد الذى حصل عليه محمد بن طنج في ولايته الأولى ، فإنه يضيف أن التقليد الخلفى الذى ادعاه لنفسه في ولايته الثانية كان مزوراً أيضاً ، ويروى أن الراضى كان قد قلد محمد بن تكين أمور مصر وأن رسوله حمل التقليد إلى دمشق فأخذ محمد بن طنج ومحا كلمة « تكين » وكتب مكانها « طنج » فحصل بذلك على عهدين . العهد الذى كتبه له الفضل بن جعفر ، والعهد الذى كتبه الخليفة لـ محمد بن تكين .

(١) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٥ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١١

ويذكر هذا المؤرخ نفسه أن الراضى كتب إلى محمد بن علي الماذرائى كتاباً يقر فيه احمد بن كيغنج على ولاية البلاد ويفوض الماذرائى في أمورها تفويضاً كاملاً^(١).

وصفوة القول أن ابن زولاق حرص على أن يفهم القارىء أن تولية ابن طنج في المرتين لم تكن قانونية أو شرعية . ولكننا لانجد هذا عند أعلام المؤرخين الآخرين كالسكندى ، وابن خلدون ، والمقريزى ، وأبى المحاسن . والراجح أن ذلك الحرص عند ابن زولاق يرجع إلى أنه غير في نسخة كتابه عن الأخشيد بعد أن اتصل بالفاطميين وشملوه برعايتهم وأن المخطوط الذى وصل إلينا من هذا الكتاب صورة له فيه بعد التعديل^(٢).

ومهما يكن من الأمر فإن الأخشيد أراد بعد تعيينه والياً على مصر للمرة الثانية أن يدخلها صلحاً فكتب إلى محمد بن علي الماذرائى يطلب إليه أن يتركه يدخل مصر بحيشه على أن يظل للماذرائى إشرافه على الإدارة في البلاد ، ولكن الماذرائى كان يعرف أنه لن يكون له مع الأخشيد ما كان مع سائر الولاة من الأمر والنهى فلم يجب طلبه واضطره إلى ركوب ما كان يكره من جمع الجيوش والاستيلاء على حكم مصر عنوة . ويروون في هذا الصدد أن الأخشيد كان يدعو على الماذرائى ويقول « هو أحوجنى إلى جمع العساكر وقد كتبت إليه غير مرة : دعنى أدخل في غلمانى ومن معى وأنت المدبر لأمرى وأمرهم ، فما وجدت فيه حيلة ، وأرسل إلى : ما بينى وبينك إلا السيف ، قد رد إلى السلطان^(٣) أمر البلد وجعل إلى تقليد من شئت . فأهلكنى وأهلك نفسه وأحوجنى إلى هذا^(٤) .

(١) نص هذا التفويض « أن الأمر يصير إليك فتقلد من شئت وتصرف من شئت » أنظر

ابن سعيد : المغرب ص ١١

(٢) أنظر ما كتبناه عن ابن زولاق في حديثنا عن مراجع هذا الكتاب ص ٤ — ٦

(٣) من النادر أن يشار إلى الخليفة العباسى بلقب السلطان . راجع عن هذا اللقب مقال الأستاذ كرامرز في مادة « سلطان » من دائرة المعارف الاسلامية وهو مقال طيب على الرغم مما فيه من أخطاء مثل وصف الموفق بالخلافة ، وانظر متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع

الهجرى ج ١ ص ٢٨ ؟ وراجع أيضاً Van Berchem : Corpus Inscriptionum Arabicarum,

Egypte I pp. 299, 300, 727.

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٨

يعين الفضل بن جعفر أحمد بن نصر عاملاً على خراج مصر ، كما قلده بعض أتباعه وظائف أخرى في إدارتها ، ولكنهم لم يستطيعوا دخولها ، إذ أرسل أحمد بن كيغنج إلى العريش من بينهم من التقدم فلم يجدوا بدا من الرجوع إلى الشام .

ورأى الاخشيد أنه لن يستطيع دخول مصر إلا بالقوة فجمع جنوده وضم إليهم من استطاع ضمهم من القواد والجند الذين وفدوا عليه من أنحاء الشام والعراق والبادية وزاد عدد غذا الجيش حتى كان صعباً على الأخشيد تموينه . وقبل أن يسير الاخشيد على رأس جيشه إلى مصر اجتمع طويلاً بالفضل بن جعفر وتشاورا في الأمور وتدبير الخطة . والظاهر أن الاخشيد كان يشعر بجوايس الماذرائيين من حوله فأحاط هذا الاجتماع بسياج من الكتمان^(١) .

أما في مصر فتدكان أحمد بن كيغنج لا يرى بدا من تسليم البلاد للاخشيد ، ولكن الماذرائي أبي عليه ذلك ، فاستمد الجميع للقتال وبعث الماذرائي وابن كيغنج جيشاً إلى حدود مصر الشمالية الشرقية ليجتمع ابن طغج من دخول القرما . وقرأ الماذرائي على أهل مصر كتاب الراضي الذي يفوض إليه تدبير مصر ويقر ابن كيغنج على ولايتها ثم أوفد الرسل من قبله ، ومعهم صورة هذا الكتاب إلى محمد بن طغج الاخشيد فقابلوه عند وصوله إلى القرما . ولما قرأ الاخشيد صورة كتاب الراضي طلب من رسل الماذرائي أن يحملوها إلى الوزير الفضل بن جعفر وكان ينزل حينئذ في مدينة الرملة . ولما وصل الرسل إلى هذه المدينة قبض عليهم الفضل وظلوا في أسرهم^(٢) . وتقدم ابن طغج بجيوشه وخرج أحمد بن كيغنج على رأس جنده ومعها المغاربة بقيادة زعيمهم حبشي وقيل ان عدد هذه الجيوش بلغ ثلاثين ألف جندي وأنها كانت تسد المنطقه الواقعة عند الحدود الشرقية المصرية بين جبال سينا والبحر المتوسط .

وأرسل محمد بن طغج قسماً من جيشه في أسطول بقيادة صاعد بن كلم . وأفلح هذا الأسطول في الاستيلاء على دمياط وتيس ثم سارت مراكمه في النيل ولقيت

(١) ابن سعيده : المغرب ص ١١ - ١٢

(٢) المرجع نفسه ص ١٢

مراكب الماذرائى وابن كيغلق بقيادة على بن بدر على مقربة من سمبود . وكان النصر لأسطول ابن طنج في شعبان سنة ٣٢٣ هـ ووصلت سفنه إلى جزيرة الروضة وأقامت بها أياماً ثم انسحبت منها إلى الدلتا فأمر الماذرائى بشحن الجزيرة بالسلاح والرجال استعداداً للدفاع عن الفسطاط . وما لبثت مراكب ابن طنج أن عادت في العشرين من شهر رمضان وأسرت من في الجزيرة من رجال واستولت على ما جمع فيها من أسلحة وعتاد ، ولكنها لم تستطع أن تدخل الفسطاط لأن الماذرائى صف جنده ومراكبه للدفاع عنها ^(١) .

أما ابن طنج نفسه فقد سار على رأس جيشه في الأرض المصرية والظاهر أن مقدمة هذا الجيش التحمت مع جنود ابن كيغلق والماذرائى في معركة خسرها المصريون ^(٢) . ثم نزل ابن طنج منية الأصنع ^(٣) وبعث إلى ابن كيغلق بكتاب جاء فيه : « هذا كتاب الراضى بتهليدى . فان سلمت وإلا انصرفت بعد أن آخذ خطك وأشهد عليك بمنعك اياي وأسير إلى حضرة السلطان » ^(٤) . وكان ابن كيغلق لا يكره التسليم لأن شجاعة ابن طنج وتوفيق جيوشه ونجاح خطه وانضمام كثير من المصريين إلى جانبه كل ذلك أرغمه على احترامه والاعتراف بقوته . وفضلاً عن ذلك فإن ابن كيغلق كان قد سئم استبداد الماذرائيين بتدبير الأمور في مصر « وأنه ليس له معهم أمر ولا نهى » . لهذا كله أقبل على تسليم البلاد لابن طنج ، بل اعتذر إليه بأن زمام الحوادث كان قد أقبلت من يده وأن جنود مصر قاوموه بغير ارادته ^(٥) .

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٥ — ٢٨٦ وابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٤ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩

(٣) شمالى القاهرة وموقعها الحالى قريب من ضاحية الدمرداش . أنظر ابن دقاق :

الانتصار لواسطة عقد الامصار ج ٤ ص ٦٥ وعلى مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة

ج ١٦ ص ٥٨

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٤

وقد جاء في بعض المراجع التاريخية أن ابن كيغلف عند تسليمه الى ابن طغج « أخذ بيد الحسين بن محمد الماذرائي فسامه اليه »^(١) . ولسنا نظن أن المقصود بذلك أنه سلمه اليه رهينة وضمانا^(٢) ، وإنما زجج أن الحسين الماذرائي أظهر أنه يشاطر ابن كيغلف رأيه في التسليم لابن طغج بينما كان أبوه محمد بن علي الماذرائي القوة الدافعة في مقاومة ابن طغج حتى اضطر الى الاختفاء بعد تسليم ابن كيغلف وظل محتفيا فترة من الزمن . وليس هذا الانقسام غريبا على الماذرائيين ، فقد كانوا يضمون به وجود أفراد منهم يتعاونون مع مختلف الحكام .

ودخل محمد بن طغج بجيشه مدينة الفسطاط في الأيام الأخيرة من شهر رمضان سنة ٣٢٣ هـ (أغسطس سنة ٩٣٥ م) وأشرف الجند منها على شاطئ النيل فقدم اليهم زملاؤهم الذين كانوا يقيمون في الجزيرة بعد الاستيلاء عليها . وطبعي أن جنود ابن طغج عملوا على نهب الفسطاط . وقيل إنهم ظلوا يفعلون ذلك يومين ثم كفوا عن فعله بعد أن نودى في المدينة من قبل القائد أن من نهب يقتل^(٣) .

ثم بدأت أحوال المدينة في الهدوء واطمأن السكان الذين كانوا قد طلبوا الأمان من ابن طغج فعادوا الى دورهم بعد أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم . ودخل ابن طغج دار الامارة دخول الظافرين .

وغادر الفسطاط حبشي بن أحمد قائد الجند المغاربة في مصر وعلي بن بدر قائد اسطول ابن كيغلف وغيرها من القواد الذين قاوموا ابن طغج . وذلك أنهم كرهوا المقام مع ابن طغج فهربوا الى الشرقية أولا ثم عادوا فيممو شطر الفيوم^(٤) . ولسنا ندرى سبب عدوهم عن الحرب بطريق الحدود الشرقية ، ولكننا زجج أنهم لم يطمئثوا الى امكان النجاة من أعوان ابن طغج في هذا الجزء من البلاد ففضلوا الاتجاه الى اقليم الفيوم

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٢) H. Gottschalk : Die Madaraijzun p. 105.

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٨٦

الذى لم يكن سلطان ابن طنج قد امتد اليه بعد . والمحتمل أنه كانت لهم بهذا الاقليم صلات يمكنهم الافادة منها وأنهم كانوا يريدون الاتفاف بطبيعته الجغرافية في أى محاولة يضطرون اليها . والواقع أن محمد بن طنج أراد أن يقضى على حركتهم في مهدها فأرسل اليهم قائده صاعد بن كعلم على رأس جند في عدة مراكب حربية ولم تستطع هذه المراكب أن تسير في التربة الموصلة الى الفيوم وتمكن الاعداء من أسر ابن كعلم وقتله والاستيلاء على مراكبه .

وأجر أولئك الثوار في المراكب التي وقعت في يدهم ووصلوا إلى الجزيرة وأحرقوا ما كان فيها من سفن لابن طنج ثم واصلوا السير إلى الاسكندرية حيث لحقوا بحبشى وجنوده المغاربة . وعزم الجميع على الذهاب إلى برقة وكتبوا إلى القائم بأمر الله الفاطمى يهونون عليه فتح مصر ويسألونه أن يعث إليهم جيشاً يتعاونون معه في الاستيلاء عليها .

وطبيعى أن محمد بن طنج كان يوجس خيفة من شر هؤلاء الخارجين على ولايته ، فأرسل لقتالهم جيشاً بقيادة أخيه عبيد الله بن طنج ولسكنهم غادروا الأراضي المصرية إلى رمادة بين الاسكندرية وبرقة . ومرض حبشى وتوفى في رمادة في صفر سنة ٣٢٤هـ .

ثم أرسل الفاطميون جيشاً لغزو مصر وأفلح ابن طنج في صد هذا الجيش كما سنرى في الباب الذى سنعقده للكلام على السياسة الخارجية .

وهكذا خلصت مصر لابن طنج ، وكان ذلك بجهوده الشخصية ، لأن تفليد الخليفة بالولاية لم يعد يكفي في ذلك الوقت لتثبيت الوالى بل كان لا بد للوالى من فرض نفسه والتغلب على عدة عقبات . واستطاع ابن طنج أن يتغلب بمهارته السياسية وبقواته البرية والبحرية على الصعاب التي واجهته عند قدومه إلى مصر فاتصر على ابن كينغغ ومحمد بن على الماذرانى وهزم النائرين عليه من القواد والجند وصد جيش الفاطميين .

(١) السكندى : الولاية والقضاء ص ٢٨٧ وابن سعيد : المغرب ص ١٣

(٢) كتب ابن سعيد (المغرب ص ١٣) أن حبشياً « مات حسرة على ما خلفه بمصر »

ولا ريب أن هذا يشهد بما كان للجند المغاربة وزعيمهم حبشى من سلطان قبيل قدوم ابن طنج إلى مصر .

(٢)

تثبيت ابن طنجج واتساع سلطانه

يبدو أن الحكومة المركزية في بغداد كانت ترقب جهود ابن طنجج لتثبيت قدمه في مصر وأن الوزير الفضل بن جعفر كان ينتظر أن تكمل هذه الجهود بالنجاح ليستطيع أن ينتقم من الماذرائيين أعداء أسرته الألداء .

فما كادت الأحوال في مصر تؤذن بالاستقرار حتى قدم إليها الفضل بن جعفر ومعه خالعه محمد بن طنجج من قبل الخليفة الراضى بالله^(١) ، ومن المحتمل أن هذه الخلع كانت نرض إلى تثبيته في ولاية مصر^(٢) .

رما دخل الفضل بن جعفر مصر استقبله ابن طنجج خارج الحاضرة وزينت لها الفسفاط واشترك أهلها في استقبالها والفاوة بهما اشتراكاً شعيماً^(٣) . ونزل الاخشيد دار الامارة وسار الفضل بن جعفر إلى دار ابن الجصاص^(٤) وعمل هذا الوزير على أن يكشف المكان الذى كان محمد بن على الماذرائى مختفياً فيه . والظاهر أن ابن طنجج كان يعرفه^(٥) ، ولكنه — لأمر ما — لم يرد أن يكون البادى بالكشف عنه ، وآثر أن يترك البدء بمثل هذه الأعمال للوزير العراقي نفسه . واستطاع الوزير أن يعرف أن الماذرائى مقيم في بيت كان يملكه اسحق بن نصير البادى كاتب خمارويه^(٦)

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٧ وابن سعيد : المغرب ص ١٤

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٢

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٤

(٤) هو الحسين بن عبد الله الجوهري ، كان تاجر أبيع الجوهر واتصل بأمرء الدولة الطولونية واختاره خمارويه لمرافقة قطر الندى إلى زوجها الخليفة المعتضد ويقال انها أودعت عنده أموالا وجواهر كثيرة ثم ماتت فاستولى على هذه الودائع فلا عجب إذا أصبح من أصحاب الملايين كما تقول اليوم . أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٢ و ٨٠ و ١٨٥ و ٢١٨

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٦) لعله اسحق بن نصير النصرانى أحد كبار المتقبلين الذين ذكرهم أبو المحاسن (النجوم

الزاهرة ج ٣ ص ١٥٠) .

فذهب إليه مع ابن طنج ولما تأكد من وجوده عاد الفضل بن جعفر إلى مقره وانتظر ابن طنج إلى أن أتى بالماذرائي وقاده إلى مجلس الوزير . ولا يفوتنا أن نلاحظ هنا سياسة ابن طنج في التقرب إلى الوزير وإظهار آيات الاجلال له بوصفه صاحب الاشراف العام على أمور مصر وممثل الحكومة المركزية فيها .

وطلب الوزير من الماذرائي مالا لإعداد موكب الحج ، ورد الماذرائي بأنه لا يستطيع أن يقدم إلا خمسة عشر ألف دينار^(١) ، فسأله الوزير مهكاً هل استطاع بمثل هذا المبلغ أن يعد العدة لقتال ابن طنج ومقاومة تقليد الخليفة بتعيينه . ثم أمر بحبسه . وفكر الاخشيدي في وسيلة جديدة يستطيع بها إرغام الماذرائي على دفع أقصى ما يمكنه دفعه من الأموال بغير أن يتعرض للاساءة منه أو من الوزير نفسه . ولا عجب فقد كان يعرف بخبرته أن الوزارة والولاية لا تدومان وأن الماذرائيين يهودون إلى الارتفاع بعد كل نكبة تحل بهم^(٢) .

واهتدى الاخشيدي إلى شخص كان يظنه عدواً للماذرائي لا يقف عند حد في الانتقام منه . وهو محمد بن تكين الذي كان الماذرائي قد وقف حجر عثرة في سبيل ولايته كما مر بنا . واستدعى الاخشيدي ابن تكين من منفاه في الصعيد وعرض عليه أن يقوض إليه أمر الماذرائي ينتقم منه وبطالبه بما شاء ، ولكن ابن تكين أبى أن يكون آلة في يد غيره ففشلت هذه الحطة . وأراد الوزير أن يلجأ إلى الوسيلة المعروفة مع كبار الموظفين في العصر العباسي ويسمونها المناظرة^(٣) . وقوامها أن يتولى بعض خصوم الوزراء أو الموظفين المعزولين مساجلتهم بالحجج في مجلس يعقد لهذا الغرض لاثبات ما يوجه اليهم من تهم واختلاسات وارغامهم على أن يدفعوا لبيت المال ما أخذوه

(١) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ١٥٦ ؛ أما ابن سعيد : المغرب ص ١٤ فقد كتب خمسة آلاف دينار .

(٢) نلاحظ في هذه المناسبة ما يرويه المقرئزي (المرجع نفسه) عن صيام أبي بكر الماذرائي بعد هذه المقابلة وعن امتناع ابن الغرات من الأكل إجلالاً له وقوله : « لا آكل أبداً أو يأكل أبو بكر » .

من أموال الدولة^(١) . ولم يجرد ابن الفرات أحداً في مصر يقبل مناظرة الماذرائي إلا الحسين بن علي الزقي الذي كان قد تعرض للحبس والتقي ، في ولاية تمكين بتحريض الماذرائي ، لتنصيره في دفع الخراج عن ضياع واسعة وتطلعه إلى القيام بعمل رئيسي في حياجة الخراج بمصر^(٢) .

وبدأ الحسين بن علي الرقي باهانة الماذرائي وتحقيره فأمر بإحضاره « في جبة صوف مكشوفة الرأس حافياً » ولما رآه الماذرائي أدرك سوء العاقبة على يديه فأحتال في الكتابة إلى ابن طنجج يشكو إليه ما يخاوله الرقي من « التشفي » فيه ويرجوه انقاذه ويعرض عليه « هدية » قدرها خمسون ألف دينار مودعة عند فقيه اسمه ابن الطحاوي^(٣) . فآذر ابن طنجج بإحضار الماذرائي واتفق مع الفضل بن جعفر على أن يعامل معاملة كريمة وأن يحاسب محاسبة دقيقة ليدفع ما في ذمته لبيت المال .

وتم لابن الفرات ما أراد من الماذرائي فصادر كل ضياعه بالشام ومعظم ضياعه في مصر ، وكان إيراد الأخيرة نحو أربع مائة ألف دينار في السنة ، وصودرت أموال أولاده وحشيته . وأوذ ابن الفرات بحجرة ابن طنجج ومعرفته التامة بأموال الماذرائيين وضياعهم . وكتب ابن طنجج إلى الخليفة الراضي يخبره بما عمله هو والفضل بن جعفر مع الماذرائي فورد رسول اتراضي إلى الاخشيد بالخلع والهدايا^(٤) .

هذه المصادر : تحفة الأسماء في تاريخ الوزراء ص ٣٦ و ٥٧ و ٧٧ و ٩٠ و ٢١٣
٢٢٦٥ و ٢٤٤٥ و ٢٤٥٥ و ٢٦٢٢ و ٢٨٩٥

٢ ابن سعيد : المغرب ص ١٥

(٣) روى ابن سعيد (في المرجع نفسه) أن الاخشيد استولى على هذا المال وأرسل بهدء إلى الماذرائي بذكره بأنه الملوم لأنه لم يقبل أي عرض من عروض السلام التي عرضها عليه قبل أن يضطر إلى فتح مصر وأنه أرسل إليه بعد دخوله مصر يطلب عوناً مالياً فلم يرسل إليه إلا عشرة آلاف دينار فرد الماذرائي بأنه أرسل إلى الاخشيد مائة ألف دينار وإلى كاتبه ابن عشرة آلاف . وتبين أن هذا الكاتب قدم إلى الاخشيد عشرة آلاف واحتفظ بمائة الألف . ولما علم الاخشيد بذلك واجه كاتبه فادعى أنه إنما احتفظ بها ليقدمها إلى الأمير عند الحاجة خوفاً من أن يبادر بانقلابها . أنظر أيضاً القرظي : الحفظ ج ١ ص ٩٩

١٥ ابن سعيد : المغرب ص ١٧

وأقام ابن الفرات في مصر إلى جمادى الأولى سنة ٣٢٤ هـ يبحث شؤونها المالية ويكشف ضياعها ولاسيما ضياع الماذرائيين ، ثم خرج إلى الشام وأخرج معه محمد بن علي الماذرائي مقبوضا عليه .

ويعتبر خروجه إذنا ببدء عهد جديد في حكم الاخشيد . فقد « كانت ولاية مصر على قسمين : الى الحرب والصلاة وآخر للخراج وتدير الأموال » ولما كان الفضل ابن جعفر في مصر كان تدير الأموال والخراج له وتدير الحرب والرجال للاخشيد . ثم غادر الفضل مصر « فجمع الاخشيد الولايتين كما عمل أحمد بن طولون »^(١) .

والراجح أن نجاح الاخشيد في التغلب على الصعاب التي لقيها بمصر حمل الحكومة المركزية على تأكيد ولايته لها . فإننا نعلم أنه دخلها سنة ٣٢٣ هـ ولكننا نرى في بعض المراجع التاريخية القديمة أن الخليفة قلده أياها سنة ٣٢٤ هـ . ففي إن الأثير أن الراضي قلده محمد بن طنج أعمال مصر مضافا إلى ما بيده من الشام وعزل أحمد بن كيبلغ عن مصر^(٢) سنة ٣٢٤ هـ وكذلك يروي أبو الفدا^(٣) وابن خلدون أيضا «^(٤) .

على أن الأحداث الرئيسية في علاقة ابن طنج الاخشيد بالحكومة المركزية في بغداد قوامها النزاع بينه وبين ابن رائق . ولسنا نستطيع أن نفهم هذا النزاع حق الفهم إلا إذا تذكرنا في البداية ما كان يسود مقر الخلافة من منافسات ومؤامرات للاستئثار بالنفوذ والاستيلاء على منصب أمير الأمراء^(٥) . وحسبنا دليلا على ما أصبح لهذا المنصب من عظم الشأن والسلطان أن الخليفة الراضي حين عين محمد بن رائق أمير واسط في منصب أمير الأمراء ببغداد سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٦ م) قلده إمارة الجيش وولاه

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٥

(٢) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١١٤

(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٨٩

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٤٠٩

(٥) راجع ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٣٥ — ١٤٦ و Défrémery : Mémoire

خراج جميع البلاد الإسلامية التابعة للخلافة كما أمر أن يخطب له على المنابر في أنحاء العالم الإسلامي « وبطلت الدواوين من ذلك الوقت وبطلت الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور إنما كان ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها وكذلك كل من تولى امره الأمراء بعده ، وصارت الأموال تحمل إلى خزائهم فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون » (١) .

وكان إقليم الأهواز حينئذ في يد أبي عبد الله البريدي يصرف أموره كيف شاء ولا يحمل إلى بغداد من خراجه شيئاً . واستفحلت قوة البريدي وامتد سلطانه فرأى ابن رائق أنه لا بد من قتاله واستعان على ذلك بالقائد التركي بجكم الديلمي كما حالف البريدي عماد الدولة ابن بويه فسير الأخير أخاه مع البريدي وهزما بجكم ووطدا سلطانهما في منطقة الأهواز ، ولكن دب بينهما الشقاق . وقامت المنافسة من ناحية أخرى بين بجكم وابن رائق وتفاوض الأخير مع البريدي ووعده بولاية واسط بعد سقوط بجكم . ولمّا تم النصر لهذا القائد الأخير أصبح أميراً للأمراء سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٨ م) واضطر ابن رائق إلى الانزواء .

وحدث بعد ذلك أن خرج بجكم مع الخليفة لقتال الحمدانيين فظهر ابن رائق في بغداد ثم وعد بالانسحاب إذا منح ولاية حران والرها وقنسرين مع المناطق العليا لنهر الفرات والحصون الواقعة على الحدود ، فأجيب إلى طلبه وما لبث أن طمّح في سنة ٣٢٨ هـ إلى ملك الشام (٢) .

واتسع سلطان ابن رائق في الأقاليم المتاخمة لولاية الشام فبدأ في تهديد الاخشيد ومطالبته بمال كانه جزية على الممتلكات الاخشيدية في الشام . وقلق ابن طنج أشد القلق من هذه الحالة ثم أشار عليه بعض معاونيه بأن يسترضى ابن رائق بالأموال ليكف شره عنه وذلك استنادا الى ما أمر الله رسوله من أن يعطى المؤلفة قلوبهم

(١) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١١٢

(٢) ابن خلدون : المعبرج ٤ ص ٣١٣

ويجمل لهم سهمها في الصدقات حتى يكفوا أذاهم . ولما اقتنع الاخشيد بأصالة هذا الرأي أرسل الى ابن رائق الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي ^(١) ليعمل على استرضائه ^(٢) .

ولكن المطالبة بالأموال لم تكن إلا حجة أراد ابن رائق أن يتذرع بها للاستيلاء على الشام من يد الاخشيد . فلما دفع الأخير الأموال المطلوبة لم ير ابن رائق بدا من أن يكشف عن نواياه الحقيقية . وهكذا خرج الى الشام على رأس جيش كبير . ولما بلغ الرقة بعث الاخشيد جيشا بقيادة عمران بن فارس لقتاله ^(٣) ، ولكن ابن رائق استطاع الاستيلاء على دمشق بعد أن هزم فيها عبيد الله بن طنج ^(٤) واليهما بدر بن عبد الله الاخشيدى ^(٥) ، كما استولى على حمص وحلب وغيرها من المدن والتغور ثم سار حتى دخل مدينة الرملة في أواخر ذى الحجة سنة ٣٢٧ هـ أو في أوائل سنة ٣٢٨ هـ .

وكانت العلاقة طيبة في تلك السنة بين ابن طنج والحكومة المركزية في بغداد ، ولا سيما منذ وافق الخليفة على منحه لقب إخشيد سنة ٣٢٦ هـ أو سنة ٣٢٧ هـ ^(٦) ، كما مر بنا في الصفحات السابقة . وأحس ابن طنج بخطر ابن رائق وعظم الجهود اللازمة لصدده ووصل إلى سماعه ما كان يقال من أن الخليفة قلد ابن رائق ولاية الشام فرأى أن يلجأ إلى الخليفة ليستطلع جلية الأمر . وكتب إلى ممثله في بغداد يطلب إليه أن يرفع إلى الخليفة أخبار ابن رائق ومطامعه في الشام وأن الاخشيد عمل على استرضائه ولم يفلح وأنه على استعداد للتسليم إليه إذا صح أن الخليفة قد قلده ولاية الشام ، كما أنه أيضا

(١) الحسن بن طاهر ، من الأمراء الأشراف من بني الحسن بن علي بن أبي طالب ، رحل من الحجاز إلى الاخشيد ففتح هذا إقطاعاً واسعاً واتخذ صديقاً ومستشاراً . أنظر القلقشندي :
صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩٨

(٢) ابن سعيدي : المغرب ص ٣٢

(٣) الكندي : الولاية والقضاة ص ٢٨٩

(٤) ابن سعيدي : المغرب ص ٢٥

(٥) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٢٨ وابن خلدون : تاريخ العبرج ٣ ص ٤٠٨

وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٧٥

(٦) ابن سعيدي : المغرب ص ٢٣ وابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٤

راغب في قتاله وصدده عن الشام ومصر إذا كان الخليفة يأمره (أى ابن طنج) بالقتال. ودخل ممثل الاخشيدي في بغداد على الخليفة ونقل إليه رسالته وكان بين يديه بحكم أمير الأمراء. ولم يجب الخليفة بشيء. ولسل أمير الأمراء كان لسان حاله حين قال: « من ضرب بالسيف وهزم صاحبه فالعمل له »^(١). وليس الأمر غريباً من الحكومة المركزية، فما نظن أنها كانت تستطيع أن تتخذ قراراً تلزم أحد الفريقين باتباعه، فضلاً عن أنها لم تكن لتكره أن تتركهما للقتال فقد يؤدي إلى ضعفهما والتخلص منهما معاً. ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيدي، حين علم بموقف الخليفة وأمير الأمراء ثارت ثأرته واتبته الثوبات العصبية التي كان يتعرض لها بين حين وآخر، وقيل انه عزم على حذف الداء للخليفة العباسي في خطبة الجمعة وأن يُدعى في مصر للخليفة الفاطمي، ولكن بعض نصحاؤه صرفوه عن هذه الفكرة وزينوا له أنها لا تفيد إلا خصمه ابن رائق وأنها قد تحمل الخليفة العباسي على تقليده مصر إذا لم يكن قد فعل وعلى الاقبال على مساعدته ضد الاخشيدي^(٢).

وهكذا لم ير الاخشيدي بدءاً من اعداد العدة لقتال ابن رائق^(٣)، كما بعث بأسطوله إلى السواحل الشامية^(٤). ثم استخلف الاخشيدي على مصر أخاه الحسن^(٥) وخرج على رأس جنده في بداية سنة ٣٢٨ هـ. وسار حتى نزل مدينة الفرما وتقدمت طلائع محمد بن رائق وكانت بين الفريقين مناوشة ثم سعى في الصلح بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي. وبعث الاخشيدي بكتابه على بن محمد بن كلا إلى الرملة للمفاوضة في الشروط. وتم الصلح

(١) ابن سعيد: المغرب ص ٢٦

(٢) انفراد ابن سعيد (المغرب ص ٢٦ — ٢٧) بالإشارة إلى هذه الرغبة في الخروج على الخلافة العباسية والخضوع للفاطميين ولكن سائر المؤرخين المصريين كالكسندى والمقرزى وأبي المحاسن لم يذكروا عنها شيئاً. والراجح عندنا أن الاخشيدي ربما فكر في مثل هذا واسكنه لم يتجاوز به حد التفكير بحد رأى أن استبدال سيد بسيد لا يغير الحالة ولا يوطد استقلاله. وازن بين رأينا هذا وما كتبه الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن في «تاريخ الاسلام السياسي» ج ٣ ص ١٥٣ وفي «الفاطميون في مصر» ص ٩٠ — ٩٢

(٣) الكسندى: الحولاة والقضاة ص ٢٨٩ وابن سعيد: المغرب ص ٢٥

(٤) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٥٢

(٥) ابن سعيد: المغرب ص ٢٥

على أن تكون طبرية وما في شمالها من الأرض لمحمد بن رائق . وعاد الاخشيد بعد ذلك إلى مصر في جمادى الأولى سنة ٣٢٨ هـ .

وما لبث ابن رائق أن نكث العهد وسار بجيشه من دمشق في شعبان من السنة نفسها . ووصل إلى الرملة في طريقه إلى مصر وكتب الاخشيد إليه لعله يصل معه إلى تفاعم . يحقن الدماء ، غير أن هذه المحاولات السلمية لم تنجح فخرج الاخشيد على رأس جيشه إلى الرملة والتقى الحيشان عند العريش في شهر رمضان ووقعت معركة عظيمة انهزم فيها جيش الاخشيد في البداية . والغريب أن ابن زولاق نص في هذه المناسبة على أن الاخشيد أعد مراكبه في البحر ليهرب فيها إلى بلاد المغرب أو بيزنطة إذا حلت الهزيمة بجيشه ^(١) . ومهما يكن من الأمر فإن هزيمة الاخشيد في هذه المعركة لم تكن حاسمة ، بل دارت الدائرة وحشد الاخشيد جموعه وأفلق في مباغته ابن رائق وانتصر عليه انتصارا كبيرا . فانسحب ابن رائق إلى دمشق وأرسل الاخشيد لمطاردته جيشا بقيادة أخيه أبي نصر الحسين بن طفج ، ولكن ابن رائق باغت هذا الجيش وقتل قائده وأسر بعض مساعديه وسار بهم إلى دمشق . ثم رأى أن يعمل لمصالحة الاخشيد فحفظ جثة أخيه القائد القتل وأرسلها في تابوت إلى الاخشيد مع ابنه مزاحم بن محمد بن رائق معتذرا عن قتل القائد عارضا أن يفديه بابنه مزاحم . فأكبر الاخشيد هذا العرض وأكرم الابن وردده مكرما إلى أبيه وأفلحت الوساطة في الصلح بين الفريقين على أن يحكم ابن رائق الولايات الشامية شمالي الرملة وعلى أن يدفع الاخشيد اليه جزية سنوية قدرها مائة وأربعون ألف دينار ^(٢) . وكان من مظاهر هذا الصلح أن تصاهر الفريقان فزوج الاخشيد ابنته فاطمة من مزاحم بن محمد بن رائق .

(١) المرجع نفسه ص ٢٨

(٢) الكندي : الولاة والفضاة ص ٢٨٩ — ٢٩٠ وابن سميذ : المغرب ص ٢٨ — ٢٩

وابن الأثير : تاريخ الكاهل ج ٨ ص ١٢٨ والمقرئزي : الخطط ج ١ ص ٣٢٩ وابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٥٨ ؛ وأبو الحسن : الانجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٢ — ٢٥٣

وهكذا نرى أن الاخشيدي كان عليه أن يفرض نفسه على الولاية التي تقلد حكمها وأن يتغلب على النوار والمعارضين والغزاة وأن يلجأ الى الوسائل السامية حين يستطيع وإلى القتال حين لا تنفع الوسائل السامية. أما الحكومة المركزية في بغداد فقد سادت فيها الفوضى وكان موقفها من ذلك كله موقف المتفرج ، وذلك حين لا تدخل من وراء ستار لتزيد الطين بلة وتضيف سببا جديدا للخلاف والقتال بين الولاة الطامعين في الاستقلال .

ولا ريب في أن الخلافة العباسية كانت مرغمة على تثبيت الولاة المنتصرين ولا سيما في مصر^(١) . فضلا عن أنها كانت ترتاح الى بقاء هذه البلاد في يد حاكم قوى يستطيع صد الفاطميين عنها ويحمي الخلافة من شرهم . وقديما كان لمثل هذا الاعتبار أثره في قيام الأغالبة حين أقطمهم الرشيد افرريقية لتكون ولايتهم حاجزا يحمي مصر والشرق الاسلامي من الادارسة وغيرهم من الخارجيين على الدولة العباسية^(٢) .

وبعد عودة محمد بن طغج من الشام على أثر عقد صلحه الثاني مع ابن رائق ، وردت الأخبار في شعبان سنة ٣٢٩ هـ ب وفاة الخليفة الراضي وبيعة أخيه المتقي بالله ووصل كتاب الخليفة الجديد في شوال باقرار الاخشيدي على مصر^(٣) . والواقع أن اعتراف الخليفة كان لا يزال له شأنه عند العامة والخاصة ، إذ أنه بالرغم من ضعف الخليفة في بغداد إلا أن سيادة الخليفة على الممالك الاسلامية ظلت ماثلة في الأذهان ولم يفقد معنى الخلافة ما كان له من القوة والسلطان حتى ان بنى أمية في الأندلس كانوا يقتعون بتسمية أنفسهم « بنى الخلائف » ولم يتخذوا لقب « خليفة » أو « أمير المؤمنين » ثم جاء الفاطميون فكانوا أول من خرج على هذه القاعدة فلم يكتفوا بأن يكونوا أمراء ذوي سلطان دنيوى فقط بل أرادوا أن يكونوا الخلفاء الحقيقيين للنبي عليه الصلاة والسلام فاتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة بعد فتح الفيروان في سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م)^(٤) .

(١) Marcel: Egypte depuis la conquête des Arabes p. 92.

(٢) M. Vonderheyden: La Berberie Orientale sous la Dynastie des Benoûl—Arâb pp. 5-8.

(٣) الكندي: الولاة والقضاة ص ٢٩٠ — ٢٩١

(٤) آدم منز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٢ — ٣ نقلا

عن ابن الجزار المؤرخ المغربى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) (وكتاب ابن الجزار موجود في الجزء الرابع من كتاب العيون والحداثق : مخطوط برلين رقم ٩٤٩١) .

ومهما يكن من الأمر فإنه لما بويح المتقي بالخلافة في ربيع الأول سنة ٣٢٩ كان السلطان في بغداد لأمر الأسماء بجحكم ولم يكن للخليفة ولا لوزير الخليفة شيء . وقد تجدد النزاع بين بجحكم والبريدى واستعان بجحكم على حربته بقيادة من كبار قواده اسمه توزون ، وبعد أن انتصر توزون على البريدى ، اغتيل بجحكم على يد رجل من الأكراد في سنة ٣٢٩ هـ .

ثم نشب الخلاف بين الترك والديلم في بغداد ورجحت كفة الديلم وعين قائدهم كورتكين أميراً للأسماء ولجأ الخليفة إلى ابن رائق للتخلص من كورتكين . فخرج ابن رائق من دمشق في رمضان سنة ٣٢٩ هـ (٩٤١ م) وهزم كورتكين ودخل بغداد ومنحه الخليفة لقب أمير الأسماء للمرة الثانية . ولكن البريدى احتل إقليم واسط وخرج ابن رائق لقتاله وعقد بينهما صلح على أن يدفع البريدى جزية سنوية نظير حكمه واسط . وسرعان ما تخلى الترك عن ابن رائق وشبب الفتن في بغداد بسبب الفتحط والغلاء فأرسل البريدى جيشاً إلى الحاضرة واضطر الخليفة المتقي وابن رائق إلى الخروج إلى الموصل حيث كان ناصر الدولة بن حمدان . وكان الخليفة يود أن يعينه ناصر الدولة على البريدين ولكن ناصر الدولة اغتال ابن رائق ليحل محله في منصب أمير الأسماء . ولم ير الخليفة بداً من منحه هذا اللقب سنة ٣٣٠ هـ ، كما خلع على أخيه ابن الحسن على ولقبه سيف الدولة . وسار ناصر الدولة إلى بغداد فهرب منها البريدى وظل ناصر الدولة أميراً للأسماء نحو ثلاثة عشر شهراً ثم قاومه الترك فاضطر إلى الرحيل عنها واختار الخليفة القائد توزون أميراً للأسماء فدخل الحاضرة في رمضان سنة ٣٣١ هـ .

بيد أن العلاقة بين توزون والخليفة ما لبثت أن ساءت إلى حد اضطر معه الخليفة إلى الاستنجاد بالآخشيدي والكتابة إليه بأنه سائر للقائه ، وخرج الخليفة إلى الرقة مع وزيره ابن مقله . أما الآخشيدي فقد استخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طعج على مصر وسار إلى الشام في شهر رجب سنة ٣٣٢ هـ ووصل إلى دمشق ثم سار ومعه أتباعه حتى وافى الخليفة المتقي بالرقة . ولكنه لم يستطع دخولها خوفاً من سيف الدولة على بن حمدان^(١) .

(١) الذهبي : تاريخ الاسلام ص ٥٩ ، وأبو الهاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٤

والظاهر أن الخليفة المتقي رأى من بنى حمدان المال والضيح منه فعمل على الصلح مع توزون^(١)، ولكنه كتب في الوقت نفسه إلى الاخشيدي يستحثه على أن يعبر نهر الفرات ليلقاه في الرقة . وخشى الاخشيدي أن يحدث له ما حدث لابن رائق حين عبر الفرات وقتله الحمدانيون . فاضطر الخليفة إلى عبور الفرات واجتمع بالاخشيدي وخضع عليه في بداية سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) وبالغ الاخشيدي في اظهار امارات الخضوع والاذلال للخليفة، كما قدم اليه والى وزيره وحاشيته الهدايا النفيسة من المال والجواهر والمنسوجات النفيسة والطيب والدواب^(٢) . ويبدو أن الخليفة سر باخلاص الاخشيدي وهداياها فقال له : « قد ولتلك أعمالك ثلاثين سنة فاستخلف لك اونوجور »^(٣) فزاد الاخشيدي الهدايا إلى الخليفة اعترافاً بفضلها عليه وعلى ابنه .

وهكذا حمل الاخشيدي على التقليد جديد من الخليفة بولاية مصر وحق توريث اماراتها لأبنائه من بعده ، وان كان هذا الحق قد حدد بفترة ثلاثين سنة . والواقع أن هذا التقليد من قبل الخليفة لم يكن له شأن عملي كبير وإنما كان إقراراً للواقع وإعطاء لامتياز لم يكن الخليفة يستطيع أن يمنه . إذ أن الاخشيدي كان قد أخذ البيعة لابنه من كبار القواد قبل لفاء الخليفة ، وذلك أنه عمل في سنة ٣٣١ على أن يعترف ذوو ارأى في مصر من أهل البلاد والقواد والجند بابنه اونوجور خليفة له^(٤) . ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيدي علم بياس الخليفة وعزمه على العودة إلى توزون عدوه اللدود ، فعرض عليه أن يسير معه إلى مصر والشام ليكون الاخشيدي ورجاله في خدمته ، فرفض الخليفة هذه الدعوة . وعاد الاخشيدي فطلب من الخليفة أن يقيم في الرقة على أن يمدد بالمال والرجال للدفاع عن سلطان الخلافة فرفض المتقي ذلك أيضا . وقيل

(١) ابن خلدون : العبرج ٣ ص ٤١٨

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٨ ص ٣٤٨ — ٣٥٠

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٠

(٤) المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٣٢٩ وأبو المحاسن : ج ٣ ص ٢٥٤

ان ابن طنج عرض على الوزير ابن مقلة أن يسير الى مصر فرفض الوزير ذلك مراعاة للخليفة^(١).

ولسنا ندري لماذا استنجد الخليفة بالاخشيد ثم رفض أن يعصجه الى مقر ولايته . والراجح عندنا أن الخليفة كان قد فقد ثقة في القواد والزعماء وأصبح لا يظن أن بكرمه الاخشيد طويلا ففضل ألا يبعد عن حاضرة ملكه وأن يعمل على الصلح مع توزون أمير الأمراء .

ولو أتيج للاخشيد أن ينجح في جذب الخليفة الى مصر لتغير الى حد ما مستقبل الخلافة ومستقبل وادي النيل . والواقع أن الاخشيد لم يكن أول وال عباسي فكر في مثل هذا المشروع فانا نذكر كيف دعا ابن طولون من قبله الخليفة المتعمد الى الانجاء الى مصر هربا من استبداد أخيه الموفق الذي كان له الأمر والنهي في شئون الجيش والحكومة، وكاد المتعمد يحقق حلم ابن طولون لولا أن قبض عليه عيون أخيه الموفق وأرجعوه الى حاضرتة شبه سجين . وهكذا أخفق ابن طولون والاخشيد في جعل مصر مركز الخلافة العباسية ولم يتم ذلك إلا على يد الظاهر بيبرس في القرن السابع الهجري (١١٢٠م)^(٢).

وروى ابن زولاق في مناسبة هذا اللقاء بين الخليفة والاخشيد أن الأخير سره ما لقيه من اكرام المتقي وحسن رعايته له وحدثته نفسه أن في الاستطاعة أن يعصجه إلى بغداد وأن ينال منصب أمير الأمراء فعرض على الخليفة « أن يسير بين يديه ويخدمه إلى بغداد » ولكن أحد أصحاب الاخشيد رأى ما في هذا المشروع من خطر عليه وعلى امارته في مصر والشام وخشى عاقبة التنافس بين الاخشيد والترک في بغداد فأنذر الأمير بما في المشروع من أخطار، واقنع الاخشيد بصواب هذا الرأي فدبر مع

(١) الكندي : الولاية والقضاة ص ٢٩٢ وابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٤٨ — ١٤٩ وأبو الهاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥ والسيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٥٩ والمكيني : تاريخ المسلمين ص ٢١٢ و Wüstenfeld : Statthalter IV. p. 33

(٢) أبو الهاسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٠٩ وما بعدها ، ومحمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ص ٦٢ — ٧٣ ، وحسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ١٢٦ — ١٣٠ ومحمد مصطفى زيادة : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك بمصر ص ٧٥ — ٨١ وزكي محمد حسن : مصر والحضارة الاسلامية ص ١٨ — ٢٠

صاحبه خطفة يبرر بها أمام الخليفة لزوم عودته إلى مصر . ذلك أن صاحبه استدعى رجلا من المغاربة له أخ بالغرب واستكتبه كتابا إليه من أخيه يقول فيه : « لما اتصل بأمر المؤمنين القائم بأمر الله مسير الاخشيدي إلى المتقي بالعراق جهز العساكر في البر والبحر إلى مصر واغتم خلوها » ثم « فرك الكتاب ودعك ليصير كأنه قديم » وحمل الكتاب إلى الاخشيدي فطلب أن يكتم أمره عن جنوده لئلا تضعف روحهم المعنوية . وذهب به إلى المتقي وعرض عليه أنه كان يريد البقاء في خدمته ولكنه يخشى خطر الفاطميين على مصر فلم يتردد المتقي في حثه على المبادرة بالرجوع إلى مقر ولايته لصد خطر الفواطم عنها^(١) .

والغريب في هذه القصة التي انفرد بروايتها ابن زولاق عن طموح الاخشيدي إلى منصب أمير الأمراء أنها لا تتفق مع ما نعرفه عن ابن طغج من بعد النظر وحسن تقدير الأمور . فإنا لا نستطيع إذا سلمنا بصحتها أن نفسر رغبته في هذا المنصب مع علمه بالدسائس والمنافسات والصعاب التي تحيط به ومع حرصه على ولاية مصر وعلى أن يرثها ابنه من بعده .

ومهما يكن من الأمر فقد عاد الاخشيدي الى مصر في جمادى الأولى سنة ٣٣٣ هـ^(٢) وسار المتقي الى بغداد فخرج توزون أمير الأمراء للقاءه وكحله فأذهب عينيه ونادى بعبد الله ابن المسكني خليفة وسعى المستكفي بالله^(٣) .

ولما ولي المستكفي الخلافة في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) أقر الاخشيدي على ولاية مصر والشام وقام الاخشيدي بالدعوة له على المنابر في أنحاء ولايته^(٤) .

(١) ابن سميذ : المغرب ص ٤٠ — ٤١

(٢) السكندی : الولاية والقضاء ص ٢٩٢

(٣) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٧٢ — ٧٥ وابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٤٩

وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ٥٣

(٤) السكندی : الولاية والقضاء ص ٢٩٢

وقد نقل المستشرق متر عن الجزء الرابع من كتاب « العيون والحدائق في أخبار الحقائق »^(١) أن الخليفة المستكفي كتب الى الاخشيدي يعرض عليه امانة بغداد بعد موت توزون ويضمن له القيام بالأمر ولكن الاخشيدي رفض هذا المنصب^(٢).

ثم عزل المستكفي وبوبع المطيع لله سنة ٣٣٤ هـ وظلت العلاقة بين الخلافة والاخشيدي على حالها، إذ بادر المطيع باقرار الاخشيدي على ولايته وأمر الاخشيدي بالدعوة المطيع على المنابر.

والواقع أن علاقة الاخشيدي بالحكومة المركزية لم يطرأ عليها أى تغيير منذ عزل المتقي، فقد شغل الاخشيدي بزاعه مع سيف الدولة الحمداني على حكم الشام. ووقفت الحكومة المركزية موقف المنفرج فلم يكن لها في هذا الخلاف رأى تبديه أو ارادة تمليها. ولا عجب فان الاخشيدي كان قد احتل الشام بعد قتل ابن رائق ودخل دمشق في شوال سنة ٣٣٠ هـ واستقر حكمه في الشام بمجد السيف^(٣). فكان نزاعه مع سيف الدولة على حكمها أمرا لا تستطيع الخلافة الضعيفة في بغداد أن تتدخل فيه، وسوف نمرض لهذا النزاع عند الكلام على العلاقات الخارجية.

ولاريب في أن قتل ابن رائق واستقرار الحكم في الشام للاخشيدي ونجاحه في تدعيم حكمه في مصر كل ذلك يعتبر حدا فاصلا في علاقته بالخلافة فقد، أصبح من القوة بحيث استطاع في آخر ذى القعدة سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) أن يأخذ البيعة من قواده لابنه أبي القاسم أونوجور من بعده^(٤). وكان ذلك قبل لقاء الخليفة والاخشيدي في الرقة. وما أشرنا اليه في الصفحات السابقة من اعلان الخليفة تقليد الاخشيدي حكم مصر ثلاثين سنة.

(١) مخطوط برلين رقم ٩٤٩١ ورقة ٢٢٧ ب.

(٢) متر: الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٥٢، والملاحظ أن الحاشية التي فيها مصدر هذه القصة لم تثبت في الترجمة العربية لكتاب متر ولكنها موجودة في النسخة الألمانية (ص ٢٦ حاشية ٧).

(٣) الكندي: الولاة والفضاة ص ٢٩١ — ٢٩٢، وابن سعيد: المغرب ص ٢٩

(٤) القرظي: الخط ج ١ ص ٣٢٩، وحسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي

والاذن باستخلاف اونوجور . وقد نص ابن زولاق على ما يرجح وجود نظام لولاية العرش وضعه الاخشيد قبل لغاء الخليفة ، فقال : « كان يدعى المتقى ثم للاخشيد ثم لانوجور ثم لأبي المنظر الحسن بن طنجج »^(١) .

وتشهد السكة المضروبة على عهد الاخشيد بتطور العلاقة بينه وبين الخلافة فالدنانير المضروبة باسم الراضي من سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٢٨^(٢) ، وبمض الدنانير المضروبة باسم المتقى في سنة ٣٢٩^(٣) تشهد بأن الاخشيد كان لا يزال يدين بالطاعة المطلقة للخليفة العباسي حتى كان اسم الخليفة وحده هو الذي ينقش على السكة . أما منذ سنة ٣٢٩ هـ فان الاخشيد كان ينقش اسمه مع اسم الخليفة على السكة ، كما يظهر من دنانير ضربت سنة ٣٢٩ و سنة ٣٣١ و سنة ٣٣٢ و سنة ٣٣٣^(٤) (انظر اللاوحة رقم ١) .

أما امتداد سلطان الاخشيد إلى الحجاز واليمن فأمر غير واضح إذ أن الاخشيد أشار إلى أنه حاكم تلك البلاد في كتابه إلى إمبراطور الدولة البيزنطية سنة ٣٢٥ هـ^(٥) كما أن ابن سعيد نقل عن كتاب ابن القرطبي في تاريخ مصر أن محمد بن طنجج «ما زالت حمته تعلق وسعادته تميمه إلى أن ملك مصر والشام والثغور وخطب له بالحجاز واليمن ولذلك يقول شاعره سعيد بن فاخر المعروف بقاضى البقر فى قصيدة يمدحه بها :

يا ملك الشام ومصر إلى أقصى ثغور الروم والشام
واليمن الأبعد لازلت رفيعاً قادراً حام^(٦)

وذكر ابن ظافر الأزدي المصرى فى تاريخه أن الخليفة المتقى عقد للاخشيد على مصر والشام والحرمين^(٧) . كما ذكر أبو الحسن أن الخليفة جمع اعلى بن الاخشيد

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٠

(٢) S ; Lane-Poole : Catalogue of the Collection of Arabic. Coins. Nos. 694-699 p. 93.

(٣) Ibid., No. 725 p. 102.

(٤) Lane-Poole : op. cit., Nos. 933. 943 p : 143. H. Lavoix : Catalogue des monnaies musulmanes. Nos. 48-50 pp. 21-23.

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٢٠

(٦) المرجع نفسه ص ٤٤

(٧) Wüstenfeld : Statthalter IV. pp. 32. 58 & Lane-Poole : A History of Egypt in the Middle Ages p. 84.

ما كان لأبيه وأخيه من أعمال الديار المصرية والممالك الشامية والثغور والحرمين الشريفين^(١) .
وتحدث الكندي عن ملك كافر مصر والحرمين^(٢) .

والرأى عندنا أن تقليد الاخشيد الحجاز أو مكة والمدينة وتقليده اليمن أمر صوري
ورمزي . فلسنا نعتقد أن سلطان الاخشيد استقر في تلك الأقاليم ، فقد كان حكمها في يد
أسرات محلية ربما خضع أمراؤها خضوعا اسميا للخلفاء العباسيين أو لمن يقبلهم أولئك
الخلفاء حكم تلك البلاد^(٣) ، ولكن تصريف الأمور فيها ظل بيد الأمراء أنفسهم^(٤) .
ومنح الخليفة التقليد على الحرمين واليمن لا يقطع بانتقال أى سلطان فعلى الى الوالى
صاحب التقليد؛ ولكنه يشهد ، على كل حال ، بضعف الخلافة ونزولها عن قسط من نفوذها
السياسى للأقوياء من الولاة . وقد ظلت العلاقة بين مصر والحجاز في العصور التالية
غير واضحة المعالم مما حمل شهاب الدين بن العمري على أن يكتب عند الكلام على الأعمال
في الدولة المملوكية : « وبهذا تم ذكر النطاق بمصر والشامات وما معها من جميع الممالك
الاسلامية إلا الحجاز وهو قطعة من جزيرة العرب وليس أمره بمضبوط ولا بحفظ
الثقة منوط »^(٥) .

وتقليد الخليفة ولاية الحرمين للاخشيد أمر يشهد بالسلطان الواسع الذى ناله
ابن طنج ، لأن هذه الولاية كان لها في القرن الرابع الهجرى شأن كبير « فقد ظهر
من خلال النزاع حول امتلاك مكة والمدينة نظرية جديدة هى أن أمير المؤمنين الحقيقى
هو من كان ملكا للحرمين »^(٦) .

(١) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٧

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٥ — ٢٦٩

(٤) Snouk : Mekka 1 pp. 57 et suiv. Van Berchem : Corpus, Egypte 1. pp. 413-419.

(٥) شهاب الدين بن العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٨٤

(٦) آدم متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٥ عن السعوى :

وكان الاخشيد مقصد كثير من عطاء بغداد^(١) . فكان يكرم وفادتهم ويحسن استقبالهم ليكونوا رسل سلام بينه وبين الخليفة . ولا عجب فان الخلافة كانت لا تزال تحتفظ بقسط وافر من سلطانها الروحي ولم يكن يناهضها إلا الزعماء ذوو النفوذ الشخصي العظيم . وكان القوم يولون وجوههم شطر الخليفة إذا ذهب أولئك الزعماء أو ضعف شأنهم . وحسبنا أن نذكر هنا أن الاخشيد أصيب فترة من الزمن بمرض عصبي كان يعاوده من حين إلى آخر وعمل هو وبعض حاشيته على كتم أمره، ولكنه كشف وبادر بعض أتباع الاخشيد وغيرهم بالكتابة إلى العراق يطلبون أن يعهد اليهم بولاية مصر^(٢) .

(١) ابن سعيّد : المغرب ص ٣٩

(٢) المرجع نفسه ص ١٦ — ١٧

(٣)

خلفاء الاخشيد وعلاقة مصر بالخلافة في عهدهم

توفي محمد بن طنج الاخشيد بدمشق في شهر ذى الحجة سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) وكان قد عقد قبل وفاته لولده أونوجور من بعده . ويقال انه عقد لولديه من بعده : أونوجور وعلى ، وقرر أن تكون الوصاية عليهما لغلامه كافور^(١) . والراجح أن أونوجور كان يقيم في مصر نائبا عن أبيه في حكمها عندما توفي الاخشيد في دمشق^(٢) .

والملاحظ أن الاخشيد استخلف على مصر قبل سفره ابنه أبا القاسم أونوجور كما استخلف له عمه أبا المظفر الحسن بن طنج^(٣) . ويبدو لنا أن الاخشيد كان يثق بأخيه الحسن ويسلم بضرورة التعاون بينهما في حياته ، ولكنه كان يخشى إذا جعله بعد ولده أونوجور في ولاية الحكم أن يستأثر بالسلطان وأن ينحى عنه أولاد الاخشيد . ولعل ذلك هو السبب في أنه رتب أن يدبر أمرهما من بعده غلامه كافور دون عمهما الحسن . وكان كافور — كما سنرى في الباب القادم — قد ارتقى في حاشية الإخشيد حتى أصبح مرميا لولديه وموضع الثقة عنده . وكان أونوجور هو الوارث الطبيعي لحكم مصر بعد أبيه ، ولاسيما منذ أصدر الخليفة المتقي سنة ٣٣٣ هـ تصريحه الذي قال فيه للاخشيد : « قد وليتكم أعمالك ثلاثين سنة فاستخلف لك أونوجور »^(٤) . ومع ذلك كله فإن المناداة به في مصر لم تحدث إلا بعد تردد ومحاولات لتتبعته عن الحكم .

وبيان ذلك أن كافورا شغل بضبط الأمور في الشام وإقرار الأمن بعد وفاة سيده فوصل نبا الوفاة قبل قدوم كافور إلى مصر . وركب أبو المظفر الحسن بن طنج إلى دار

(١) ابن ظافر الأزدي في Wüstenfeld : Statthalter IV p. 58.

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٢

(٣) المرجع نفسه ص ٤٢ ، ولكن أبا المحاسن يذهب إلى أن أونوجور كان في دمشق

حين مات أبوه . أنظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٩١

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٤٠

الإمارة ، وتبعه إليها الوزير أبو بكر محمد بن علي بن مقاتل وخرج إليها أبو القاسم أو نوجور وأقبل الناس لتعزيتهما وانصرف الجميع دون أن يقرر شيء في ولاية العرش . ثم اجتمع أو نوجور والحسن بن طنجح وعلي بن مقاتل في اليوم التالي وحضر وجوه الناس من الأمراء والقواد والوزراء والكتاب والأشراف والقضاة والشهود ، وأرسلوا إلى أبي بكر محمد ابن علي الماذرائي لاستطلاع رأيه في الحكم فاعترض الماذرائي على عرض هذا الموضوع على بساط البحث وقال : إن الاخشيد عقد لابنه أو نوجور قبل وفاته وإن الخليفة المتقي أذن للاخشيد بذلك . ولما اعترض القوم بأن أو نوجور لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره رد الماذرائي بأن صغر السن لا يجوز أن يكون سببا في تنحيته عن الحكم وأن هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ولي حكم مصر وهو أصغر سنا من أو نوجور . وأضاف الماذرائي أن اضطراب الأحوال في الشام ينذر بسوء العاقبة إذا ضيع القوم الوقت في البحث والاختلاف ، وبذلك تم الأمر لأو نوجور وأخفق عمه الحسن بن طنجح في تحقيق مطامعه ^(١) .

وعما يشهد بأن التنافس كان شديدا على ولاية الحكم بعد وفاة الاخشيد الأبيات التي نظمها أحمد بن طباطبا نقيب الطالبين في مصر على ذلك العهد . فقد نقل ابن سعيد عن القرطبي أن ابن طباطبا كان « ممن حضر العقد لأبي القاسم أو نوجور بن الاخشيد بالفسطاط وأنه قال في ذلك اليوم وقد طمع في الأمر أبو المظفر بن طنجح وغيره وتشعبت الأهواء :

ماتَ اخشيدُ نأَ فيها نحنُ في أمرٍ صريحٍ وكل كنفٍ تُمدُّ
كلِّكم طالبٌ بجدٍّ وحرصٍ إنما الشأنُ أن يُوافق جدُّ
يا ولايةَ الأمورِ ان لم تُنبِوا لانتظام فقد تناثرَ عقدُ ^(٢)

وكان طبيعيا أن ينوب الماذرائي عن أو نوجور في تدبير الأمور . والحق أن نفوذه زاد كثيرا بسبب موقفه من تولية أو نوجور ، وقد حفظت له والدة الأمير هذا الجليل فأطلقت يده في أمور الدولة .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٥ والمقرئزي : الملقى ص ١٢٤ في رسالة جوتشك .

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٥٠

ولسنا نحتاج الى التعليق على هذا الموقف لأن الواضح أن الماذرائى كان يفضل تولية أونوجور ليزيد سلطانه وسلطان الماذرائيين من أفراد أسرته ، ويبدو أن هذا لم يكن أمراً مضموناً اذا آل الحكم الى الحسن بن طنج .

وكتب الماذرائى الى كافور ينهى اليه ماتم من تولية أونوجور وحمد له كافور هذا الحزم فى تصرف الأمور ^(١) .

وتم ما يشبه الاحتفال بتولية أونوجور حين خرج فى موكب عظيم سار فيه عمه الحسن بن طنج وأبو بكر الماذرائى وقصد الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) فأدى صلاة الجمعة فى ١٣ من المحرم سنة ٣٣٥ ودعى له على المنابر .

وما لبث كافور أن عاد الى مصر على رأس الجيش الذى كان قد سافر الى الشام مع الاخشيدي . وكان وصوله الى الفسطاط فى شهر صفر سنة ٣٣٥ هـ . وورد كتاب من الخليفة المطيع لله الى الأمير أبى القاسم أونوجور يقره فيه على ولاية مصر والشام وما كان لأبيه من الولاية ^(٢) . وقرئ هذا الكتاب يوم الجمعة أول ربيع الآخر على منبر الجامع العتيق ^(٣) .

وقد ذكر أبو المحاسن أن كافورا خرج من مصر بابنى الاخشيدي وتوجه بهما الى الخليفة المطيع لله وأصلح أمرها معه والتزم كافور للخليفة بأمر الديار المصرية ثم عاد بهما الى مصر ^(٤) . ولسنا لم نجد فى سائر المراجع القديمة ما يؤيد سفر الأميرين مع كافور للقاء الخليفة .

ثم أصبحت مقاليد الأمور فى بغداد بيد بنى بويه وأضحى معز الدولة صاحب الأسر والنهى فى الدولة العباسية . فلا عجب اذا سعى اليه الولاة والأمراء ومنهم أونوجور ابن الاخشيدي . وقد كتب أبو المحاسن أن أونوجور أرسل طائفة من الهدايا الى معز

(١) المقرئى : المقفى ص ١٢٤ فى رسالة جوتشك .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٤

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١ — ٢

الدولة سنة ٣٣٨ وسأله أن يكون أخوه مشاركا له في إمرة مصر وأن يخلفه بعد وفاته فأجابته معز الدولة الى ذلك ^(١) . وهكذا ناك أونوجور موافقة الحكومة المركزية على استخلاف أخيه . ولكن الذي يبدو غريبا في طلب أونوجور هو أن يكون أخوه مشاركا له في إمرة مصر . فليسنا نفهم المقصود بذلك — هل يراد بالمشاركة أن يتولى على بعد وفاة أونوجور أو كان أونوجور يريد أن يشاركه أخوه في القبض على أزمة الأمور في مصر حتى يمكنه التخلص من وصاية كافور . ولكن التفسير الأول هو الراجح عندنا .

أما سلطان مصر على الحجاز بعد وفاة الأخشيد فقد ظل سلطانا إسمياً يقف عند ذكر اسم الأمير الاخشيدى في الخطبة في بعض السنين ولا يكاد يصل إلى ذلك في سنين أخرى . وحسبنا ما ذكره القلقشندي ^(٢) عن إخفاق المحاولة التي قام بها أمير الركب المصرى للخطبة لابن الاخشيد على المنابر في مكة سنة ٣٤٢

بل نستطيع أن نذهب أبعد من ذلك لنستنبط أن اقرار معز الدولة ولاية ابن الاخشيد سنة ٣٣٨ لم تكن عن طيب خاطر ، ولكنه كان مضطرا إلى قبول ما لا يستطيع رفضه أو تغييره لبعث الشقة بين العراق ومصر ولاشتغاله بتذليل العقبات التي كانت تعترضه لتوطيد سلطانه والقضاء على البقية الباقية من سلطان الخليفة . ولما استتب الأمر ظهر فتور في العلاقة بينه وبين الدولة الاخشيدية . وظهر هذا الفتور في حرصه على حذف اسم الأمير الاخشيدى من الخطبة على منابر الحجاز . وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك حين ذكر في حوادث سنة ٣٤٢ هـ أن قتالا وقع بين أتباع معز الدولة وعساكر المصريين من أصحاب ابن طغج وكان الظفر لأنصار معز الدولة فخطب له بمكة ^(٣) . ولكن قضية الاخشيد لم تكن خاسرة في الحجاز كل هذه السنين فكان يدعى للأمير الاخشيدى بعد الخليفة أحيانا ، كما كان يدعى له بعد معز الدولة وأفراد أسرته أحيانا

(١) المرجع نفسه ج ٣ ص ٢٩٨

(٢) صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٨

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٨٢

أخرى . من ذلك ما أشار إليه ابن الأثير في حوادث سنة ٣٤٣ حين ذكر أن حرباً وقعت بمكة بين أصحاب معز الدولة وأصحاب ابن طنج من المصريين وأن الغلبة كانت لأصحاب معز الدولة فخطب بمكة والحجاز لركن الدولة ومعز الدولة وولده عز الدولة بختيار وبمدهم لابن طنج^(١) .

واستطاع كافور طوال حكم أونوجور أن يكون الحاكم الحقيقي للبلاد كما سنرى في الباب القادم . ولما توفي أونوجور في ذى القعدة سنة ٣٤٩ هـ (ديسمبر سنة ٩٦٠ م) نودي بأخيه علي بن الاخشيد أميراً على مصر وذلك باتفاق كافور وقواد الجند ورجال آبيه الاخشيد^(٢) ، وكان يبلغ من العمر حينذاك ثلاثاً وعشرين سنة^(٣) ، وقد أقره الخليفة المطيع على ولاية مصر والشام والحرمين .

وسوف نرى أن الأمور كانت على عهد كافور كما كانت الحال في عهد أخيه، والظاهر أن كافوراً كان المسئول عن إدارة البلاد وضمان خراجها أمام الحكومة المركزية^(٤) .

ثم توفي علي بن الاخشيد في المحرم سنة ٣٥٥ هـ وظلت مصر بعد وفاته أياماً بغير أمير فلم يذكر في الخطبة إلا اسم الخليفة المطيع . وكان كافور يدبر أمور مصر والشام . وما لبث — بعد نحو أسبوعين من وفاة علي بن الاخشيد — أن أعلن ورود كتاب من الخليفة المطيع بتقليده مصر، فدعى له على المنابر^(٥) . وقد يمكن الشك في أن الكتاب الذي أقره فيه الخليفة على ولاية مصر والشام والشعور والحرمين وصل الى مصر في الوقت الذي أعلن فيه خبر وصوله ، أي بعد وفاة علي بن الاخشيد بأسبوعين، ولا سيما اذا تذكرنا أن تقليد الخليفة لأونوجور وصل الى مصر بعد وفاة الاخشيد بنحو ثلاثة أشهر، ولكن الذي لا شك فيه أن الخليفة ان لم يكن قد عقد له على ولاية مصر فقد سكت على اغتصابه

(١) المرجع نفسه ج ٨ ص ١٨٤

(٢) ابن سميذ : المغرب ص ٤٦ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦

(٣) السكندی : الولاة والقضاة ص ٢٩٦ وابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٥

والمقرزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩ رأبو المحاسن و ج ٣ ص ٣٢٥ — ٣٢٦

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١

(٥) المقرزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٠ و ج ٢ ص ٢٧

الحكم، وهكذا يتبين أن الخلافه لم يكن لها الرأى الأعلى فى حكم مصر حينذاك بل كانت لا تملك إلا اقرار الأمر الواقع .

ولم يكن كافور صاحب حق شرعى فى ولاية مصر . فإنه ليس من أسرة الاخشيد ، ومع ذلك فان الخلافه لم تحتج على اغتصابه الحكم ، ولا سيما أنها اعتادت أن ترى فى يده تدبير الأمور فى مصر . ولا ريب فى أن « التكميف القانونى » لهذه الفترة التى استقل فيها كافور بحكم مصر ، مسألة تستحق النظر . وإذا استعرضنا أقوال أعلام المؤرخين فى هذا الصدد تبين لنا أن ولايته الشرعية أمر غير مقطوع به .

أما الكندى وهو أقدم المراجع التى عاصرت الدولة الأخشيدية إلى نهايتها فإنه لم يصل فى كتابه الولاية إلى وفاة على بن الاخشيد . وان تكن المخطوطة التى طبع منها الأستاذ جست كتاب الولاية قد جاء فيها الكلام على أونوجور وعلى بن الأخشيد وكافور وأحمد بن على الاخشيد فإن هذا الكلام تسبقه عبارة فى الهامش قبل الكلام على أونوجور ، ونصها « إلى هنا انتهى ما كتبه أبو عمر (الكندى) واخترته المنية قبل إكماله . قال ذلك ابن زولاق فى أول كتابه أخبار قضاة مصر . وما بعد ذلك ليس من كلام أبي عمر » ^(١) .

والمراجع الثانى المعاصر لنهاية الاخشيديين هو ابن زولاق . والمعروف أنه كتب ذيلاً لكتاب الولاية للكندى . ولكن هذا الذيل ليس هو التذييل المضاف إلى المخطوطة التى طبعها جست . ويرجح الأستاذ جست نفسه هذا الرأى ^(٢) . ونحن نحزم بصحته ونضيف إلى القرائن التى ذكرها جست أن المقرزى ^(٣) نقل عبارة طويلة عن ابن زولاق من كتاب « تمة كتاب أمراء مصر للكندى » وأن هذه العبارة ليست فى التذييل المضاف إلى المخطوطة التى طبعها جست . وعهما يمكن من الأمر فان هذا التذييل الذى لا نعرف تاريخه تماماً لم يشر صراحة إلى تولية كافور ،

(١) الكندى : الولاية والقضاة ص ٢٩٣ ، ابن سعيد : المغرب ص ٥

(٢) الكندى : الولاية والقضاة ، المقدمة الانجليزية للاستاذ جست ص ١٢ و ٤٦

(٣) المقرزى : المخطوط ج ٢ ص ٢٥ ، الأسطر ١٦ — ١٩

وإنما جاء فيه « واستبد كافور بالأمر بعد موت علي بن الاخشيد ودعى باسمه على المنابر في الحرم سنة ٣٥٥ ووردت رسل المطيع وخامه وهداياه »^(١) .

وكتب ابن زولاق سيرة الاخشيد ونقلها ابن سعيد في كتابه العيون الدعج في حلى دولة بنى طنج (الجزء الرابع من كتاب المغرب) . ولم تعرض هذه السيرة لما بعد تولية أونوجور .

أما ما جاء في كتاب ابن سعيد عن حكم كافور فقد نقله عن القرطبي الذى كتب في عهد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين . ونص ما جاء في هذا الكتاب عن الفترة التى نحن بصدددها « قال القرطبي لما مات علي بن الاخشيد كان ابنه أحمد صغيراً فاستبد بالسلطان كافور الخادم ولم يظهر لأحمد رسم ولا اسم إلى أن مات كافور سنة ٣٥٧ فأظهر عقد الأمر لأحمد بن علي بن الاخشيد »^(٢) وليس فى ذلك أى إشارة إلى تقليد من الخليفة .

أما جمال الدين بن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ فقد كتب عن الدولة الاخشيدية النبذة التى نقلها وستنفلد فى كتابه الألماني عن ولاية مصر .

ومما جاء فى هذه النبذة قصة استيلاء كافور على السلطان بعد وفاة علي بن الاخشيد وقد نقلها ابن ظافر عن الفرغانى المؤرخ الذى عاصر الاخشيديين ولم تصل إلينا كتبه . قال ابن ظافر « ولما توفى علي بن الاخشيد استشار كافور فيما يصنع . قال الفرغانى المؤرخ : لما توفى علي استدعانى كافور وقال لى : ان لك علينا حرمة وبيننا معرفة وأنت مسكون إلى نصيحتك ومشهور عندنا بصحة عقيدتك فأتى أن أصنع فقلت له : أيها الأستاذ ان للمرحوم عندك صنائع وأياد تقتضى أن تنظر لعقبه والرأى عندى أن تنصب أحمد بن الأمير على مكان أبيه وتدبر أنت الدولة كما كنت فقال : كيف يمكننى نصب صغير ؟ فقلت : قد كان المرحوم عقد العهد لولده علي ولم يكن له من السن ما لأحمد .

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٧

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٦

فقال لى : تنظر فى ذلك . وانصرفت عنه فبلغنى أنه قال بعدى : أبو محمد ممن لا يشك فى ولائه ولكنه يميل إلى الفرغانية . ثم لم يقبل ما أشار إليه الفرغانى بل وثب على الرياسة وانتزى واتسمى إليها واعتدى وأنزل اسم مواليه عن المنابر وأقام كذلك إلى أن توفى يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٧^(١) وليس فى هذا النص أى إشارة إلى تقليد من الخليفة .

والمقرئزى أول المؤرخين المصريين الذين يشيرون إلى تقليد الخليفة ، غير أنه يفعل ذلك فى صيغة غريبة فيقول ان كافورا « أخرج كتابا من الخليفة المطيع بتقليده بعد على بن الاخشيد^(٢) »

أما أبو المحاسن فقد لخص الأمر بقوله : « ثم مات على أيضا سنة ٣٥٥ واستقل كافور بالأمر وخطب له^(٣) . » وكتب السيوطى « فمات أونوجور وقام بعده أخوه على فاستمر إلى أن مات سنة خمس وخمسين فاستقرت المملكة باسم كافور يدعى له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية والحجاز^(٤) . »

ومن الطريف أن من بين المؤرخين المصريين من لا يحفل بولاية أونوجور وأخيه على ومنهم ابن أياس فإنه يقول : « ولما مات الأمير أبو بكر تولى من بعده خادمه أبو المسك كافور الاخشيدى^(٥) . »

أما مؤرخو الخلافة عامة فعلى رأسهم ابن الأثير . وقد أشار فى حوادث سنة ٣٤٩ إلى مصر فقال : « وفيها فى آخرها مات أونوجور بن الاخشيد صاحب مصر وتقلد أخوه على مكانه^(٦) . » ولكنه لم يشر بعد ذلك إلى موت على وتولية كافور وإن يكن قد سُمى كافورا « صاحب مصر » عندما تحدث عن الغزو الفاطمى . وقد نسج على منوال ابن الأثير سائر المؤرخين الذين كتبوا فى تاريخ الخلافة عامة .

(١) جمال الدين بن ظافر الأزدي فى Wüstenfeld : Die Statthalter p. 59.

(٢) المقرئزى : الخطط ج ٢ ص ٢٧

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢

(٥) ابن أياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٣

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٩٢

وكتب ابن خالكان^(١) : « إلى أن توفي على . . . ثم استقل كافور بالملكمة من هذا التاريخ وأشير عليه باقامة الدعوة لولد أبي الحسن علي بن الاخشيد فاحتج بصغر سنه وركب بالمطارد^(٢) وأظهر خلعا جاعته من العراق وكتابا بتسكينته » .

وأشار أبو الفدا^(٣) إلى موت علي بن الاخشيد وتولية كافور بقوله : « فتوفي علي بن الاخشيد المذكور وهو صغير في سنة ٣٥٥ فاستقل كافور بالملكمة من هذا التاريخ » .

وهكذا يبدو لنا أن كافورا لم يسمح بذكر اسم أحمد بن علي بن الاخشيد في الخطبة وأنه استقل بمصر ولكنه كان يشعر بأنه غريب عن أسرة الاخشيد . ولعله كان يشعر بما نكاد نصل إليه من النصوص وهو أنه وسط بين الأمير والوصى على العرش . فهو مستقل بحكم البلاد ، ولكنه غريب عن شعبها وأسرته الحاكمة . وهو مطلق التصرف في أمورها ، ولكن ذلك ليس جديدا عليه فقد كان له هذا السلطان منذ وفاة الاخشيد . وهو أمير على البلاد ، ولكنه يؤثر الاحتفاظ بلقب « الاستاذ » حتى لا يصدم أهل الرأى في البلد باغتصاب الألقاب إلى جانب اغتصابه السلطان . وليس بعيد أنه كان لا يعترض على ذكر اسم احمد بن علي بن الاخشيد ، متى بلغ سن الرشد وطالب بعرش أبيه وجده .

وبعد وفاة كافور سنة ٣٥٧ هـ اجتمع كبار القواد والموظفين وأولو الأمر في مصر وعقدوا الولاية لأحمد بن علي الاخشيد وكان صبيا في الحادية عشرة من عمره^(٤) ولم يخرج على هذا الاجماع سوى الحسن بن عبيد الله بن طنج الذي أخذ البيعة لنفسه واستولى على ما كان لكافور من أموال في الرملة^(٥) .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٥

(٢) المطارد جمع مطرد . وهي ضرب من الأعلام والبنود . أنظر Dôzy : Supplément aux Dictionnaires Arabes 11. p. 34.

(٣) المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١١٣

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩

(٥) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٧

ودعى لاحمد بن على الاخشيد على منابر مصر والشام والحرمين ثم من بعده للحسن ابن عبيد الله بن طنجج إما بوصفه وصيا عليه أو بوصفه خليفة له ^(١) . ثم قدم الحسن بن عبيد الله منهزماً من القرامطة في الشام وتولى بنفسه تدبير الأمور في مصر نحو ثلاثة أشهر .

ولسنا نعرف تماماً هل جاء من الخليفة تقليد لأحمد بن على الاخشيد على ولاية مصر والشام والحرمين أو سبق الغزو الفاطمي ورود هذا الاعتراف من الحكومة المركزية أو النظر فيه . فالواقع أن المراجع التاريخية لا تشير الى هذا الاعتراف بشيء . ومهما يكن من الأمر فإن دخول جوهر الصقلي مصر في شعبان سنة ٣٥٨ هـ وضع حداً لسلطان الدولة الاخشيدية ولسلطان الخلافة على مصر .

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق والمقريزي : الخطط ج ١ ص ٣٣٠

(٤)

العلاقة المالية بين مصر والخلافة في العصر الاخشيدى

كانت الحكومة المركزية في بغداد تتبع في ضرائب مصر والشام على عهد الاخشيديين نظام التضمين أو الالتزام . ولم يكن هذا النظام جديدا على مصر الاسلامية ، فقد عرفته منذ بداية العصر العباسى حين « بعث أبو جعفر (المنصور) الى نوفل بن الفرات ^(١) أن اعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج مصر ، فإن ضمنه فأشهد عليه وإن أبى فاعمل على الخراج . فمرض عليه ذلك فأبى » ^(٢) وإذا كان ابن الأشعث قد رفض أن يلزم بدفع مبلغ معين على خراج مصر كله فما ذلك إلا لحشيته أن يعجز عن الوفاء بهذا المبلغ لاضطراب الحالة الاقتصادية في البلاد وصعوبة جمع الضرائب فيها وحاجة الوالى إلى كثير من المال للاتفاق على الادارة والجنود ^(٣) .

وكان الولاة العباسيون في مصر أو عمال الخراج فيها يتعهدون كتابة بدفع مبالغ معينة الى بيت مال الخلافة العباسية ولكنهم كانوا في كثير من الأحيان لا يدفعون كل ما تمهدوا بدفعه وذلك بحجة الاتفاق على الجند الذين كانت الحكومة المركزية ترسلهم الى مصر لقمع الثورات واقرار الأمن ^(٤) .

وكان الماذرائيون في عصر الولاة العباسيين بين الدولتين الطولونية والاخشيديية يلتمزون خراج مصر والشام . ويبدو أنهم كانوا يدفعون سنويا مبالغ تختلف بحسب

(١) لما عزل موسى بن كعب عن ولاية مصر ، صلاتها وخراجها ، استخلف على الخراج نوفل بن الفرات هذا . ثم قدم إلى مصر سنة ١٤١ هـ الولى الجديد محمد بن الأشعث على الصلاة والخراج أيضا واسكن الخليفة المنصور رأى أن يعفيه من ولاية الخراج إذا لم يقبل ضمانه .
(٢) الولاة والفضاة ص ١٠٩ والمقرزى : الحطاط ج ١ ص ٣٠٦ وأبو الهاسن : النجوم

الزاهرة ج ١ ص ٣٤٦

(٣) وازن Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 243-244.

(٤) المرجع نفسه ص ٢٤٤

السنين وتراوح بين مليون وسبعمائة ألف دينار بعد النفقة على الجيش وما تحتاجه الإدارة^(١).

والمعروف أن الخلافة العباسية كان لها بيت المال العام وبيت مال الخاصة وأن الأول كانت تؤخذ منه العطايا ونفقات دار الخلافة^(٢)، أما الثاني فكان الخليفة ينفق منه على موسم الحج وعلى الغزوات إلى حدود الدولة البيزنطية وعلى فداء أسرى المسلمين وعلى القيام بنفقات الرسل الواردين^(٣). وكانت الضرائب التي تجمع من مصر والشام يسير بعضها إلى بيت المال العام، كأموال الخراج العام، كما كان بعضها الآخر يؤول إلى بيت مال الخاصة كجزية أهل الذمة^(٤).

وظهر على مسرح السياسة العباسية في مصر قبيل قيام الاخشيد عامل جديد، هو الفضل بن جعفر بن الفرات، وكان الفضل وزيراً للمقتدر ثم اختفى بعد مقتل هذا الخليفة. ولكنّه عاد إلى السياسة وآثر البعد عن الخلافة في وظيفة يستطيع أن يظهر فيها مهارته واستقلاله، فكلف سنة ٣٢٢هـ (٩٣٤م) بالتفتيش على مصر والشام وجباية ضرائبها. وظل يقوم بذلك حتى توفي واستطاع التوثيق بين سلطان الخلافة وميول الاخشيد إلى الاستقلال. وكان له مطلق التصرف ولا سيما فيما يتعلق بجباية الضرائب في مصر^(٥).

وقد مر بنا أن قسطنطين كبريا من الفضل في تولية ابن طنج مصر يرجع إلى الفضل ابن الفرات هذا، وعرفنا أنه قدم إلى مصر سنة ٣٢٤هـ (٩٣٦م) بحمل إلى محمد بن طنج تقليد الولاية من الخليفة الراضي^(٦).

- (١) هلال الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٢٩٠ ومسكويه: تجارب الأمم ج ١ ص ١٠٦ — ١٠٨ وج ٥ ص ١١٤ — ١١٦
- (٢) هلال الصابي: المرجع السابق ص ١٠ وما يليها
- (٣) المرجع نفسه ص ٢٢
- (٤) متز: الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٢٠٤ نقلا عن ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم ص ١٩٦ ب (وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية ببرلين).
- (٥) ابن سعيد: المغرب ص ١١ و ص ١٥ — ١٨ و ١٦٢ — ١٦٤
- (٦) الكندي: الولاة والقضاة ص ٢٨٧ — ٢٨٨، ابن سعيد: المغرب ص ٣٤، المقرئ: الخط ج ١ ص ٣٢٩

وفي هذه السنة كتب الاخشيدي إلى الخليفة الراضى يخبره بما ادخره من المال هو والفضل بن جعفر فجاء رسول الراضى إلى مصر بالحلمع والطوق والسوارين^(١). ونحن نعلم أن الاخشيدي كان قد زوج ابنته لجعفر بن الفضل، ويظهر أن العلاقة الوطيدة استمرت بين الرجلين ويشهد بذلك ما ذكره ابن زولاق^(٢) من أن محمد بن طنج كان يخرج بنفسه على رأس علية القوم في مصر لوداع هذا الوزير إذا ما غادر البلاد أو لاستقباله إذا ما عاد إليها.

وفي بداية سنة ٣٢٦ هـ أرسل الخليفة الراضى إلى الفضل بن جعفر يستدعيه لتولى مهام الوزارة في بغداد وسار ابن طنج لتوديعه هو ووجوه أهل مصر. ولم يكف الفضل يصل إلى الرقة حتى لقيته خلع الوزارة ودخل بغداد وأخذ يعمل على تدبير الأمور فيها. ولكن التوفيق لم يكن حليفه في هذا العمل الذى كانت تحف به الدسائس فاستأذن الخليفة في العودة إلى مصر والشام للإشراف على مواردها كما كان من قبل. وأذن له الخليفة بذلك، فسار الفضل إلى مصر ولكن المنية عاجلته فتوفى بالرملة في ٨ من جمادى الأولى سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م)^(٣).

ومما يؤسف له أشد الأسف أن المراجع التاريخية لم تذكر شيئاً عن المال الذى كانت مصر ترسله إلى الحكومة المركزية في العراق طوال العصر الاخشيدي. والراجح عندنا أن هذا المال لم يكن معيناً ولم يرسل بانتظام وإنما كان قدره وموعد ارساله يتوقفان على الحالة الاقتصادية والحربية في مصر.

وقد ذكر ابن سعيد والمقرئى أن خراج مصر بلغ في أيام الاخشيدي ألف دينار فضلاً عن ايراد ضياعه الخاصة^(٤). ونقل ابن اياس عن ابن وصيف شاه أن خراج مصر أيام هذا الأمير بلغ ألف ألف دينار^(٥). ووصلت إلينا بيانات أخرى عن مالية البلاد

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٦ و ١٨ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٤ ، ومما يستحق الذكر أن في دار الآثار العربية بالقاهرة وفي متحف بناكى بأثينا وفي مجموعة تانوا بالقاهرة قطع نسيج باسم هذا الوزير ، راجع Combe .

• Sauvaget et Wiet : Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. IV, pp. 46-18

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٣٦ والمقرئى : الحطط ج ١ ص ٩٩

(٥) ابن اياس : نشق الأزهار في عجائب الأمصار ص ٣٧

في العصر الاخشيدى . ولكننا لا نعرف النسبة التي كانت تدفع إلى بيت مال الخلافة من هذا الحراج .

بيد أننا نعرف وجوها أخرى كان الاخشيدون ينفقون فيها الأموال مشاركة للحكومة المركزية وتعاوناً معها أو ابتغاء مرضاة رجالها . ومن ذلك أن الاخشيديين اشتركوا مع الحكومة المركزية في دفع النفقات اللازمة لفداء الأسرى المسلمين ، وأول فداء اشترك فيه محمد بن طنج كان سنة ٣٢٦ هـ وقام به ابن ورقاء الشيباني من قبل الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات المشرف على شئون مصر المالية في ذلك الوقت . واشترك في هذا الفداء بشرى الثملى أمير الثغور الشامية . ويقال ان عدد المسلمين الذين شملهم هذا الفداء ستة آلاف .

وبدأ محمد بن طنج فداءً آخر تم في سنة ٣٣٥ هـ ^(١) ، ولكنه مرض وتوفي قبل إتمامه فدفع كافور الاخشيدى ثلاثين ألف دينار من مال الفداء إلى رسول ملك الروم ومعه أمير الثغور ثم كاتب الأخير سيف الدولة بن حمدان ليأخذ على عاقبة آتمام هذا الفداء ففعل ^(٢) .

وحدث فداء ثالث في عصر الدولة الاخشيدية اشترك فيه أبو بكر محمد بن على الماذرائى وأشار المقرئى إلى ذلك بقوله : « وخرج (الماذرائى) في سنة ٣٤٣ إلى ثغر الاسكندرية بسبب الفداء في جمع كبير ومعه من الذهب والورق والثياب والطيب والأطعمة ما يجلب وصفه وخرج معه عدة من الاشراف والعلماء والوجوه . وكان يتأدى بالمسلم ويحضره اليه ويسأله عن بلده ثم يكسوه ويطعمه بمفرده ويطيبه ويدفع إليه نفقة ثم يودعه وينصرف ، فلم يزل على هذا حتى فرغ الفدا فكان فداءً مذكوراً لم يقع بعده فداء مثله ^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٨ و ٢٣ والسكندى : الولاة والقضاة ص ٥٦٨

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٦٣ — ١٦٥ والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٩٢

(٣) المقرئى : المغنى ص ١٢٦ — ١٢٧ (في رسالة جوتشك عن الماذرائيين) .

وكان للأمراء الاخشيديين ممثلون في بغداد يسرون على شؤونهم ويراقبون ما يجري في دار الخلافة ويعملون على أن يستميلوا إلى الاخشيديين من يستطيعون التأثير عليه بمختلف الوسائل من أولى الأمر . فكان أبو الحسين بن العجمي يمثل محمد بن طنجح في بغداد وينوب عنه . ومن مظاهر نشاطه أن الوزير العباسي أبا علي محمد بن مقله احتاج بعد صرفه عن الوزارة إلى بعض المال فكلم أبا الحسين بن العجمي كي ينقل ذلك إلى الاخشيد ، وأعطاه أبو الحسين ألف دينار كانت معه وكتب إلى الاخشيد يخبره بحاجة ابن مقله فأرسل الاخشيد ثلاثين ألف دينار أخذ منها ابن مقله ثمانية وعشرين ألفا وترك ألفين لأبي الحسين بن العجمي نائب الاخشيد ، وبعث ابن مقله بكتاب شكر إلى الاخشيد ^(١) .

وطبيعي جدا أن يكون للاخشيد وكيل في بغداد ، وقد سبقه إلى ذلك أحمد بن طولون فكان له وكلاء في سامرا وكانوا يقدمون مثل هذه المساعدة المالية لنقر من كبار رجال الدولة ^(٢) . والواقع أن الاخشيد كان يتشبه بان طولون وكان يقصده — كما مر بنا — أمراء بغداد وقوادها وكتابها وأبناء وزرائها وكان ينفق عليهم بسخاء ^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٢

(٢) Ibn Said—Vollers : Fragmente aus dem Mughrib pp. 27-29, Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 104-105.

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٣٩

الباب الرابع

الأمراء والبللاط

الأمرء والبـلاط

(١)

محمد بن طعج الاخشيد

عرفنا أن محمد بن طعج الاخشيد ولد ببغداد سنة ٢٦٨ هـ (٨٨٢ م) وتوفي بالشام سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) . وذكرنا أننا لا نعرف عن نشأته شيئا يستحق الذكر . وسواء أكان الاخشيد من بيت ملك أو إمارة أم كان من الجند الذين اهتم لهم الحظ فلا شك في أنه استطاع بما تهيأ له من صفات الزعامة والعبقرية أن يؤسس لنفسه ملكا في مصر . وإذا كان هذا الملك لم يعمر طويلا فذلك لأن قيامه لم يكن صدى لحركة في الرأي العام أو خلاف في العقيدة الدينية أو المبادئ الاجتماعية السائدة في الدولة العباسية ، وإنما كان بفضل الجهود الشخصية التي بذلها الاخشيد وشق بها طريقه في الفوضى التي كانت تسود الامبراطورية الاسلامية على عهده .

وتذكر بعض المراجع التاريخية القديمة أن الاخشيد كان أزرق العينين عظيم البطن^(١) وأن شعر مقدم رأسه كان منحسراً^(٢) وأنه كان شديد البطش ذا قوة مفرطة حتى لا يكاد يجرح قوسه غيره^(٣) . وكانت له هيبة عظيمة في قلوب الرعية .

ولكن الاخشيد على الرغم من فرط قوته كان معتل الصحة يعاوده مرض الصرع وتنتابه السوداء فيلجئه ذلك إلى الراحة وطلب العلاج أياما^(٤) . ولعل اعتلال صحته

(١) « أزرق بطينا » ابن سميذ : المغرب ص ٣٩

(٢) ابن زولاق : أخبار سيويه المصري ص ٢٨

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٥٥ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٦

(٤) ابن سميذ : المغرب ص ٢٥ و ٢٧

وضعف أعصابه هما اللذان كانا يحملانه على الحرص على الهدوء والبعد عن كل حلبة أو ضوضاء ، كما كانا يبعثان فيه ثورات شديدة من الغضب إذا حدث ما يعكر عليه صفو الهدوء أو يخرج عن حدود الوقار والالتزان . ومما يروى في هذا الصدد أن القاضي الشافعي أبا بكر بن الحداد والقاضي المالكي أبا الذكر محمد والقاضي عبد الله بن وليد تنازعا يوماً في مجلس الأخشيد وحدث بينهم لفظ كثير فلما انصرفوا قال الأخشيد يجرى هذا في مجلسي أكدت والله أن أمر بأخذ عمائمهم^(١) .

ويروي بعض المؤرخين أن الأخشيد « كان ملكاً حازماً كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته حسن التدبير »^(٢) وأنه كان شجاعاً مقداماً عارفاً بالحروب^(٣) . ويروي آخرون « أنه كان جباناً وكان له ثمانية آلاف مملوك يحرسه في كل ليلة ألفان منهم ويوكل بجانب خيمته الخدم إذا سافر ثم لا يثق حتى يمضي إلى خيم الفراشين فينام فيها »^(٤) وحدث ذات مرة أن شاور الأخشيد محمد بن عبد الرحمن الروذباري^(٥) في شأن ابن رائق ثم خالف رأيه فقال له الروذباري : « فيك أيها الأخشيد خلتان مذمومتان البخل والحين ، وما يتم لك معهما شيء إلا بالاقبال »^(٦) .

والواقع أننا لا نستطيع أن نطمئن إلى وصف الأخشيد بالشجاعة الزائدة أو الجبن المذموم . فقد كان بعيد النظر حسن السياسة يصطنع الذين عند اللزوم ويدارى أعداءه إذا لم يستطع التغلب عليهم ويتألف قلوبهم إذا انتصر عليهم انتصاراً غير حاسم وخشى أن يستعيدوا قوتهم ويصبحوا خطراً عليه . وحسبنا دليلاً على ذلك ما وقع بينه وبين ابن رائق وسيف الدولة والفاطميين وبعض الوزراء العباسيين ، فضلاً عن موقفه

(١) المرجع نفسه ص ٣١ ، وازن السكندی : الولاة والقبضة ص ٥٦٦

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٦

(٤) المرجع نفسه وابن خلكان ، المرجع السابق .

(٥) كان ينوب عن الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات في أعماله بمصر أنظر ابن سميذ :

المغرب ص ٢٤

(٦) ابن سميذ : المغرب ص ٢٥

من بعض الذين كانوا يحمدون عليه أو يكرهونه كابن تكيين والماذرائي^(١). أما نخل
 الاخشيد فقد اشتهر وكان موضع الحديث والنقد عند معاصريه . وقد أشار ابن زولاق
 إلى ذلك في فاتحة كتابه عن ابن طنج حين ذكر أنه قرأ سيرة الاخشيد التي كتبها
 محمد بن موسى بن المسأمون الهاشمي لهذا الأمير في آخر أيامه فوجد أنها أقرب إلى الذم
 منها إلى المدح « لأنه ذكر نفقاته واقتصاده وأخلاقه ومحبته للعلم والمكافأة وقال في أوله :
 ذكر ما في كتاب الله من الدلالة على فضل الاخشيد . قال الله تعالى (والذين إذا أنفقوا
 لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)^(٢) ، فنشر في الناس بنخل الاخشيد ،
 ثم انتزع آيات من القرآن في الحلم والصفح والعفو ثم قال وهذه صفاته فوصفه بالخبين
 والهلج ، فهذا جميع معنى الكتاب »^(٣) .

والحق أن الاخشيد كان جشعاً محبباً للمال إلى أبعد الحدود . وتروى المراجع
 التاريخية في هذا الصدد قصصاً مختلفة . ومن بعضها ما رواه أبو القاسم سعيد بن فأخر
 المعروف بقاضى البقر ، وكان من شعراء خوارويه وقارب التسعين ، وكان بيت
 عند الاخشيد يحادثه ويسامره وكان مليح الحديث محبباً للتندر بيخل الإخشيد وإسماكه
 والتهمك بالموازنة بينه وبين البرامكة^(٤) .

ومما يروى عن جشع الاخشيد وحبه للمال أنه لما عاد إلى مصر بعد فراغه
 من قتال ابن رائق دعاه محمد بن على الماذرائي مع حاشيته ورؤساء جنده إلى مأدبة
 كبيرة أقامها تكريماً لهم وجمع لها المغنين والمغنيات وأحضر لها مائد وطاب من الطعام
 والشراب فضلاً عن العطر والطيب ونصب فيها بين يدي الاخشيد التماثيل من الكافور
 والعنبر ، فأظهر الاخشيد سروره بهذا كله وأراد الماذرائي أن يزيد الحفلة بهاء فحمل
 إلى الاخشيد صينيتين كبيرتين إحداها مملوءة بالدنانير والأخرى بالدراهم لينثر هذا المال

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٢

(٢) قرآن كريم ، سورة الفرقان آية ٦٧

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤

(٤) المرجع نفسه ص ٣٣ — ٣٤

بين الحاضرين ، ولكن الأخشيد أخذ صينية الدنانير واكتفى بنثر الدراهم . ولما انصرف أرسل الماذرائي خلفه كل ما كان في الحفلة من فرش وآنية ، وحمل هذا كله على فرسين بسرج ولجام من ذهب ^(١) .

ومن القصص التي تروى للدلالة على جشع الاخشيد أن صدقة بن الحسن رئيس دار الضرب حضر مرة إلى مجلس هذا الأمير ومعه دنانير وسبيكة وأحضر السبا كدين ليقوموا عيار الدنانير بحضرة الاخشيد وأوقدوا النار وجاء صدقة بن الحسن بخمسين ديناراً لتسبك بحضرة الأمير فأخذ منها الاخشيد أربعين ديناراً وسبكت الدنانير العشرة الباقية واعتدل العيار وانصرف رئيس دار الضرب واضطر إلى تعويض أصحاب الدنانير التي أخذها الاخشيد ^(٢) .

وروى مزاحم بن محمد بن رائق أنه دخل على الاخشيد ذات يوم لابسا فرواً ثميناً فأعجب الاخشيد بالفرو وقال انه لم ير مثله قط وكان مزاحم يحب هذا الفرو فضلاً عن أنه كان زوج ابنة الاخشيد فلم تسمح نفسه بأن ينزعه لتقدمه الى الأمير . ولكنه لما انصرف من مجلس الاخشيد اعترضه فأتاك مولى الأمير ومعه نقر من رجاله وأوهموه أن الاخشيد يريد أن يخلع عليه واقضى ذلك أن يخلع الفرو فطووه ومضوا به وظل مزاحم ينتظر خلع الأمير فقبل له أنه قد نام وأن من الخير أن يعود اليه في المساء فطالبهم بالفرو فأنكروا أنهم أخذوه . ولما عاد مزاحم ودخل الأمير وجد عليه الفرو وضحك الاخشيد وقال : « كيف رأيت ؟ ما أصفق وجهك ، ولستكنك ابن أبيك ؟ وكم عرضت لك وأنت لا تستحي فلم تفعل حتى أخذناه بلا شكر ولا منة ^(٣) » .

وكانت الهدايا تأتي الى الاخشيد في الأعياد والمناسبات المختلفة وقد عرف عنه أنه كأبيه طفح يحب الطيب ولا سيما العنبر فكان الناس يقبلون على تقديم هداياهم اليه من العنبر ، ولكن جشع الأخشيد وحبه للمال أهدها إلى طريقة للافادة من ذلك فكان

(١) ابن سعيد المغرب ص ٢٩

(٢) المرجع نفسه ص ٣١

(٣) المرجع نفسه ص ٣٤

إذا جاءت مواسم الاهداء يبيح الى التجار ما في خزائنه من العنبر فيشتريه الذين يهدونه اليه ، وهكذا كان الاخشيدي يكرر هذا العمل ويجمع في كل مرة مبالغ وافرة من المال^(١) .

ومن مظاهر جشع الاخشيدي ما استلته من مصادرة الاموال الطائلة من كبار الموظفين والاثرياء . وسوف نعود الى تفصيل الكلام على سياسته في الاقبال على اغتصاب الاموال . وحسبنا أن نشير الآن الى ما عرف عن هذا الامير من الحياء واللين في كل هذه المصادرة ، فإنه كان يحرص على ألا يُعذب أحد ممن يأمر بمصادرة أموالهم ويوصى بالألا يضيق على أحد أو يساء إليه بسببها . كما كان يتجنب أن يلتقي أحدا منهم إلا بعد تمام المصادرة . وكثيراً ما كان يصطفهم بعد ذلك ويقربهم إليه^(٢) .

وكان الاخشيدي تقياً ، ومن نوادره في هذا الصدر أنه أظطر ليلة تسع وعشرين من رمضان في سنة من السنين « ولحقه كسل عن حضور الحتم فقالت له جاريته : تأخر وأنا أعتق عنك غدا عشرة رقاب ، فقال عشرة رقاب ، ويحك لعله يكون في هذه الليلة رجل صالح له عند الله منزلة فيقول في دعائه اللهم اغفر لجماعتنا ، فعسى أن أدخل بهم^(٣) » ثم ركب إلى الجامع العتيق فحضر الصلاة والحتم .

ويروى أن الاخشيدي كان يسير في أحد شوارع الرملة فصاحت به امرأة من فوق سطح : قف على بوقوفك بين يدي الله ، فرفع وجهه ونزل عن دابته واستدعى المرأة وسألها عن خطبها فأشكتك من أن ابنتها الفتى قد أخذوه منها فأمر الأمير باحضاره وأعطى المرأة صرة فيها مائة دينار وقال « خذي ابنتك وهذه الصرة فعسى الله أن يرحم ذل موقفي بين يديه^(٤) » .

ومما يروى عن تقوى الاخشيدي أن رجلا من أهل العراق صعد فوق زمزم وصاح « معاشر الناس ، أنا رجل غريب ورأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٥ — ٣٦

(٢) المرجع نفسه ص ٣٧

(٣) المرجع نفسه ص ٣٩

(٤) المرجع نفسه .

وهو يقول لى سر إلى مصر والى محمد بن طنج وقل له عنى يطلق محمد بن على الماذرائى ،
 فقد أضر بولدى . وسافر الرجل مع القافلة إلى مصر وبلغ الاخشيد خبره فاستدعاه
 وسأله عما رآه ثم سأله عما أنفق فى مسيره إلى مصر فقال مائة دينار . فقال الاخشيد :
 هذه مائة دينار من عندى وعد إلى مكة ونم فى الموضع الذى رأيت فيه رسول الله
 (صلى الله عليه وسلم) فإذا رأيت فقل لرسول الله أنك بلغتنى رسالته وأنى أحببت بأن لى على الماذرائى
 كذا وكذا من الأموال وسوف أطلق سراحه إذا دفعها لى . فقال العراقى : ليس فى ذكر
 رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هزل . وأنا أخرج إلى المدينة وأنفق من مالى وأسير إلى رسول
 الله صلى الله عليه وعلى آله وأقف بين يديه يقظان بغير منام وأقول له يارسول الله أدت
 رسالتك إلى محمد بن طنج فقال لى كذا وكذا . وقام الرجل لينصرف فأمسكه الاخشيد ،
 والظاهر أنه سر من إجابته واقتنع بأنه ليس نصابا وليس من أنصار الماذرائيين فقال له :
 إنما ظننا بك ظنا والآن فما تبرح حتى أطلقه ، وأمر الاخشيد باطلاق الماذرائى «^(١) .

وكان الاخشيد يحب الصالحين ويركب اليهم ويتقبل دعاهم ويتبرك بحديثهم .
 ومن الأولياء الصالحين الذين اتصل بهم رجل فى القرافة عرف باسم ابن المسيب وآخر
 اسمه أبو سليمان بن يونس^(٢) .

وكان الاخشيد لا يتأخر عن صلاة الجمعة فى الجامع العتيق فى رجب وشعبان
 ورمضان كما اعتاد أن يركب ليلة الختم إلى الجامع ليحضر الختم والدعاء^(٣) . وكان يحب
 قراءة القرآن ويكسى عند سماعها^(٤) .

والراجح أن الدوافع الدينية هى التى دفعت الاخشيد إلى أن يأمر فى وقت من الأوقات
 بهدم المواخير ودور القمار والقبض على من فيها من المقاصرين . ويروى فى هذه المناسبة
 أن جماعة منهم أخذوا فأدخلوا على الاخشيد وعرضوا عليه فرأى بينهم شيخا وقورا

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٥

(٢) المرجع نفسه ص ٣٤ — ٣٥

(٣) المرجع نفسه ص ٣٥

(٤) المرجع نفسه ص ٣٧

فسأل : هل هذا الشيخ مقامر ؟ فقيل له انه المظمع « وهو سبب عمارة دار القهار وذلك أن الواحد إذا قرر مامعه قال له فالعب على ردائك فالعك تغلب فاذا ذهب قال له العب على قيصك حتى تغلب » وهكذا كان يحثه على المقامرة بكل شيء حتى يبلغ إلى نعليه بل إلى الاقتراض له . وكان لهذا الشيخ أجر يأخذه كل يوم من صاحب دار القهار . فضحك الاخشيد وقال ياشيخ تب إلى الله وحده من هذا فتاب وأمر له الاخشيد بثوب ورداء وألف درهم وراتب شهرى قدره عشرة دنانير ، وانصرف الشيخ شاكرًا فقال الاخشيد ردوه وخذوا ما أعطيناها وابطحوه فضربه مائة عصا ثم قال : خاوه أين هذا من تطيعك^(١) ؟ !

والواقع أن الاخشيد كان يجمع بين الاضداد في صفاته فكان في بعض الأحيان مكيا فيليبيا لا يقف عند شيء في سبيل الوصول إلى أهدافه ، ومما يشهد بذلك ما وقع له أثناء نيابته عن أبيه في حكم طبرية . فقد كان في هذه المدينة حينذاك رجل من علية القوم بنسبه وثروته : هو أبو الطيب العلوى محمد بن حمزة بن عبيد الله بن العباس بن الحسن ، وكان الجميع يبجلونه ويلتفون حوله . فكتب الاخشيد إلى أبيه طنج يذكرك له أنه ليس له أمر ولا نهي مع أبي الطيب العلوى فكتب إليه أبوه « أعز نفسك » فأنقض محمد بن طنج على أبي الطيب ذات ليلة وهو في بستان له فقتله^(٢) .

ولكن الاخشيد كان يعرف في كثير من الأحيان كيف يلين أو بصطنع اللين حتى لا يكسر أو يتعرض سلطانه وهيئته لامتحان قد لا يكون النجاح حليفه فيه . ومما يروى في هذا الصدد أن الاخشيد كان يطلب سهل بن محمد الكاتب البغدادي لحاسبته على أمور نسبت إليه ، فأخفى سهل وكشف الاخشيد أنه عند أبي ابراهيم الرسى العلوى فأرسل إليه فخرج الرسى وطرده رسل الأمير فقلوا اليه ما حدث ، فأرسل قائدا من قواده على رأس مائة فارس وأمره بأن يكسر دار أبي ابراهيم الرسى وأن يقبض على سهل الكاتب . واعتصم الرسى في بيته ولبس الدرع وتقدد السيف ونادى بالقائد الاخشيدى متحديا .

(١) ابن سعيدي : المغرب ص ٣٠

(٢) المرجع نفسه ص ٦

« تقدم ا فوالله لا طمعت في الدخول أو أقتل ا » وعلم الاخشيد بذلك فسحب قائده وجنوده ثم استدعى أبا ابراهيم الرسى فلما دخل عليه قال الاخشيد : يا أبا ابراهيم الحرب ؟ قال : نعم ، فقال الاخشيد فبحق عليك هل سهل بن محمد عندك ؟ قال : نعم . فقال الاخشيد : فهو آمن وهذا خاتمي وأمانى والساعة ازدادت رغبتى فيك يا شريف . قم واحضر سهلا آمنا ^(١) .

« وكان رسم الاخشيد ألا يتعرض للحرم » ^(٢) فكان يتعفف عن اضهاد النساء أو اتخاذهن وسيلة للانتقام من رجالهن أو سبيلا للوصول الى الأموال التي يريد مصادرتها ، وكان يرفض أى عرض من أعوانه فيه خروج على هذا المبدأ النبيل .

ويبدو أن هذه المتناقضات فى أخلاق الاخشيد ، وان بخله وحبه للمال وما سزاه من اضطراب الحالة الاقتصادية على عهده واهمال كثير من المرافق العامة ، كل ذلك أدى إلى أن الاخشيد لم يكن محبوبا من الرعية . ومن صدق هذا البعد عن قلوب الشعب تلك الاسطورة التي نقلها ابو الفدا ، وخلصتها أن الاخشيد قبل سفره فى آخر رحلة له إلى الشام وجد بداره رقعة مكتوبا عليها « قدرتم فأسأتم ، وملكتم فبختم ، ووسع عليكم فضيقتم ، وأدرت لكم الأرزاق فننظم أرزاق العباد . واغترتم بصفو أيامكم ولم تفكروا فى عواقبكم . واشتغتم بالشهوات واغتنم اللذات ، وتهاوتم بمسهم الاسحار وهن صائبات ، ولا سيما إن خرجت من قلوب قرحتموها ، وأكباد أجمعتموها ، وأجساد أعربتموها ، ولو تألمتم فى هذا حق التأمل لا تنبتم . أو ما علمتم أن الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل إليها الجاهل ، ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقى ؟ فكفى بصحبة ملك يكون فى زوال ملكه فرح للعالم . ومن المحال أن يموت المنتظرون كلهم حتى لا يبقى منهم أحد ويبقى المنتظر به ، افعلوا ما شئتم فإننا صابرون وجوروا فإننا بالله مستجيرون ، وثقوا بقدرتكم وسلطانكم فإننا بالله واثقون ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » ^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٧

(٢) المرجع نفسه ص ١٥

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ص ١٠٠ — ١٠١

وكان الاخشيدي شديد الاعجاب بابن طولون حريصا على التشبه به في بلاطه ومواكبه
وكان الناس يقرنون اسمه باسم هذا الأمير ، بل ان بعض شيوخ المنجمين في مصر
قال ان الاخشيدي دخل إلى مصر بالطالع الذي دخل به احمد بن طولون واتفقا في اليوم
وهو يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان ^(١) .

ومن الأمور التي كان الاخشيدي يقلد فيها ابن طولون أنه كان اذا ذهب
الى صلاة الجمعة في الجامع العتيق أبعده الناس عن المقصورة ^(٢) . وكانت أكثر
صلاة الاخشيدي في جامع ابن طولون إلا في شهور رجب وشعبان ورمضان .
كما كان يتشبه في مواكبه ورسوم بلاطه بابن طولون ومن أمثلة ذلك التأهب
للعرض ليلة عيد الفطر . وقد كتب ابن سعيد في وصف هذا العرض والاعداد له
نصا نقله هنا لما فيه من مصطلحات تستحق التفسير . قال ابن سعيد نقلا عن ابن زولاق :
« ولما كان آخر شهر رمضان ركب الأخشيدي بعد عتمة ^(٣) فحضر ختم الجامع وصلى
وأوتر وهو في وجوه عبيده في دراعة ^(٤) بياض وبين يديه خمسمائة غلام بالدبابيس ^(٥)
والمستوفيات ^(٦) وبين يديه الشمع والمشاعل ، وقيل كان بين يديه مائة فراش بمائة
شمعة . ثم أصبح الناس للعرض وجلس في المنطرة التي على باب دار الامارة وسرت

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٢

(٢) المرجع نفسه ص ٣١ . راجع عن المقصورة ونشأتها ابن دقاق : الاتصارج ٤

ص ٦٨ — ٦٩ و Croswell : Early Muslim Architecture vol. 1 p. 33.

(٣) العتمة الثلث الأول من الليل أو ظلمة الليل مطلقا .

(٤) الدراعة جبة مشقوقة المقدم . أنظر في شرحها حاشية الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة

في السلوك للدهريزي ج ١ ص ٤٥٢

وراجع Dozy : Dictionnaire des Noms des Vêtements pp. 171-181.

(٥) الدبوس عصا من خشب أو حديد في رأسها كالمكرة ، أنظر الفلقشندي : صبح الأعشى

ج ٢ ص ١٣٥

(٦) الراجع أنها ضرب من العصي الخشبية السمكية .

الملك فلكر فلما انفض العساكر ركب غلمانة في أحسن زى بالتجافيف^(١) والجواشن^(٢) إلى الشام .

وكان الاخشيد يخرج لصلاة الجمعة في موكب كبير يصطف الشعب على الجانبين لمشاهدته . وكان فريق من أهل مصر يكره هذه المواكب أو يكره أن ينصرف الناس عن أعمالهم لمشاهدتها^(٣) . وقد الاخشيد أحمد بن طولون فأمر بإقامة حلبة سباق الخيل منذ سنة ٣٢٤ هـ^(٤) .

ويبدو أن الاخشيد شعر بمد وفاة الوزير الفضل بن جعفر ومقتل ابن رائق بأن سلطانه قد توطدت دعائمها فأطمأن باله وزاد مية الى التشبهه ببن طولون وابنه خمارويه وأمر بأن تكون في بلاطه رسوم وتقاليد وقواعد للبروتوكول ، وأن تكون له امتيازات لا يشاركه فيها أحد من كبار رجال دولته . ومن ذلك أن يكون لسرج فرسه حلبة دقيمة وزخارف خاصة لا يشاركه فيها أحد وألا يلبس أحد سواه حبة من الديداج الحلى بخيوط الفضة وألا يكون في عسكره الخاص أى شيخ وأن يصبغ الشيوخ من جنده وحاشيته لحام^(٥) .

ومن الطريف ما رواه الحسن بن جابر كاتب عبيد الله بن طنج عمما وقع في هذا الصدد بين سيده عبيد الله بن طنج وأخيه الاخشيد . قال الحسن بن جابر : « كتب صاحبي عبيد الله الى اخيه الاخشيد من الرملة يستأذنه في المسير اليه لزيارته شوقا اليه فأذن له . فلما قرب دعاني الاخشيد فقال لى : قد قرب أخى أبو الحسين وأنت

(١) جمع تجفاف وهي آلة للحرب يلبسها الفارس ويتق بها كأنها درع ، وترادف كلمة البركستوان أو البركصطوان التي استعملت عند المماليك . راجع زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٥٦ ، وأساس البلاغة للزنجشري مادة «جفف» والعرب للجواليق ص ٩١ و Dozy : Supplément Wiet : Notes d'Épigraphie Syro-Musulmane (dans Syria et aux dictionnaires arabes, t. I p. 200 t. 7) p. 172.

(٢) الجواشن الدروع .

(٣) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ٢٨

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٨

(٥) المرجع نفسه ص ٣٠

عازم على الخروج للقائه فماذا أنت فاعل ؟ « اكسر عزمه وقل له انك ليس تلتقي
محمد بن طفح انما تلتقي أحمد بن طولون » ، وبالله ان لم يترجل لى لأضربن عنقك !
فسرت فلقيته بفاقوس ، فقلت له : الاخشيد خارج يتلقاتك فعلى أى شىء عزمت ؟
قال عبید الله بن طفح : على أى شىء ؟ قلت تترجل له . قال ما يسومنى أخى هذا .
فأخبرته بحديث الاخشيد معى وبأنه هددنى بضرب العنق ان لم يترجل له . فوعد
عبید الله بأن يترجل لأخيه وفعل ذلك عندما أقبل الاخشيد على رأس حرسه الخاص
فأمره الاخشيد بالركوب وزاد فى اكرامه ^(١) .

وقرب الاخشيد اليه نفراً من الطولونيين وأتباعهم فكانوا يؤاكلونه ويسامرونه
ومنهم عدنان بن أحمد بن طولون ^(٢) وابن أخيه قيس بن العباس بن أحمد بن طولون
وسعيد الشاعر المعروف بقاضى البقر ^(٣) . كما كان من أقرب المقربين اليه الشريفان
عبد الله بن طباطبا ^(٤) والحسن بن طاهر بن يحيى وكانا من نقباء العلويين فى مصر .
وكان للاخشيد عدد كبير من المماليك والغلمان والأتباع . وقد وصل اليانا من اسماء
رؤسائهم بدر الكبير وشادن الصقابي ومنجج الصقابي وكافور الأسود وفاتك الرومى
وبشرى وغيرهم ^(٥) .

وكان بلاط الاخشيد مجعاً للعلماء والأدباء ، يصلهم بعطاياهم ويشملهم برعايته
ويستمع إلى أحاديثهم ^(٦) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٨

(٢) كان من العاداء المشتغلين بالحديث وتوفى سنة ٣٢٥ هـ ، أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة

ج ٣ ص ٢٦١

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٤) راجع حاشيتى الأستاذ تلسكوست فى صفحتى ٦٧ و ٨٧ من النص الألمانى فى طبعته

للمغرب لابن سعيد وانظر ما أشار اليه فيها من المراجع العربية .

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٦) ذيل كتاب أخبار سيويه المصرى بتراجم كتبها الناشران ومنها ترجمة للاخشيد (ص ٦٧)

وقد نسب فيها للاخشيد بيتين من الشعر . ولكن الصحيح أن هذين البيتين من شعر أحمد

ابن كيفلغ وقد نسبهما اليه ابن خلكان فى ترجمة ابن طفح (ج ٢ ص ٥٧) .

وكان قصر الاخشيد غنياً بالجوارى ويظهر أن بعضهم كن يشتركن أحياناً في الشئون العامة . ومن ذلك أن سماية القهرماتة تولت فض النزاع بين قاضى مصر عبد الله بن أحمد بن شعيب المعروف بابن وليد وسليمان بن رستم مقدم الشهود (١) .

وكان للاخشيد طبيب خاص ، هو أبو الفرج الباسى ، وكان موضع ثقته ولم تسكن مهمته علاج الأمير فحسب ولسكنه كان يشرف على طعامه إشرافاً دقيقاً فيقدم إليه من ألوان الطعام ما يوافق على تقديمه ويرد ما يرى رده (٢) .

ومن مظاهر الثروة والترف فى بلاط الاخشيد ما جمعه من الخيل الجميلة المدربة والجوارح المهيأة للعديد من مختلف الأنواع « مما لم يكن بين يدي خليفة قط » (٣) .

*
* *

توفى الاخشيد بدمشق فى ذى القعدة سنة ٣٣٤ هـ كما مر بنا فى الباب السابق ، وكان قد حكم مصر والشام نحو إحدى عشرة سنة وبلغ من العمر ستة وستين عاماً . ويبدو أنه قضى السنة الأخيرة من حكمه فى الشام يدبر أمورها بعد أن استقر السلام بينه وبين سيف الدولة (٤) .

ولما مات الاخشيد قامت الفتنة فى دمشق ونهب العامة خزائن الأمير ولسكن الظاهر أن قسماً وافراً من الأموال التى كان يحملها لم تصل إلى أيدي العامة لأن الاخشيد كان يوصى بالأتوضع هذه الأموال فى صناديق ينشدها الثوار واللصوص بل فى أكياس مع الأمتعة لا يتنبه إليها أحد . فلما قامت الفتنة أمر كافور بالقاء هذه الأكياس فى بركة من الماء وظلت فيها حتى سكنت الفتنة (٥) .

وإذا صح ما كتبه ابن سعيد نقلاً عن ابن زولاق فإن هذه الفتنة التى اندلعت نارها بعد وفاة الاخشيد شغلت رجاله عن دفنه ثلاثة أيام . قال ابن سعيد : « فلما سكنت الفتنة .

(١) السكندى : الولاية والقضاة ص ٦٨ هـ

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٦

(٣) المرجع نفسه ص ٤٣

(٤) المرجع نفسه .

(٥) المرجع نفسه ص ٤٤

بعد ثلاث وجد الاخشيد قد انتفخ وأكل الفأر أطراف أصابعه وأكل الذر عينيه^(١)
ففسل صبا^(٢) وطلب له كافور فلم يوجد إلا من السوق مغشوشاً، وطلب له بغل يحمل
تابوته فلم يوجد إلا جمل أعور فعمله عليه الخازن وسار به إلى بيت المقدس . وحدثني
محمد بن المنهال . قال : لقيت تابوت الاخشيد بنواحي طبرية على جبل أعور والذين معه
من السودان يتأذون برجمه وإذا نزلوا بعدوا منه إلى أن وصلوا به إلى بيت المقدس
ودفن هناك^(٣) .

والواقع أن سائر المؤرخين لا يذكرون إلا وفاته في دمشق ونقل جثمانه
إلى بيت المقدس حيث دفن^(٤) ، ولكن ابن زولاق انفرد بذكر ما حل بجثمانه
وما كان في دفنه من مظاهر لا تليق بأمر كبير مثله خلف ملكا وأولاداً وقوادماً
وعبيداً ظلوا مخلصين له إلى النهاية . ولعل هذا كله يدعونا إلى أن نأخذ بشيء كثير
من التحفظ والحذر مارواه ابن زولاق في هذا الصدد . ولو أنه قال ان جثمان
الاخشيد نقل سراً إلى بيت المقدس حيث ووري التراب لأمكن تعليل ذلك بالفتن
التي قامت في دمشق بعد موته وبثورة الشعب واشتغاله بالنهب والسلب قبل أن تقبض
الحكومة على ناصية الأمور . ولكن ليس من السهل أن نوفق بين بقاء جثمان الاخشيد
إلى أن سكنت الفتنة وعجز كافور وأعوانه — بعد أن استقرت الأمور — عن حماية
هذا الجثمان أو نقله بما يليق بالاخشيد من تكريم وما يتفق وجلال الموت . وليس بمستبعد
أن تكون رواية ابن زولاق من الزيادات أو التعديلات التي طرأت على المخطوطة الأولى
من كتابه بعد أن دخل الفاطميون مصر واتصل بهم هذا المؤرخ وعمل على التقرب إليهم .

*
* *

(١) الذر صغار النمل .

(٢) لعله يقصد بصب الماء دون أن يمس جسده .

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٤

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣

ص ١٥٦ والمقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٢٦ — ٢٧

وقد استطاع الاخشيدي أن يجمع من مصادرة أموال الوزراء والأعيان وكبار الموظفين وبغير ذلك من الطرق مبالغ طائلة يمكن أن تتصور مقاديرها مما يذكره المؤرخون عما خلفه هذا الأمير . فقد كتب ابن زولاق أن مما خلفه الاخشيدي سبع مظامير^(١) في كل مطمورة منها مليون دينار، كما خلف من الجواهر ما قيمته مائتا ألف دينار، ومن العنبر ثمانمائة رطل، ومن العبيد ثلاثة آلاف ما بين روم ومولدين وسود، وخلف من الخيل لركابه ألفاً ومائتي فرس سوى دواب غلمانه، وخلف من البغال ثلاثة آلاف، ومن النوق ثلاثة آلاف، ومن المراكب مائة مركب سوى العشاريات^(٢). وكان كل مركب منها يقدر بثلاثة آلاف دينار^(٣). والراجح أن في حديث ابن زولاق شيئاً من المبالغة ولكنه يدل على ما وصل إليه الاخشيدي من ثروة وترف.

(١) المطمورة : الحفيرة في الأرض تحبباً فيها الأشياء أو الاناء تخزن فيه النقود . انظر

Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes.

(٢) العشارى نوع من المراكب كان يسمى في عصر المماليك الحراقة والظاهر من استثناءه في هذا النص أنه كان للملاحة النيلية أو كان صغير الحجم، انظر وصفها في رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر ص ٥٤ (فصل فيما شاهد فيها من غرائب الأبنية والسفن) وراجع القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥١٧ ، ومادة « سفينة » في ملحق دائرة المعارف الاسلامية و

Aly Mohamed Fahmy : Muslim Sea—Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century pp. 150-152.

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٤

(٢)

كافور وأولاد الاخشيد والأمراء الاخشيديون

عرفنا أن الاخشيد عقد قبل وفاته لولده أونوجور^(١) من بعده . وكان أونوجور أكبر أولاده . ولد بدمشق في ٩ من ذى الحجة سنة ٣١٩ هـ (ديسمبر سنة ٩٣١ م) فكان لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره عند ما ولي الحكم . وقد مر بنا في الباب السابق بيان المشاورات التي انتهت بتوليته .

ولسنا نعرف شيئاً يستحق الذكر عن صفاته فقد كان الأمر على عهده بيد كافور إذ « غلب كافور على الأمر وبقى الاسم والدست لأبي القاسم (أونوجور) »^(٢) ولم يتح كافور لأبي القاسم أى فرصة ليظهر مزاياه أو عيوبه في الحكم . وزاد نفوذه حتى أصبح يدعى له على المنابر كلها منذ سنة ٣٤٠ هـ^(٣) . وكان على أونوجور أن يكتفى باتفاق « المنقصات » التي حددتها له كافور وقدرها أربعمائة ألف دينار في العام^(٤) وأن يترك تدبير الأمور لكافور وأعوانه .

وظل الحال كذلك إلى سنة ٣٤٣ هـ حين شعر أونوجور بأنه جاوز سن الرشد وبأن من حقه أن يقبض على أزمة الحكم ويزين له بعض المتصلين به أن يتنكر لكافور وقالوا له : « قد احتوى كافور على الأموال وانفرد بتدبير الحيوش وأخذ أملاك أبيك وأنت معه مقهور »^(٥) فبدأ أونوجور في إظهار سخطه على سير الأمور وظهر الجفاء بينه وبين كافور وترك الحاضرة وانصرف إلى الصيد والبهو في الأقاليم ، ولكن يبدو أنه كان يدبر الخروج إلى الرملة والاستعداد لمناوأة كافور وصرفه عن تدبير الأمور .

(١) كتبت في بعض المراجع القديمة أنونوجور وفي مراجع أخرى أونوجور وقيل إن معناها « محمود » ، أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٥

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢

(٣) المقرئى : الخطاط ج ٢ ص ٢٧

(٤) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٢٩ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٢

واذهب الخلد إلى طائفتين : الكافورية وينصرون كاهورا والاشيدية وينصرون أونوجور .

ونسك والده أونوجور كانت لائق باستناعته السماب على كاهور وكانت تحشى عابه من ينشعه فكثبت إلى ابنا تخوفه من رقبة الفنتة وأعلمت كاهورا بأن ابنا ينوى الرحيل عن مصر فكاتب كاهور إلى أونوجور وصالحه ودام الأمر في شئون اندوتة على حاله وظل كاهور يدبر أمورها لأونوجور إلى أن توفي الأخير في ذى القعدة سنة ٣٤٩ و نقل جثته إلى بيت المقدس حيث دفن إلى جوار أبيه . وبقال انه لم يميت مينة طيبة بل دس كاهور له السم فمات بعد أن ولي حكم مصر نحو أربع عشرة سنة .

ولمسات أونوجور وخلفه في حكم مصر أخوه على بن الاخشيد زاد نفوذ كاهور وهال الأمر الجديد ينقح : اختصاصات التي كانت لأخيه من قبل وقدرها أربعائة ألف دينار في السنة ولا أمر له في شئون الحكم على الرغم من أنه كان عند ولايته الحكم في الثالثة والعشرين من عمره بل ان كاهورا لم يكن يتركة يظهر للشعب أوجنوع يميز ندمائه إلا معه ، يسوون على بن الاخشيد انصرف إلى اللهو والشراب فترة من الزمن ثم تنب عن شرب الخمر ووزم الصلاة وقراءة القرآن

(١) القرظي : الحدا ج ٢ ص ٢٧

(٢) في مجموعة الأرشيدوق رينر في برن وثيقة من أوراق وود ذكرها في ذلين هذه المجموعة تحت عنوان *Die Araber in Aegypten* ، وتتضمن كتابا « من الأمير أبي الحسن عزيز الخاصة الاخشيدية » ، شخص ذكرت أسمائهم تسجل ثلاث ماقبات سنة ٣٣٩ هـ ويشير الدليل إلى أن أبا الحسن هنا هو أبو الحسن شي بن دويج . وقد تفضل الأستاذ جردمان فأطعن على صورة هذه الوثيقة وملاحظاته جيدة . ويبدو أنه يوافق على نسبها إلى علي بن الاخشيد ويذهب إلى أنه كان دخر الخاصة الأمير الاخشيدى . ولكننا لانميل إلى الأخذ بهذا الرأي لأن شي بن الاخشيد كان سنة ٣٣٩ في الثالثة عشرة من عمره وليس من المحتمل أنه كان يشغل مناصب كمنصب دخر الخاصة . والراجح عندنا أن المقصود أمير آخر من أمراء الأسرة الاخشيدية ، ومما يثبت النظر لقب « عزيز » بمعنى أمير أو رئيس . مما يذكر بقاب « عزيز مصر » الذي أطلق على محمد على الكبير . ولكنه لقب قديم لا يلبث وعظم الساجان . أنظر ابن يباس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩ و ٣٢ هـ وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم (سورة يوسف) بمعنى الملك أو الأمير .

ويبدو أن هذا الأمير حاول سنة ٣٥١ هـ أن ينحى كافورا عن تدبير أمور الدولة فلم يفلح لضعف شخصيته وقلة أنصاره بعد أن قويت شوكة كافور وأصبح صاحب الأمر والنهي في كل شيء. وكان من أثر هذه المحاولة أن فسدت العلاقة بينه وبين كافور، واستطاع كافور أن يمنع الناس من الاجتماع بابن الاخشيد، ومات الأخير في شهر المحرم من سنة ٣٥٥ وقيل ان كافورا دس له السم كما فعل مع أخيه من قبل. ثم حمل جثمانه إلى بيت المقدس فدفن إلى جوار أبيه وأخيه (١).

أما الأستاذ (٢) أبو المسك (٣) كافور الاخشيدى فيسمى أحيانا اللابي نسبة إلى إقليم اللاب من بلاد النوبة، ويتبين ذلك في قول المتنبي من قصيدة في هجائه :

كَأَنَّ الْأَسْوَدَ اللَّابِيَّ فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَبُومٌ (٤)

و يسميه ياقوت في معجم البلدان (مادة بُسُت) اللبى الصورى ولكننا لا نعرف سبب هاتين النسبتين .

وكان كافور عبدا أسود بصاصا (٥) خصيا قبيح الشكل بطينا ثقيلا البدن قبيح القدمين مثقوب الشفة السفلى . ولسنا ندرى في أى سنة ولد، ولكن الراجح أن مولده كان في الحبشة أو النوبة بين عامى ٢٩٢ و ٣٠٨ هـ (٩٠٥ و ٩٢٠ م) إذ اختلفت الروايات في تحديده اختلافا كبيرا (٦) .

(١) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٦ والمقرزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩ — ٣٣٠
 وج ٢ ص ٢٧ وأبو الهاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٥ — ٣٢٦
 (٢) كان لقب الأستاذ في بعض الأحيان لقباً للوزراء فكان ابن العميد يلقب به (أنظر
 ميز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٢٧) وكان كافور يلقب به قبل توليته امارة مصر والراجح
 أنه أصبح لقباً له منذ عهد إليه الاخشيد بتريية ولديه .
 (٣) كنية كناه بها الخليفة ؛ المقرزى : الخطط ج ٢ ص ٢٧
 (٤) الرخم طائر يشبه النسر . أنظر ديوان المتنبي ص ٤٢٩
 (٥) بصاص وصف من بس إذا برق ولمع وتلألأ .
 (٦) نقل ابن خاسكان (وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٤٧) عن الفرغانى أن كافورا مات
 سنة ٣٥٧ هـ في الخامسة والستين من عمره فيكون مولده نحو سنة ٢٩٢ هـ وذكر ابن ظافر
 الازدى : Wüstenfeld : Statthalter IV, p. 59. أن كافورا جاب إلى مصر سنة ٣٢٢ وعمره =

ولا ريب في أن ارتفاعه من عبد حقير لا شأن له إلى منصب الامارة في مصر ثم اتصال المتنبئ به ومدحه ثم هجاءه بغير قصائده ، كل ذلك أثار إعجاب المؤرخين المسلمين حتى عدوه من « أعاجيب الدنيا وسيرته من أغرب السير »^(١) وحفزهم إلى أن ينسجوا حول نشأته قصصا مختلفة لسنا نعرف نصيبها من الصحة ولا سيما أن بعضها يذكر « بالاكليشييات » التاريخية التي رواها المؤرخون العرب عن كثير من أبطال التاريخ الاسلامي . ومهما يكن من الأمر فالراجح أن كافورا جلب إلى مصر مع عبيد آخرين من مواطنيه فبيع لتاجر من تجار الزيت^(٢) ، وقيل لرجل من أصحاب الضياع في مصر اسمه محمد بن هاشم . وبيع بعد ذلك لرجل يدعى محمود بن وهب بن عباس الكاتب^(٣) ، ثم اشتراه منه محمد بن طنج الاخشيدي بثمانية عشر ديناراً فرباه وأعتقه . وفي رواية أخرى أن ابن عباس الكاتب أرسل كافورا ذات يوم إلى محمد بن طنج هدية ، وكان ابن طنج حينئذ أحد قواد تمكين أمير مصر ، فتوسم في كافور الذكاء وأخذته ورد الهدية إلى صاحبها^(٤) .

ويروون أن كافورا مر بعد جلبه إلى مصر على منجم ذات يوم فرأى له طالعه ونظر له في نجومه وقال له : « أنت تصير إلى رجل جليل القدر وتبلغ معه مبلغاً عظيماً » قدفع له كافور درهمين ولم يكن معه سواهما . فرمى بهما إليه وقال : « أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين » ثم قال له : « وأزيدك . أنت تملك هذه البلد وأكثر منه فأذكرني^(٥) . » وقيل إن كافورا بعد أن بلغ مرتبة الملك رأى هذا المنجم في المنام وهو يقول له : « لم تفترق على هذا » فسأل عنه كافور وعرف أنه مات منذ سنين وأن له بنتين إحداهما

== أربع عشرة سنة فيكون مولده نحو سنة ٣٠٨ هـ وكتب المقرئ (الخطط ج ٢ ص ٢٦) أن كافورا جلب إلى مصر سنة ٣١٠ هـ وعمره عشر سنين وأنه مات سنة ٣٥٧ وعمره ستون فيكون مولده نحو سنة ٢٩٧ ، أنظر أيضاً ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ١٩٩

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٦

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٥ والمقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢٦

(٤) ابن خلكان والمقرئ وأبو المحاسن ، المراجع السابقة وابن سعيد : المغرب ص ٤٦

(٥) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢٦

متزوجة والأخرى فتاة في سن الزواج فأشترى لها كافور دارا بأربعمائة دينار ودفع للفتاة مائتي دينار لتجهز بها ^(١) .

ويقال إن كافوراً عند ما جلب من بلاد السودان مر على السوق بمصر ومعه عبد أسود آخر فقال هذا العبد : كنت أتمنى أن أبيع لطباخ حتى أكون طول عمرى شبعان من المطابخ . فقال كافور : وأنا أتمنى أن أملك هذه المدينة . وبعد أن بلغ كافور الملك مر يوماً على السوق فرأى زميله القديم في ثياب الطبّاخين وهو يحرك القدر فضحك وقال : « أدرك كل واحد ما أمّله » ^(٢) .

وكأنما أراد بعض المؤرخين أن يبينوا إلى أى درجة من البؤس وصل كافور قبل ارتفاعه إلى الشوكة والسلطان فذهبوا إلى أنه في بداية أمره لحقه جرب كثير حتى كان لا يظهر ولا يقابل ، فطرده سيده ، فكان يمشى في السوق . وحدث أن مر بطباخ فيه فطلب منه بعض الطعام فضربه الطباخ بالمغرفة على يده وهى حارة فوقع منشياً عليه ، فأخذه رجل طيب القلب وداواه حتى شفى فسار به إلى سيده وأخذه سيده وعرض على الرجل أجر أعلى إيوائه وعلاجه فرفض الرجل قائلاً : « أجرى على الله » . وكان كافور بعد ارتفاعه يذكر هذا الحادث كلما عزت نفسه . وربما سار إلى السوق وسجد إلى الله شكراً وقال لنفسه : أذكر ضرب المغرفة ^(٣) !

ولاريب في أن الاخشيد أدرك ما كان يمتاز به كافور من الذكاء والهمة والاخلاص فقربه إليه . وظلت منزلته عنده ترتفع تدريجياً حتى أصبح موضع ثقته وأقرب المقربين إليه . والمؤرخون حريصون على تفسير هذه الحظوة عند الاخشيد ببعض القصص التي يروونها عن اخلاص كافور . ومنها أن الاخشيد كان في مجلسه ذات يوم وبين يديه عبيده وجميعة بفيل وزرافة وأقبل العبيد على النظر إلى الحيوانين الغريبيين وانصرف انتباههم عن سيدهم

(١) ابن ظافر الازدى في Wüstenfeld : Statthalter IV. p. 60 وانظر أيضاً ابن الزيات :

السكواكب السيارة ص ٢٠٠

(٢) ابن سميذ : المغرب ص ٤٦

(٣) ابن ظافر الازدى : المرجع السابق ص ٥٩ — ٦٠ وابن الزيات : السكواكب

السيارة ص ٢٠٠

الاخشيد، ولكن كافوراً وحده « لم تبرح عينه من عين الاخشيد خوف أن يحتاج إليه ويدعوه فيكون مشتغلاً عنه »^(١) فأعجب الاخشيد بيقظة كافور وتفانيه في خدمته .

ومنها كذلك ما رواه طبيب الاخشيد من أن هذا الأمير اشتبه يوماً لوناً من ألوان الطعام يسمى البقرية فأعد له ، وبادر كافور فحمله بيده إلى سيده . ولم يكن هذا من الأعمال المكلف بها بعد أن ارتفعت مرتبته في بلاط الأمير ، فلما خرج قال له الطبيب : « ما يزيدك الله بهذا إلا رفعة » فقال كافور : « كانت شهوة مولاي لها قوة فأحببت أن أدخل أناها » . ولما رفعت المائدة دخل الطبيب على الاخشيد وسأله عن أكله فقال ان البقرية كانت طيبة وان أعجب ما فيها حمل كافور لها . وأضاف الاخشيد « وحياتك يا أبا الفرج (أي الطبيب) لا تجلس في هذا المجلس غيره ولا أخذ هذا المال سواء! »^(٢) .

ويحرص بعض المؤرخين على أن يفسروا ازدياد ثقة الاخشيد في كافور بأنه رأى في المنام كأنه سلم إلى غلام من كبار غلمانه شيئاً فلم يقم به ثم نقله إلى غيره فلم يقم به حتى سلمه إلى كافور وانتبه من نومه وهو في يد كافور . وقص الاخشيد هذه الرؤيا على أحد مفسري الأحلام فقال ان هذا الملك يعود إلى كافور . ويرى هذا المفسر أن هذه الرؤيا كانت سبباً في وصية الاخشيد بأن يكون كافور مدبراً لشؤون ابنه من بعده^(٣) .

والواقع ان بعض المؤرخين يذكر أن الاخشيد كان يتنبأ بأن كافورا سيرث ملكه من بعده وأنه كان يقول في كثير من الأحيان : « والله لا ورث دولة ابن طنج إلا هذا العبد » يعني كافورا^(٤) . ولكننا نرجح أن مثل هذا الزعم فيه شيء من المبالغة لأنه لو صح لا نتظرنا ألا يعهد الاخشيد إلى كافور بالوصاية على ولده من بعده فيسلمه بذلك مقاليد الأمور منجهاً سائر أفراد أسرته . أو لعله كان يرى الامن من التسليم بما لا بد منه ا

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٧

(٢) المرجع نفسه ص ٣٦

(٣) المرجع نفسه ص ٣٦

(٤) المرجع نفسه ص ٤٦ — ٤٧

ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيد عنى بترية كافور ثم أعتقه . وظل كافور يرتقى في بلاط هذا الأمير ويتدرب على مختلف شئون الحكم والادارة حتى أصبح من كبار قواده وذوى الشأن فى دولته ، فعهد اليه الاخشيد بترية ابنه أونوجور وعلى ، كما عهد اليه بقيادة جيشه فى قتال سيف الدولة وبغير ذلك من الأمور الخطيرة الشأن . وتبع كافور سيده الاخشيد إلى النهاية وكان إلى جانبه عندما توفى فى دمشق وعمل على القضاء على الفتنة التى قامت فى هذه المدينة وحافظ على قسط كبير من الأموال التى كانت مع البلاط حينئذ . ثم كان له بعد ذلك الفضل فى القضاء على ثورة غلبون وفى صد سيف الدولة واعادة دمشق إلى حكم الاخشيديين كما سنرى فى الأبواب القادمة .

وقد مر بنا كيف أصبحت مقاليد الأمور كلها بيد كافور بعد وفاة الاخشيد ، وعرفنا أن أونوجور حاول سنة ٣٤٣ أن ينحى كافورا عن تدبير شئون الدولة ولكنه لم يفلح وقامت « الوحشة » بينهما فترة من الزمن ثم اصطاحا واحتفظ كافور بكل سلطانه . وطبعى أن هذه الوحشة بين الأمير الاخشيدى ورئيس حكومته الأمر النهائى كانت حديث الناس . ونظم المتنبي قصيدة بعد تمام الصلح بينهما نذكر منها الآيات الآتية لما تدل عليه من طبيعة العلاقة بين الأمير وكافور ولما فيها من اشادة بذكر الصفات التى ساد بها كافور :

حَسَمَ الصِّلْحُ مَا اشْهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ ألسُنُ الحُسَادِ
وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسُ حَالٍ تَدْبِيرُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ المرَادِ
وَأَشَارَتْ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالُ كُتْمَ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِرشَادِ^(١)
نَلَّتْ مَا لَا يُنَالُ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ وَصُنَّتِ الْأرواحَ فى الْأجسادِ
فَقَدَى رَأْيِكَ الَّذى لم تُقَدِّهِ كُلُّ رَأْيٍ مُعَلِّمٌ مُسْتَفَادِ
فِيهِذَا وَمِثْلِهِ سُدَّتْ يَا كَافُورُ واقْتَدَتْ كُلُّ صَعْبِ القِيَادِ

(١) لعل فى ذلك إشارة إلى أن كافورا أبى أن يأخذ أونوجور بالشدة والنفى كما أشار عليه بعض ناصحيه .

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَاطِعُ أَحْنَىٰ مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ
لَا عَدَا شَرٌّ مِنْ بَعِي لَكَيْمًا الشَّرُّ وَحَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ
أَنْتُمْ مَا اتَّفَقْتُمْ الْجِسْمُ وَالرُّوحُ فَلَا احْتِجَامًا إِلَى الْعُودِ
هَذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ وَالرَّأْفَةِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَىٰ وَالْأَيْدِي
يَرْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنَهَا عَنْ أَذَاهَا بَقِيَ مَارِدٍ عَلَى الْعُرَادِ^(١)
مُتَلَفٍ مُخْلَفٍ وَفِيَّ أَيْبِيَّ عَالِمٍ حَازِمٍ شُجَاعٍ جَوَادِ^(٢)

وقد عرفنا أن كافورا ظل الحاكم المطلق في البلاد بعد وفاة أونوجور وتولية أخيه على . ولما توفي على بقيت مصر أياما بغير أمير ، فكان لا يدعى على المنابر إلا للخليفة المطيع . والظاهر أن كافورا استشار بعض ذوى الرأى في البلاد ورأى بعضهم من الواجب أن ينصب احمد بن على بن الاخشيد وكان في التاسعة من عمره وأن يظل تدبير الأمور بيد كافور ، ولكن كافورا لم يحبذ هذا الرأى محتجا بأن احمد ابن على لا زال صغير السن ، وانتهى الأمر بتحقيق رغبته في أن يكون له حكم البلاد ومع ذلك فقد احتفظ كافور بلقب « الأستاذ »^(٣) . ولعله كان يرى فيه تكريما واعترافا بالمسكنة التي وصل اليها بجهوده . كما كان يتجنب به الاعتراض على شرعية ولايته العرش .

بيد أن حكم كافور لم يطل أمداه فقد توفي في جمادى الأولى سنة ٣٥٧ هـ أى بعد انقراذه بحكم مصر زهاء سنتين وأربعة أشهر . وحمل تابوته إلى بيت المقدس فدفن فيها^(٤) . وفي قول آخر أنه دفن في القرافة الصغرى بمصر^(٥) .

(١) المراد بالنقى كافور .

(٢) ديوان المتنبي ص ٣٩٣ — ٣٩٦

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٧

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٧

وقد تهيأ لكافور كثير من صفات الزعامة التي استطاع بفضلها أن يسود على الرغم من أصله الوجيه . وعلى رأس هذه الصفات معرفته الناس وأساليب معاملتهم ، وأخذ بعضهم بالدين وبعضهم الآخر بالشدّة ، واصطناع الحلم حيناً وإظهار الغضب حيناً آخر ، والتوفيق بين أصحاب التيارات المختلفة والأهداف المتباينة . ولقد صدق المتنبي حين قال من قصيدة في مدح كافور :

إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا فَكَيْفَ وَقَفَّةٌ قَدَامَهُ تَتَعَلَّمُ (١)

ومن سياسة كافور في كسب قلوب الشعب أنه كان يجلب أهل البيت ويكرم العلويين أعظم الإكرام . ويروى في هذا الصدد أنه كان يسير يوماً مع أبي جعفر مسلم ابن عبيد الله بن طاهر العلوي النسابة ، وهو في موكب وبين يديه بعض حاشيته وخلفه بغال عليها بعض الأتمة والمال ، فسقطت مقرعة كافور ولم يرها أحد من حاشيته وخدمه فنزل العلوي عن دابته وأخذ المقرعة من الأرض ودفعاها إلى كافور ، فقال كافور : أيها الشريف ، أعوذ بالله من بلوغ الغاية ، ما ظننت أن الزمان يبلغني حتى تفعل بي أنت هذا ! وكاد يبكي . فقال العلوي : أنا صنيعة الأستاذ ووليه . ولما بلغ كافور باب قصره ودع العلوي ثم أرسل خلفه كل ما كان على البغال من مال ومناع وكانت قيمته تزيد على خمسة عشر ألف دينار (٢) .

ومما يروى في هذا الشأن قصة لكافور مع عبد الله بن أحمد بن علي بن إبراهيم ابن طباطبا ، وكان من أغنياء العلويين في العصر الأخشيدي ومن عاداته أن يبعث إلى كثير من أهل مصر بهدايا من الحلوى في شتى المناسبات . وكان يرسل إلى كافور كل يومين صحنين من الحلوى ورغيفا في منديل مخنوم . فحسده بعض الأعيان وقال لكافور أن إرسال الرغيف إلى الأمير أمر لا يليق ، فأرسل كافور إلى الشريف

(١) يقول إذا كنت لا تحسن السياسة فقف قدام كافور مرة واحدة وهو يتعاطاها تتعلم ما :

« الحاشية ٧ من صفحة ٣٩١ في ديوان المتنبي » .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣ — ؛

العلوى يسأله أن يعفيه من الرغيف ، فأدرك الشريف أنهم حسدوه وقصدوا إبطال عادته فذهب إلى كافور وقال له : « أيدك الله ! إنا لا ننفذ الرغيف تطاولا ولا تعاطفا ، وإنما هي صيبة حسنة تعجنه بيدها وتخبره ففرسله على سبيل التبرك فاذا كرهته قطعناه » فقال كافور : لا والله لا تقطعه ولا يكون قوتى سواه ! « وعاد العلوى إلى ما كان عليه من إرسال الحلوى والرغيف ^(١) .

ومن طريف ما كتبه المؤرخون عن سياسة كافور ما نقله أبو الحسن عن الذهبي حين قال : « كان خبيراً بالسياسة فطنا ذكياً جيد العقل داهية . كان يهادى المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه . وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس ويبدارى وينجذع هؤلاء وهؤلاء وتم له الأمر » ^(٢) .

وقد خلف الأمراء الاخشيديون لكافور أموالاً طائلة فزاد عليها وأظهر ما طبع عليه من الجود والكرم ، وقيل انه وقع يوماً لأحد القواد بعطاء قدره أربعة عشر ألف دينار فما زال عبداً له حتى مات ^(٣) . وذاع صيت بلاطه وعطاياه وقصده أصحاب الحاجات وأعلام الشعراء والأدباء . وحسبنا شاهداً على حياة البلاط في عصره ما قيل من أن سماطه كان في اليوم الواحد مائتي خروف كبار ومائة خروف رميس ومائتين وخمسين أوزة وخمسمائة دجاجة وألف طير من الحمام ومائة صحن حلوى كل صحن عشرة أرطال ومائتين وخمسين قربة من شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون ويسمى أقسماً ^(٤) ، ويقال انه كان لكافور خزانة شراب كان يفرق منها في الحاشية كل يوم خمسين قربة من مختلف أنواع الأشربة وأن قاضي أسيوط كان يهدى إلى كافور كل عام خمسين ألف سفرجلة تعمل شراب سفرجل ^(٥) . . . وقد يكون في هذا الاحصاء شيء من المبالغة ولكنه يشهد بما عرف عن بلاط كافور من الكرم والعظمة .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٦ وفي الكواكب السيارة لابن الزيات ص ٦١ يقول : « إن له والدة صالحة تعجن بيدها وتقرأ عليه القرآن » .

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٣) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٢٧

(٤) ابن الزيات : الكواكب السبارة ص ٢٠٠ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩ ، أنظر أيضاً ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٣

(٥) ابن ظافر الازدي : المرجع السابق ص ٥٩

وقيل إن كافوراً كان يرسل كل ليلة عيد حمل بغل من المال في صرر مكتوب على كل صرة اسم من جعلت له من بين عالم وزاهد وفقير ومحتاج^(١). ومن ذكر ذلك من المؤرخين جمال الدين بن ظافر الأزدي وقد فصل الكلام عليه في قطعة طويلة من النبذة التي عقدها للكلام على الدولة الاخشيدية في كتابه « أخبار الدول المنقطعة » وقد وردت هذه القطعة في المخطوط المحفوظ في المتحف البريطاني من هذا الكتاب . وفي دار الكتب المصرية صورة منه مأخوذة بالتصوير الشمسي . ولكنها لم ترد في الجزء الذي نقله وستنفد عن المخطوط المحفوظ في مكتبة غوطا وهو الجزء الذي نشره في كتابه بالألمانية عن ولاية مصر في عصر الخلفاء . وقد وازنا بين ما نقله وستنفد عن المخطوط المذكور وما جاء عن الدولة الاخشيدية في مخطوط المتحف البريطاني فوجدنا أن الذي يزيد في المخطوط الأخير هو القطعة الطويلة التي نحن بصددنا وقصتان صغيرتان هما قصة كافور مع العلوي الذي نزل عن دابته وتناوله مقرعة سقطت منه، وقد أشرنا إلى هذه القصة نقلاً عن أبي الحسن ، ثم قصته بشأن الحلوي والريفي الذي كان يرسله إليه ابن طباطبا . وقد أشرنا إليها أيضاً معتمدين على ابن خلسكان . ولذلك كله رأينا أن ننقل هنا القطعة الطويلة التي جاءت في مخطوط المتحف البريطاني ولم ينشرها وستنفد .

قال ابن ظافر الأزدي يتحدث عن كافور :

« وله رحمه الله مع الشيخ أبي عبد الله بن جاباز الصوفي الزاهد شيخ الفقهاء رحمهما الله وكان من كبار المشايخ قصة عجيبة هي من غرر مناقبه . ذكر المسبحي في تاريخه قال : حدثني ابن الدابة كاتب أبو بكر القمعي^(٢) عن أبي الحسن البغدادي قال : وردت إلى مصر مع والدي وأنا صبي دون البلوغ في أيام كافور . وكان أبو بكر الحلبي يتولى نفقات مصالحيه وخوادمه . وقد انتسجت بينه وبين أبي مودة . وكان يزوره ويصله . قال : فجاءه ذات يوم فتذاكروا أخبار كافور وطريقته وما هو عليه من الخشوع . فقال أبو بكر لأبي ، وأنا أسمع : هذا الأستاذ كافور

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٢

(٢) نسبة إلى قمين ، انظر ابن الجيعان : أسماء البلاد المصرية ص ١٤٥ . أو لعلمها القمعي

نسبة إلى قم في فارس .

له في كل عيد أضحى عادة ، وهو أن يسلم إلى بغلا محملاً ذهباً وورقاً وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة إلى المنامة وما بينهما . ويمضى معي صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل ، وأطوف من بعد العشاء الأخيرة إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك إلى من جعل له وتتضمن اسمه الجريدة . فأطرق منزل كل انسان ما بين رجل وامرأة ، وأقول : الأستاذ أبو المسك كافور يهنيك بعيدك ويقول لك أصرف هذا في منفعتك ، فادفع إليه ما جعل له . فلما كان هذا العيد جريت على العادة وزاد في الجريدة الشيخ أبو عبد الله بن جاباز مائة دينار . فأنفقت المال في أربابه ولم يبق إلا الصرة فحجعتها في كمي وسريت مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة ، فطرقت الباب فنزل إلينا شيخ عليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يزد عليه وقال : ما حاجتك ؟ قلت : الأستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام . فقال : والى بلدنا ؟ قلت : نعم قال : حفظه الله . الله يعلم أنني أدعوله في الحلوات وإدبار الصلوات وللمسلمين بما الله سامعه ومستجيبه . قلت : وقد أنفذ معي هذه الصرة وهو يسألك قبولها لتصرف في نوبة هذا العيد المبارك . فقال نحن رعيته ونحن نجبه في الله تعالى وما نفسد هذا بعة . فراجعته القول فبين لي الضجر في وجهه والقلق والتلهف واستحييت من الله تعالى أن أقطعها عما هو عليه فتركته وانصرفت . قال فحيت فوجدت الأمير قد تمها للركوب وهو ينتظرني فلما رأني قال : هيه يا أبا بكر ! . قلت أرجو أن يستجيب الله تعالى فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف . فقال الحمد لله الذي جعلني سببا لا يصل الراحة إلى عياله . ثم أخبرته بامتناع ابن جاباز فقال : هو جديد لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم . ثم قال لي عد إليه واركب دابة من دواب النوبة فاست أشك فيما لقيت دابتك في هذه الليلة من التعب ، ثم أمعن إليه وأطرق بابه ، فاذا نزل إليك فإنه سيقول . ألم تكن عندنا ؟ فلا ترد عليه جوابا ثم اسفتح وأقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى » يا ابن جاباز يقول لك كافور :

ومن كافور العبد الأسود؟ ومن مولاه؟ ومن الخلق؟ بقي لأحد مع الله تعالى ملك أو شركة؟ تلاشا الناس كلهم . ها هنا تدرى من معطيك ، وعلى من رددت . أنت ما سألت . هو أرسل اليك يا ابن جاباز . ما تفرق بين السبب والمسبب؟ ا قال أبو بكر : فركبت وسرت فطرقت منزله فززل إلى وقال لي مثل لفظ كافور فأضربت عن الجواب وقرأت « طه » ثم قلت ما قال كافور . فبكي ابن جاباز ، وقال ابن ماحمت؟ فأخرجت له الصرة فأخذها وقال : علمنا الأستاذ كيف التصرف . قل له : أحسن الله جزاك ! قال فمدت اليه فأخبرته فسر بذلك ثم سجد لله شكراً وقال : الحمد لله الذي جعلني سبباً لا يصال الراحة إلى عياله ثم ركب حينئذ «^(١) .

وكان لسكافور في بلاطه الف وسبعون من الغلمان الترك والغلمان الروم وكان له غلمان آخرون من المولدين والسودانيين ، وكان عدد غلمان بلاطه كلهم أربعة آلاف غلام . ويقال إن كافورا خلف في خزائنه بعد وفاته ما قيمته نحو مليون دينار من الجواهر والنياب والسلاح والأمتعة^(٢) ، وإنه كان يرسل كل عام المال والطعام والنياب مع ركب الحجاج ليوزع في الحجاز على أولاد رسول الله (صلم)^(٣) .

وكان كافور كريماً حتى مع أعدائه ومن لا يستحقون منه العطف والتقدير . ومما روى في هذا الصدد أن واعظاً في مصر كان يقص على الناس فقال يوماً في قصصه : انظروا إلى هوان الدنيا على الله تعالى فإنه أعطاها لمقصوصين ضعيفين : ابن بويه ببغداد وهو أشل ، وكافور عندنا بمصر وهو خصي . فنقل إلى كافور قول هذا الواعظ وظنوا أنه يعاقبه ، ولكنه أرسل إليه خلعة ومائة دينار وقال : « لم يقل هذا إلا الخفائي

(١) جمال الدين ابن ظافر الازدى : الدول المنقطعة الورقة ٣٧ و ٣٨ من الصورة المحفوظة في دار الكتب المصرية والمنقولة بالتصوير الشمسي عن المخطوط المحفوظ في المتحف البريطاني .
(٢) ابن ظافر الازدى عن Wüstenfeld : Die Statthalter p. 59 ، أما المقرئ فقد بالغ في تقدير ما خلفه كافور فذكر أنه قوم بستائة مليون دينار (الخطط ج ٢ ص ٢٧) . أنظر أيضاً ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٢٠٠
(٣) ابن ظافر الازدى في Wüstenfeld : Die Statthalter p. 59 وأنظر ابن الزيات : الكواكب

له وكان الواعظ يقول بعد ذلك في قصصه : ما أنجب من ولد حام إلا ثلاثة ، لقمان وبلال المؤذن وكافور^(١) .

وكان كافور قويا شديدا الساعد لا يكاد أحد يمد قوسه ، وكان غروره واعتزازه بنفسه في هذه الناحية من مواطن الضعف فيه فكان يرضى عن يظهر العجز عن منافسته في الرعى ويعبس لمن يجرأ على الاستهانة بتفوقه أو يطمع في مساجلته^(٢) . وكان مغرما بالخرّوج إلى الصيد^(٣) .

وكان لكافور شهرة عظيمة في فنون القتال أشار إليها الشعراء في مدائحهم له . فلا عجب إذا نخر الفاطميون بالاحتفاظ بسيفه في خزائهم^(٤) .

ويقال إن كافورا كان يداوم الجلوس صباحا ومساءً لقضاء حوائج الناس ، وكان يتهدد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول : اللهم لا تسلط على مخلوقا^(٥) .

ويرى بعض المؤرخين أنه كان يحن إلى موسيقى السودانين وإنه مر ذات يوم بجماعة منهم وهم يطالبون الطبل السوداني المعروف بالبدببة فطرب لذلك كافور ونسى نفسه وحرك أكتافه على أنغام البدببة ثم تذكر نقد الناس لحركاته هذه فأخذ يمز أكتافه في مناسبات كثيرة كي يظن الناس أنه لم يهزها في ذلك المكان بسبب البدببة بل كان ذلك عادة عنده^(٦) . وقيل إن كافورا كان له في قصره جوار مغنيات^(٧) .

وحرص كافور على أن يكون بلاطه يجمع العلماء والأدباء وأن يفوق في هذا الميدان بلاط الخليفة وبلاط سيف الدولة . فكان الأدباء والمؤرخون يقرأون له كتب السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية ، وكان له نظر في الأدب والعلم وفروع اللغة

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٥

(٤) المقرئ : الخطط ج ١ ص ١١٧ ، وزكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٥٥

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ٤٨ وابن أبي عمير : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٣

(٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

العربية^(١) . وسوف نعود الى الكلام على الشعراء والأدباء والعلماء المصريين الذين اتصلوا به ، ولكننا نعرض الآن لما كان له بينه وبين المتنبي .

والمعروف أن المتنبي كان متصلا بسيف الدولة الحمداني وقال في مدحه قصائد خالداً . ولكن أمراً حدث بينهما أدى إلى أن يبحث المتنبي عن سيد آخر يرعاه . ولعله سمع ببلاط كافور وما يلقاه الشعراء والأدباء من تقدير وإكرام فيه فعقد العزم على أن ييمم شطر مصر^(٢) . وقيل إن كافورا كتب إليه يستدعيه إلى بلاطه^(٣) .

وقابل المتنبي في الرملة — في طريقه الى مصر — الأمير أبامحمد الحسن بن عبيد الله ابن طنج ومدحه بعدة قصائد ، منها القصيدة التي مطلعها :

أَنَا لِأَيِّمِي إِنْ كُنْتُ وَقَتَ اللّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ^(٤)
ومن أبياتها :

أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ النُّرَاتِ وَبِرَقَّةٍ	ضَرَابًا يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَاوِحِ
وَطَعَنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكْفَهُمْ	عَرَفَنَ الرُّدِّيَنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ
حَمَّتْهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	سُيُوفُ بَنِي طُنْجِ بْنِ جُبِّ الْقَهَاقِمِ
هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الوَغَى	وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ
وَهُمْ يُحْسِنُونَ الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ	وَيَحْتَمِلُونَ الْعُزْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمِ

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٢) قيل ان الذي حسم المتنبي حتى رحل إلى مصر أنه سمع أن محمد بن عاصم الشاعر أنشد

كافورا قصيدة على أثر زلزلة عظيمة وقعت بمصر ومن أبياتها :

مازلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدله طربا

وأن كافورا أجازة على هذه القصيدة بألف دينار . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١

ص ٤٥ وابن أياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٤

(٣) ابن ظافر الأزدي : المرجع السابق ص ٦٠ وديوان المتنبي ص ٣٧٣

(٤) ديوان المتنبي ص ١٧٧

حَيِّثُونَ إِلَّا أَعْتَمُّ فِي نِزَاهِمِ أَقْلُ حَيَاءٍ مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ
وَلَوْلَا احْتِقَارُ الْأُسْدِ شَبَهَتْهُمْ بِهَا وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ

ووصل المتنبي إلى مصر سنة ٣٤٦^(١) ، وقيل إنه صرح قبل قدومه أنه إذا دخل مصر لا يقصد العبد (كافورا) وإنما يقصد مولاه . (أونوجور)^(٢) . ولم يكن هذا أول عهد المتنبي بالاخشيدين فالراجح أنه حين اتهم بادعاء النبوة في بادية السماوة قبض عليه ابن لؤلؤ نائب الاخشيد في حمص وحبس به ثم استتابه وأطلقه^(٣) . كما بروى له بعض الشعر في رثاء محمد بن طهج الاخشيد^(٤) .

ومهما يكن من الأمر فإن كافورا رحب بالمتنبي وأخلى له دارا وخلع عليه وحمل إليه كثيرا من المال ، فقال المتنبي في مدحه قصيدته المشهورة التي مطلعها :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا^(٥)
وَمِنْ أَيْبَاتِهَا :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَمَاقِيَا
أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَحَدَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أُخْصَ الْغَوَادِيَا
إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِي بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطَى فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا
وغير كثير أن يزورك راجلٌ فيرجع ملئاً للعراقين واليَا

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٥

(٢) ابن ظافر الأزدي : المرجع السابق ص ٦٠

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥ ودائرة المعارف الاسلامية مادة المتنبي

(ج ٣ ص ٨٣٥ من الطبعة الفرنسية) .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٣

(٥) مما يشهد اسكافور بسلامة الذوق الأدبي أنه قال معلقاً على مطلع هذه القصيدة « ما ينبغي لمن يقصد الملوك في نجاح حاجة أن يكون خطابه لهم أول ما يخاطبهم به مثل هذا » ابن سعيّد :

مَدَى بَلَغَ الْأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ
وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا
دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَى
وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النَّفُوسَ الدَّوَاعِيَا
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرَوْنَهُ
وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّسَكُّرُ نَائِيَا^(١)

وظل المتنبي في بلاط كافور يقول في مدحه القصيدة السنية بعد الأخرى .
ومن بعض أبيات تلك القصائد ما يصف كافورا وحالته السياسية على عهده وصفا
قد يكون فيه شيء من المبالغة ، ولكن له معناه على كل حال . ومن ذلك قوله :

تَرَعَرَ عَ الْمَلِكِ الْأُسْتَاذُ مُسْكْتَهَلًا
قَبَلَ اكْتِهَالِ أَدِيًّا قَبَلَ تَأْدِيبِ
جُجْرَبًا فَهَمًّا مِنْ قَبْلِ نَجْرِبَةٍ
مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْدِيبِ
حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهَائِيهَا
وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَاءِ تَشْيِيبِ
يُدْبِرُ الْمَلِكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنِ
إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ^(٢)

ومن ذلك قوله في قصيدة أخرى :

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدْحُهُ
وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُنْمِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ
وَيَمِّمَ كَافُورًا فَمَا يَنْغَرِبُ
فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْعَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
وَنَادِرَةً أَحْيَانًا يَرْضَى وَيَقْضِبُ^(٣)

وهي القصيدة التي جاء فيها :

إِذَا لَمْ تَنْطُ بِئِ ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً
فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشِعْلُكَ يَسْلُبُ

(١) ديوان المتنبي ص ٣٧٣ — ٣٧٧

(٢) المرجع نفسه ص ٣٨١ — ٣٨٢

(٣) المرجع نفسه ص ٣٩٨ — ٣٩٩

وقد ليم كافرور على قلة إرضائه للمتنبى وكونه لا يوليه ولاية حتى قال هذا البيت فقال كافرور: « يا قوم! رجل ادعى النبوة مع خير البشر صلى الله عليه وسلم كيف يوليه كافرور فيأمنه! »^(١).

ومن أبيات تلك القصيدة قول المتنبى يخاطب كافرورا ويشير إلى أونوجور:

وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمَلِكِ مُرَضِعًا وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلَا أَبٌ
وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبَاهِهِ وَمَالِكَ إِلَّا الْهِنْدُوَانِي مِخْلَبٌ
لَقَيْتَ الْقَفَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ إِلَى الْمَوْتِ فِي الْمَيْجِسِيِّ مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ
سَأَلْتَ سُيُوفًا عَظَمْتَ كُلَّ خَاطِبٍ عَلَى كُلِّ عُرُوذٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ
وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَسْكَرُمَاتُ وَتَنْسَبُ
وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ مَعَهُ بَنُ عَدْنَانٍ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ^(٢)

ولكن المتنبى كان يطعم من كافرور بأكثر مما نال من عطاء وكان يرجو أن ينصبه كافرور واليا على إقليم من دولته، فلا عجب إذا تضاعل حماس المتنبى لهذا الأمير. والواقع أن آخر قصيدة أنشدتها في حضرته ولم يلقه بعدها تنذر بنفاد صبره وتؤذن بالقطيعة بينهما. ومن أبيات هذه القصيدة:

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فِطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ
وَمَا أَنَا بِالْبَاحِثِ عَلَى الْخُبِّ رِشْوَةٌ ضَعِيفٌ هَوَى يُبْغِي عَلَيْهِ ثَوَابٌ
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أُدَلَّ عَوَازِلِي عَلَى أَنَّ رَأْيِي فِي هَوَاكَ صَوَابٌ
وَأَعْلِمُ قَوْمًا خَالِفُونِي فَشَرَّقُوا وَغَرَّبْتُ أُنَى قَد ظَهَرْتُ وَخَابُوا
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلَدَةٌ وَصِجَابٌ^(٣)

(١) ابن سعيد: المغرب ص ٤٧ وابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥

(٢) ديوان المتنبى ص ٤٠٠

(٣) المرجع نفسه ص ٤١٠

وقيل ان المتنبي « أقام بعد إنشاء هذه القصيدة سنة لا يلقى كافورا غضبا عليه لكنه يركب في خدمته خوفا منه ولا يجتمع به ، واستعد للرحيل في الباطن وجيز جميع ما يحتاج اليه » (١) .

وقال المتنبي في يوم عرفة سنة ٣٥٠ هـ قبل مغادرته مصر بيوم واحد قصيدته الدالية المشهورة التي هجا فيها كافور . ومطلعها :

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ

ومن أبياتها :

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيَّفْتُهُمْ عَنِ الْقَرِيِّ وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ

جُودُ الرَّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنْ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

أَكَلَمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدُهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرٍ تَهْمِيدُ

صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الْأَبْقِينَ بِهَا فَأَخْرَجْتُ مُسْتَعْبِدَ الْعَبْدِ مَعْبُودُ

لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لِأَنْجَاسٍ مَنَّا كِيدُ

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقَوْمَهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصِّيدُ

أَمْ أُذُنُهُ فِي يَدِ النَّحَّاسِ دَامِيَةٌ أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَّاسِينَ مَرْدُودُ

وَذَلِكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخُصْمِيَّةُ السُّودُ (٢)

ونظم المتنبي قصائد أخرى كثيرة في هجاء كافور (٣) . وقيل انه لما فر من مصر كتب ورقة فيها هجو لكافور ووصلت الورقة إلى يد هذا الأمير فأمر باحراقها ولم يقف على ما فيها « فكان ذلك مما استحسنت له » (٤) .

(١) ابن خلسكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٦ ، ٥ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٨

(٢) ديوان المتنبي ص ٤٣١ — ٤٣٤

(٣) ديوان المتنبي ص ٤٢٧ — ٤٣٧ وانظر أيضاً « المصريات الكافوريات » في ديوان

المتنبي (طبع ديتريشي في برلين سنة ١٨٦١) ص ٦٢٣ وما بعدها .

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٤٨

ومما يأتى بعض الضوء على علاقة المتنبي بكافور ويفسر حذر الأمير وعدم اطمئنانه إلى هذا الشاعر أن كافوراً كان له منافس من بين قواد الاخشيد : هو أبو شجاع فاتك الرومى الاخشيدى . وكانت له حظوة عند الاخشيد ولكن فيه طيشاً وخفة حتى كان يعرف بالجنون « فكان كلما تزايد أمر كافور وعظم يزيد جنون فاتك وحسده فلا يلتفت كافور إليه بل يدر عليه الإحسان ويراعيه إلى الغاية . وكان الفيوم إقطاع فاتك الجنون فاستأذن فاتك كافوراً أن يتوجه إلى إقطاعه بالفيوم ويسكن هناك حتى لا يرى عظمة كافور فأذن له كافور في ذلك وودعه . فخرج فاتك إلى الفيوم فلم يصح مزاجه بها لوخامتها فعاد بعد مدة مريضاً إلى مصر ليتداوى بها ، وكان المتنبي الشاعر بمصر قد مدح كافوراً بغير القصد ، فسمع المتنبي بكرم الجنون فأحب أن يمدحه ولم يجسر خوفاً من كافور . وكان كافور يكره فاتكاً في الباطن ويخافه . وصار فاتك يرسل المتنبي ويسأل عنه إلى أن اتفق اجتماعهما يوماً بالصحراء وجرت بينهما مفاوضات ، فلما رجع فاتك إلى داره بعث إلى المتنبي بهدية قيمتها ألف دينار ثم أتبعها بهدايا أخر . فاستأذن المتنبي كافوراً في مدح فاتك فأذن له خوفاً من فاتك وفي النفس شيء من ذلك ، فمدحه المتنبي بقصيدته التى أولها :

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنَّمَا لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ^(١)

إلى أن قال :

كَغَفَاتِكَ وَدُخُولِ الْكَافِ مَنَقَصَةٌ كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

فقد كافور على المتنبي لذلك «^(٢) .

وقد رأينا في الباب السابق أن أولى الأمر في مصر اتفقوا بعد وفاة كافور على تولية أبى الفوارس أحمد بن على الاخشيد وكان فى الحادية عشرة من عمره . ودعى له

(١) ديوان المتنبي ص ٤١٤ — ٤١٥

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤ — ٥

على المنابر ثم من بعده للحسن بن عبيد الله . ثم عقد للحسن بن عبيد الله على بنت عمه فاطمة بنت الاخشيد بوكيل سيّره من الشام^(١) .

وعاد الحسن بن عبيد الله من الشام وقبض على مقاليد الامور في البلاد بعد أن سجن الوزير جعفر بن الفرات وصادر أملاكه^(٢) . ولكنه ما لبث أن أطلق هذا الوزير وفوض إليه تدبير الامور ثم سافر ثانية إلى الشام .

بيد أن الجيوش الفاطمية كانت لمصر بالمرصاد واستطاعت أن تدخلها فاتحة ، وقبض على أحمد بن علي الاخشيد ومات بعد قليل . ولكن المؤرخين لم يعنوا بالتحدث عن مصيره اما لصغر سنه أو احتقارا لشأنه لأنه لم يكن له من الأمر شيء^(٣) . وعلى كل حال فإن ابن سعيد لم يذكر عن نهايته أكثر من الاشارة إلى أنه « مات من علة صادفت وقتنا ظن الناس فيه أنه قتل »^(٤) .

بقي علينا أن نذكر القليل الذي نعرفه عن أمراء البيت الاخشيدى الذين لم يتولوا حكم مصر .

ولا ريب في أن أعظم هؤلاء الأمراء هو أبو المظفر الحسن بن طنج . وقد كان أميراً جليلاً عرف بالشجاعة والكفاية في الأعمال التي عهد بها إليه . وكان أخوه الاخشيد يستخلفه على حكم مصر حين يغادرها الى الشام ، ففعل ذلك حين خرج لقتال ابن رائق سنة ٣٢٨ هـ^(٥) ، وكذلك حين خرج إليها سنة ٣٣٠^(٦) ، وحين خرج للقاء الخليفة المتقي سنة ٣٣٢^(٧) وإن كان ابن سعيد يذكر نقلاً عن ابن زولاق أن الاخشيد استخلف

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠

(٢) المرجع نفسه ج ٤ ص ٢٣

(٣) المرجع نفسه ج ٤ ص ٢٤

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٤٦

(٥) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٨٩ وابن سعيد : المغرب ص ٢٥ وأبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٢

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ٢٩

(٧) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٢ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٤

هذه المرة ابنه أونوجور واستخلف له عمه الحسن بن طنجج^(١) ، وكأما أراد الاخشيد أن يحدد نظام وراثته العرش بعده ، وأن يثبت البيعة التي أخذها لابنه بولاية العهد سنة ٣٣١ فعمله نائبه الرسمي في مصر ولكنه استخلف له عمه الحسن بن طنجج لتكون بيده مقاليد الأمور في غيبة أخيه الاخشيد . والراجح أن هذا هو الذي حدث سنة ٣٣٣ حين خرج الاخشيد لقتال سيف الدولة ، فابن سعيد ينقل عن ابن زولاق أن الاخشيد استخلف على مصر ابنه أبا القاسم واستخلف له عمه الحسن بن طنجج^(٢) . أما أبو المحاسن فلا يحفل بهذا « البروتوكول » إنما يذكر أن الاخشيد استخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طنجج على مصر^(٣) .

وكان الاخشيد يعتمد على أخيه الحسن بوصفه قائداً من كبار قواده ذوى الخبرة والشجاعة . ومن المهمات الحربية التي بعثه فيها ما حدث سنة ٣٢٤ هـ حين بعثه ومعه القائد صالح بن نافع الى الاسكندرية لقتال جيش المغاربة^(٤) . كما كان للحسن بن طنجج فضل كبير في القضاء على ثورة غلبون التي سياتى الكلام عليها . فان الحسن بن طنجج ، بعد أن رجع من عند ابن أخيه الأمير أونوجور من الشام ، طارد غلبون حتى ظفر به وقتله^(٥) .

وقد ولي الحسن بن طنجج امرة دمشق من قبل أخيه الاخشيد فترة من الزمن ثم عزله الاخشيد وولى أخاه عبيد الله بن طنجج مكانه . ثم ولي الحسن هذا امرة دمشق مرة أخرى من قبل ابن أخيه أونوجور سنة ٣٣٧ ، ثم نقل الى امرة اقليم الرملة ومات بها سنة ٣٤٢ هـ ودفن بالقدس^(٦) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٥

(٢) المرجع نفسه ص ٤٢

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥

(٤) السكندی : الولاية والقضاء ص ٢٨٧ — ٢٨٨

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٢

(٦) المرجع نفسه ج ٣ ص ٢٩٧ و ص ٣١٠

وفي مجموعة الارشيدوق رينر في فيينا وثيقة على ورق تتضمن سجلا من الحسن ابن طنج الى رجلين أحدهما اسمه محمد بن ربيعة بشأن تأجير ستة أفدنة بخمسة عشر دينارا وهي بالعربية واليونانية ^(١) . وقد تفضل الأستاذ أدولف جرمان فأطلعني على صورة هذه الوثيقة ورأيت أن اسم المستأجر الثاني لم يبق منه الا كلمة « الوارث » ولعلها جزء من اسم « عبد الوارث » .

أما أبو النصر الحسين بن طنج فكان من قواد أخيه الاخشيد وكان على رأس جنده في الشام حين باغتهم ابن رائق وقتل أبا نصر الحسين . وأراد ابن رائق مسالة الاخشيد فحفظ جثة الحسين بن طنج وجماعها في تابوت وأنفذه الى الاخشيد معزيا ومعتذرا بأنه ما أراد قتله وأرسل معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق عارضا أن يكون فدية للقتيل اذا أراد الاخشيد ذلك ^(٢) . وقد مر بنا أن الاخشيد أكرم مزاحما وحنج الى السلم مع ابن رائق .

ومن اشتهر من أسرة الاخشيد أخوه عبيد الله بن طنج وقد كان من كبار أعوانه في الادارة وقيادة الجند . والظاهر أنه كان شديد الاعتماد بنفسه حريصا على كرامته فهو مرة يرفض ألا يسير بين يدي أخيه الاخشيد كاحد الحجاب ويحرص على أن يركب خلفه حين ركب لأول مرة الى الجامع العتيق ^(٣) . وزاه مرة أخرى لا يقبل أن يترجل للاخشيد عند رؤيته إلا بعد أن ألح عليه كاتبه الخاص الحسن بن جابر وأفهمه أن الاخشيد هدد بقتل هذا الكاتب اذا لم يترجل صاحبه عبيد الله بن طنج عند رؤيته ^(٤) .

وكان عبيد الله بن طنج يعاون أخاه الاخشيد في قتال أعدائه ^(٥) . وعرض الاخشيد بعد أمام الصلح بينه وبين ابن رائق أن يكون عبيد الله رهينة عند ابن رائق

Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung No. 967 p. 253. (١)

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٣

(٣) ابن سميذ : المغرب ص ١٣

(٤) المرجع نفسه ص ٣٨

(٥) المرجع نفسه ص ١٤ و ٢٥

ومزاحم بن محمد بن رائق رهينة عند الاخشيد ليقوم كل منهما بما تعهد به في هذا الصلح ، ولكن الظاهر أن عبيد الله بن طنج لم يقبل هذه المهمة فاحتج الاخشيد بأن غلمان أخيه كرهوا مفارقتهم ومنعوه من مغادرتهم وعرض أن يرجع مزاحم إلى أبيه محمد بن رائق إلى أن يرسل الاخشيد ابنه أو نوجور ليكون رهينة بدلا من عمه عبيد الله . بيد أن هذا التبادل لم يتم ^(١) .

ويبدو أن عبيد الله بن طنج كان ذا ثروة كبيرة في حصص مشاركة مع أخيه الاخشيد ^(٢) وأن إقليم الشام كان ميدان نشاطه بوجه عام فقد كان يقيم في الرملة وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ ^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٩

(٢) المرجع نفسه ص ٣٢

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٢

(٣)

موظفو البلاط

الحاجب

كانت وظيفة الحاجب من الوظائف السامية في بلاط الخلفاء والأمراء^(١) . ولم يكن عمله وقفا على إدخال الناس على الأمير في مواعيد محددة ، بل كان يشبه عمل كبير الأمناء في عصرنا الحالي .

ويقال ان الاخشيد اتخذ عمران بن فارس حاجباً له . وكان عمران حاجباً لتكئين والى مصر قبيل العصر الاخشيدى . ويروون أن لاستحجاب الاخشيد إياه قصة طريفة . ذلك أن الاخشيد كان في دار تكئين ذات يوم وكان هناك عدد من الأتراك والقواد ووجوه القوم ينتظرون الاذن للدخول على الوالى . ولما أقبل حاجبه عمران بن فارس حيا الناس ودخل على تكئين ليستأذن لهم في الدخول . فقال جماعة منهم تعريضا بعمران : أى كبش ما أسخنه ليت شعرى من يجزره ! فقال محمد بن طنج : « أنا أجزره » . ومرت الأيام وولى ابن طنج حكم مصر وكان عمران بن فارس بالشام ، فاستدعاه الاخشيد واتخذة حاجبا له . ولما لقيه ما لبث أن صادر أمواله وأخذ منه عدداً كبيراً من العبيد والخيل والأتباع^(٢) .

وقد يكون لهذه القصة نصيب من الصحة . ولكن الراجح أن الاخشيد استحجب عمران لاجبابه بجلال مظهره وحسن درايته . ومهما يكن من الأمر

(١) راجع ابن خلدون : المقدمة (الفصل الرابع والثلاثون في مراتب الملك والسلطان وألقابهما . . . الحجابة) والمقرئزى : الخطط ج ٢ ص ٢١٩ — ٢٢٢ ، والقلقشندي : ضوء الصبح المسفر ص ٢٤٧ و Van Berchem ; Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte 1, pp. 567-568; Zaky Hassan : Les Tulunides p. 193; Wiet : Précis de l'histoire d'Egypte 11, p. 245.

فان عمران بن فارس جمع ثروة طيبة كما يتبين من ذكر ما صدره الاخشيد حين انقلب عليه ^(١).

ويقال ان الذي خلف عمران بن فارس في منصب الحجابة للاخشيد هو غلامه فاتك الرومي ^(٢) ، الذي علا شأنه في بلاط الاخشيديين حتى ولى امرة دمشق حيناً من الزمن . وقد مر بنا أن المتنبي مدحه بقصيدة عصماء أوغرت صدر كافور على أمير الشعراء . ونضيف هنا أن أبا شجاع فاتك توفي سنة ٣٥٠هـ وأن المتنبي رئاه بعد خروجه من مصر بقصيدتين جاء في إحداها :

قُبْحًا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْفَعُ
أَيُّمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكَ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ انْخِصَى الْأَوْكُعُ
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالِي رَأْسِهِ وَقَفًّا يَصِيحُ بِهَا الْأَمَنُ يَصْفَعُ ^(٣)

والظاهر أن فاتك الرومي كان عظيم الشأن في بلاط الاخشيد وكان أكبر منافس لكافور ، ولكن تم النصر للأخير بعد وفاة الاخشيد فاعتزل فاتك الحياة العامة وعاش في اقطاعه بإقليم الفيوم عيشة أمراء الاقطاع ، ولاعجب فقد كان كافور « يخافه ويكرهه » كما يقول أبو المحاسن .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق من تولوا منصب الحجابة لأمراء مصر بعد الاخشيد ولكن كافورا كان شديد الحرص على مظاهر البروتوكول في بلاطه حتى قيل « إنه كان عظيم الحرمة وله حجاب يمنع عن الأمراء » ^(٤).

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٩

(٣) ديوان المتنبي ص ٤٢١

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

الحرس الخاص

رأينا عند الكلام على الاخشيد أنه اتخذ بضعة آلاف من المماليك حرسا خاصا له وأن الفين منهم كانوا يحرسونه كل ليلة . ولا شك أن في هذه الرواية شيئا من المبالغة ، ولكن لعل المقصود أنهم كانوا يحرسون قصر الأمير وتكنات حرسه . والراجح أن الأمراء الاخشيديين -- ولاسيما محمد بن طفيح ثم كافور -- كانوا يؤلفون حرسهم الخاص من آلاف من الجند نشبها بالخلفاء والملوك وكبار الأمراء في أنحاء العالم الاسلامي .

الحازن

ومن وظائف البلاط في العصر الاخشيدى وظيفة الحازن، والراجح أنه كان يتولى أمر خزانة الأمير ويشرف على ما في قصره فضلا عن ادارة ممتلكاته الخاصة . ولعله يشبه صاحب بيت المال في العصر الفاطمي^(١) والحازن دار في العصر المملوكي^(٢) وناظر الخاصة في عصرنا الحالي . وعن شغل هذه الوظيفة محمد بن عبد الله الحازن ، وقد شغلها على عهد الاخشيد نفسه . وكان عظيم السلطان وله عدد من الأعوان والمساعدين^(٣) . ولسنا نعرف هل هو محمد الحازن الذي أشار إليه أبو صالح الأرمني وذكر أنه كان يعيش في أيام كافور الاخشيدى^(٤) .

طبيب البلاط

ومن الوظائف الرئيسية في بلاط الاخشيديين وظيفة طبيب الأمير . وقد وصل إلينا اسم طبيب الاخشيد . وهو ابو الفرج الباسي ، وعرفنا أنه كان يقيم في قصر الأمير دائما وكان يصحبه في أسفاره^(٥) ويشرف على ألوان الطعام الذي كان يقدم إليه ويمنع مالا يصلح منها لحالة الأمير الصحية^(٦) .

(١) راجع القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٨٥

(٢) المرجع نفسه ج ٥ ص ٤٦٢ — ٤٦٣ ، وعلى ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ

المماليك ص ٢٠١

(٣) ابن زولاق : أخبار سيويه المصري ص ٣٠ — ٣١

(٤) تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني ص ١٢٢

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٤٣

(٦) المرجع نفسه ص ٣٦

سائر الوظائف

وطبيعي أن بلاط الأمير وقصره كان يضم عددا كبيرا من مختلف الموظفين والخدم والفراشين اللازمين لمطابخه وخزائنه واصطبلاته وأصحاب صيده وما إلى ذلك مما لا حاجة إلى تفصيل الكلام عليه ^(١).

(١) راجع في هذه المناسبة ما جاء عن قصر الخليفة وبلاطه ببغداد في هلال الصابي :
الوزراء تاريخ ص ١٥ — ١٩

الباب الخامس

الإدارة والموظفون

الإدارة والموظفون

(١)

الوزير^(١)

لم تعرف مصر منصب الوزارة في عصر الولاة ، وذلك بحكم تبعيتها إلى الخلافة مباشرة . ثم جاء الطولونيون فأخذوا وزراء لهم تشبها بالخلفاء^(٢) . وفي عهد محمد بن طنج الاخشيد ولى الوزارة أبو بكر محمد بن علي الماذرائي . وقد مر بنا أن أبا بكر الماذرائي كان في صحبة الفضل بن جعفر بن الفرات مقبوضا عليه . فلما عاد ابن الفرات من العراق وتوفي بالرملة في جمادى الأولى سنة ٣٢٧ استدعى الاخشيد الماذرائي وأطلق سراحه ورد إليه الأمور ، وقد كتب المقرئ في هذا الصدد : « وخلع علي ابنه الحسين بن محمد وقلده السيف وألبسه المنطقة ولزم محمد بن علي الدراعة وسار إلى منزله وخلفه ابنه بالخلع فعدت الأمور كلها إليه^(٣) » . ولكن ابن سعيد ذهب إلى أن رد الأمور إلى الماذرائي لم يكن إلا في العام التالي . وكتب ابن سعيد في هذا الشأن . « وفي رجب سنة ثمان وعشرين أطلق الاخشيد أبا بكر محمد بن علي الماذرائي واستوزره واستكتب ابنه الحسين بن محمد وخلع عليه وصرفه إلى داره فثنى بين يديه أهل الدولة

(١) راجع عن الوزارة في التاريخ الاسلامي ابن القطي : الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ص ١١٠ — ١١١ والماردى : الاحكام السلطانية ، الماردى : كتاب أدب الوزير ، وابن عبدوس الجهشياري : كتاب الوزراء ، وابن الصيرفي : الاشارة إلى من نال الوزارة ، و خليل الظاهري : زبدة كشف الممالك ، وابن خلدون : المقدمة (الفصل الرابع والثلاثون في مراتب الملك والسلطان وألقابهما) ص ١٩٧ وحسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ١٤٤ و Zaky Hassan : Les Tulunides p. 194 .

(٢) Zaky Hassan : op. cit. pp. 194-195

(٣) المقرئ : المقفى (النص العربي في رسالة جوتشلك) ص ١٢٣ — ١٢٤ وابن سعيد :

وابنه الحسين خلفه بالخلع ومشي الشريف أبو جعفر مسلم بين يديه حتى حلف عليه فركب ورد اليه الاخشيدي التديير بمصر والشام والرملة ولبس الدراعة ونزع الطيلسان ، وكان (الاخشيدي) لا يصدر إلا عن رأيه ولا يخليه من حضور مجلسه ويعول للناس إذا انصرف « كم قبلت يده ووقفت بين يديه » ^(١) .

والراجح عندنا أن الماذرائي قدم إلى مصر بعد وفاة ابن الفرات وأن الاخشيدي أطلق سراجه واسكنه لم يرد إليه تدبير الأمور ولم يتخذ وزيراً له إلا بعد أن عاد من حملته الأولى في الشام لقتال ابن رائق أي في رجب سنة ٣٢٨

ومهما يكن من الأمر فإن هذا النص الذي نقلناه عن ابن سعيد يشير إلى أن الوزير في مصر عندئذ كان يتميز بلبس الدراعة ونزع الطيلسان ^(٢) . ولا عجب فقد « كان الاشتغال في الدواوين يختلف عن عمل الفقهاء والعلماء كل الاختلاف ، فكان المشتغل بإدارة الدواوين هو ممثل الثقافة الأدبية وكان لا يعالج العلوم الشرعية إلا بمقدار ما يتطلبه عمله وثقافته . أما التمايز الظاهري بينهم فكان يتجلى في أن الكاتب يلبس دراعة ، على حين أن العالم يلبس الطيلسان ^(٣) » .

ولما خرج الاخشيدي في حملته الثانية لقتال ابن رائق استخلف على مصر أخاه أبا المظفر الحسن بن طنج ومعه الوزير محمد بن علي الماذرائي ^(٤) . واستحق الماذرائي في هذه الفترة تقدير الاخشيدي وشكره ، لأنه كان خير عون للحسن بن طنج في تهدئة أحوال الناس والقضاء على الاضطراب الذي قام بسبب وصول أخبار غير مطمئنة

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٥

(٢) كان الوزير العباسي يلبس دراعة وقيصاً ومبظة وخفا . أنظر هلال الصابي : تاريخ الوزراء ص ٣٢٥ ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٤٥ والدراعة قيص مفتوح من الامام إلى موضع القاب ومزين بالزوارب النفيسة والطيلسان شبه طرحة أو شال يلقي على الكتفين وعلى الرأس في بعض الأحيان أنظر Dozy : Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes pp. 177, 278-280.

(٣) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٣٦ نقلاً عن المقدسي وياقوت .

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٢٩ و ٣٨

من ميدان القتال^(١) . ولما عاد الاخشيد من هذه الحملة وقع له مع الماذرائى حادث كان وخيم العاقبة على هذا الوزير . ذلك أن الاخشيد رأى قبل وصوله إلى النسيطاط وفدا بادر إلى لقاءه وتوقع أن يكون على رأسه محمد بن على الماذرائى وخشى ألا يترجل هذا الوزير عند ما يصل إليه فأرسل الحسين بن محمد الماذرائى — وكان في صحبته — ليلقى أباه . وأحس الحسين بما في نفس الأمير فبادر إلى أبيه وقال له :

« الاخشيد قد قرب منك وقد رآك فأخرج رجلك من الركاب فهو يرض منك بها »
 ففضب الماذرائى الكبير ورفض أن يترجل أو يخرج رجله من الركاب عند لقاء الاخشيد بل عانقه وهو على ظهر حصانه ، واستاء الاخشيد فأقبل على محادثة كاتبه محمد بن كلا وانصرف عن الماذرائى ، وطلب الأخير إلى غلامانه إخراجه من زحمة الموكب : وفطن الاخشيد إلى هذا وأراد أن يتجنب حدوثه فاستدعى الماذرائى وسأره . ومما يشهد بعلو مكانة هذا الوزير ما يروى عن قوله ، حين فأخجه ابنه باظهار الترجل للاخشيد :
 « ذهاب المال أهون على من هذا »^(٢) ! ولكن الاخشيد حقد عليه وما لبث أن قبض عليه وعلى ابنه الحسين سنة ٣٣١ هـ .

ومما يستحق الذكر أننا نلاحظ في ذلك العصر نوعا من الحبس يشبه اعتقال بعض عطاء الرجال في عصور التاريخ ولا سيما العصر الحديث . فان الاخشيد أعد لاعتقال الماذرائى دارا أسرف في تزيينها وتأمينها وزودها بجميع ما يحتاج اليه من ملابس وطيب وطرائف وما كل ومشارب . ولم يعثقه فيها حتى تأكد من أنه لا ينقصها شيء . وقد سئل الاخشيد كيف عمل هذا كله للماذرائى فقال : « هذا ملك ! وأردت أن لا يهتمر بشيء لنا ولا بطلب حاجة إلا ويجدها ، لأنه ان عجز شيء أحضره من داره ونسقط من عينه »^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٨

(٢) المرجع نفسه ص ٣٨ — ٣٩

(٣) المقرئى : الملقى (فى رسالة جوتشلك) ص ١٢٤

وهكذا نرى كيف كان هذا الوزير ملكاً غير متوج أو كأنه أمير كبير من أمراء
الإفطاع يرعى جانبه أمير البلاد ويخشى بأسه .

ثم أطلق الأخشيد سراح محمد بن علي الماذرائى وابنه الحسين في العام التالى .
ولكنه حين عزم على السير للقاء الخليفة المتقى في الشام سنة ٣٣٢ هـ قبض عليه ثانية
وصادر جزءاً كبيراً من أملاكه وجمعه معه إلى الشام ^(١) . ويروى أن الخليفة المتقى
طلبه من الأخشيد فأجاب بأنه ليس معه ^(٢) ، وقيل ان الأخشيد عرض دلى الماذرائى
مقابلة المتقى وان الماذرائى رفض هذه المقابلة ^(٣) . وعلى كل حال فإن الماذرائى
عاد مع الأخشيد إلى مصر وظل بها إلى أن توفى الأخشيد سنة ٣٣٤

ويبدو أن مقاليد الأمور كانت حينئذ في يد صاحب الخراج وهو محمد بن علي
ابن مقاتل الذى كان كاتباً لابن رائق ^(٤) ثم ولاء الأخشيد خراج مصر في نهاية
سنة ٣٣٢ أو في بداية سنة ٣٣٣ هـ ^(٥) . وجمع بعد ذلك إلى ولاية الخراج كثيراً
من اختصاصات الوزير حتى صار له هذا اللقب في رأى كثير من المؤرخين ^(٦) .

وقد صر بنا الكلام على اجتماع وجوه القوم بعد وفاة الأخشيد وتبادل الرأى
فيمن يخلفه وعرفنا أن أبا بكر الماذرائى كان له الفضل في تنصيب أو نوجور وأنه كوفىء
على ذلك بأن قلده تدير الأمور . والواقع أنه جمع بين أعمال الوزارة والإشراف
على الخراج بعد عزل محمد بن علي بن مقاتل ^(٧) . ويبدو أنه كان يشعر بتقدمه في العمر

(١) ابن سميذ : المغرب ص ٤٠

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المقرئى : المتقى (في رسالة جوتشك) ص ١٢٤

(٤) ابن سميذ : المغرب ص ٢٩ و ٣٨

(٥) كتب ابن الأثير في حوادث سنة ٣٣٢ أن ناصر الدولة بن حمدان استعمل في ربيع
الأول من هذه السنة أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل على طريق الفرات وديار مضر وجند
قدسرين والواصم وحمص ثم عزله في شهر رجب . وكتب في حوادث سنة ٣٣٣ ان ابن مقاتل
كان في حلب حين قدم إليها الأخشيد فأكرمه هذا الأمير واستعمله على خراج مصر (السكامل
ج ٨ ص ١٤٨) . أنظر أيضاً ابن سميذ : المغرب ص ٤٥ وابن خلدون : الأبرج ج ٣ ص ٤١٨

(٦) السكندى : الولاة والقضاة ص ٤٩١ و ٥٦٧ و ٥٦٨

(٧) ابن سميذ : المغرب ص ٤٥ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩

ويريد أن يهد الوزارة لابنه فرفض في البداية أن يقبل تدبير الأمور حين طلبت منه ذلك أم أونوجور وأيدها رجال الحاشية . ولما أُلحوا عليه قال : « على أن لا تزع الطليسان ، ولكن ابني أبا علي (يعني الحسين بن محمد) يكون وزيرا وأنا أدبر الأمر » ^(١) فأجابوه إلى ذلك .

والظاهر أن الوزير كان يصرف الأمور في داره أحيانا وفي دار الإمارة أحيانا أخرى وأن بعض رجال الحكومة كانوا يركبون معه إذا خرج ويشيعونه إلى داره وإلى المسجد يوم الجمعة ^(٢) .

وقد روى المقرئ في كتاب المقفي أن محمد بن علي الماذرائي بقي في مصر إلى جانب أونوجور يدبر أمور البلاد حين خرج كافور على رأس الجند ومعه الحسين ابن محمد الماذرائي لقتال سيف الدولة بن حمدان ، وأن غلبون ثار في الصعيد سنة ٣٣٥ و قدم إلى القسطنطينية وأفلح في هزيمة أونوجور ففر هذا الأمير ومن معه ومن بينهم أبو بكر الماذرائي وتبعهم أصحاب غلبون فأدركوا الماذرائي وقد سقط عن بعلمته فأتوا به إلى غلبون فأكرمه وفوض إليه تدبير الأمور . وجلس الماذرائي في دار الإمارة ولكن أونوجور وأصحابه عادوا إلى المدينة وتم لهم النصر . ولما رأى أن الماذرائي قبل التعاون مع الثائر غلبون أمر بضربه ونهبت داره ودور أهله وعزله الأمير واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات . ولكن الوزير المعزول ما لبث أن عاد إلى منصبه عندما قدم كافور من الشام سنة ٣٣٦ وصار إليه تدبير أمور البلاد . ورد إليه كافور ما بقي من ضياعه وضياع ابنه .

وعاش أبو بكر الماذرائي السنوات الأخيرة من حياته بعيدا عن الشؤون العامة إلى أن توفي سنة ٣٤٥ وهو في الثامنة والثمانين من عمره . وحضر أونوجور وكافور الصلاة عليه ^(٣) . وانتهى بموته ما كان للماذرائيين من سلطان في إدارة مصر نحو سبعين عاما .

(١) المقرئ : المقفي (رسالة جوتشك) ص ١٢٤

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع نفسه ص ١٢٥ ، وابن سعيد : المغرب ص ١٦١ — ١٦٤

ولا ريب في أن مادونه المؤرخون من سيرة أبي بكر الماذرائي — على ما فيه من مبانة ظاهرة — يشهد بما جمعه من أموال ضخمة وما كان له من مظاهر الكرم والعطاء والترف . وحسبنا أن نشير إلى ما يقال عن إنفاقه على ستين ألفا من الناس في مكة كل عام وأنه كان يجري عليهم الرزق من الدقيق والتمح والدرهم . وكان له بمصر من يجرى عليهم مائة ألف رطل من الدقيق في كل شهر واجتمع له مائة ألف عبد أعنتهم في طول عمره . وملك بمصر من الضياع الواسعة ما لم يملكه أحد قبله حتى بلغ دخل أملاكه أربع مائة ألف دينار في كل سنة سوى الخراج . وحج إحدى وعشرين حجة « وكان يقال انه ينفق في كل حجة مائة ألف دينار ويخرج معه تسعين ألف ناقة لنفسه وأربع مائة عربي لجهازه ومؤناته ومعه محامل فيها أحواض البقل ومحامل فيها أحواض الريجان ومحامل فيها الكلاب للصيد وكان يحمل إلى الحجاز في البر والبحر جميع ما يحتاج اليه يفرقه هناك : الدنانير والدرهم والثياب والطيب والحلوى والحبوب وسائر الأطعمة والتمح والدقيق والشعير والزيت . ولا ينصرف عن الحجاز إلا وجميع من فيه أغنياء »^(١).

* * *

ويبدو أن الاخشيد كان له أعوان آخرون يقومون بأعمال الوزير دون أن يكون لهم لقبه في بعض الأحيان . وفضلا عن هذا فقد كان الوزير العباسي الفضل بن جعفر يعاون الاخشيد في الحكم والادارة على الرغم من أن مهمته الأولى التي ندب لها من قبل الخلافة العباسية هي الاشراف على جمع الأموال للخلافة من خراج مصر والشام . والواقع أن الفضل بن جعفر كان سياسيا ممتازا واستطاع ببروتته وكياسته أن يوفق بين عمله مندوبا ووزيرا للخلافة واتصاله بالاخشيد ونصحه له وتفهيم وجهة نظره في الاستقلال الذاتي لمصر . وقيل انه لما توفي الفضل بن جعفر بن الفرات حزن محمد بن طنج حزنا شديدا وكان يتقبل فيه العزاء من الناس .

وبعد وفاة الفضل كتب الخليفة الراضى الى الاخشيدي يأمره بانفاذ ابنه جعفر ابن الفضل الى بغداد ليتقلد منصب الوزارة ولكن الاخشيدي لم يستطع أن يجيب هذا الطلب . والظاهر أن صلة النسب بين جعفر بن الفضل بن جعفر والاششيدي جعلت الأول يؤثر البقاء في مصر بعيدا عن جو الدسائس في بغداد . ومع ذلك فان بنى الفرات كانت لهم مكانة هامة في دار الخلافة فلا عجب إذا نزل الخليفة على إرادة جعفر بن الفضل وأعفاه من الذهاب إلى بغداد وعينه خلفا لأبيه وزيراً للكشف عن أعمال الاخشيدي في مصر والشام ^(١) . وطبيعى أن عمل جعفر بن الفضل كان مثل عمل أبيه أشبه شيء بعامل البريد من قبل الخلافة أو بعبارة أخرى كان هو وأبوه من قبله مندوبين للخلافة في مصر والشام يرقبان أعمال الاخشيدي ويتجسسسان عليه إذا أرادا . ولكن الاخشيدي استطاع بسياسته أن يوطد الصلة بهما وأن ينفع بخبرتهما وبما كان لهما ولأسرتهما من نفوذ في دوائر الخلافة .

والظاهر أن جعفر بن الفضل بن جعفر كان يعد نفسه مصريا اخشيديا ولم تكن صلته بالخلافة إلا صلة اسمية . فلا عجب إذا اعتبره المؤرخون وزيراً للاخشيديين من سنة ٣٣٤ هـ الى الفتح الفاطمي ^(٢) . ويعرف جعفر بن الفضل باسم ابن حنزابة . وحنزابة — بكسر الحاء وسكون النون — اسم جدته ويقال انها كانت جارية رومية ^(٣) . وكان جعفر واسع السلطان في ادارة مصر على عهد كافور ^(٤) ولكن نفوذه زاد كثيراً بعد وفاة هذا الأمير حتى استطاع في عهد أبي الفوارس احمد بن على الاخشيدي أن يقبض على نفر كبير من رجال

(١) ابن سميدي : المغرب ص ٢٤

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٧ — ١٣٨ وياقوت : معجم الأدباء ج ٧ ص ١٦٣ وما بعدها ، والمقرئزي : الخطط ج ٢ ص ١٥٦ و ٥١٠ ، وأبو المحاسن : ج ٣ ص ٢٩٢ و ج ٤ ص ٦

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٩ وابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٠

(٤) قيل ان المتنبي نظم في جعفر بن الفرات قصيدته التي مطلعها :

باد هوالك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمك أو جرى

ولكنه لم يظفر منه بالمطاء المنتظر فلم ينشده إياها ، ولما خرج إلى إيران صرفها إلى ابن العميد فأعطاه ثلاثة آلاف دينار . أنظر ابن العميد : شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٢

وديون المتنبي ص ٤٤٣

مصر وأن يصادر أموالهم . وكان من بينهم يعقوب بن كلس الذى استطاع أن يخرج خلسة الى الفاطميين في افريقية وكان عوناً كبيراً فى وضع الخطط لفتح مصر كما سنرى فى نهاية هذا الكتاب .

ولم يكن جعفر بن الفضل موفقاً مع الجند ، فقد عجز عن ارضاء مختلف طوائفهم بعد أن طالبوه بما لا طاقة للحكومة باجابه ، فناروا عليه ونهبوا داره ودور أصحابه حتى اضطر إلى الاختفاء فترة من الزمن .

ولما قدم الحسن بن عبيد الله بن طفح منزهماً من القرامطة فى الشام قبض على هذا الوزير وصادر أمواله وتولى تدبير مصر بنفسه ثلاثة أشهر واستوزر كاتبه الحسن بن جابر الرياحى ^(١) . ولكنه ما لبث أن أطلق سراح جعفر بن الفضل بوساطة الشريف أبى جعفر الحسينى وفوض إليه أمر مصر ثانية . ثم سافر الحسن بن عبيد الله ابن طفح إلى الشام فى ربيع الآخر سنة ٣٥٨ ، وقدمت جيوش الفاطميين إلى مصر بعد مسيره بمدة يسيرة ^(٢) .

ومما يشهد بمكانة جعفر بن الفضل أن اسم كافور لا يذكر مع اسمه فى الكتابة التاريخية التى أشار إليها المقرئى ^(٣) . والتى وجدت بعض آثارها تخليداً لبناء بئر الوطاويط ^(٤) . وسوف نعود إلى الكلام على هذه الكتابة التاريخية .

وقد وصل إلينا اسمان لرجلين من رجال العصر الاخشيدى قيل إنهما وليا منصب الوزارة . والراجح عندنا أن الاخشيد فوض إليهما تدبير الإدارة فى فترتين قصيرتين خلا فيهما منصب الوزارة من صاحبه الماذرائى أو ابن الفرات . وأول هذين الرجلين أبو الحسن على بن خلف بن طباب . وقد ذكره المسعودى وأشار إلى أن الاخشيد

(١) كان هذا الوزير ممن وقعوا بعد ذلك فى أسر جوهر القائد وأرسلوا إلى القيروان أنظر المقرئى : تماظ الحفا ص ١٧١

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ، ص ٢٣ — ٢٤

(٣) الخطط ج ٢ ص ١٣٥

(٤) Wiet:Corpus, Egypte 11. pp 91 et suiv. (٤)

استوزره حين كان أبو بكر محمد بن علي الماذرائي معتقلاً^(١) وكان الاخشيد عندئذ في الشام ولما عاد إلى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن خلف . والظاهر أنه ظل محبوساً إلى أن توفي الاخشيد وتولى أونوجور وآل تدبير الأمور إلى ابني بكر محمد الماذرائي فأمر باطلاق سراحه^(٢) . ومهما يكن من الأمر فإن أبا الحسن علي بن خلف ابن طباب كان وزيراً للقائد التركي بمجكم في بغداد^(٣) ثم ولاء ناصر الدولة علي أعمال الحراج والضياغ بديار مصر والشام^(٤) ولجأ بعد ذلك إلى الاخشيد سنة ٣٣١ هـ واتخذ الاخشيد وزيراً له .

أما الوزير الثاني فهو أبو الحسن أو أبو الحسين محمد بن عبد الوهاب . وقد ذكره المسعودي أيضاً وأشار إلى أن الاخشيد استوزره بعد أن حبس علي بن خلف بن طباب^(٥) وإذا صح ما ذكره ابن سعيد نقلاً عن ابن زولاق فإن محمد بن عبد الوهاب هذا كان شيعياً واعتقله الاخشيد سبع سنين ثم أطلق سراحه واصطفاه فصار من خاصته وإليه يرجع الفضل في اقناع الاخشيد بالعدول عن الدعاء في الخطبة للخليفة الفاطمي حين كان حاتفاً على الخليفة العباسي بسبب عدوان ابن رائق^(٦) . وقد جاء ذكر محمد بن عبد الوهاب في ملحق أخبار القضاة الذي طبع مع كتاب الكندي نقلاً عن رفع الاصر لابن حجر العسقلاني وعن التيجوم الزاهرة بتلخيص أخبار قضاة مصر والقاهرة لابن شاهين . ووصف محمد بن عبد الوهاب هذا بأنه كان عامل مصر ومدبر أمرها نحو سنة ٣١٣ هـ^(٧) . ولسنا نستطيع الجزم بأن هذا العامل الذي كانت بيده مقاليد الأمور بمصر في فترة وجيزة جداً من ولاية تسكين هو الذي حبسه الاخشيد بعد ذلك ثم استوزره زمناً قصيراً .

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٨ ص ٦٥

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٥

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٢٥

(٤) المرجع نفسه ج ٨ ص ١٣٦ و ١٣٩

(٥) المسعودي : مروج الذهب ج ٨ ص ٦٥

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ٢٧

(٧) الكندي : الولاة والقضاة ص ٥٣٢

وذكر ساويرس بن المنفع أن كافورا الأخشيدى كان له وزير قبلى اسمه أبو اليمىن قزمان بن مينا وأن الفاطميين أبقوه على حاله « ناظراً فى كورة مصر »^(١) والراجح أن قزمان بن مينا هذا لم يكن وزيراً وإنما كان من كبار الموظفين فى الشؤون المالية بمحاضرة مصر حينئذ . وعلى كل حال فالمعروف أنه نذب فى بداية العصر الفاطمى لبعض الدولة فى فلسطين وأنه جمع لنفسه مالا كثيراً^(٢) .

وصفوة القول أن معالم منصب الوزير فى العصر الاخشيدى غير واضحة تماماً واتنا لا نعرف اختصاصاته على وجه التحقيق . ومن المحتمل أن هذا اللقب كان يطلق فى بعض الأحيان على أكثر من شخص واحد فى الوقت نفسه . ولكن الراجح أن هذا المنصب كان يشغله فى معظم الأحيان شخص يفوض إليه الأمير معاومته فى تدبير كافة الأمور فى البلاد مستعينا بطائفة من كبار الموظفين وان منزلة بعض هؤلاء الموظفين كانت ترتفع حتى أنه ليوصف فى بعض الأحيان بأنه من وزراء الأمير^(٣) .

(١) ساويرس بن المنفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، المجلد الثانى الجزء الثانى

ص ٨٧ — ٨٨

(٢) تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ص ٤٦

(٣) أشار ابن الزيات (فى السكواكب السيارة ص ٢٠٠) إلى سبع قبور فى القرافة قيل انها قبور وزراء كافور . ولعلها قبور بعض كبار الموظفين فى العصر الاخشيدى .

(٢)

الكاتب

كانت وظيفة الكاتب من الوظائف الرئيسية في مصر الاخشيدية وفي الخلافة بوجه عام . إذ كان الكاتب يساعد الوزير في عمله ويحرر الرسائل التي يبعث بها الأمير إلى الخليفة أو إلى غيره من الملوك والأمراء ^(١) . ولذا كان الكاتب يختار ممن نالوا قسطاً كبيراً من الثقافة الأدبية وعرفوا بأصالة الرأي ، حتى يستطيع القيام بعمله على الوجه الأكمل . وكان من دواوين الادارة ديوان خاص تصدر عنه الرسائل والمكاتبات .

والواقع أن ديوان الانشاء أو ديوان الرسائل ازدهر نشاطه وظهرت الحاجة إليه منذ العصر الطولوني . وقد كتب القلقشندي في هذا الصدد أن الحالة الأولى لديوان الانشاء في مصر « ما كان الأمر عليه من حين الفتح وإلى بداية الدولة الطولونية ونواب الخلفاء تتوالى عليها واحدا بعد واحد فلم يكن لهم عناية بديوان الانشاء ولا صرف هممة إليه ، للاقتصار على المكاتبات لأبواب الخلافة والنزول اليسير من الولايات ونحو ذلك ، ولذلك لم يصدر عنهم ما يدون في الكتب ولا يتناقل بالألسنة » . أما الحالة الثانية . « فما كان الأمر عليه في الدولة الطولونية من ابتداء ولاية احمد بن طولون واستفحال ملك الديار المصرية في الاسلام وترتيب أمرها وإلى حين انقراض الدولة الاخشيدية ، وفي خلال ذلك ترتب ديوان الانشاء بها وانتظم أمر المكاتبات والولايات » ^(٢) .

ويبدو أن الأمير الاخشيدى كان له ديوان للانشاء على رأسه كاتب أو أكثر من كاتب واحد . وأن الكاتب لم يكن يعمل في تحرير الرسائل فحسب بل كان يقوم بما يدخل في عصرنا الحالي في أعمال رئيس الديوان أو السكرتير الخاص .

(١) مسكويه : تجارب الأمم ج ٥ ص ١٠٦

(٢) القلقشندي : صبيح الأتشي ج ١ ص ٩٥ و Zaki Mubarak : La Prose Arabe au IVe

وأول من نعرفه من كتاب الاخشيدي علي بن محمد بن كلا . وقد كان كاتبه في دمشق قبل قدومه إلى مصر . وهو الذي أوفده الاخشيدي إلى بغداد ليتمسك من الخليفة القاهر ولاية مصر فرد القاهر بأنه قد ولي عليها محمد بن تكين^(١) . وكان الاخشيدي عظيم الثقة بابن كلا . وقد مر بنا أنه أوفده إلى الرملة سنة ٣٢٨ هـ وفوضه في عقد الصلح بينه وبين ابن رائق ، بعد أن أفلحت وساطة الحسن بن طاهر العلوي بينهما^(٢) .

والظاهر أن ابن كلا لم يكن من رجال القلم فحسب ، بل كان من رجال السيف أيضا أو لم يكن بعيداً عنهم كل البعد . فقد نقل ابن سعيد عن ابن زولاق أن الاخشيدي أوفد ابن كلا على رأس عساكره إلى الشام بعد قتل ابن رائق^(٣) . ويبدو أن الاخشيدي لاحظ في سنة ٣٣٣ هـ أن هذا الكاتب جمع ثروة كبيرة فشك في أمره وصادر أمواله وقبض عليه^(٤) ، ولكنه أطلق سراحه بعد ذلك .

وكان ابن كلا بين الحاضرين في الاجتماع الذي عقد بدار الامارة في مصر لما ورد نعمي الاخشيدي^(٥) .

وكان الأمير يعتمد على كاتبه كل الاعتماد بوصفه « رئيس ديوانه » ، فكان يشاوره في معظم الأمور حتى خلط الناس في هذا العصر بين الوزير والكاتب في بعض الأحيان .

ومن ذلك أن أم أونوجور طلبت من أبي بكر الماذرائي أن ينوب عن ابنها وأن يدبر الأمور فقال : « على ألا أنزع الطيلسان ، ويكون ابني أبو علي (يعني الحسين ابن محمد) كاتبه ، فاتفقوا على ذلك »^(٦) أي أنه قبل أن يكون تدبير الأمور بيده .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٥

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥

(٣) المرجع نفسه ص ٢٩

(٤) المرجع نفسه ص ١٧ و ٤٠

(٥) المرجع نفسه ص ٤٥

(٦) المرجع نفسه

دون أن يكون هو وزيراً بل يكون ابنه كاتباً (أو وزيراً) لأونوجور^(١). وما يؤيد ذلك أيضاً أن جمال الدين بن ظافر الأزدي حتم النبذة التي كتبها عن أونوجور بقوله: « وكتابه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة »^(٢).

ومن كتاب العصر الاخشيدى محمد بن عبد الرحمن الروذبارى . وكان يعاون الفضل بن جعفر بن الفرات ، وقد خلفه في أعماله حين سافر ابن الفرات إلى بغداد^(٣) . ومنهم على بن صالح الروذبارى ، وقد كتب المقرئى أنه كان كاتباً لكافور وأنه حسن له أن يوفر من « ميزانية » الرواتب بخفضها وأن الله ابتلاه بمرض قضى عليه سنة ٣٤٧ هـ وأن « هذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء »^(٤) .

ويبدو من الموازنة بين النصوص التاريخية المختلفة أن طائفة الكتاب في العصر الاخشيدى كانت تنقسم قسمين : الأول الكتاب السياسيون وهم الذين كانوا مجال حديثنا في السطور السابقة وكان القوم يخلطون بينهم وبين الوزراء . أما القسم الثانى فالكتاب الذين كانوا يشتغلون بتحرير الرسائل ويؤلفون ديوان الانشاء بالمعنى الذى ذكره القلقشندى وأشرفنا إليه في بداية هذا الفصل .

وكان زعيم أولئك الكتاب المحررين في العصر الاخشيدى ابراهيم بن عبد الله بن محمد المنجبرى^(٥) . وسوف نعود إلى الكلام عليه حين نتحدث عن الأدباء والعلماء . وذكر المؤرخون أن من كتاب الاخشيد ابا جعفر بن المتفق وابن تومانس^(٦) ، ولكننا لم نستطع أن نعث في المراجع التاريخية على شىء من سيرتهما ، اللهم إلا مارواه

(١) نص المقرئى صراحة على أن الماذرائى قال : « على أن لا أنزع الطييسان ، ولكن ابني أبا على يكون وزيراً وأنا أدبر الأمر » . أنظر المتقى في رسالة جوتشك ص ١٢٤

(٢) ابن ظافر الأزدي (في وستنفلد) ص ٥٨

(٣) ابن سميد : المغرب ص ٢٥

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٩

(٥) نسبة إلى نجبرم وقد قال السمعاني إنها محلة بالبصرة وخالفه ياقوت فقال إنها بلدة صغيرة على مقربة من سيراف على ساحل الخليج الفارسى . أنظر ياقوت : معجم البلدان : مادة نجبرم

وياقوت : معجم الأدباء ج ١ ص ١٩٨ — ١٩٩

(٦) ابن ظافر الأزدي (في وستنفلد) ص ٥٨

ابن سميد نقلًا عن ابن زولاق بشأن نفي ابن توماس إلى الإسكندرية بعد وفاة الاخشيدي وقبض الماذرائي على مقاليد الأمور^(١) ثم مارواه عن اشتراك ابن المتفق بثلاثمائة دينار في نفقات منزله أقامه الاخشيدي^(٢).

(١) ابن سميد : المغرب ص ٥ ؛ أظن أيضاً ص ١٧ من المرجع نفسه ، وقد ورد هذا الاسم في ابن سميد ابن توماقس وابن قوماقس .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢

(٣)

ولاية الأقاليم

من المعروف أن العرب لم يغيروا كثيرا في الأساليب الادارية البيزنطية بمصر ولا في تقسيم البلاد الادارى على عهد البيزنطيين . فظلت البلاد تنقسم إلى أقسام يعرف كل منها باسم « كورة » وعلى رأسه حاكم يسمى صاحب الكورة وله اختصاصات تشبه إلى حد ما اختصاصات المديرين الحاليين ، كما كانت لأصحاب الكورات إمامة الصلاة في المساجد الجامعة بجواضر كوراتهم^(١) . وفضلا عن ذلك فقد كانت البلاد تنقسم أحيانا إلى عدة أقسام كبرى بحسب موقعها الطبيعي ، فكانت هناك مصر العليا ومصر السفلى ومصر الوسطى . وتسمى مصر السفلى « أسفل الأرض » ومصر الوسطى « الصعيد الأوسط » . وكانت السلطة المركزية في الفسطاط تعين في بعض الأحيان حاكما عاما على كل إقليم من هذه الأقاليم الكبرى . ولكن أصحاب الكورات كانوا مسؤولين أمام أمير البلاد مباشرة ، ولسنا نعرف تماما اختصاص حاكم الإقليم الذى يتألف من عدة كورات . والواقع أننا لانستطيع أن نؤكد أن البلاد كانت تشتمل دائما على أقاليم كبرى تضم عددا من الكورات ، ولكن المراجع التاريخية تشهد بوجود هذا التقسيم أحيانا . وكان لسلك من المدن الساحلية والواحات وبرقة وسينا حاكم يعينه الأمير أو يعينه الخليفة مباشرة . ومع ذلك فقد كان بعض المناطق كورة قائمة بذاتها أو كان يضم عدة كورات^(٢) . والراجح أن مصر كان بها نحو ثمانين كورة تضم كل منها عددا من القرى والعزب ، يرأس كل منها « مازوت » ، وهو العمدة الحالى وقد عرف منذ العهد الطولونى باسم « العميد »^(٣) .

(١) أنظر سيدة كاشف : مصر في بحر الاسلام ص ٢٨ — ٢٩ وما ذكر فيهما من المراجع القديمة .

(٢) المقرئى : الخلط ج ١ ص ٧٣

(٣) Ibn Said-Vollers ; Fragmente p. 34

ومن المحتمل أنحكام الأقاليم أو الكورات المهمة كانوا يختارون من كبار قواد الأمير وأعوانه . أما اختيار المازوت أو العمدة فلسنا نعرف قواعده تماماً ، ولكننا نرجح أن المازوت كان من أهل القرية نفسها وأن رؤساء الكورات كانوا يحتفظون بقوات من الشرطة بتمددون عليها في إقرار النظام . ولسنا نعرف شيئاً عن رواتب رؤساء الكورات وحكام الأقاليم . وبالنظر إلى أن الحكومة كانت تعتمد عليهم في جمع الضرائب المقررة فالراجح أنهم كانوا يحجزون من الضرائب رواتبهم والأموال اللازمة لإدارة كوراتهم . أما المدن والأقاليم التي كان الأمراء يفتحونها في الشام فكان على رأس كل منها حاكم بعينه الأمير .

وقد ظل هذا النظام قائماً في عصر الولاة وفي العصر الطولوني^(١) وفي الفترة التي تفصل العصرين الطولوني والاخشيدي . والراجح أن قصر العصر الاخشيدي وطبيعة البلاد وأصالة هذا النظام كل ذلك كان من شأنه أن يبقى هذا النظام في العصر الاخشيدي نفسه . والواقع أن النصوص التاريخية التي وصلت إلينا عن حكم الأقاليم وتقسيمها الإداري في العصر الاخشيدي قليلة .

ومن ذلك ما رواه المقرئ بنقل عن وثيقة بخط كاتب قبلى كان من ولاة الحراج في العصر الاخشيدي . وقد جاء في هذه الوثيقة أن قرى مصر كانت سنة ٣٤٥ هـ ألفين وثلاثمائة وخمسا وتسعين قرية ، منها بالصعيد تسعائة وست وخمسون قرية وبأسفل الأرض ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون قرية^(٢) .

ويبدو أن حاكم الأقاليم في العصر الاخشيدي كان يعرف أحيانا باسم والى الحرب^(٣) . وقد ذكر الكندي عند الكلام على ثورة غلبون والى اقليم الأشمونين ، أنه كان والى الحرب في هذا الإقليم^(٤) .

(١) Zaki M. Hassun : Les Tulunides pp. 196-199 وما جاء فيها من المراجع القديمة .

(٢) المقرئ بنقل : الخطط ج ١ ص ٧٣

(٣) يذهب بعض المستشرقين إلى أن والى الحرب هو صاحب الشرطة ولكننا نرجح أن والى الصلاة والحرب هو الحاكم العام للأقاليم . أنظر Wiet : Corpus, Egypte II. p. 54.

(٤) الكندي : الولاة والنضاة ص ٢٩٥ و Maspero et Wiet : Matériaux pour servir à la géographie d'Egypte p. 21.

وممن وصل إلينا أسماءهم من ولاية الأقاليم فاتك الاخشيدي الذي ولى دمشق^(١) ،
وشعلة بن بدر الاخشيدي الذي وليها أيضا سنة ٣٣٨ هـ^(٢) . وذلك فضلا عن الحسن بن
طفيج وعبيد الله بن طفيج وقد مر بنا أنهما ولياها من قبل أخيهما الاخشيدي^(٣) .

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٩ — ٣٣٠ ج ٤ ص ٤ — ٥
(٢) المرجع نفسه ج ٣ ص ٢٩٩ و ٣١٣
(٣) المرجع نفسه ج ٣ ص ٣١٠

(٤)

صاحب الشرطة ^(١)

كانت الشرطة في التاريخ الاسلامي نخبة من الجند يتبعون الخليفة أو حكام الأقاليم ويهدد إليهم بأعمال البوليس وحفظ النظام ورعاية الأمن . ويسمى رئيسهم صاحب الشرطة أو صاحب الشرط أو غير ذلك مما يفيد هذا المعنى ^(٢) وكان صاحب الشرطة هو الحاكم الفعلي للمدينة التي يرأس شرطتها ^(٣) ، وكان له سلطان واسع مستمد من الخليفة أو الأمير ^(٤) وكان صاحب الشرطة في مصر الى عهد قيام ابن طولون يمين من قبل الوالى . ولما أنشأت العسكر على يد أول الولاة العباسيين في مصر أنشئت في حاضرة مصر الاسلامية شرطة جديدة سميت الشرطة العليا ^(٥) ، وكان مقرها دارا جنوبي المكان الذى شيد فيه ابن طولون مسجده الجامع ^(٦) . ولا ترجع تسميتها الشرطة العليا الى أنها أعظم شأنًا من شرطة الفسطاط كما قد يتبادر إلى الذهن ^(٧) . ولكن هذه التسمية مشتقة من الموقع

(١) راجع عن الشرطة في الاسلام مقال «شرطة» الأستاذ تزرتشتين Zetterstein في دائرة المعارف الاسلامية وما ذكر فيه من المراجع القديمة .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥٤ و Wiet : Corpus Egypte II. pp. 51-62

(٣) مما يؤيد ذلك ما كتبه السكندى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج صاحب الشرطة في ولاية يزيد بن حاتم المهدي على مصر سنة ١٤٥ فقد قال انه «على الفسطاط» . والواقع أن عبد الرحمن هذا جمع بعد ذلك بين القضاء وولاية الشرطة فنكتب السكندى أنه جمع بين «القضاء وخلافة الفسطاط» ، أنظر السكندى : الولاة والقضاء ص ٣٢٤ والمقريري : الخطط ج ٢ ص ٣٣٨ فضلا عن أن صاحب الشرطة كان يسمى في عصر المماليك «الوالى» أو صاحب العسس . أنظر المقريري : الخطط ج ٢ ص ٢٢٣ وكان يسمى عند الموحدين في المغرب «الحافظ» أنظر القاشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٣٩

(٤) اقرأ في القاشندى : صبح الأعشى ج ١٠ ص ٢٠٢ و ٢١٥ ما جاء بشأن ما يجب أن يكون عليه صاحب الشرطة في وصايا كتبها عبد الحميد بن يحيى الكاتب عن الخليفة الأموي مروان بن محمد لبعض من ولاة .

(٥) المقريري : الخطط ج ١ ص ٣٠٤

(٦) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٦٤

(٧) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٣

وحدود الاختصاص وأشهد بأن تقسيم الفسطاط الى «عمل فوق» و «عمل أسفل» يرجع الى عهد انشاء المسكر سنة ١٣٣ هـ^(١). بل ان صاحب الشرطة السفلى في الفسطاط كان أعلى شأنًا وأعظم اختصاصا من زميله بوصفه حاكم القسم الرئيسي الأصيل في الحاضرة. ونرى أن الكندي يذكرها معاً مرة واحدة^(٢)، ولكنه لا يذكر بعدها إلا صاحب شرطة الفسطاط^(٣).

ومن المحتمل أن صاحب الشرطة في الحاضرة كان له أعوان في سائر أنحاء البلاد ولكن الراجح عندنا أن ولاية المدن والأقاليم في ريف مصر كان لكل منهم شرطة يتخذها لإقرار الأمن والمحافظة على النظام في منطقة حكمه.

ولما قدم محمد بن طغج الى مصر واستقر له الأمر عين على الشرطة سعيد بن عثمان غلام الأحول في رمضان سنة ٣٢٣، وكان سعيد هذا صاحب الشرطة على عهد أحمد بن كينغغ ولكنه لحق بابن طغج عند قدومه فكافأه على ذلك بتعيينه في هذا المنصب^(٤).

وتوفي سعيد بن عثمان في صفر سنة ٣٢٨ هـ فقام غلامه بدر مقامه الى شهر جمادى الأولى. ثم عين شادن مولى الفضل بن جعفر بن الفرات^(٥) وما لبث أن عزل في شعبان من السنة نفسها، وخلفه على الشرطة على بن سبك الى ربيع الآخر سنة ٣٢٩ هـ ثم الحسين بن على بن معقل الى رجب ثم ينال الحاكي الى ذى الحجة من السنة نفسها حين أعيد على بن سبك. وظل ابن سبك في هذا المنصب الى رمضان سنة ٣٣٠ حين صرف عنه وعين احمد بن موسى بن زغلمان^(٦). وعزل ابن زغلمان في جمادى الأولى

(١) كتب المقدس (أحسن التقاسيم، طبعة دي غوييه ص ١٩٩) ان جامع عمرو كان يسمى الجامع السفلى وجامع ابن طولون الجامع العلياى. راجع عن هذا التقسيم خطط المقرئى ج ١ ص ٢٩٩ و ٥

(٢) الكندى : الولاية والقضاة ص ١٠٢

(٣) المرجع نفسه ص ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٨

(٤) الكندى : الولاية والقضاة ص ٢٨٥ — ٢٨٦ وأبو الهاسن : النجوم الزاهرة

ج ٣ ص ٢٥١ — ٢٥٢

(٥) الراجح أنه غير شادن الصقلبي غلام الاخشيد. أنظر ابن سعيد : المغرب ص ١٤ — ١٩

٢٨ و ٣٣ و ٣٤

(٦) كان من قواد الاخشيد. أنظر المغرب : ابن سعيد ص ١٨

سنة ٣٣١ وعين على الشرط محمد بن داوود وكان ممن عملوا مع ابن رائق ثم تركه وقدم الى مصر^(١) . وتوفي ابن داوود في جمادى الأولى سنة ٣٣٢ خلفه مظفر بن العباس الحيشمانى الى ذى القعدة سنة ٣٣٣ وبعده لؤلؤ الغورى الى ذى الحجة سنة ٣٣٤^(٢) ثم أعيد على بن سبك . وتوفي الاخشيد بعد ذلك ببضعة أيام .

أما أصحاب الشرطة في عهد خلفاء الاخشيد فان أسماءهم وتواريخ تعيينهم لم تصل إلينا كاملة ، وسبب ذلك أن السكندى وقف في كتابه عن ولاية مصر عند وفاة الاخشيد وأن هذا المؤرخ دون غيره من سائر المؤرخين في مصر الاسلامية كان يعنى بذكر أصحاب الشرطة عند الكلام على ولاية مصر .

ومهما يكن من الأمر فقد جاء في تذييل كتاب السكندى اسم صاحب الشرطة تكين الخاقانى . وكان تكين هذا من قواد الاخشيد^(٣) ويبدو أنه ولى الشرطة على عهد اونوجور ثم عزل وخلفه عليها جندى اسمه نصر وقد أظهر الظلم والقسوة وعزل سنة ٣٤٤^(٤) .

ومن أصحاب الشرطة على عهد خلفاء الاخشيد بدر غلام يانس وقد وليها سنة ٣٥١ هـ .

وإذا حكمنا بما نعرف عن عصر الاخشيد نفسه فقد كان عدد أصحاب الشرطة في الدولة الاخشيدية كبيراً . والراجح عندنا أن ذلك كان وفقاً لسياسة محكمة تقضى بتعيين كبار الموظفين من حين إلى آخر ابعاداً لهم عن توطيد نفوذهم في أى مرفق من مرافق الدولة وتشجيعاً للتنافس بين الطامعين في الوظائف .

والمعروف أن صاحب الشرطة كانت له صفة سياسية في عصر الولاة وكان بمثابة نائب الوالى في حكم البلاد ، يحل محله إذا مرض أو تغيب ويحكم البلاد إذا توفي الوالى ،

(١) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩١

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩١ — ٢٩٣

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٣

(٤) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٦

إلى أن يصل الوالى الجديد . وكثيراً ما كان الخليفة يعين صاحب الشرطة والياً على البلاد إذا مات الوالى أو عزل أو استقال ^(١) .

أما في العصر الطولونى ثم في العصر الاخشيدى من بعده فلا نلاحظ وجود هذه الصفة السياسية . وكان الأمراء في الدولتين لا يستخلفون صاحب الشرطة ، فكانت مهمة الأخير تقف عند المحافظة على الأمن ومساعدة الأمير والموظفين القضائين في إقرار النظام بتنفيذ قراراتهم وأحكامهم والعمل على منع الجرائم والمخالفات .

ومما يلاحظ في وظيفة صاحب الشرطة وفي بعض الوظائف الإدارية بوجه عام أن معظم الذين كانوا يعينون فيها كانوا من الواقدين على مصر أو من المتصلين بالأمراء والجند الترك ولم يكونوا من أفراد الشعب المصرى ، الذى كان يعيش فى الغالب على هامش الأحداث السياسية ولا يشترك فى إدارة البلاد اشتراكاً ملموساً ^(٢) .

(١) أنظر سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٤ وما ذكر فيها من المراجع القديمة .

(٢) G. Wiet : Le Mosquées du Caire I pp. 66-70 ; Zaky M, Hassan : Les Tulunides pp. 212 — 222.

(٥)

عامل الخراج^(١)

من مظاهر استقلال مصر في العصر الاخشيدى أن اجتمعت لمحمد بن طفج ولاية الصلاة وولاية الخراج والأموال كما اجتمعنا لابن طولون من قبله^(٢) . والراجح أن عامل الخراج في الدولة الاخشيدية كان رئيس الهيئة التي تشرف على جمع الخراج وعلى تدبير نفقات الإدارة في البلاد أي أنه كان بمثابة وزير مالية للأمر .

ومما يؤسف له أن المراجع التاريخية لم تحفظ لنا شيئاً كثيراً عن عمال الخراج في مصر الاخشيدية ولا عن أساليبهم في جباية الضرائب وتنظيم مصروفات الدولة .

وقيل ان أبا الحسين الفرغانى كان على الخراج عندما دخل الاخشيد مصر^(٣) . وكتب أبو المحاسن أن كافورا قبض على أبي بكر محمد بن على بن مقاتل صاحب خراج مصر سنة ٣٣٥ وولى مكانه أبا بكر محمد بن على الماذرانى^(٤) . وقد مر بنا أن الماذرانى كان وزيراً وأن ابن مقاتل كان يقوم بأعمال الوزارة حتى حسبته بعض المراجع القديمة وزيرا . والواقع أن بعض وزراء هذا العهد ، كان لهم الاشراف على الشؤون المالية في البلاد وكان يطلق على الوزير في بعض الأحيان « صاحب الخراج » أو « متولى ديوان الخراج » .

ويبدو أن الاشراف على ديوان الخراج كان يدر على صاحبه مالا كثيراً فقد كتب الذهبي أن أبا بكر محمد بن على بن مقاتل — متولى ديوان الخراج — لما توفى سنة ٣٣٥ هـ وجدوا في داره ثلاثمائة الف دينار مدفونة^(٥) .

(١) أنظر ابن خلدون : المقدمة (الفصل الرابع والثلاثون في مراتب الملك والساطان وألقابها . ديوان الأعمال والجبایات) ص ٢٠٣

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٥

(٣) المرجع نفسه ص ١٧

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١

(٥) الذهبي : تاريخ الاسلام ص ٨٢ . وقد روى أبو المحاسن هذه القصة في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٨ ولكنه ذكر ابن مقاتل في وفيات سنة ٣٥٠ هـ . والواقع اننا لم نستطع تحقيق السنة التي توفي فيها ابن مقاتل لأننا لانعرف شيئاً من سيرته بمد سنة ٣٣٥ هـ .

وإذا صح ما ذكره ابن زولاق فقد كان من عمال الخراج في عهد الاخشيد
موظف كبير اسمه على بن محمد الكرخي^(١) .

ويبدو من بعض النصوص التاريخية أنه كان يحدث أحيانا أن يصبح
النظر في الشؤون المالية لموظف كبير من موظفي ديوان الخراج ، ففي فترة من عهد
كافور كان يعقوب بن كلس قابضاً على مالية البلاد . وقيل ان كافورا أمر رؤساء
جميع الدواوين بالألا بصرف درهم أو دينار بغير توقيع ابن كلس . ومع ذلك
فان ابن كلس لم يكن وزيراً في عهد كافور^(٢) . وروى أن كافوراً كان يقول عنه : « لو كان
مسامحاً لصح أن يكون وزيراً ! » . والظاهر أن ابن كلس اعتنق الاسلام عندما تبين
أن دينه اليهودي يحول دون وصوله إلى منصب الوزارة . غير أن اسلامه سنة ٣٥٦ هـ
جاء متأخراً ، فقد كانت الوزارة حينئذ لأبي الفضل جعفر بن الفرات وكان يحسد
ابن كلس ويكرهه فقبض عليه ولكنه أفلح في الهرب إلى بلاد المغرب^(٣) .

والظاهر أن أهل النمة كانوا لا يزالون يعملون في حياية الخراج في البلاد بوصفها
من الأعمال التي لم يكن ميسورا أن يستغنى عنهم في أداها ، ففي الأوراق البردية
المحفوظة بمجموعة الأرشيدوق رينر في فينا وثيقة من البردى تتضمن إيصالا مؤرخا
من سنة ٣٣٥ هـ (٩٤٢ م) يثبت أن بكام بن دنيال دفع الجزية المقررة عليه وهي
ثلاث دینار وثلاثاً قيراط في حضور ابني الحسن بن عيسى لعامل الحياية تيودور
ابن خايل^(٤) .

ومن أشرفوا على الشؤون المالية في العصر الاخشيدى الكاتب القبطي ابن عيسى
بقطر بن شعنا . وقد كتب المقرئزي أنه تولى خراج مصر للدولة الاخشيدية^(٥) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصري ص ٢٧

(٢) نقل السيوطي عن ابن زولاق ان ابن كلس « كان من جملة كتاب كافور » أنظر حسن

المهاضرة ج ٢ ص ١٢٩ (ذكر وزراء مصر) .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٠ — ٤٤٤ وأبو المحاسن : النجوم

الزاهرة ج ٤ ص ٢١

(٤) Papyrus Erzherzog Rainer, Führer durch die Ausstellung p. 243 No. 916

(٥) المقرئزي : الحطط ج ١ ص ٧٣ . وأنظر أيضاً ترتون Tritton : أهل النمة

في الاسلام ص ٢٧

وقد وصل إلينا اسم موظف كبير من عمال الدولة الاخشيدية في عهد أونوجور .
وسمه ابراهيم بن مروان . وكان نصرانياً والراجح أن عمله كان متصلاً بالشئون المالية
في البلاد ^(١) . ومن القبط الذين اشرفوا على إدارة الشئون المالية على عهد
الاخشيدين جرير بن الحصان ^(٢) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ٣٦ و ٤٣

(٢) المرجع نفسه ص ٤٣

(٦)

ممثل الأمير في بغداد

كان للاخشيد ممثل في بغداد يرقب عن كتب ما يجري في بلاط الخليفة ودواوين حكومته وينقل إلى الأمير في مصر ما يعنيه من الأمور ويعمل على الدفاع عن مصالح الأمير ويتلقى أوامره في هذا الشأن . فهو أشبه شيء بالمندوب السامي في لندن لحكومات الدومينيون أو الحكومات المستقلة في مجموعة الأمم البريطانية . وكان الاخشيد في هذا الصدد ينسج على منوال ابن طولون الذي كان له ممثلون وعميون في سامرا^(١) . ولم يكن عمل ممثل الاخشيد يقف عند تمثيله رسميا في بلاط الخليفة ودواوين حكومته ولكنه كان يمتد إلى التجسس وما إلى ذلك مما يلزم لخدمة قضايا الاخشيد بوجه عام .

وقد كتب ابن سعيد أن « خليفة » الاخشيد في بغداد هو علي بن أحمد العجمي . وأن الاخشيد كتب إليه عند هجوم ابن رائق على أملاكه في الشام وطلب منه أن يرفع الأمر إلى الخليفة الراضي ليتبين رأيه ويشير بما يجب على الاخشيد أن يفعله^(٢) .

والراجح أن كافورا كان له ممثل في بغداد وإن كانت المراجع القديمة لم تحتفظ لنا باسمه .

(١) راجع Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 104-105 وما ذكر فيهما من المراجع القديمة . وانظر البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٦٠ و ٦١ و ١٠٩ و ١٣٩ و ١٥١ و ١٦٧ و ٢٨٦ و ٢٩٠
(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٢٦

(٧)

صاحب الطراز

على المسلمون في مصر بصناعة النسيج منذ الفتح العربي . ولا غرو فقد حذقها المصريون منذ العصور القديمة ثم تقدمت على يدهم في العصر القبطي ، وإن تكن قد تأثرت بالأساليب الزخرفية البيزنطية وما تمتلته بزنطة من الموضوعات الزخرفية الساسانية . وظل التقدم مطردا في العصر الاسلامي ، إذ بقيت هذه الصناعة في يد أهل البلاد سواء منهم من اعتنق الاسلام أو تمسك بالمسيحية .

واحتكرت الحكومة صناعة النسيج الى حد كبير . فكانت هناك مصانع حكومية تسمى طراز، وهي نوعان : الأول طراز الخاصة حيث كانت تصنع المنسوجات للخليفة أو للأمير والأقشة التي كان يخلعها على كبار رجال الدولة . والثاني طراز العامة وكان يشتغل فضلا عن هذا بنسج الأقشة اللازمة للشعب ^(١) وكانت تدير مع الطراز الحكومي جنباً إلى جنب مصانع أهلية تنقلها الحكومة بضرائب فادحة ورقابة شديدة ^(٢) .

وظل نظام الطراز يتطور حتى بلغ في العصر الاخشيدى حدا كبيرا من الجودة في الانتاج مما مهد لعصره الذهبي في عهد الفاطميين . وكان يشرف على الطراز موظف كبير يسمى صاحب الطراز أو ناظر الطراز . ولسنا نعرف مدى سلطانه وحقوقه في العصر الاخشيدى ، ولكننا نستطيع أن نتصوره مما نعرفه عن حاله في العصرين الفاطمي والملوكي حين كان من أعلى الموظفين مقاما وأحسنهم راتبا وأوسعهم سلطانا وكان لصاحب الطراز

(١) راجع مقال « طراز » الذي كتبه الأستاذ جرومان في دائرة المعارف الاسلامية (في الجزء الرابع وفي الملحق) .

(٢) أنظر زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر ص ٨٣ — ٩٠ وكنوز الفاطميين المؤلف نفسه ص ١١٠ وما بعدها .

مساعدون في مصانع النسيج بالبلاد المصرية كلها كما كان له مقر رسمي في الحاضرة ومراكب حكومية ينتقل بها في النيل^(١).

وكان يعاون صاحب الطراز في الاشراف على المصانع في كل إقليم من الأقاليم المصرية في فجر الاسلام موظف يسمى المتوكل بطراز الإقليم ، كما يتبين من وثيقة بردية في دار الكتب المصرية نشرها الأستاذ جرومان وترجع الى القرن الثالث الهجري وقد جاء فيها « قبض حسين^(٢) بن يحنس من رماح بن يوسف المتوكل بطراز أشمون وأنصني^(٣) » ومن أصحاب الطراز في العصر الاخشيدي جابر وشفيح وبكير وأبو يزيد وعبيد وفأز . أما جابر فقد وصل إلينا اسمه على قطعتين من نسيج الكتان محفوظتين في دار الآثار العربية بالقاهرة وعليهما كتابة بالخط الكوفي مؤرخة سنة ٣٢٣ هـ^(٤) . وعلى قطعة أخرى من نسيج الكتان محفوظة في متحف بناكي بأثينا ومؤرخة سنة ٣٢٤ هـ^(٥) وعلى قطعتين من النسيج إحداهما من الحرير والأخرى من الكتان محفوظتين في متحف بناكي أيضا وعليهما اسم جابر بعد اسم الوزير الفضل بن جعفر^(٦) . كما نجد اسمه أيضا على قطعة نسيج من الكتان محفوظة في متحف بناكي ومؤرخة سنة ٣٢٨ هـ^(٧) وعلى قطعة أخرى من الكتان كانت في مجموعة تانو تاجر العاديات بالقاهرة وهي مؤرخة سنة ٣٣٠ هـ وعليها اسم جابر بعد اسم الخليفة المنتقى^(٨) . كما نجد على قطعة نسيج من الكتان محفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة (رقم ٩٣٨٦)^(٩) .

(١) راجع القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٢ — ٤٩٤ والمقرئزي : الخطط

ج ١ ص ٤٦٩ — ٤٧٠ وزكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٢ — ١١٤

(٢) الراجح عندنا أن قراءتها « حنين » وليست « حسين » .

(٣) A. Grohmann : Arabie Papyri in the Egyptian Library vol. 11. p. 153 and plates 17

and 19

Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe t. IV No. 1260 p. 28 (٤)

ibid t. IV No. 1266 p. 32 (٥)

ibid t. IV Nos. 1294 et 1295 p. 47 (٦)

ibid t. IV No. 1304. p. 53 (٧)

ibid t. IV No. 1360 p. 76 (٨)

ibid t. IV No. 1420 p. 106. (٩)

وثمة قطعة نسيج أخرى من الكتان محفوظة في القسم الاسلامى من متاحف الدولة فى برلين وعليها كتابة بالخط الكوفى البسيط . وقد قرأها الأستاذ الدكتور كونل على النحو الآتى :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين بركة من الله لعبد الله أبى العباس الإمام الرضى بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه أمر الوزير (أبو) الفضل جعفر أيدى الله بعمله فى طراز الخاصة بمصر على يدى خالد (؟) مولى أمير المؤمنين سنة ثلث وعشرين وثلثمائة » ^(١) .

وبالنظر إلى أننا لم نر هذه القطعة من النسيج فإنا لا نستطيع أن نجزم بصحة قراءة اسم « خالد » لتعسبه اسما جديدا من أسماء أصحاب الطراز فى العصر الاخشيدي . إذ من المحتمل أن تكون القراءة الصحيحة « جابر » وهو الذى نحن بصدده من أصحاب الطراز .

أما شفيح فقد جاء اسمه على قطعتين من نسيج الكتان احداها فى دار الآثار العربية بالقاهرة (رقم ١٠١٠٠) والأخرى محفوظة فى متحف بناكى ومؤرخة من سنة ٣٢٦ ^(٢)

وجاء اسم بكير على قطعة من نسيج الكتان كانت فى مجموعة تانو تاجر العاديات بالقاهرة ومؤرخة سنة ٣٢٥ ^(٣) . كما جاء اسم أبى يزيد على قطعة من نسيج الكتان محفوظة فى دار الآثار العربية بالقاهرة (رقم ٩٧٨٤) ^(٤) . وجاء اسم عبيد على قطعة من الكتان كانت فى مجموعة تانو ^(٥) .

(١) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. IV No. 1260 A p. 206-207

هكذا قرأها الأستاذ كونل ووضع لفظ « أبو » بين قوسين لأنه غير ظاهر فى الكتابة ولكن الصحيح هو (أبو الفتح الفضل بن جعفر) لأنه الوزير فى السنة المذكورة .

(٢) ibid t. IV. Nos. 1267 et 1276 pp. 32 et 38

(٣) ibid t. IV. No. 1271 p. 34

(٤) ibid t. IV. No. 1283 p. 42

(٥) ibid t. IV. No. 1290 p. 45

أما فائز فقد جاء اسمه على قطعة من نسيج الكتان كانت في مجموعة تانو أيضا وهي مؤرخة سنة ٣٣٨^(١) وعلى قطعة أخرى محفوظة في متحف بناكي ومؤرخة سنة ٣٤٧^(٢) وعلى قطعة ثالثة من نسيج الكتان كانت في مجموعة تانو ومؤرخة سنة ٣٥١^(٣) وعلى قطع أخرى ، بعضها مؤرخ سنة ٣٥٧ أى قبل الفتح الفاطمي بعام واحد^(٤) .
ولا يفوتنا في مناسبة الكلام على صاحب الطراز أن نشير إلى أن أسماء الخلفاء كانت تنسج في الأقمشة الثمينة بلحمة^(٥) من الذهب أو الفضة أو الحطوط المتعددة الألوان تمجيدا لهم ودليلا على أنها صنعت في عصرهم ووثيقة لمن خلعت عليه تدل بنوعها على درجته ووظيفته وتشير إلى رضاه الأمير عنه^(٦) .

ولكننا نلاحظ أن أسماء الأمراء الاخشيديين لم تظهر في كتابات المنسوجات كما ظهر اسم خمارويه وهارون من أمراء الدولة الطولونية^(٧) . ولسنا نستطيع أن نعلل ذلك على وجه التحقيق ، ولكننا نرجح أن الاخشيد لم يعن بهذا المظهر من مظاهر الاستقلال — ونقص ذكر اسم الأمير في الطراز — لأنه كان شديد العناية بتقليد ابن طولون . وابن طولون لم يحرص على ذكر اسمه في الطراز ، لأنه كان يعمل على أن يظل ولاؤه للخليفة نفسه — وليس لأخيه الموفق صاحب الأمر في الحكم — غير مشكوك فيه . أما خلفاء الاخشيد فلمعلم لم يذكروا اسماءهم في الطراز لأن كافورا كره أن يفتصب حق الخليفة في هذا الميدان فوق اغتصابه السلطان من ذرية الاخشيد .
ومهما يكن من الأمر فإن الكتابات التي وصلت إلينا من العصر الاخشيدى تشمل عادة على اسم الخليفة والوزير وقد تشمل تاريخ النسيج أيضا . وفيما يلي بيان بتلك القطع وما تسجله من الأسماء .

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. IV No. 1442 p. 118 (١)

ibid t. IV. No. 1493 p. 146. (٢)

ibid t. IV, No 1555 p. 180 (٣)

ibid t. V, Nos 1639, 1641, 1642, 1644 (٤)

(٥) اللحمة : ما نسج عرضا وهو خلاف سداءه .

(٦) أنظر ابن خلدون : المقدمة (الفصل السادس والثلاثون في شارات الملك والسلطان

الخاصة به) ص ٢٢٢

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. II Nos. 731, 757, 785, 788 et t. (٧)

111 Nos. 805, 813, 815, 818, 847.

رقم القطعة في السجل (١)	الخليفة	الوزير العباسي	التاريخ	ملاحظات
١٢٦٠		محمد بن علي (ابن مقلة)	٣٢٣	
١٢٦١	الراضي بالله	محمد بن علي (ابن مقلة)	٣٢٣	
١٢٦٦	الراضي بالله	محمد بن علي (ابن مقلة) وعلي ابنه	٣٢٤	كان ابن مقلة وزيرا للمرة الثالثة من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ إلى جمادى الأولى سنة ٣٢٤ أما ابنه علي فإنه لم يتقلد الوزارة إلا في رمضان سنة ٣٣١
١٢٦٧		سليمان بن الحسن		تقلد سليمان بن محمد الوزارة للمرة الثانية في رجب سنة ٣٢٤
١٢٧٠	الراضي بالله		٣٢٥	
١٢٧١	الراضي بالله	سليمان بن الحسن	٣٢٥	
١٢٧٦	الراضي بالله	محمد (ابن مقلة)	٣٢٦	تقلد محمد بن علي (ابن مقلة) الوزارة للمرة الرابعة في ربيع الآخر سنة ٣٢٦
١٢٧٧	الراضي بالله		٣٢٦	
١٢٧٨	الراضي بالله	محمد بن علي (ابن مقلة)	٣٢٦	
— ١٢٨٢ ١٢٩١	الراضي بالله	محمد بن علي (ابن مقلة)		

ملاحظات	التاريخ	الوزير العباسي	الخليفة	رقم القطعة في السجل
تقلد الوزارة في عهد الرازي مرتين : الأولى من ذى الحجة إلى ربيع الآخر سنة ٣٢٦ والثانية من شوال سنة ٣٢٦ إلى رجب سنة ٣٢٧		الفضل بن جعفر (ابن الفرات)		١٢٩٢
		الفضل بن جعفر (ابن الفرات)		١٢٩٣
		الفضل بن جعفر		١٢٩٤
		الفضل بن جعفر		١٢٩٥
		أبو الفتح (الفضل بن جعفر)	الرازي	١٢٩٦
هو أحمد بن محمد البريدي تقلد الوزارة للازي من رجب سنة ٣٢٧ إلى ذى القعدة سنة ٣٢٨		أبو عبد الله أحمد ابن محمد		١٣٠٩
			الرازي	— ١٣١٠ ١٣١٦
			الرازي	— ١٣١٩ ١٣٣٠
تقلد الوزارة مرتين للخليفة المقتدر سنة ٣٠١ وسنة ٣١٤ ولم يتقلدها للازي . وإنما تقلدها له أخوه عبد الرحمن بن عيسى بن دارود الجراح من منتصف جمادى الأولى إلى بداية جمادى الآخرة سنة ٣٢٤		علي بن عيسى	الرازي	١٣٣١

رقم القطعة في السجل	الخليفة	الوزير العباسي	التاريخ	ملاحظات
١٣٣٢ — ١٣٥١	الراضي			
١٣٥٢	المتقي	محمد بن أحمد		لعله محمد بن أحمد الاسكافي القراريطي . وقد تقلد الوزارة لهتمتي من شوال إلى ذي القعدة سنة ٣٢٩ ثم تقلدها له مرتين افترتين قصيرتين في سنة ٣٣٠ وسنة ٣٣١
١٣٥٣	المتقي	محمد بن أحمد		
١٣٥٥	المتقي	سليمان بن الحسن	٣٣٠	هو سليمان بن الحسن بن مخلد . أقره المتقي في الوزارة من ربيع الأول إلى شعبان سنة ٣٢٩ ولعل هذه المنسوجات تمت قبيل أن يصل إلى مصر خبر عزله
١٣٥٧ — ١٣٦٨	المتقي	سليمان بن الحسن	٣٣٠	
١٣٧٠ — ١٣٧٣	المتقي	محمد	٣٣١	لعله محمد بن أحمد القراريطي . تقلد الوزارة للمرة الثالثة عشرين يوماً في رمضان سنة ٣٣١
١٣٩٣ — ١٤٠٥	المتقي			
١٤٠٦	المتقي	محمد بن علي	٣٣٣	الصحيح علي بن محمد (ابن مقلة الاصغر) تقلد الوزارة لهتمتي في رمضان سنة ٣٣١
١٤٠٧	المتقي	علي بن محمد (ابن مقلة)		

ملاحظات	التاريخ	الوزير العباسي	الخليفة	رقم القطعة في السجل
هو أبو الفرج محمد بن علي السامري تقلد الوزارة للمستكفي في ٢٩ من صفر سنة ٣٣٣	٣٣٣	محمد بن علي (السامري)	المستكفي	١٤١٠
			المستكفي	— ١٤١١ ١٤١٢
		محمد بن علي (السامري)	المستكفي	١٤١٣
	٣٣٥		المطيع	— ١٤١٦ ١٤٢٠
	٣٣٦	سليمان بن الحسن	المطيع	١٤٢٣
	٣٣٧		المطيع	— ١٤٢٧ ١٤٢٩
	٣٣٧	محمد بن علي	المطيع	١٤٣٠
		محمد بن علي		١٤٣١
		محمد بن علي	المطيع	١٤٣٢
		محمد بن علي		— ١٤٣٣ ١٤٣٤
	٣٣٨		المطيع	— ١٤٤٠ ١٤٤١
	٣٣٩		المطيع	١٤٤٤
	٣٤٠		المطيع	— ١٤٤٩ ١٤٥١
	٣٤٠	سليم بن الحسن	المطيع	١٤٥٢

ملاحظات	التاريخ	الوزير المباشى	الخليفة	رقم القطعة فى السجل
	٣٤٠		المطيع	— ١٤٥٣ ١٤٥٦
		سليم بن الحسن		١٤٥٧
	٣٤٢		المطيع	١٤٦٥
	٣٤٣		المطيع	— ١٤٧٠ ١٤٧٢
	٣٤٥		المطيع	١٤٨١
	٣٤٥		المطيع	— ١٤٨٣ ١٤٨٤
	٣٤٧		المطيع	١٤٩٣
	٣٥٠		المطيع	— ١٥٢٢ ١٥٢٣
	٣٥١		المطيع	١٥٥٥
	٣٥٢		المطيع	١٥٦٠
	٣٥٣	سليم بن الحسن	المطيع	— ١٥٦٨ ١٥٦٩
		سليم بن الحسن	المطيع	— ١٥٧٠ ١٥٧١
			المطيع	١٥٧٢
		سليم بن الحسن	المطيع	— ١٥٧٣ ١٥٧٥
			المطيع	١٥٧٦

رقم القطعة في السجل	الخليفة	الوزير العباسي	التاريخ	ملاحظات
١٥٧٧	المطيع	سليم بن الحسن		
(١) ١٦٠٨	المطيع		٣٥٤	
— ١٦١١ ١٦١٢	المطيع		٣٥٤	
١٦٢٢	المعز		٣٥٥	<p>كما يلفت النظر وجود هذه القطعة باسم المعز لدين الله الفاطمي وتاريخها ٣٥٥ أي قبل الفتح الفاطمي بثلاثة أعوام .</p> <p>ولسنا نستطيع أن نحزم بصحة التاريخ المكتوب عليها ، فقد يكون ثمة خطأ فيه . وإلا فلا مفر لنا من القول بأنها صنعت في مصر المعز وان كافورا كان يسمح بمثل هذا الامتياز هداية للفاطميين .</p>
— ١٦٢٣ ١٦٢٥	المطيع		٣٥٥	
— ١٦٢٩ ١٦٣٠	المطيع		٣٥٦	
١٦٣٧	المطيع		٣٥٧	
١٦٤٠	المطيع		٣٥٧	
— ١٦٤٢ ١٦٤٧	المطيع			
— ١٦٦٠ ١٨٠٩	المطيع			

و نستطيع أن نستنبط من البيانات التي ذكرناها الحقائق التاريخية الآتية :

(أولاً) أن أسماء الخلفاء العباسيين ظلت تذكر في الطراز بمصر إلى الفتح الفاطمي ،
دليلاً على سيادتهم على البلاد .

(ثانياً) أن أسماء الأمراء الاخشيديين لا تذكر في الطراز . مما يشهد
بأن الاستقلال الذي نالته مصر على يدهم كان استقلالاً تقيداً الولاية العامة للخليفة .

(ثالثاً) أن أسماء الوزراء العباسيين كانت تذكر كثيراً في الطراز إلى خلافة
المطيع . وأما منذ ولاية هذا الخليفة فقد ازداد ضعف الخليفة وصار الوزير لمعز الدولة
ابن بويه ، أما الخليفة فأصبح له كاتب^(١) لا يرقى إلى رتبة الوزارة .

(رابعاً) أن أسماء الوزراء الاخشيديين لا تذكر في الطراز . ولا عجب فإنهم
كانوا يشدون أزر الأمير ويعاونونه في الحكم ويعملون عمل الوزير في دار الخلافة ،
بل كان يطلق عليهم هذا الاسم ، ولكنهم مع ذلك كانوا لا يقرون بالوزراء في دار
الخلافة أو في مصر الفاطمية ، لأن الأمراء الاخشيديين الذين كانوا يستعينون بهم
كانوا من الناحية الرسمية على الأقل عملاً للخليفة العباسي وإن تمتعوا بقسط كبير
من الاستقلال .

(١) لابن الأثير نص مشهور في هذا الشأن . قال يصف خلافة المطيع ، « وازداد أمر الخلافة
ادباراً ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة . وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة
قائمة بعض الشيء . فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير إنما
كان له كاتب يدير اقطاعه وإخراجاته لا غير ، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد .
وكان من أعظم الأسباب في ذلك ان الديلم كانوا يتشيعون ويفعلون في التشيع ويعتقدون
ان العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقها . حتى لقد بلغنى أن معز الدولة استشار
جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة المعز لدين الله العلوي . . . الخ » .

(٨)

متولى دار الضرب

روى ابن سعيد عن ابن زولاق قصة تحدث فيها عن جشع الاخشيذ وحببه المال وأشار إلى حادث وقع له مع صدقة بن الحسن متولى دارالضرب^(١) حين قدم إليه ومعه دنائير وسبيكة وأحضر السباكين ليقوموا عيار الدنائير .

والواقع أن مصر أسست فيها دار لضرب النقود على يد أحمد بن طولون^(٢) حيث ضربت الدنائير التي عرفت بالأحمدية وامتازت بعيارها الجيد^(٣) . ولا عجب فإن السكة كانت تعتبر في العالم الإسلامي من شارات الملك^(٤) . ويبدو أن دار الضرب لم تكن كبيرة أو معقدة في نظامها . وقد كتب ابن خلدون أن السكة هي « الحتم على الدنائير والدرهم المتعامل بهما بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوته بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنائير بوزن معين صحيح يصطلح عليه ، فيكون التعامل بها عددا وان لم تقدر أشخاصها يكون بها وزنا. ونظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدية المتخذة لذلك ثم نقل إلى أُرْها وهي النقوش المائلة على الدنائير والدرهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علما عليها في عرف الدول . وهي وظيفة

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣١

(٢) راجع المقرئى : كتاب النقود القديمة الاسلامية (في النقود العربية وعلم النميات الذى عني بنشره الأُب استاس ماري الكرملى) ص ٤٥ وأظر البلوى : سيرة احمد بن طولون

ص ١٩٦ و Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 210-211

(٣) المقرئى : المرجع نفسه ص ٥٧

(٤) ابن خلدون : المقدمة (الفصل السادس والثلاثون في شارات الملك والساطان

ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات .
ويشقون في سلامتها الغش بجتم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة «^(١)» .

ويبدو أن الختم على الدنانير والدراهم وعيارها كان يقوم به نفر قليل من الموظفين
يعرف بعضهم باسم المعدلين^(٢) ويعرف الآخرون باسم السباكين^(٣) . ويشرف عليهم
متولى دار الضرب^(٤) . ولكن الأمير كان يعنى بأعمالهم ويطلب أن يطلع عليها
وأن يقوموا ببعضها في حضرته بين وقت وآخر . وكان الأمير في بعض الأحيان
يعهد بالإشراف على دار الضرب إلى القاضي^(٥) .

ويبدو لنا أن موظفي دار الضرب كانوا ينتقلون مع الأمير في بعض الأحيان أو يلبون
طلبه في موافاته إلى حيث يكون خارج مصر . فإن النقود التي نعرفها من العصر الطولوني
مثلا ضربت في مدن مختلفة مثل مصر ودمشق وحران وحصص وحلب وانطاكية .
والراجح عندنا أن هذه المدن لم يكن في كل منها دار مستقلة لسبك النقود وإنما كان
الأمير يعتمد على الإخصائين عنده في هذا الميدان اللهم إلا إذا فوض نائبه ببلد
من البلاد في الإشراف على ضرب النقود فيها أو كان البلد مشهوراً بدار للضرب فيه .
والنقود الاخشيديّة التي نعرفها ضربت في مصر (الفسطاط) وفلسطين (الرملة)
ودمشق ويمكن أن نستنبط منها الحقائق التاريخية الآتية :

(أولاً) أن الدنانير التي ضربت بمصر في عهد الخليفة الراضي وولاية محمد بن طغج
من سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٢٩ كان يذكر فيها اسم الخليفة وحده^(٦) مما يشهد
بأن الاخشيدي كان لا يزال يخضع كل الخوضوع للخلافة العباسية التابع لها .

(١) المرجع نفسه ص ٢١٨

(٢) أنظر انستاس ماري السكرملي : المرجع السابق ص ٣٧

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٣١

(٤) وصلت إلينا عن دار الضرب باران في العصر الصفوي بيانات طيبة في كتاب تذكره

الملك الذي نشره الاستاذ مينو رسكي (V. Minorsky : Tadhkirat al-Mulûk : A Manual of Safavid Administration ، وانظر أيضاً :

II. L. Rabino di Borgomale : Coins and Seals of the Shahs of Iran pp. 1-5.

(٥) الكندي : الولاة والقضاة (الملاحق) ص ٥٦٢ — ٥٦٣

(٦) Lane-Poole : Catalogue of the Collection of Arabic Coins Preserved in the Khedi-
vial Library at Cairo Nos. 694-706 pp. 89-99

(ثانياً) أن الدنانير التي ضربت بمصر في عهد الخليفة المتقي وولاية محمد بن طنجح سنة ٣٢٩ كان يذكر فيها اسم الخليفة وحده مما يشهد أيضاً بأن الاخشيد كان في بداية حكم المتقي لا يزال يدين للخلافة بالطاعة والتبعية الظاهرة^(١).

(ثالثاً) أن سنة ٣٢٩ كانت فاصلاً بين عهدين ، فقد وصل إلينا دينار منها لم ينقش عليه اسم الخليفة وإنما نقش اسم محمد بن طنجح وحده ومعه لقب الأمير الاخشيد^(٢) . (أنظر اللوحة رقم ١ شكل ١)^(٣) . ولسنا ندري هل حذف اسم الخليفة مقصوداً أو أن ثمة خطأ في كتابة هذا الدينار . وإذا كان الحذف مقصوداً فلسنا نستطيع تفسيره إلا بأن الاخشيد فكر في الاستقلال التام عن الخلافة بعد صاحبه مع ابن رائق ثم تبين صعوبة تحقيق ذلك فرجع إلى الوقوف عند الاستقلال الذاتي .

(رابعاً) أن السكة التي ضربت للاخشيد بعد سنة ٣٢٩ كان ينقش عليها اسمه واسم الخليفة المتقي^(٤) (انظر اللوحة رقم ١ شكل ٢)^(٥)

(١) ibid No. 725 p. 102. Lane Poole : History of Egypt in the Middle Ages p. 81.

(٢) Lavoix: Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale, Egypte (٢) et Syrie No. 50 pp. 22-23.

(٣) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة » . وفي الوسط عبارة « لله الأمير الاخشيد » . وعلى ظهره كتابة دائرية نصها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . وفي الوسط عبارة « بالله محمد بن طنجح » .

(٤) Lavoix : op. cit. No. 48 et 49 pp. 21-22, Lane-Poole : op. cit. (Catalogue) No. 936 & 937 p. 143.

(٥) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة » وفي الوسط عبارة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له أبو منصور ابن أمير المؤمنين » وكتابة دائرية خارجية نصها « لله الأمر من قبل ومن بعد وبومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

وعلى ظهره كتابة دائرية نصها « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وفي الوسط « لله محمد رسول الله . المتقي لله الاخشيد » .

(خامساً) أن السكة التي ضربت في عهد اونوجور من سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٤٧ كان ينقش عليها اسم الخليفة المطيع واسم « أبو القاسم بن الاخشيد »^(١) (انظر اللوحة رقم ١ شكل ٣^(٢)) .

(سادساً) أن السكة التي ضربت لعلي بن الاخشيد من سنة ٣٥٠ إلى سنة ٣٥٥ كان ينقش عليها اسمه واسم الخليفة المطيع^(٣) . (انظر اللوحة رقم ١ شكل ٤^(٤))
 (سابعاً) أن كافوراً لم ينقش اسمه على السكة^(٥) . وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه في التكييف القانوني للفترة التي حكم فيها مصر بعد وفاة علي بن الاخشيد حين كتبنا أنه كان يشعر بما نكاد نصل اليه من النصوص وهو أنه وسط بين الأمير والوصى على العرش .
 (ثامناً) أن السكة الاخشيدية بعد وفاة كافور كانت تضرب باسم الخليفة المطيع واسمى الأمير احمد بن علي بن الاخشيد وعمه الوصى عليه الحسين بن عبيد الله بن طغج^(٦)
 (انظر اللوحة رقم ١ شكل ٥^(٧) وشكل ٦^(٨)) .

Lavoix : op. cit. Nos. 51-56 pp. 23-25, Lane-Poole : op. cit. (Catalogue) Nos 938- (١)
 942 p. 144. Lane-Poole : History of Egypt p. 86-87.

(٢) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة سبع وثلاثين وثمانمائة » وفي الوسط « أبو القاسم بن الاخشيد » وعلى ظوره « لله محمد رسول الله صلى الله عليه المطيع لله » .

Lavoix : ibid No. 57-62 pp. 26-28, Lane-Poole : op. cit. (Catalogue) No. 943-947 p. (٣)
 145, Lane-Poole : History of Egypt, p. 86-87.

(٤) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة خمسين وثمانمائة » وفي الوسط « لا إله إلا الله وحده لا شريك له . على ابن الاخشيد » وعلى ظوره في الوسط « لله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله المطيع لله » .

Lane-Poole : op. cit. (Catalogue) (٥)

Lavoix ; ibid No. 63-64 pp. 28-29 (٦)

(٧) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة ثمان وخمسين وثمانمائة » وفي الوسط « لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحسين بن عبيد الله » .
 وعلى ظوره في الوسط « لله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله المطيع لله احمد بن علي » .
 (٨) على وجه هذا الدينار كتابة دائرية نصها « بفلسطين سنة ثمان وخمسين وثمانمائة » وفي الوسط « الحسين بن عبيد الله » وعلى ظوره في الوسط « لله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله . المطيع لله . احمد بن علي طغج » .

وهكذا نرى أن دراسة السكة^(١) قد تكشف عن أشياء كثيرة توضح الاحداث التي نعرفها من المراجع التاريخية . ولكن مما يؤسف له أن ما نعرفه عن السكة في العصر الاخشيدي ليس كثيراً . وحسبنا أن نذكر ما اشتهر عن ضرب الدينار الاخشيدي على عيار كامل وعن صلاح النقود في عهد الاخشيد بعد فسادها^(٢) . وكانت العملة الذهبية شائعة في ديار الاسلام التي كانت في الجاهلية تحت حكم الرومان^(٣) ، وان تكن قد انتشرت في العراق وشرقي العالم الاسلامي منذ القرن السابع . وكان الدينار في القرن الرابع يساوي نحو الأربعة عشر درهما^(٤) والدرهم ستة دنانق والدنانق إثني عشر قيراطاً^(٥) وكانت للمعاملات الضخمة وسائل للدفع خفيفة الحمل بعيدة عن تناول اللصوص كالسفاتج والمستندات . وقد مر بنا أن الاخشيد أرسل إلى نائبه ببغداد سفاتج بثلاثين ألف دينار ليعلمها للوزير ابن مقلة^(٦) .

(١) أنظر فضلا عن المراجع التي مر ذكرها عن السكة: استانبول موزه سي هايون مسكوكات

قديمة إسلامي كتابالوجو و

O. Godrington : A Manual of Musulman Numismatics, L. A. Mayer : Bibliography of Moslem Numismatics, India excepted., Lane-Poole : Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, H. Nützel : Konigliche Museen zu Berlin : Katalog der Orientalischen Münzen.

C. J. Tornberg : Mémoires sur les monnaies des Ikschidites (dans Nova acta Regiae Societatis scientiarum Upsaliensis, 3e série, vol. 11 p. 48).

(٢) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٥٢ نقلا عن مخطوط كتاب العيون والحداثق

(برلين) ورقة ٢٠٩ ب .

(٣) لعل ذلك يرجع إلى أنه كان بين البيزنطيين وبين الدولة الساسانية معاهدة خاصة بالعملة تقضى بأن يضرب الساسانيون نقوداً من الفضة فقط وأن يتخذوا العملة البيزنطية الذهبية عملة لهم ، ولذلك كانت الدراهم الفضية هي العملة الجارية في العراق وإيران . أنظر متر : المرجع السابق

ج ٢ ص ٣١٦

(٤) متر : المرجع السابق ج ٢ ص ٢١٨

(٥) المرجع نفسه ج ٢ ص ٣١٩

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ٣٢ ومتر : المرجع نفسه ج ٢ ص ٣١٩ — ٣٢٠

ولسنا نعرف مكان دار الضرب في العصر الاخشيدى^(١) . ويبدو أنها كانت معطلة حين فتح الفاطميون مصر فأمر جواهر القائد بفتحها وضرب فيها سكة باسم المعز لدين الله^(٢) . وقد ظلت هذه الدار تؤدي مهمتها إلى أن أنشئت دار ضرب جديدة في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله^(٣) .

(١) وصل إلينا من أسماء الموظفين فيها يحيى بن بكر بن رجاء المعدل . أنظر ابن سعيد : المغرب ص ٣١

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ص ١٦٤

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٥٣ وابن سعيد : أخبار مصر ص ٦٢ والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٥ والقائمشندى : صبح الأمشى ج ٣ ص ٣٦٩

(٩)

وظائف أخرى وملاحظات عامة على الإدارة

لسنا نريد أن نعرض هنا للوظائف القضائية فسوف نعتد لها باباً مستقلاً نتحدث فيه عن القضاء والنظر في المظالم والحسبة .

ولكننا نقتين من المراجع القديمة والوثائق التاريخية وجود بعض وظائف غير التي تحدثنا عنها . ومن ذلك الوظائف التي تتعلق بالمساجد وإقامة الشعائر الدينية فيها . فكان لكل مسجد إمام معين . ولسنا ندري هل كان يعينه الأمير أو القاضي . ومن أئمة الجامع العتيق في العصر الاخشيدى عمر بن الحسن الهاشمي الذي ولى القضاء فترة من الزمن بعد أن كان إماماً للجامع عمرو^(١) . ومنهم أيضاً سليمان بن محمد بن رستم ويبدو أنه كان واسع السلطان في الشؤون القضائية والدينية على عهده^(٢) . ومنهم الحسن بن موسى الخياط^(٣) .

وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة وثيقة على ورق مؤرخة من ربيع الآخر سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) وتتضمن استئجار خادم لمسجد وتنص على أن أجرته في السنة ثلاثة دنانير ونصف يقبض في كل شهر سبعة قراريط وان عليه تنظيف المسجد وإضاءة قناديله وجلب الماء له والقيام بجميع ما يحتاج إليه المسجد . وقد أعطى فضلاً عن أجرته مسكناً من بيوت المسجد بالمجان^(٤) (انظر شكل ١) . والمعروف أن أجور المؤذنين

(١) الكندي : الولاية والتمتاضة (المالحق) ص ٥٧٤ — ٥٧٥

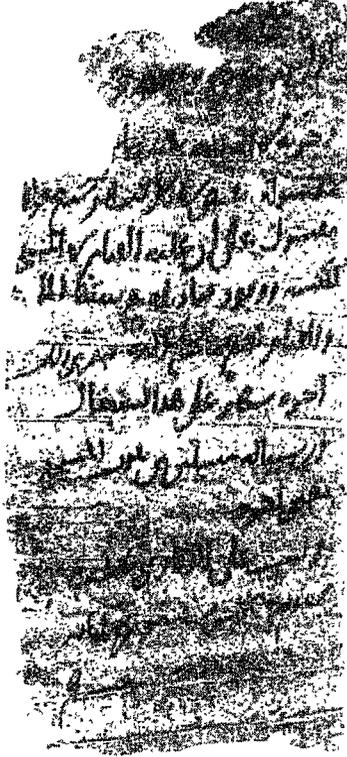
(٢) المرجع نفسه ص ٥٤٣ و ٥٥٣ و ٥٦١ و ٥٦٨ ، انظر أيضاً ابن زولاق : أخبار سيويه

المصرى ص ٤٣

(٣) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ١٩

(٤) Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library 11 pp. 104-105.

وخدم المساجد والكنائس كانت تدفع من إيراد بيوت وحوانيت يوقفها أهل الخبر لهذا الغرض^(١).



شكل (١) وثيقة بردية من سنة ٣٥٦ هـ محفوظة بدار السكتب المصرية
[عن جرمان]

وثمة وظائف لا تتحدث عنها المراجع التي كتبت عن العصر الاخشيدى ولكن
الراجح عندنا أنها كانت موجودة في ذلك العصر .

ومن ذلك الموظفون الذين ينظرون في جوازات السفر والجمارك ، فقد عرفتهم مصر قبل
العصر الاخشيدى . وقد كتب ابن الداية أن موسى بن طولون عندما غضب من أخيه أحمد
ذهب إليه حانقا وطلب منه جوازاً للسفر حتى يترك الديار المصرية^(٢) . كما كتب المؤلف

(١) Grohmann : op. cit. 11, p. 88.

(٢) Ibn Said—Vollers : Fragmente p. 13.

نفسه أن تاجراً كان قد اشترى من أحد أتباع ابن طولون عبداً بمائتي دينار ثم حصل على جواز سفر له ولخادم معه . وكان في العريش على الحدود بين مصر وفلسطين موظف مختص بفحص جوازات السفر والأمتعة التي يحملها المسافرون . ولما رأى الموظف جواز سفر التاجر اعتقد أن الخادم يلزمه جواز سفر مستقل وقائم بذاته ولم يقبل أن يسمح بالمرور للتاجر وتابعه إلا بعد وصول البيانات التي طلبها عن موضوعهما من الفسطاط . والواقع أنه كتب إلى ابن طولون نفسه بشرح له المسألة . وأمر الأمير باستدعاء التاجر وسأله عن مصدر العبد وعرف أنه اشتراه من أحد أتباعه فأمر باعطائه جواز سفر قانوني . وطالب التاجر بنفقات قدومه من الحدود وعودته إليها قائلاً : انه انفق في ذلك عشرة دنانير فأمر ابن طولون بدفعها إليه^(١) .

وفضلاً عن ذلك فقد كان الجيش الاخشيدى يحتاج إلى دار كبيرة للصناعة تمده بالمعدات اللازمة وكان لهذه الدار مدير وموظفون . وكان للأمرء الاخشيديين سجون يتولى إدارتها موظفون موثوق في إخلاصهم . ومع أن الإدارة في العصر الاخشيدى لم تكن في حاجة إلى إدارة حكومية معقدة فالراجح أنه كان للأمرء الاخشيديين كل ما يلزمهم لاستغلال البلاد والعمل على استقرار الأمن فيها . ولكن ليس من اليسير دراسة الوظائف العامة في ذلك العصر دراسة دقيقة لنقص البيانات التي نجدها في المراجع التاريخية . وعلى كل حال فإن السلطة التنفيذية كانت في يد الأمير أو من يفوضه في القيام بعمل من الأعمال العامة بأمره أو تحت مراقبة من يندبه الأمير لهذا الاشراف وكان الأمير مصدر السلطات يعين الموظفين ويعزلهم حين يشاء .

وطبعي أنه كان للموظفين دواوين يديرون منها دفة أعمالهم . وفي مجموعة الارشيدوق رينز في فينا وثيقة من ورق مؤرخة سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) تتضمن استدعاء رجل اسمه جورجوس للقدم إلى الديوان قبل مضي ساعة من الزمن^(٢) .

(١) المرجع نفسه ص ٥٢ — ٥٣ ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٣٤ — ٢٣٥

و Zaky Hassan : Les Tulunides p. 207-209

(٢) Papyrus Erzherzog Rainer, Führer durch die Ausstellung No. 1059 p. 257

وأكبر الظن أن المقصود هنا ديوان الحراج وأن الرجل كان مطلوباً لسؤاله عن مال متأخر عنده من الضرائب المفروضة عليه .

وقد كتب ابن سعيد والمقرئزي أن الاخشيد أول من رتب الرواتب في مصر ^(١) .
ولسنا نظن أن المقصود بذلك أن الاخشيد أول من جعل للموظفين رواتب يتقاضونها من الدولة ، لأن مثل هذا الزعم بعيد عن الدقة ، فقد كان لكثير من الموظفين في فجر الإسلام أرزاق ورواتب من بيت المال ^(٢) . والراجح عندنا أن متز ^(٣) وغيره عن فهموا النص على هذا النحو قد أخطأهم التوفيق وأن المراد بالرواتب هنا ما كانت الدولة تجريه على الفقراء والمحتاجين ، وكان من بينهم طائفة من الأشراف والذين حل بهم الفقر بعد النعمة ، وذلك على نحو ما فعله وزارة الأوقاف وبعض جهات البر في زماننا هذا .

والواقع أن نص المقرئزي في هذا الشأن يفهم منه التفسير الذي نذهب إليه . فقد كتب هذا المؤرخ « والاخشيد أول من عمل الرواتب بمصر . وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديراً محجوزاً فيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار . فقال الاخشيد: كيف نعمل؟ قال : حظ من الجرايات والأرزاق فليس هؤلاء أولي من الواجب . فقال : غداً تجيئني وندبر هذا . فلما أتاه من الغد قال له الاخشيد : قد فكرت فيما قلت ، فإذا أصحاب الرواتب الضعفاء ومنهم المستورون وأبناء النعم ، ولست آخذ هذا النقص إلا منك . فقال ابن كلا : سبحان الله! فقال : تسبيحاً ! وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك » ^(٤) ثم كتب المقرئزي بعد ذلك : « بلغت الرواتب في أيام كافور الاخشيدى خمسمائة ألف دينار في السنة لأرباب النعم والمستورين وأجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الأعمال » ^(٥) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٣٩ والمقرئزي : المخطوط ج ١ ص ٩٩

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٣١٧ و ٣٥٤ و ٣٦٩ و ٤٢١ و ٤٣٥

(٣) ساق متز هذا النص عند الكلام على رواتب الموظفين في العالم الاسلامي في القرن

الرابع الهجري (الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٣٤ — ١٣٥) .

(٤) المقرئزي : المخطوط ج ١ ص ٩٩

(٥) المرجع نفسه ج ١ ص ٩٩

ولسنا نعرف عدد الأيام التي كان يعملها الموظفون في الأسبوع في العصر الاخشيدى .
ونذكر في هذه المناسبة أن الخليفة العباسى المعتضد بالله (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) أمر بتعطيل
دواوين الحكومة يومى الجمعة والثلاثاء، لأن يوم الجمعة يوم صلاة، ولحاجة الناس في وسط
الأسبوع إلى الراحة والنظر في أمورهم والتشاغل بما يخصهم ^(١) . ولكننا لم نستطع
أن نتبين في المراجع التاريخية التي بين أيدينا هل كان هذا النظام مطبقا في مصر على عهد
الاخشيديين أو كانت العطلة الأسبوعية في يوم الجمعة فحسب .

والراجح عندنا أن الأمراء الاخشيديين كانوا يولون بعض المناصب لمن يدفع
لهم في بعض الأحيان من المال والهدايا ما يؤيد به ترشيحه . ولم يكن هذا غريبا على الإدارة
الإسلامية عامة في هذا العصر ، فقد عرفنا أن معز الدولة في بغداد كان يبيع مناصب
الحسبة والشرطة سنة ٣٥٠ هـ بل انه قلده عبد الله بن الحسن بن ابى الشوارب القضاء
بعد أن تعهد هذا القاضى بأن يحمل كل سنة إلى خزانة معز الدولة مائتى ألف درهم
وكتب على نفسه بذلك سجلا أو وثيقة ^(٢) .

بقى أن نذكر أن دار الأمانة على عهد الاخشيديين كانت في العسكر . والواقع
أن العسكر كانت مقر الحكم في مصر منذ شيدها أبو عون الوالى العباسى سنة ١٣٣ هـ
إلى أن شيد ابن طولون القطائع . ولما سقطت الدولة الطولونية وخرب محمد بن سليمان
القطائع أقام الولاية بعد ذلك في العسكر . ويقال إنه كان بالعسكر دار عظيمة بناها بدر
الحنفي غلام احمد بن طولون . وقد نزل فيها محمد بن سليمان ومن خلفه من الولاية
ثم سكنها الأمراء الاخشيديون ووسعها محمد بن طنجج ونزل فيها أيضا الخلفاء الفاطميون ^(٣) .

(١) هلاك الصابى : تاريخ الوزراء ص ٢٢

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٨

(٣) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٠ والمقرئزى : الخطط ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٠٥

الباب السادس

القضاء والمظالم والحسبة

القضاء والمظالم والحسبة

كان القضاء في الدولة الاسلامية من الأمور الخاصة بالخلافة^(١) ، فكان الخليفة هو الذى يعين القاضى فى مصر منذ فتحها العرب إلى العصر الطولونى^(٢) ، وفى بعض الأحيان كان والى مصر يعين القاضى ثم يقره الخليفة على ذلك^(٣) .

ولما قدم ابن طولون الى مصر وجد بكار بن قتيبة قاضياً فيها منذ أرسله الخليفة المتوكل سنة ٢٤٦ هـ^(٤) ، فأستمر على القضاء . وحين طالبه ابن طولون بلعن الموفق على المنابر وامتنع بكار عن ذلك عزله ابن طولون وسجنه فى سنة ٢٧٠ هـ^(٥) .

ويظهر أن ابن طولون فعل ذلك بموافقة الخليفة ، لأن المعتمد كان قد أرسل كتاباً إلى ابن طولون وهو بدمشق يذكر فيه خلع الموفق من ولاية العهد . وأجاب القضاء كلهم إلى خلعه إلا بكاراً فإنه سمي الخليفة « الناكث » . ويقال ان ابن طولون أرسل إلى بكار مرة وهو فى السجن يقول : « كيف رأيت المغلوب المقهور لا أمر له ولا نهى ولا تصرف فى نفسه ! ولا تزال هكذا حتى يرد على كتاب المعتمد باطلاقك »^(٦) .

وهكذا نرى أنه بالرغم من استقلال مصر الذاتى فى عهد الطولونيين فان أمر القضاء كان لا يزال مرجعه إلى الخلافة . وقد توفى بكار بعد وفاة ابن طولون بعدة أيام ، وذلك فى سنة ٢٧٠ هـ وخلفه فى القيام بأعمال القضاء ابن شاذان الجوهري نحو ثلاث سنين

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٨٢ — ١٨٣ (الفصل الحادى والثلاثون فى الخطط الدينية الخلافية) .

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٣ و ٣٤٠ و ٣٦٨

(٣) المرجع نفسه ص ٣٤١ — ٣٤٣ و ص ٣٨٥

(٤) المرجع نفسه ص ٤٧٦

(٥) المرجع نفسه ص ٤٧٧ و ٤٧٨

(٦) المرجع نفسه ص ٥١٢ — ٥١٤

دون أن يكون له لقب القاضى . ثم عين خمارويه محمد بن عبدة للنظر فى المظالم . وكان له كل اختصاص القاضى . وظل محمد بن عبدة بن حرب ينظر فى المظالم نحو أربع سنين ثم ولى القضاء فى سنة ٢٧٨ هـ من قبل الخليفة المعتمد . وذلك بعد أن تعطل منصب القضاء نحو سبع سنين ^(١) .

وقام ابن عبدة بمنصب القضاء حتى قتل خماروية وخلع ابنه جيش وقتل فى سنة ٢٨٣ هـ . وحينئذ اختفى ابن عبدة ولم يظهر فى الحياة العامة إلا بعد سقوط بنى طولون . وظلت مصر بغير قاض إلى أن ولى هارون بن خمارويه أبا زرعة محمد بن عثمان الدمشقى القضاء فى سنة ٢٨٤ هـ . ويقال ان الذى ولاه هو الخليفة المعتضد ^(٢) .

ولما سقطت الدولة الطولونية اتصل محمد بن عبدة بالقائد محمد بن سليمان فولاه القضاء والمظالم فى ربيع الأول من سنة ٢٩٢ هـ ^(٣) ثم خلفه آخرون فى هذا المنصب إلى أن تقلده محمد بن موسى السرخسى فى وية تكين .

ولما عزل السرخسى عن القضاء فى شوال من سنة ٣٢٣ هـ تقلده محمد بن بدر الصيرفى من قبل الخليفة ، وبمعنى أدق من قبل قاضى القضاة فى بغداد ، وهو فى ذلك الحين محمد بن الحسن بن أبى الشوارب ، وكان الراضى قد ولاه قضاء بغداد وسائر الممالك فكان يئيب عنه من يشاء .

ثم ولى القضاء بعد ذلك من قبل قاضى القضاة فى بغداد أيضا عبد الله بن احمد بن زبر ولكن هذا الأخير كتب إلى أبى الحسن على بن احمد بن اسحق وإلى أبى العباس يحيى بن الحسن بن الأشعث لينظرا فى قضايا الناس بالنيابة عنه . فتسلم هذان الاخيران القضاء فى شوال من سنة ٣٢٤ هـ ^(٤) .

(١) السكندى : الولاية والقضاة ص ٥١٣ و ٥١٥ و Zaky M. Hassan : les Tulunides p. 224

(٢) السكندى : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٥١٨ و ٥١٩

(٣) المرجع نفسه ص ٤٨٠ و ٤٨١

(٤) المرجع نفسه ص ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٥٥٠

وكان في مصر حينذاك الحسين بن محمد بن أبي زرعة الدمشقي وكان يطمع في قضاء مصر ، فسأل الاخشيدي في ذلك . ويبدو أنه قدم له بعض المال أو الهدايا ^(١) فأوقف الاخشيدي خليفتي عبد الله بن احمد بن زهر من النظر في القضاء في ذي القعدة من سنة ٣٢٤ هـ وولى الحسين بن أبي زرعة على أن ينظر محمد بن احمد بن الحداد في القضاء حتى يرد الكتاب من بغداد بولاية ابن أبي زرعة ^(٢) . والراجح أن اختيار ابن الحداد للنيابة يرجع الى أنه كان معروفاً بالعلم الواسع حتى سمي « فقيه الديار المصرية » ^(٣) .

وظل أبو بكر بن الحداد ينظر في قضايا الناس في داره وفي الجامع حتى ورد تقليد ابن أبي زرعة على القضاء من قبل ابن أبي الشوارب قاضي قضاة بغداد في سنة ٣٢٥ هـ ^(٤) .

وكانت المدة التي قضى فيها ابن الحداد بين الناس ستة أشهر وقد أنشد بعض الشعراء أبياتاً يتكلمون فيها على ابن الحداد ويشيرون إلى قيامه بأعمال القضاء دون تقليد رسمي . ومن تلك الأبيات :

قولوا لحدادنا الفقيه العالم النابه الوجيه
والمسقع المستطيل لولا مافيه من نخوة وتيه
حكمت حكماً بغير عقد وغير عهد نظرت فيه ^(٥)

وظل الحسين بن أبي زرعة ينظر في القضاء إلى أن توفي في ذي الحجة من سنة ٣٢٧ هـ .

(١) أو « بذل له » على حد قول ابن برد في ذيل الولاية والقضاة للكندي ص ٨٧

(٢) الكندي : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٤٨٧

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦٣ ، راجع عن تقوى ابن الحداد وورعه ، ابن سعيد : المغرب

ص ١٨

(٤) وقيل ان هذا التقليد جاء في شواك من سنة ٣٢٤ هـ ، أنظر الكندي : الولاية

والقضاة ص ٥٦٣

(٥) الكندي : الولاية والقضاة ص ٤٨٧ و ٤٨٨

والظاهر أن ابن أبي الشوارب قاضى قضاء بغداد عُزل في سنة ٣٢٧ هـ وولى بدلا منه أبو نصر يوسف بن عمر بن أبي عمر — وكان في نحو العشرين من عمره — فكتب هذا الأخير إلى ابن أبي زرعة يقره على قضاء مصر . فقرأ الحسين بن أبي زرعة كتابه على الناس في داره .

ثم ولى قضاء مصر محمد بن بدر الصيرفي مرة ثانية من قبل ابن أبي الشوارب الذي كان قد عاد إلى منصب قاضى القضاة في بغداد وظل ابن بدر في منصبه من ذى الحجة سنة ٣٢٧ هـ إلى صفر من سنة ٣٢٩ وأقر ذلك محمد بن طغج ^(١) .

وفي هذه الأثناء سعى عبد الله بن شعيب ، المعروف بابن وليد أو ابن أخت وليد ، في ولاية قضاء مصر واستعان للوصول إلى غرضه بمال قدم لابن أبي الشوارب ، فكتب ابن أبي الشوارب بولايته القضاء وذلك في شهر رمضان من سنة ٣٢٨ هـ ، ومن ثم توجه ابن وليد إلى الحسين بن عيسى بن هروان من وجهاء القوم ، وكان بمصر حينذاك ، فأقرأه عهد القضاء وطلب منه أن يعينه على تولى هذا المنصب ^(٢) .

وهكذا نرى أن منصب القضاء أصبح ، كمنصب الولاية والامارة ، لا يكتفى فيه بمهد الخليفة أو من يفوض إليه الخليفة هذا الأمر ، بل يبقى على القاضى الجديد أن يتمكن من مباشرة عمله . ولذا نرى عبد الله بن وليد يطالب معونة الحسين بن عيسى بن هروان كما نراه يستعين بأبي المظفر الحسن بن طغج ، وكان يخلف أخاه الاخشيد مدة غيابه لقتال ابن رائق .

ولسكن الظاهر أن عبد الله بن وليد لم يستطع بالرغم من هذا كله أن يتسلم القضاء من محمد بن بدر . وظهر في ذلك الوقت طامع آخر في القضاء : هو الحسين بن عيسى ابن هروان الذى عمد إلى رشوة الحسن بن طغج كي يساعده في تولى القضاء وليكاتب الاخشيد في ذلك على أن يخلفه محمد بن بدر في مباشرة القضاء . ووافق الاخشيد

(١) الكندى : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٤٨٨ و ٥٦٣ و ٥٦٤

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٤

على أن يتولى القضاء محمد بن بدر نيابة عن الحسين بن عيسى فوافق ابن بدر على ذلك .
ويقال ان هذا الأمر شق على ابن وليد حتى مرض وأشرف على الموت ^(١) .

وهكذا نتبين أن الاخشيدي استطاع أن يتحدى قاضى قضاء بغداد وهو المفوض من قبل الخلافة في تعيين قضاء مصر . كما نلمس أن منصب القضاء أصبح مجالاً للتنافس وصارت تبذل في سبيل توليه الأموال والرشاوى . والواقع أن هذا التحدى لم يستطع مثله الأمراء في عصر بنى طولون . وهو يرجع قبل كل شيء الى الفوضى التى كانت تسود الخلافة في بغداد والى أن قاضى القضاة فيها لم يعد فوق الشبهات ، بل كان تقليده هذا المنصب محلاً للطعن والشكوك في بعض الأحيان ، ولذلك كان تفويضه وتوليته غيره من قبله أمراً يمكن تحديه ووقف تنفيذه .

ثم ولى القضاء بمصر عبد الله بن أحمد بن زبر من قبل قاضى القضاة في بغداد .
فدخل الفسطاط في سنة ٣٢٩ هـ وأقر الاخشيدي ولايته ولكنها لم تدم إلا شهراً واحداً وأياماً، مرض بعدها وتوفي في سنة ٣٢٩ هـ ^(٢) . وكانت هذه هي المرة الرابعة التى ولى فيها ابن زبر قضاء مصر والمرة الثانية التى ولى فيها قضاء مصر في عصر الاخشيديين .

وبعد وفاة ابن زبر قلد الاخشيدي الحسين بن عيسى بن هروان القضاء وفي بعض الروايات أن عبد الله بن وليد سعى ليتولى قضاء مصر بعد وفاة ابن زبر وأنه تقلد هذا المنصب من قبل الحسين بن عيسى بن هروان ثم عزل في شوال من سنة ٣٢٩ هـ ^(٣) .
وفي رواية أخرى أن ابن وليد تقلد قضاء مصر في سنة ٣٢٩ هـ وعزل في سنة ٣٣٠ هـ ^(٤) .

(١) السكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٦١

(٢) المرجع نفسه ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٥٦١ ، وأنظر في هذا المرجع (ص ٥٤٢ ، ٥٤٣) قصة تشير إلى أن ابن زبر تقلد قضاء مصر للمرة الأخيرة بحيلة احتالها على الاخشيدي وذلك بتزوير كتاب تفويض للقضاء من ابن أبي الشوارب إلى عبد الله بن أحمد بن وليد .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ و ٥٦٤ و ٥٦٥

(٤) المرجع نفسه ص ٥٦٥

وبعد ذلك ورد كتاب من الحسين بن عيسى بن هروان إلى الاخشيد يذكر فيه أنه وتلى القضاء محمد بن بدر الصيرفي . ويقال ان ابن أبي الشوارب قاضي قضاة بغداد عزل حينئذ عن القضاء وخلفه أحمد بن عبد الله بن اسحق فأقر الحسين بن عيسى على القضاء ، على أن يكون محمد بن بدر نائباً عنه بمصر^(١) فكانت هذه هي المرة الثالثة التي ولي فيها محمد بن بدر قضاء مصر في عصر الاخشديين . وقد ظل محمد بن بدر أحد عشر شهراً في ولايته حتى توفي في شعبان سنة ٣٣٠ هـ^(٢) .

أما عن الحسين بن عيسى بن هروان الرملي فالروايات بشأن توليته القضاء متضاربة . وقد ذكرنا أن الاخشيد ولاة القضاء في سنة ٣٢٨ هـ وولاه أيضاً بعد وفاة ابن زبر . ولكن في بعض الروايات أنه ولي القضاء من قبل الخليفة أو قاضي القضاة في بغداد^(٣) .

والراجع عندنا أن الاخشيد هو الذي ولاة قضاء مصر . فكان يستخلف من يشاء ، لأنه لم يكن فقيهاً ولم يكن يصلح لتولى الأحكام ، وإنما سعى إلى المنصب طلباً للجاه ولا سيما أنه كان غنياً عظيم الثروة^(٤) . وكان بعد تقلده القضاء حريصاً أشد الحرص على الاحتفاظ بهذا المنصب .

ويقال انه لما مرض محمد بن بدر الصيرفي مرضه الأخير استخلف أبا الذكر محمد بن يحيى الأسواني^(٥) في النظر في الأحكام . ولما مات ابن بدر في شعبان سنة ٣٣٠ استتبى الاخشيد أبا الذكر للقيام بأعباء منصب القضاء بضعة أيام إلى أن جاء كتاب الحسين بن عيسى بن هروان باستخلاف الحسن بن عبد الرحمن بن اسحق الجوهري على القضاء . وذلك في رمضان سنة ٣٣٠ هـ^(٦) .

(١) السكندی : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٥٦٦

(٢) المرجع نفسه ص ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٥٦١

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦٤

(٤) الموجع نفسه ص ٥٦٤

(٥) أنظر الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٦٤

(٦) السكندی : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٥٣٣

وما لبث الحسن بن عبد الرحمن الجوهري أن أبعد عن القضاء . ويقال إن السبب في عزله خلاف وقع بينه وبين بكران الصباغ . وكان بكران من الشهود العدول^(١) . فذهب الأخير إلى الاخشيد في دمشق واتفق معه ومع الحسين بن عيسى بن هروان على عزل الحسن بن عبد الرحمن الجوهري عن القضاء وعن تولى الأحباس . فاستخلف الحسين ابن عيسى بن هروان أبا الفضل الكشي على الأحكام وفوض أمر الأحباس وتولية قضاء النواحي إلى بكران الصباغ^(٢) .

ولكن الاخشيد أبعد الكشي عن النظر في الأحكام بعد ثلاثة أشهر وولى عبد الله ابن أحمد بن وليد خليفة للحسين بن هروان وذلك في رجب سنة ٣٣١ هـ^(٣) . وسبب هذا العزل المنافسة القوية التي قامت بين بكران الصباغ وبين الكشي وأسفرت عن اضطراب الأمور . فشكا الناس إلى الاخشيد فأستاء وأمر باحضار بكران ووبخه على ذلك ثم عزله هو والكشي عن الحكم . واستشار وجوه الناس فأشاروا عليه بتولية عبد الله بن وليد فولاه الاخشيد خلافة للحسين بن عيسى^(٤) .

ولم يزل ابن وليد يتولى القضاء حتى جاء ابن هروان نفسه إلى مصر ويقال إنه قدم مصر في آخر رجب من سنة ٣٣٣ هـ^(٥) . واصبح ابن وليد في بعض الأحيان ينظر في الأحكام في حضرة ابن هروان نيابة عنه . ثم بلغ ابن هروان أن ابن وليد كان يذكر أن ولايته على القضاء من قبل الخليفة المستكفي نفسه وليست من قبل ابن هروان ، فعزله عن القضاء في جمادى الأولى من سنة ٣٣٣ هـ^(٦) . وفي بعض الروايات أن الحسين ابن عيسى بن هروان علم أن عبد الله بن وليد أرسل يلتمس من بغداد كتابا بولايته

(١) الكندي : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٧٢

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧١

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٠

(٤) المرجع نفسه ص ٥٧٣

(٥) يروي ان وفاته كانت في دمشق سنة ٣٣٤ هـ أنظر الكندي : الولاة والقضاة (الملحق)

ص ٥٦٤ و ٥٦٥

(٦) الكندي : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٤٩١

قضاء مصر استقلالاً من قبل الخليفة . فقال له الحسين بن هروان « ما هذا الذى بلغنى عنك !؟ والله لونازعنى أحد فى القضاء لبذلت فى إتلاف روحه مثل هذا الجرن ذهباً! ^(١) » ثم استخلف ابن هروان الحسن بن عبد الرحمن الجوهري على القضاء ولكن الأخير مرض بعد أيام فعزله ابن هروان وولى القضاء محمد بن احمد بن الحداد فى جمادى الأولى من سنة ٣٣٣ هـ ^(٢) .

ولما غادر ابن هروان مصر أظهر عبد الله بن وليد كتاباً من الخليفة المستكفى بتوليته قضاء مصر . وقد ساعده على تولية القضاء محمد بن على بن مقاتل وزير الاخشيده ، فعزل ابن الحداد عن القضاء فى أواخر الحرم من سنة ٣٣٤ هـ .

والظاهر أن ولاية عبد الله بن وليد القضاء من قبل الخليفة المستكفى جاءت من بغداد قبل هذا الوقت ولكنه أخفى كتاب التقليد خوفاً من ابن هروان لأنه كان خليفته . ولما غادر ابن هروان مصر إلى الشام أظهر عبد الله بن وليد الكتاب وعضده فى موقفه هذا ، الوزير ابن مقاتل ^(٣) .

ويقال ان سعيد بن عبدان التاجر هو الذى سعى لابن وليد فى ولاية القضاء لدى الخليفة المستكفى . وقد ظل ابن وليد يخشى الحسين بن هروان برغم خروجه من مصر . ولم يأمن على نفسه ويطمئن إلى استقرار الأمر له إلا بعد أن جاءه الخبر بموت ابن هروان ^(٤) .

ويقال فى استقلال ابن وليد بالقضاء إنه أخرج « كتاباً زعم أنه من المستكفى » . أى أن كتاب الخليفة مشكوك فى صحته .

ومهما يكن من الأمر فإن ابن وليد استطاع أن يحصل على مساعدة من الوزير محمد بن على بن مقاتل فى تقليد القضاء واستعان ابن وليد على ذلك بالأموال والرشوة .

(١) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٦٦ و ٥٦٧

(٢) المرجع نفسه ص ٤٩١

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٢

(٤) المرجع نفسه ص ٥٦٧ و ٥٦٨

وأفلق هو وإن مقاتل في إقناع الاخشيدي، فأمر الاخشيدي بتقليده القضاء من قبل الخليفة
وتسلم له أخو الاخشيدي أبوالمظفر الحسن من ابن الحداد^(١) .

وقد شق ذلك على ابن الحداد ، فكتب إليه الحسين بن عيسى بن هروان يهون
عليه الأمر ووعده بالانتقام من ابن وليد^(٢) .

ثم ولي الخليفة المطيع محمد بن الحسن العباسي الهاشمي منصب قاضي القضاة ببغداد
وقضاء مصر والرملة وطبرية والاسكندرية . وكتب محمد بن الحسن الهاشمي
إلى ابن وليد يقره على القضاء ، ولكنه ما لبث أن أناب عنه أخاه عمر بن الحسن
الهاشمي ليمتولى قضاء مصر وذلك في رجب سنة ٣٣٦ هـ . ويقال إن اليهود وعلى رأسهم
يحيى بن مكي بن رجاء حسنوا لعمر الهاشمي ولاية القضاء نيابة عن أخيه . ويبدو
أن كافورا وافق على ذلك بعد أن قدم إليه الهاشمي مبلغا من المال . وقد ظل
عمر بن الحسن الهاشمي قاضيا لمصر مدة ثلاث سنوات ونصف أي إلى ذى الحجة
سنة ٣٣٩ هـ ، ثم عزل بعدها عن القضاء . ويقال أنه لم يعزل بل طلب أن يعفى من المنصب
فأجيب إلى طلبه .

وحدث بعد ذلك في بغداد أن قلد الخليفة المطيع قضاء مصر وأعمالها والرملة وبعض
الشام لمحمد بن صالح بن أم شيبان ، فعين هذا الأخير عبد الله بن محمد بن الحصب
أو الحصبى خليفة له بمصر فولى قضاءها في النصف من ذى الحجة سنة ٣٣٩ هـ . وظل
الحصبى ينظر في القضاء هو وابنه إلى أن مرض وتوفي في المحرم سنة ٣٤٨ هـ .

وبعد وفاته حل ابنه محمد بن عبد الله بن الحصب محله في القضاء خليفة لابن أم شيبان
أيضاً وبأمر كافور الاخشيدي ولكنه توفي بعد شهر وبضعة أيام^(٣) .

(١) السكندى : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٥٦٧

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٧

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ص ٥٧٣ — ٥٧٦

ومما يلفت النظر في ولاية عبد الله بن محمد بن الحصبب وابنه ما يقال من أن عبد الله الحصببي أحضر عهداً من الخليفة فخواه أن يكون ولده محمد بن عبد الله نائباً عن محمد بن صالح ابن أم شيان ، وأن يكون العهد باسمه ، أما هو فيكون ناظراً على ابنه ^(١) .

ولما مات محمد بن عبد الله الحصببي سعى ابن وليد لدى كافور لتولى منصب القضاء وبذل لكافور مالا في هذا السبيل ، ولكن مستشاري كافور نصحوه برفض طلبه فعين كافور على القضاء أبا الطاهر الذهلي ^(٢) . ونلاحظ أن تولية أبي الطاهر كانت باتفاق أهل الرأي في الدولة أو أهل الشورى الذين أثنوا عليه عند كافور ^(٣) .

ويظهر أن كافورا لم يكن يرغب في توليه القضاء بادئ ذي بدء ، إذ أنه قبل أن يأتي إلى مصر في سنة ٣٤٠ هـ كان قاضياً في دمشق وشكاه أهلها إلى الخليفة المطيع وأيدهم كافور في ذلك فعزل الخليفة هذا القاضي . ولذا رفض كافور أن يقلده القضاء في مصر ، وعين عثمان بن محمد بن شاذان قاضي الرملة بعد أن سمى له في ذلك الوزير جعفر بن الفضل وفي تلك الأثناء أشيع أن ابن شاذان توفي فسعى عبد الله بن وليد للحصول على هذا المنصب كما ذكرنا . ويقال أنه بذل لكافور نحو ثلاثة آلاف دينار . ولكن كافورا لم تلن قناته بل رضخ لتوصية أهل الشورى وعين أبا الطاهر الذهلي ^(٤) . وظل أبو الطاهر على القضاء حتى فتح الفاطميون مصر ^(٥) .

وهكذا يتبين لنا أن أمر القضاء في مصر كان إلى الخليفة أو إلى قاضي القضاة في بغداد وهو الذي يفوض إليه الخليفة تعيين القضاة في الأقاليم ولكننا نلاحظ أنه كان لا بد للقضاة — فضلا عن ذلك — من الحصول على موافقة الأمير الاخشيدى . وكان الأمير الاخشيدى في بعض الحالات يولى القضاء لمن شاء بدون موافقة الخليفة .

(١) السكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٧٧

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧٠

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٣

(٤) المرجع نفسه ص ٥٨٣

(٥) المرجع نفسه ص ٤٩٣

ومما يستحق النظر أن العلماء والفقهاء — بآله من دونهم مرتبة في العلم أو من لا علم عنده مثل ابن هروان — كانوا يتهاقنون على ولاية القضاء في هذا العصر حتى أنهم كانوا يعمدون في سبيل الوصول إلى هذا المنصب ، إلى رشوة الأمراء الاخشيديين وذوى النفوذ في الدولة الاخشيدية ، وإلى رشوة أولى الأمر في الخلافة ولا سيما قاضى قضاء بغداد وهذه ظاهرة لم نعرفها قبل العصر الاخشيدى ولا نستطيع تعليلها تعليلاً واضحاً ، ولعلمنا ترجع إلى أن منصب القضاء كان من المناصب الخطيرة في الدولة ، فضلاً عن أن القاضى كان يستطيع أن يستغل منصبه في جمع الثروة وذلك بقبول الرشوة أو بوضع يده على ما يريد من أموال الاجباس .

وقد رأينا كيف كان التهاقت على هذا المنصب . ونضيف هنا عدة حوادث تؤكد الاقبال على تولية القضاء والسعى إلى ذلك بكافة الوسائل ، فقد مر بنا أن عبد الله بن وليد القاضى كان يتهاقت على هذا المنصب وعرفنا أنه شغله ثلاث مرات . ويقال انه عند ما سعى اليه للمرة الأولى ولم يفلح شق عليه ذلك ومرض حتى أشرف على الموت . ووصلت تلك الأخبار إلى العامة فكانوا يتندرون بحالته وينظمون الكلام في التهمك عليه ومن ذلك قولهم : « عبد الله بن وليد أبرد من حديد ! عبد الله بن وليد هو وارث (١) شهيد ! » (٢) .

ورأينا أيضاً كيف عمل بكران بن الصباغ على اقضاء الحسن بن عبد الرحمن الجوهري عن ولاية القضاء والتس لنفسه ولاية الأعباس . ولما أجابه الحسين بن هروان إلى طلبه ، بدأ بكران بن الصباغ يعمل على الايقاع بأحمد بن عبد الله الكشى الذى فوض اليه ابن هروان النظر في الأحكام . ويقال إن هذه الحالة بلغت حدّاً من السوء « اضطرب معه أمر البلد » وطبيعى أن المقصود بالاضطراب هنا اضطراب الأحكام واضطراب أمور القضاء بسبب التنافس بين الرجلين . وقد عرفنا أن الاخشيد استاء من هذه الحالة وعزل بكران بعد أن وبخه على تصرفه كما أبعده الكشى أيضاً عن القضاء (٣) .

(١) الوارث المخاتل الداهية .

(٢) الكندى : الولاية والقضاء (الملاحق) ص ٥٦١ .

(٣) المرجع نفسه ص ٥٧٣ .

وعرفنا أنه عندما تقلد عمر بن الحسن الهاشمي القضاء بعد عزل عبد الله بن وليد في رجب سنة ٣٣٦ هـ تخاصم الرجلان ووصل حديث النزاع بينهما إلى الأمير أبي القاسم أرنؤجور وإلى الأستاذ كافور . وادعى عمر الهاشمي أن ابن وليد يتصرف في أموال كثيرة لا صاحب لها فاعتقله كافور، ولكن الهاشمي ووجوه الناس شفَعوا فيه حتى أطلق سراحه ^(١) .

وحينما تولى محمد بن صالح بن أم شيبان قضاء القضاة ببغداد استخلف عبد الله ابن وليد على قضاء مصر وكتب إليه بذلك . ولكن بقي الحصول على موافقة كافور على هذا النعيين ، فذهب جماعة من الفقهاء والعلماء إلى هذا الأمير وحسنوا له ولاية ابن وليد فوعدهم خيرا . ثم تبعهم جماعة آخرون من بينهم ابن الحداد والهاشمي وأبو جعفر مسلم العلوي وتقدموا إلى الأمير بالأىوافق على تولية ابن وليد . وانتهى الأمر بأن ولى كافور عبد الله بن محمد بن الحصبى القضاء نيابة عن محمد بن صالح ابن أم شيبان ^(٢) . ويظهر أن الحصبى استطاع أن يتقرب إلى كافور بما كان يقدمه له من المال ^(٣) .

والغريب فى ولاية هذا القاضى ما يقال عن ورود كتاب من الخليفة المطيع بتولية محمد بن عبد الله بن الحصبى القضاء من قبل محمد بن صالح بن أم شيبان وأن يكون الأب ناظرا على ابنه . ويقال ان الحصبى نفسه كان يقول : « العمل لابنى محمد وأنا له معين » ^(٤) .

وقد بلغ التنافس فى القضاء أشده بين الأب والابن فكان الابن يريد أن يوقع كل التوقيعات باسمه ويعزل ويولى دون أن يرجع إلى أبيه ويشترط على الكتاب ألا يكتبوا

(١) الكندى : الولاية والقضاة (المالحق) ص ٥٧٥

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧٦ و ٥٧٧

(٣) المرجع نفسه ص ٥٧٨

(٤) المرجع نفسه ص ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٨٠ . وفى روايات أخرى أن محمد بن عبد الله كان ينوب عن أبيه أو أنه كان يقضى بمصر خليفة لأبيه فى حياته وأبوه يحضر معه ، المرجع نفسه ص ٥٨١

إلا للقاضي « محمد بن عبد الله » . ويقال ان الخلاف زاد بين الأب والابن ، فإذا قرب الأب أحداً أبعداه ابنه^(١) .

وهكذا كان محمد بن عبد الله بن الخطيب يحرص على أن يستقل بالقضاء كما كان يحرص على ألا يظهر له أي منافس في هذا المنصب . ويقال انه بلغه أن أحد الشهود بمصر ، واسمه أحمد بن ابراهيم الاندلسي ، سعى من بغداد لتولي القضاء فأوقع به عند كافور وقبض عليه كافور وكاد يقتله . وكذلك فعل بمنافس آخر : هو أبو بكر محمد بن طاهر النقيب .

وكان مسمى أحمد بن ابراهيم الاندلسي قد نجح في بغداد فوصل كتاب بتقليده القضاء ولكنه توفي قبل وصول هذا التقليد بخمسة أيام وكان ذلك في سنة ٣٤٢ هـ . وتوفي محمد بن طاهر أيضاً في سنة ٣٤٦ هـ فاستراح ابن الحصبى من الاثني^(٢) .

وهكذا نرى أن القضاء قد فقد استقلاله في هذا العهد فكان لا بد للقاضي من التقرب إلى الأمير للوصول إلى هذا المنصب ثم كان لا بد له من مداراة الأمير وطاعته ليستطيع الاحتفاظ بمنصبه . وكان لا بد له في كثير من الأحيان من تقديم الرشوة والهدايا ليقبل المنصب أو يبقى فيه . وهكذا بطلت القاعدة المعروفة وهي أن طالب القضاء لا يولي وكثيراً ما كان القضاة يحضرون مجالس الأمراء ويبحثون بعض المسائل في حضرتهم^(٣) . كما كان الأمراء يتدخلون أيضاً في بعض شئون القضاء ، فيقال ان كافوراً الاخشيدي كلف يعقوب بن كلس بأن يقول للقاضي أبي الطاهر الذهلي : « بلغني أنك تتبسط مع جلسائك ، وهذا الانبساط يذهب هيبة الحكم » ، فلما أبلغه ذلك ابن كلس رد القاضي بأن قال : « قل للأستاذ لست ذا مال أفيض به على جلسوي . فلا يكون أقل من خلتي »^(٤) . ويقال أيضاً عن أبي الطاهر الذهلي أنه كان

(١) الكندي : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٥٧٨ و ٥٨٠ .

(٢) المرجع نفسه ص ٥٨٠ .

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦٦ و ٥٦٩ و ٥٧٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ٥٨٢ و ٥٨٣ .

« كالخجور عليه في أحكامه » ، وذلك لأن كافوراً كان يجلس كثيراً للمظالم في أيام السبت^(١) ، كما أنه لم يجعل إليه النظر في الأحباس منذ سنة ٣٥٠ هـ^(٢) .

وكان القاضي حين يتسلم عمله يلبس السواد شعار العباسيين ويركب إلى الجامع العتيق في موكب من الشهود وأصحاب الشرطة والأمناء^(٣) ووجوه أهل البلد ، وكان يقرأ عهد القضاء له في الجامع^(٤) . وكان القاضي الجديد يتسلم أوراق القضايا من القاضي السابق ويختم عليها بختمه ويكسر ختم من سبقه . ولكنّه كان يعهد أحياناً إلى أحد الثقات ليتسلم له من القاضي السابق . ويبدو أن أوراق القضايا في العصر الاخشيدى كانت تحفظ في سلال وتختم^(٥) مع أننا نعلم أنه منذ ولاية محمد بن مسروق الكندي على قضاء مصر في فجر الإسلام (١٧٧ — ١٨٤ هـ) كانت أوراق القضايا تختم وتوضع في قظر^(٦) .

والظاهر أنه كان من عادة قضاة ذلك العصر إذا انصرفوا من مجلس الحكم من المسجد الجامع أن ينصرفوا وبين أيديهم الحجاب وسلّة القضاء^(٧) .

وكان القضاة في العصر الاخشيدى من مذاهب مختلفة ، فكان القاضي محمد بن بدر الصيرفي حنفيًا^(٨) ، وكان احمد بن عبد الله الكشي حنفي المذهب أيضا^(٩) ، بينما كان

(١) ومثل هذا التعطيل حدث لبيكار بن قتيبة في عصر احمد بن طولون فيقال ان احمد بن طولون « قد داوم النظر في المظالم حتى استغنى الناس من الشرطتين عن القاضي حتى كان بكار ربما نس في محله وانسكأ ثم انصرف إلى منزله ولم يتقدم إليه اثنان » المرجع نفسه ص ٥١٢ وقارن

Zaky M. Hassan : Les Tulunides p. 223

(٢) الكندي : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٥٨٤

(٣) كانت هناك وظيفة في القضاء يعرف أصحابها باسم الأمناء (المرجع نفسه ص ٥٣٣

و٥٦٩ و٥٧٥) ولكننا لانعرف على وجه الدقة ماهية وظيفتهم وربما كانت مهمتهم المحافظة على أوراق القضايا أو الاشراف على أموال الاحباس .

(٤) المرجع نفسه ص ٥٦٢ و٥٧٥ و٥٧٧

(٥) المرجع نفسه ص ٥٥٠ و٥٦٠ و٥٦٩

(٦) الكندي : الولاية والقضاة ص ٣٩١ و ٣٩٢

(٧) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصري ص ٣٧

(٨) الكندي : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٥٥٧

(٩) المرجع نفسه ص ٥٧٢

عبد الله بن زبر والحسين بن أبي زرعة بن عثمان الدمشقي وابن الحداد وعمر بن الحسن الهاشمي وعبد الله بن محمد الحصب من أتباع المذهب الشافعي^(١) . أما أبو الذر محمد ابن يحيى الأسواني والحسن بن عبد الرحمن الجوهري وأبو الطاهر الذهلي فكانوا يتبعون مذهب مالك ، إلا أن أبا الطاهر كان لا يتقيد بمذهب مالك في أحكامه^(٢) . وكان عبد الله ابن وليد القاضي يميل الى الاعتزال^(٣) .

وكان بعض القضاة مصريا مثل أبي الذر بن يحيى الأسواني وابن الحداد ومحمد بن بدر الصيرفي . وكان البعض الآخر أجنبيا عن مصر أي من الشام أو العراق مثل الحسين ابن عيسى بن هروان والحسين بن أبي زرعة الدمشقي والكشي وبكران بن الصباغ . وكان سلطان القضاة في مصر لا يمتد إلى الشام أو الحجاز إلا في حالات معينة ، ومن ذلك أن القاضي الحسين بن أبي زرعة تقلد قضاء مصر والاسكندرية^(٤) والشام وحمص وفلسطين والرملة وطبرية وأعمال ذلك^(٥) .

ويقال إن عمر بن الحسن الهاشمي بعد ما تولى قضاء مصر أضيف إليه قضاء الاسكندرية والرملة وطبرية وأعمالها^(٦) .

وبعد ما ولي عبد الله بن محمد بن الحصب قضاء مصر أضيف إليه قضاء دمشق والرملة وطبرية^(٧) . ونعرف أيضا أن أبا الطاهر الذهلي أضيف إليه قضاء دمشق بعد أن ولي قضاء مصر^(٨) .

(١) السكندی : الولاية والقضاة (الملاحق) ص ٥٣٩ و ٥٦٢ و ٥٧٥ و ٥٧٦

(٢) المرجع نفسه ص ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٧١ و ٥٨١ و ٥٨٤

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦٥

(٤) نلاحظ أنه منذ العهد اليوناني حتى ذلك العصر الذي نحن بصدده كانت الاسكندرية

تعتبر في معظم الأحيان جزءاً مستقلاً عن مصر .

(٥) السكندی : الولاية والقضاة (الملاحق) ص ٥٦٢

(٦) المرجع نفسه ص ٥٧٥

(٧) المرجع نفسه ص ٥٧٧

(٨) المرجع نفسه ص ٥٨٢

وكان القاضي يولى قضاة في البلاد المختلفة في مصر أو في غيرها من البلاد التابعة لتفوضه القضائي . وكان نواب القاضى يكثر أو يقلون بحسب البلاد التابعة له وأعمالها^(١) . أما الاختصاص النوعى للقاضى فكان غير محدود . والراجح أنه ظل كما كان عليه منذ فجر الإسلام في مصر فكان إلى القاضى الأحكام الخاصة بالنازعات المختلفة والمسائل الشرعية والأحباس ونفقة الأبنام ، كما كان القاضى يخرج لرؤية هلال رمضان .

وكانت كل هذه الأمور تجتمع إلى قاض واحد أو توزع بين قاضين أو أكثر ، فكان الحسين بن أبى زرعه القاضى يتولى بالإضافة إلى النظر فى الأحكام الموارث والأحباس ويشرف على دار الضرب^(٢) . وكان بكران بن الصباغ ينظر فى الأحباس بينما ينظر الكشى فى الأحكام^(٣) . وفى ولاية أبى الطاهر الذهلى أبعد كافتور عنه النظر فى الأحباس منذ سنة ٣٥٠ هـ وسامها إلى الحسن بن أيوب ويحيى بن مكى^(٤) .

والراجح أن القضاة فى ذلك العصر كانوا يتقاضون مرتبات أو أرزاقا كبيرة . وقد يفسر هذا تكالب بعض العلماء على هذا المنصب . وقد رأينا أن مرتبات القاضى فى فجر الإسلام فى مصر ندرجت من مائتى دينار فى السنة (٦٩ — ٨٣ هـ) إلى ١٦٨ ديناراً فى كل شهر (١٩٨ — ١٩٩ هـ)^(٥) ، ونعرف أن القاضى بكران بن قتيبه كان يتقاضى فى العصر الطولونى ١٠٠٠ دينار سنويا^(٦) . ويقال ان خمارويه كان يندح القاضى محمد بن عبدة بن حرب ثلاثة آلاف دينار كل شهر^(٧)

ولعل المقصود هنا كل سنة وليس كل شهر أو لعامها ثلاثة آلاف درهم^(٨) .

(١) الكندى : الولاية والقضاة (المالحق) ص ٥٥٢ و ٥٦٢ و ٥٧١ و ٥٧٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٢ و ٥٦٣ .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩٠ و ٥٧٣ .

(٤) المرجع نفسه ص ٥٨٤ .

(٥) المرجع نفسه ص ٣١٧ و ٤٢١ .

(٦) المرجع نفسه ص ٥١٢ .

(٧) المرجع نفسه ص ٥١٦ .

(٨) راجع عن مرتبات القضاة G. Wiet : The Governors and Judges of Egypt (Journal of

وكان بعض قضاة العصر الاخشيدي مترفا . ومن ذلك أن الحسين بن أبي زرعه
الدمشقي كان ينفق على مائدته أربعمائة دينار كل شهر ^(١) وهناك نصوص كثيرة تشهد
بكرمه وسخائه مما يدل على وفرة ماله بالإضافة إلى كرمه ^(٢) .

وكان القضاة في هذا العصر يقضون بين الناس في جامع عمرو بن العاص
أو في بيوتهم ^(٣) . والظاهر من النصوص التي وصلت إلينا أن القضاة كانوا يذهبون
إلى الجامع للقضاء في أيام معلومة من أيام الأسبوع ، فكان الحسين بن أبي زرعه يجلس
في الجامع كل سبت ^(٤) ، ولما استخلف القاضي عمر بن الحسن الهاشمي الفقيه
ابن الحداد كان ابن الحداد يجلس للقضاء في دار العباسي يومى الخميس والسبت وفي داره
هو يوم الاثنين ^(٥) .

وكان القضاة ينيبون عنهم من يساعدهم في أعمالهم القضائية وغيرها مما يدخل
في اختصاص القاضي . فقد رأينا أن عبد الله بن أحمد بن زبر استخلف أبا بكر بن الحداد
ويقال أيضاً انه ولاء النظر في وقف المارستان وكان يعطيه كل شهر ثلاثين ديناراً .
كما استخلف أيضاً أبا بكر محمد بن علي العسكري ، ومحمد بن بدر الصيرفي ^(٦) ، وعرفنا
أيضاً أن الحسين بن أبي زرعه أناب عنه في الحكم أبا بكر بن الحداد ^(٧) . ولما ولى
عمر بن الحسن الهاشمي القضاء استخلف ابن الحداد ، فكان ابن الحداد يجلس في دار
العباسي يومى الخميس والسبت وفي داره هو يوم الاثنين . وكان إذا خرج العباسي للحج
يجلس ابن الحداد في الجامع ^(٨) . ولما ولى عبد الله بن وليد القضاء في سنة ٣٢٩ هـ

(١) السكندی : الولاية والقضاة (المحقق) ص ٥٦٢

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٣

(٣) المرجع نفسه ص ٤٨٧ و ٥٣٩ و ٥٥٢ و ٥٦٦

(٤) المرجع نفسه ص ٥٦٣

(٥) المرجع نفسه ص ٥٥٣

(٦) المرجع نفسه ص ٥٤٠

(٧) المرجع نفسه ص ٥٦٣

(٨) المرجع نفسه ص ٥٥٣

أُتاب عنه في الأحكام ابن الحداد أيضاً . ثم وقع خلاف بينهما فاستخلف ابن وليد أحمد ابن محمد بن شعيب الداودي^(١) .

ونلاحظ بوجه عام أن الفقيه الذي اشتهر في معاونة القضاة في ذلك العصر هو ابن الحداد . ولعل ذلك يرجع إلى ثقة القضاة في أحكامه وفي نشاطه وعمله .

وكان يعاون القضاة طائفة من الشهود كانوا بمثابة موظفين دائمين ، وكان الشاهد المعترف به يسمى الشاهد العدل ، ويعرف الشهود أيضاً باسم العدول . وكان القضاة بمصر في فجر الإسلام يعنون بالسؤال عن الشهود ومعرفة مدى أمانتهم ونزاهتهم . ولكن عبد الرحمن بن عبد الله العمري الذي تقلد القضاء بمصر بين عامي (١٨٥ و ١٩٤ هـ) أثبت الشهود العدول في كتاب خاص . وتبعه في ذلك القضاة من بعده^(٢) .

والراجح أن الشهود كانوا يشبهون من بعض الوجوه مشايخ البلاد أو مشايخ الحارات في عصرنا الحالي^(٣) . فكان على كل شاهد أن يعرف أحوال أهل الحى الذى يسكنه ومنازاتهم وخصوماتهم ، ومن أجل ذلك كان لشهادة هؤلاء الشهود قيمتها الخاصة في القضاء . وطبيعى أن المفروض فيهم النزاهة وحسن السيرة .

ونرى طوال العصر الاخشيدى أن كل قاضٍ في مصر كان يعنى بأمر الشهود عقب توليه هذا المنصب فيوافق على بعض شهود القاض السابق أى يعدلهم أو يعدل شهودا جديدا ويوقف من يرى ضرورة إيقافهم أى يسقطهم^(٤) .

(١) السكندى : الولاة والقضاة (الملتحق) ص ٥٦٥

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧١ و ٥٧٢ و ٣٨٦ و ٣٩٤

(٣) راجع عن الشهود السكاسانى : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج ٦ ص ٢٦٦ — ٢٩٠

ومتز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٧٤ — ٣٧٨ (Journal of the Omedroz : The Office of Kadi Roy As. Soc. 1910 p. 779 & seq. Van den Berg : Principes du droit musulman (Alger 1896) pp. 216 et suiv.

(٤) المرجع نفسه ص ٥٤٠ و ٥٥٨ و ٥٦٣ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٥

ويظهر أن كثيرا من هؤلاء الشهود كانوا من الأسرات الكبيرة في البلاد أو من وجوه القوم^(١) . وكان رئيس الشهود يعرف باسم مقدم الشهود^(٢) .

وكتيرا ما كان للشهود أثر في تولية بعض القضاة ، وذلك بتشجيعهم بعض الطامعين على السعي لهذا المنصب أو بالشهادة بكفائتهم أمام الأمير^(٣) .

ولا نعرف على وجه التحقيق عدد الشهود الذين كان يعدلهم كل قاض ، وهل كان يضمهم إلى من عدلهم سلفه أو يعيد النظر في أمر الشهود جميعا . ويقال ان القاضي عبد الله بن وليد عدل في ولاياته الثلاثة على القضاة أربعين شاهدا أو يزيد^(٤) .

والظاهر أن ابن وليد استكثر من الشهود^(٥) . ويبدو أن القاضي في العصر الاخشيدي كان يجلس للحكم وعن يمينه ويساره أربعة شهود^(٦) .

ويظهر أن اسقاط أحد من الشهود المعروفين أو ذوى المسكاة منهم كان يحدث أزمة ، فعند ما أسقط القاضي عبد الله بن وليد مقدم شهوده سليمان وسجل هذا الاسقاط وأشهد عليه الشهود ، رضى جماعة ورفض آخرون . وذهب سليمان إلى دار الاخشيد ليشتمكي ابن وليد . وفض هذا النزاع سماية القهرمانة وذلك بأن طلبت من ابن وليد السجل ولما أحضره منرقته وأصلحت بينهما^(٧) .

وحدث أن تقلد بعض الشهود منصب القضاة ، كما أن بعض القضاة صاروا شهودا بعد صرفهم عن القضاة ، ومن أمثلة ذلك أبو الذكر بن يحيى الأسوانى ومحمد بن بدر الصيرفى وأبو بكر بن الحداد والحسن بن عبد الرحمن الجوهري .

(١) نرى في نصوص هذا العصر تكرار هذه العبارة عن القضاة « وعدل جماعة من الاء ومن وجوه مصر » انظر السكندى : الاء والقضاة (الملاحق) ص ٥٦٣ و ٥٨٤

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٨ و ٥٦٩

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦١ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٦ و ٥٨٣

(٤) المرجع نفسه ص ٥٧٠

(٥) المرجع نفسه ص ٥٦٩

(٦) المرجع نفسه ص ٥٥٢ و ٥٦٠

(٧) المرجع نفسه ص ٥٦٨

وكان للقضاء كتاب يساعدهم . ومن ذلك أن الحسين بن أبي زرعه الدمشقي
أخذ الحسن بن عبد الرحمن بن اسحق الجوهري كتابا له^(١) ، ولما تقلد هذا الكتاب
القضاء بعد ذلك أخذ ابنه الحسين كتابا له^(٢) .

وكان للقاضي عبد الله بن وليد كاتب اسمه حماد ، وقد هجا محمد بن بدر الصيرفي
القاضي ابن وليد في قصيدة طويلة منها :

يا ابن الوليد تدبر ما أتيت به ولا تكن للهوى مستكملا عمما
لو كنت تسمع قول الحق معتقدا أو كنت تحشى عذاب الله معتصما
لما استعنت بجهد اللعين وما رأيت انت له في صالح قدما
جعلته كتابا يمضي الأمور ولم يس في العلم قرطاسا ولا قاما^(٣)

ويبدو من هذه الأبيات أن كاتب القاضي رجل ينتظر أن يكون على شيء من العلم
بأمور الدين . ولا عجب فإن بعض الكتاب تولوا منصب القضاء في هذا العصر مثل
محمد بن بدر الصيرفي القاضي الذي كان كتابا للقاضي محمد بن عبدة بن حرب^(٤) قاضي
خارويه بن احمد بن طولون . كما أن القاضي الحسن بن عبد الرحمن بن اسحق
الجوهري كان كتابا للحسين بن أبي زرعه^(٥) .

ولسنا نعرف على وجه التحديد عمل كاتب القاضي ، ولكن يبدو أن بعض الكتاب
كانوا يماونون القضاة في كتابة الأحكام^(٦) ، بل وفي تصريف الأمور كما يستنبط
من الأبيات السابقة التي قيلت في هجاء القاضي ابن وليد وكاتبه حماد .

ويظهر أن بعض القضاة كان يهبط الى كاتبه بعمل معين من أعمال القضاء ، فيقال
ان عبد الله بن محمد بن الحبيب ، استكتب ابنه ينظر في الأحباس^(٧) ، كما أن بعض

(١) السكندی : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٦٣

(٢) المرجع نفسه ص ٧١

(٣) المرجع نفسه ص ٧٠

(٤) المرجع نفسه ص ٥٨

(٥) المرجع نفسه ص ٦٣

(٦) المرجع نفسه ص ٦٣

(٧) المرجع نفسه ص ٧٧

النصوص الخاصة بالقضاء في هذا العصر تشير إلى فريق من الكتاب يعرفون باسم «كتاب الشروط»^(١). ولعلمهم كانوا ينصرفون إلى تسجيل ما يتفق عليه الخصوم . وكان للقضاة في العصر الاخشيدى حجاب يستأذنون للناس وللشهود في الدخول إلى القاضى^(٢).

وكان بعض القضاة في هذا العصر شديداً في الحق بينما كان بعضهم ظالماً مستهتراً . ومن عرفوا بالعدل محمد بن بدر الصيرفي . ويقال انه دخل مرة على الوزير أبي الفضل جعفر بن حنابلة « وكان عنده أبو بكر محمد بن علي الماذرائي مقبوضاً عليه في المصادرة ، فقال الوزير لمحمد بن بدر : هذا اسماعيل بن بنان وكيل جارية محمد بن علي ، فهما جاءك فيه فامضه ، فقال : حتى يثبت وكالته عندي بشاهدين عليها . فقال له : أنا أقول لك هو وكيل تقول لي « حتى يثبت عندي » ! وخبرك عندي بالتفصيل . وليس هذا موضعك وإنما تريد أن يشيع هذا القول ! أقيموه ! . فأقيم واعتقل ساعة في داره . ثم خوطب فيه فأطلق ثم أرسل إليه . من تريد من الشهود ؟ وقال : من شهودي الذين أقبلهم . فقبل الوزير ذلك وعظم محمد بدر في عينه وحسن موقع فعله عنده »^(٣).

وعنى محمد بن بدر بأمر اليتامى وبالأحباس عناية زائدة ويقال انه اشترى — وهو قاض — للأيتام دوراً أوروباعاً بسبعة عشر ألف دينار . وفضلاً عن ذلك فقد كان يخصص صباح كل يوم جمعة للنظر في أحوال اليتامى^(٤).

ومن الذين عرفوا بالعدالة أيضاً أبو بكر بن الحداد^(٥). ومع ذلك يقال إن الأمراء الاخشيديين كلهم كانوا يكرهون ابن الحداد لسكراهم للشافعيين ولأنه كان متشدداً عليهم . ولسكنهم كانوا يحترمونهم وكان كثير التردد عليهم^(٦).

(١) السكندى : الولاية والقضاة (المحقق) ص ٥٨٠

(٢) المرجع نفسه ص ٥٤٠ و ٥٦٩

(٣) المرجع نفسه ص ٥٦٠

(٤) المرجع نفسه ص ٥٥٩

(٥) المرجع نفسه ص ٥٥٢

(٦) المرجع نفسه ص ٥٥٥

وقد رويت عن ابن الحداد قصة تشهد بشدته في الحق برغم تدخل أبي المظفر الحسن ابن طعيج أخى الاخشيد^(١) .

ومن الذين اشتهروا أيضا بحسن السياسة والعدل الحسين بن أبي زرعه الدمشقي^(٢) ، وعمر بن الحسن الهاشمي^(٣) ، وعبد الله بن محمد بن الخصيب^(٤) .

أما القضاة الذين اتخذوا القضاء سبيلا لجمع الأموال فمنهم عبد الله بن أحمد بن زبر . ويقال عنه انه « كان عارفا بأخذ الدراهم والدنانير والهدايا ، وكان مع ذلك لا يقبض درهما ولا يضم هدية حتى يقضى حاجة صاحبها »^(٥) . والواقع أن في المراجع المختلفة قصصا تشهد باستهتاره في هذا الميدان حتى ليبدو أنه كان لا يحرص على أن يخفى عن الناس سوء خلقه وقبوله الرشوة^(٦) . ومع ذلك فقد كان هذا القاضي فقيها عالما حتى قال فيه أحد ذوى رأى « لو كان ابن زبر عادلا ما عدلت به قاضيا »^(٧) . ومن اشتهر أيضا بقبوله الرشوة والبعد عن العدل القاضي عبد الله بن احمد بن شعيب المعروف بابن وليد^(٨) .

وكان القضاة في ذلك العصر ونوابهم الذين ينوبون عنهم في الحكم بين الناس يلبسون طيلسانا أسود وعمامة سوداء فوق القلنسوة^(٩) .

وكان العامة يثورون على القضاة في بعض الأحيان . ومن ذلك أن جماعة من القرماشكوا الخصبى ونائبه ، ولكن كافورا نصره عليهم فأمر بضربهم وطيف بهم

(١) الكندي : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٥٦٧

(٢) المرجع نفسه ص ٥٦٢

(٣) المرجع نفسه ص ٥٧٥

(٤) المرجع نفسه ص ٥٧٧

(٥) المرجع نفسه ص ٥٤١

(٦) المرجع نفسه ص ٥٤٠ و ٥٤١

(٧) المرجع نفسه ص ٥٤١

(٨) المرجع نفسه ص ٥٦٥ و ٥٦٨

(٩) الكندي : الولاية والقضاة ص ٣٧٨ والملحق ص ٥٤٠ و ٥٥٢ و ٥٦٥

على الجمال . فنار القوم على الحصيبي في الجامع ^(١) . ولما استقل ابنه محمد بن عبد الله ابن الحصيبي بولاية القضاة بعد وفاة أبيه وركب الى الجامع نار الناس عليه وحبصوه (أى رموه بالحصاء) فصاح قائلاً : « ما الذى يُنتم على وقد عمرت الاحباس ووفرتها وفرقت فى مستحقها وما ضبط أحد قط أننى ارتشيت أنا ولا أبى ؟! » . ولما علم كافور الاخشيدى بذلك أرسل اليه غلاما من غلمانه يسأل عنه ^(٢) .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق أسباب سخط الناس على الحصيبي وابنه . وحسبنا أنهما كانا مكروهين وأن ذلك لا يشهد لهما بالتوفيق فى إقامة العدل بين الناس .

وكان فى مصر الاخشيدية — كغيرها من أنحاء العالم الاسلامى — ما يسمونه النظر فى المظالم . ويعد الناظر فيها أشبه شىء بمحكمة الاستئناف ومحكمة النقض ومجلس الدولة فى عصرنا الحالى . فكانت تعرض عليه القضايا « اذا عجز القاضى عن تنفيذ حكمه فى قضية رجل من علية القوم أو اذا لجأ اليها المتقاضون اذا اعتقدوا أن القاضى لم يحكم بينهم بالعدل . وكان الفرض الاساسى من إنشائها هو وقف تعدى ذوى الجاه والحسب . ولهذا كانت تسند رئاسة ديوان المظالم لرجل جليل القدر كثير الورع يعرف باسم قاضى المظالم » ^(٣) .

ولكن الواقع فى مصر الاسلامية يخالف ما تكتبه المراجع النظرية فى هذا الشأن . فان اختصاص الناظر فى المظالم كان غير محدود ، فكان دون اختصاص القاضى فى بعض الأحيان وفوقه فى أحيان أخرى . وقد كتب المستشرق فون درهايدن Vonderheyden أن منصب الناظر فى المظالم كان أول مناصب الدولة ، لأن صاحبه كان يراقب

(١) الكندى : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٧٨

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧٩

(٣) حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٣٥٢ — ٣٥٣ وراجع

الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٦٤ — ٧٦ والمقرزى : الخطط ج ٢ ص ٢٠٧

سائر الموظفين ، وبذلك كان يشبه بمفرده كل ما تقيمه الأمم الحديثة من مجالس ولجان لضمان العدالة ومحاربة الاوتقراطية^(١) . ولكننا نرى أن هذا القول مبالغ فيه . ولاريب في أن أساسه ما جاء في الاحكام السلطانية للمساوردي عن الناظر في المظالم . والحق أن هذه الاختصاصات كانت نظرية الى حد كبير . وسلطان الناظر في المظالم لم يكن واسعا إلا حين كان هو الخليفة أو الأمير أو من يقرب من مرتبتهما أو من كان مؤيدا من الأمير حازما لثقتة التامة . فضلا عن ذلك فإن اختصاص الناظر في المظالم واختصاص القاضي كانا يلتقيان في كثير من الأحيان وكان يصعب أحيانا أن نتبين أيهما أوسع سلطانا^(٢) . وفي معظم الأحيان كان المرجح النهائى للبت في المظالم الخطيرة الشأن هو الخليفة أو الأمير نفسه .

وفي بداية العصر الاخشيدى كان القاضي ينظر في المظالم^(٣) . وفي سنة ٣٣١ أفرد للنظر في المظالم قاض مستقل^(٤) . وبعد مقتل ابن رائق وعودة الاخشيد من الشام سنة ٣٣١ هـ كان هذا الأمير يجلس للنظر في المظالم بنفسه في أيام الأربعاء^(٥) . وبعده كان كافور يجلس كل سبت ويحضر عنده الوزير وسائر الفقهاء والقضاة والشهود ووجوه البلد^(٦) « وكان القاضي كالمجور عليه لكثرة جلوس كافور للمظالم »^(٧) .

M. Vonderheyden : La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benou'el-Arab p. 173 (١)

(٢) راجع بحث الأستاذ امدرود عن المظالم في مجلة الجمعية الاسيوية المسكية سنة ١٩١١

ص ٦٣٥ وما بعدها ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٨٠ — ٣٨٦ و : G. Von Grunebaum

Medieval Islam pp. 104-165

(٣) السكندی : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٥٢ ، والسبكي : طبقات الشافعية ج ٢

ص ١١٣ — ١١٤

(٤) السكندی : الولاة والقضاة ص ٥٧٢

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٣٩

(٦) السكندی : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٨٤ ، والمقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٢٠٧

وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

(٧) السكندی : الولاة والقضاة ص ٥٨٣ — ٥٨٤

بقي أن نتحدث عن المحتسب . ولسنا نزيد هنا أن نفصل الكلام على اختصاصاته كما تبينها المراجع الفقهية والتاريخية^(١) . وحسبنا أن نذكر أنه كان يراقب مزاجاة أحكام الشرع ويسهر على حسن السلوك العام ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويشرف على نظام الأسواق والطرقات وعلى الباعة والعمال ، ويعمل بوجه عام على حماية الناس من غش التجار والصناع^(٢) .

وأقرب المحتسبين عهدا ببداية العصر الاخشيدى هما ابو مقاتل صالح بن محمد الذى تقلد منصب الحسبة قبيل ولاية الاخشيد على مصر^(٣) ، ثم محمد بن جعفر القرطى الذى قلده مؤنس الخادم هذا المنصب قبيل ولاية الاخشيد أيضا^(٤) .

ومن المحتسبين فى العصر الاخشيدى محمد بن جعفر بن سلام . وقد روى ابن زولاق أن بعض حيران سيديويه المصرى ساءه ولاية ابن سلام على الحسبة فشكاه الى سيديويه فركب معه الى أبى الفضل جعفر بن الفضل فقال له : « أبأفضل حفظك الله ورعاك وصانك وأبقاك وليت علينا محتسبا قليل الوفا كثير الجفا طويل القفا فأما ان كفيناه أو أبدلته لنا بسواه . . . »^(٥) . ويبدو من هذا النص أن الوزير كان صاحب الرأى الأعلى فى اختيار المحتسب وفى عزله .

وكان المفروض دائما أن يكون المحتسب « رجلا عفيفا خيرا ورعا عالما غنيا نبیلا عارفا بالأمور مخشكا فطنا لا يميل ولا يرتشى فتسقط هيئته ويستخف به »^(٦) . ولكن

(١) راجع الماوردى : الأحكام السلطانية (الباب العشرون) ص ٢٠٨ وما بعدها والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٦٣ — ٤٦٤

Von Grunbaum : op. cit. pp. 165-167. Levi-Provençal : Le Traité d'Ibn Abdun p. 210 و

E. Tyan : Histoire de l'organisation Judiciaire en pays de l'Islam,

(٢) أنظر متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٣٣ — ٢٣٤ والشيزرى : نهاية الرتبة

فى طلب الحسبة . وركى محمد حسن : دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى ص ١٧٣ —

١٧٤ وما ذكر فىهما من مراجع

(٣) السكندى : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٥٣٩

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٨

(٥) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ٥٣ — ٥٤

(٦) Levi-Provençal : op. cit. p. 210.

الظاهر أن بعض الذين تقلدوا الحسبة في العصر الاخشيدى كانوا بعبيد عن هذه الفضائل . وحسبنا ما رواه ابن زولاق في هذا الشأن . قال إن سيويه المصرى لقي الخنوب والحراس بن يديه فقال: « ما هذه الأحراس يا أبحاس ! والله ما تم حق أقتموه ولا سعر أتمتتموه ، ولا جان أدبتموه ، ولا ذو حسب وقرتموه ، وما هى إلا أجراس تسمع الباطل بوضع وأفقاء تصفع وبراطيل تقطع ! . لا حفظ الله من جملك محتسبا ! ولا رحلك ولا له أما ولا أبأ ! » (١) .

الباب السابع

دراسات في المجتمع المصري على عهد الأخشيدين

دراسات في المجتمع المصري على عهد الاخشيديين

(١)

طبقات المجتمع

(١) الاشراف

أوجد الاسلام نوعاً من شرف الدم لا يزال باقياً إلى عصرنا هذا ، وذلك في ذرية أهل بيت رسول الله . وكانوا يأخذون بوصفهم قرابة النبي راتباً من الحكومة ، وكان لهم قضاء مستقل بهم يتولاه تقيهم الذي يعينه الخليفة ^(١) . وكان لهم نقيب في دار الخلافة ونقباء في المدن الكبرى من ديار الاسلام يعينهم الخليفة أو من فوض الخليفة إليه تدبير الأمور كوزير التفويض وأمير الاقليم . وكان كل من العباسيين والطالبين أو العلويين يخاطب بالشريف ^(٢) . ومن ولى نقابة الطالبين بمصر على عهد كافور الاخشيدى الشاعر أبو القاسم أحمد بن محمد بن اسماعيل طباطباً المتوفى سنة ٣٥٢ هـ ^(٣) .

والواقع أن أسرة طباطبا كان لها شأن عظيم في المجتمع المصري منذ قدم إلى مصر القاسم الرسى من أولاد السيد ابراهيم طباطبا . وقد توفى القاسم هذا سنة . وفي قرافة مصر مشهد كبير لكثير من أفراد هذه الأسرة ^(٤) . ومن أعلامها في الاخشيدى عبد الله بن طباطبا ، وكان « شريفاً عفيفاً فصيحاً جميلاً وكان له رابع و

(١) أنظر المارردى : الأحكام السلطانية ص ٨٢ — ٨٦ (الباب الثامن في ولائهم على ذوى الانساب) .

(٢) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٦١

(٣) ابن سميذ : المغرب ص ٤٩ — ٥١ وابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١

(٤) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٥٩ — ٦٤

وإنعمة ودائرة متسعة ، وكان كثير الافتقار للفقراء والأرامل والمنقطعين » ^(١) . وتوفي عبد الله بن طباطبا سنة ٣٤٨ . ومن أعلام أسرة طباطبا في العصر الاخشيدى أيضاً الحسن بن علي بن محمد بن احمد بن علي الحسن بن طباطبا وكان من الزهاد وتوفي سنة ٣٥٤

وكان الاشراف في مصر موضع الاحترام والتكريم من الشعب والحكومة في العصر الاخشيدى . وقد مر بنا أن الحسن بن طاهر العلوي سفر بين الاخشيد و ابن رائق حينما جاء ابن رائق مهاجماً مصر سنة ٣٢٧ هـ ^(٢) . والمعروف أيضاً أن الاخشيد أرسله إلى سيف الدولة ليفاوضه من أجل السلام وتحديد الحدود بين أملاكهما ^(٣) .

وقد مرت بنا بعض قصص عن كافور تشهد بشكره العلويين . ونضيف هنا قصة تروى عنها حدث لكافور ذات مرة مع سيدة علوية . فقد قيل ان امرأة وقفت له في طريقه وصاحت به : ارحمني يرحمك الله ! فدفعها أحد رجاله فسقطت فأغتاظ كافور وأمر بقطع يده فقامت تشفع له فتعجب من مكرمتها وقال : اسألوها عن أصلها فما تكون إلا من بيت عظيم . فسئلت فإذا بها علوية فعظم الأمر على كافور وقال : قد أغفلنا الشيطان عن نساء الأشراف . وأحسن إليها وتفقد سائر نساء الأشراف وأدر عليهم الاحسان والجرأيات ^(٤) .

وكانت وساطة العلويين وشفاعتهم مقبولة عند الأمراء الاخشيديين ^(٥) . وكانت لهم منزلة سامية عند كبار القوم وأفراد الشعب . ومن طريف ما يروى في هذا الصدد أن الحسن بن طاهر العلوي توسط في صلح بين القاضي الحسين بن ابي زرعة والفقهاء

(١) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٦٠

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٢٥

(٣) المرجع نفسه ص ٤٢

(٤) المرجع نفسه ص ٤٨

(٥) الكندي : الولاة والقضاة (الملحق) ص ٥٧٦ وأنظر أيضاً ابن الزيات : الكواكب

أبي بكر بن الحداد وذهب معه ابن الحداد إلى دار أبي زرعة ووجده في الطابق العلوي بها. ونزل ابن أبي زرعة « ومر عليهما فسلم ولم يجلس عندهما وتوجه إلى مكان آخر فجلس فيه واستدعاهما، فلما دخلا عليه قام وتلقاهما . وفعل ذلك أدبا مع الشريف لئلا يقوم إليه . واستحسن من رأى ذلك عنده وعدّوه من آدابه »^(١) .

وروى أن أبا بكر محمد بن علي الماذرائي لما عاد من معتقله في الرملة بعد وفاة الفضل بن جعفر بن الفرات وخرج من دار الاخشيدي بعد أن خلع عليه الأمير سار الشريف أبو جعفر مسلم بين يديه ولم يعلم به الماذرائي إلا في سوق السراجين^(٢) خلف عليه حتى ركب^(٣) .

والظاهر أن بعض أوساط الناس كانوا يتقدون — فيما يتقدون من أحوال البلاد بوجه عام — ما كان للعلويين من مكاتب وسلطان . ومن ذلك ما حدث بين الشريف أبي محمد عبد الله أخى مسلم والأديب سيديويه المصرى . فقد قيل ان هذا الشريف جاء يوما إلى سيديويه وقال : سلام عليكم ! فقال سيديويه : السلام على من اتبع الهدى وتجنب الردى وسلك الطريقة المثلى ولم يتشبه بكسرى وبهرام وسابور وشهرام ! ارجع إلى مص النبوى فهو أصلح لك وأولى !^(٤) .

وجاء سيديويه المصرى يوما إلى الشريف أبي جعفر مسلم وقال : « جئت يا أيها الشريف فى حاجة . أريد قبة على بغل نقل يحمل جميع آلة السفر من وطاء وغطاء ومستعمل فأنى خارج فى غد إلى مسجد موسى أصلى فيه وأدعو ، فقال له مسلم : السمع والطاعة

(١) السكندى : الولاية والقضاة (المحقق) ص ٥٦٣

(٢) السراجون صانعو السروج : ولم يذكر المقرئى بين أسواق مصر والقاهرة (الخطط ج ٢ ص ٩٤ وما بعدها سوقاً للسراجين فى عصره . بل أشار إلى صناعة السروج فى سوق اللجيمين) والراجح عندنا أن لفظ السراجين كان أكثر شيوعاً فى المغرب ، ومن ثم استعمله ابن سعيد الذى تنقل عنه القصة التى نحن بصددنا أنظر A. Cherbonneau : Dictionnaire Arabe-Français t. 1 p. 419. Kasimirski : Dictionnaire Arabe-Français t. 11

كان يطلق أحياناً على النقاش بيوية الأخشاب أنظر Dozy : Supplément t. I. P. 645

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٦٤

(٤) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ٣١ ؛ أنظر أيضاً المرجع نفسه ص ٣٥

ما تفتح باب دارك غدا إلا والجميع على الباب . ثم دعا بالفراشين فأخذوا فيما يحتاجون إليه فقال له سيبويه : وحقك يا شريف ما أخرج إلا للصلاة والدعاء للمسلمين أن يريحهم الله من هذا الأسود الحصى فقد كدر الحياة وأعاب الولاية وأفسد الصلاة وما الله عنه بساه . ثم قام منصرفا وبقي مسلم مطرقا ثم قال في مجلسه : ألا ترون أى بلية ؟ ! ان أرسلت إليه خفت من الأستاذ . وأن لم أرسل إليه وقعت في لسانه وفي سبه «^(١) . والواقع أن الشريف لم يستطع الخروج من هذا المأزق الا بفضل حيلة جملة سيبويه يسعى إليه ويطلب منه أن يرحى تنفيذ كل ما تقدم به .

(ب) عليّة القوم

وطبيعي أن كان بمصر على عهد الاخشيديين طائفة من عليّة القوم أنهمضهم اليسار . وكان منهم كبار الموظفين والملاك والتجار . وكان على رأس هذه الطائفة أسرة الماذرائيين ، وقد فصلنا الكلام عليهم في غير موضع من هذا الكتاب . ولكننا نضيف هنا بعض الأخبار التي تشهد بعلو مكانتهم في مصر إلى حد جعل ابن زولاق ينخصهم بكتاب من تأليفه^(٢) ، فضلا عما ذكره عنهم في كتبه : سيرة محمد بن طغج الاخشيد ، وتنمة أمراء مصر ، وتنمة قضاء مصر للسكندي ، وسيرة سيبويه المصرى ، وسيرة جوهر^(٣) .

وكان للماذرائيين في مصر الضياع الواسعة ، وكان كبار هذه الأسرة يتخذون الحجاب تشبها بالأمراء . وكان لمحمد بن علي الماذرائى ديوان كبير يشرف على نحو ستين ألف محتاج كانت تجرى عليهم الأرزاق^(٤) . وكان الاخشيد ينكب الماذرائيين أحيانا ويصادر كثيرا من أملاكهم وكانت العامة تحرق دورهم وتنهب ضياعهم ، ولكنهم كانوا ينهضون وتعود اليهم مكانتهم وثرواتهم في فترة قصيرة جداً ، ويبدو أن سلطانهم كان يمتد إلى كثير من نواحي النشاط الاقتصادى في البلاد حتى ليصعب تجريدهم من أموالهم تماماً .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٥٥ — ٥٦

(٢) « كتاب سيرة الماذرائيين كتاب مصر » .

(٣) راجع ما كتبنا عن ابن زولاق في تصدير هذا الكتاب وما أشرنا إليه من المراجع .

(٤) المقريزى : المتقى (في رسالة جوتشك) ص ١٢٥

بل إن الاخشيد كان حين ينكب الماذرائى ويأمر باعتقاله يحرص على أن يكون هذا الاعتقال فى قصر يلىق بمكانة الماذرائى . وقد مر بنا أنه قال مرة عن ترف دار أعدها لاعتقال محمد بن على الماذرائى : « نعم هذا ملك ! وأردت أن لا يحتقر بشيء لنا ولا يحتاج أن يطلب حاجة إلا وجدها ، فإنه ان فقد عندنا شيئاً مما يريد استدعى به من داره ففسط نحن من عينيه عند ذلك » (١) .

وكان الماذرائيون يعيرون فى ترف ظاهر ولكنهم كانوا إلى جانب هذا ينفقون الخير والاحسان على الفقراء والمحتاجين . وكان لهم جوسق عظيم بنى على هيئة الكعبة « وكان أهل الرياسة يجتمعون عنده فى الأعياد ويوقدون فيه الشموع الكثيرة ويجتمع عنده القراء ويتلون فيه القرآن وتأنى الماذرائيون ويفرقون الجواز فى ذلك اليوم رغبة لما فى ذلك المكان من الخير والبركة : وقال الكعبى . ما رأيت من بكا حوله الفقراء والارامل والأيتام كالماذرائى لمات » (٢) .

ومن وصلت إلينا أسماءهم من عليّة القوم فى العصر الاخشيدى أبو جعفر أحمد ابن نصر . ولعله أحمد بن نصر الذى قلده الفضل بن جعفر الخراج بمصر قبل دخول الاخشيد (٣) . ومهما يكن من الأمر فإن أبا جعفر بن نصر كان من دعاة المعز لدين الله فى مصر قبيل الفتح الفاطمى (٤) . وكان يبر سيديويه المصرى وحدث أن أبطأ عليه بره ومر سيديويه بدار شيدها احمد بن نصر فقال : « كافور الأسود غداً يؤخذ بأذنه . إنما بنيت هذه الدار لصاحب المغرب تؤخذ فيها البيعة على كل تابع ومتبوع وذليل ومرفوع . تغير فيها الأحوال وتحمل اليها الأموال » (٥) فلما بلغ ابن نصر هذا التهدية أرسل اليه ما أرضاه .

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٥٦

(٢) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٥٥ أنظر أيضاً ابن كثير : البداية ١

ج ١١ ص ٢٣١

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١١

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٣

(٥) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ٤٠

ومن عليّة القوم في العصر الاخشيدى أيضاً أبو الحسن محمد بن عبد القاهر
وأبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن اسحق الجوهري^(١) وابن اريخا^(٢) وابن برك
التاجر^(٣).

(ج) سواد الشعب

يخكى عن الفضل بن يحيى أحد رجال الحاشية في العصر العباسى أنه قال : « الناس
أربع طبقات » :

١ — ملوك قدمهم الاستحقاق .

٢ — ووزراء فضلتهم الفطنة والرأى .

٣ — وعليّة أنهضهم اليسار .

٤ — وأوساط ألحقهم بهم التأديب ، والناس بعدهم زبّد جفّاء وسيل غشاء ،
لكع ولُكاع ، وربطة اتضاع هم أحد هم طعمه ونومه^(٤) .

والحق ان المؤرخين المسلمين لم يعنوا بغير الطبقات الأربع التى أشار اليها الفضل
ابن يحيى^(٥) ، أما سائر الناس من سواد الشعب فلا نكاد نعرف عنهم من المراجع القديمة
ما يناسب نسبتهم الكبيرة بين سكان البلاد . وإذا صح أننا نعرف شيئاً عن حياة العامة
من كتب الأدب وبعض كتب الفقه ، فاننا لا نكاد نعرف شيئاً خاصاً عن حياتهم في العصر
الاخشيدي إلا ما سيأتى ذكره في الصفحات القادمة حين نعرض للاعياد والعادات
وما إلى ذلك .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٣٨

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٣

(٣) ابن زولاق ، أخبار سيبويه المصرى ص ٤٠

(٤) الهمداني ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١

(٥) كتب المقرئى فصلاً « في ذكر أقسام الناس وأصنافهم وبيان جل من أحوالهم وأوصافهم »

وهو غنى ببيانات تكشف عن حال المجتمع في عصر المالك . انظر المقرئى : اغانة الأمة بكشف

(د) أهل الذمة

كان في مصر على عهد الاخشيديين كثير من المسيحيين ، أغلبهم من القبط الذين ظلوا على دينهم ، كما كان بها بضعة ألوف من اليهود . وليس في الشريعة الاسلامية ما يغلظ دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال العامة التي لا شأن للدين بها ولذا كان نشاطهم ملحوظا في الأعمال التي تدر الأرباح الوفيرة . فكان منهم أصحاب الضياع والأطباء^(١) ، والصيارفة والتجار .

وكان لأهل الذمة محاكمهم السكنسية الخاصة بهم ، ولما كانهم كانوا يستطيعون أن يحتكوا إلى القضاة المسلمين^(٢) ، وكانوا يدفعون الجزية كل بحسب الطبقة التي ينتهي إليها . ولما نعرف تماما عدد الطبقات التي كانوا ينقسمون إليها في حساب الجزية في العصر الاخشيدى ولكن الراجح أنهم كانوا ثلاث طبقات : دنيا وعلى أفرادها دينار في السنة ، ووسطى يدفع أفرادها دينارين ، وعليا يدفع أفرادها ثلاثة دنانير في السنة^(٣) .

ولا نسمع في العصر الاخشيدى شيئا عن التزام أهل الذمة القوانين الخاصة بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في اللباس والركوب^(٤) . والراجح أن القبط كانوا لا يزالون يحتفظون بملبعتهم القبطية وأنهم لم يتركوها إلا حوالى أواخر القرن الرابع الهجري^(٥) .

(١) روى ابن زولاق في كتاب أخبار سيويه المصرى (ص ٤٣) قصة يمكن أن يستنبط منها أن من بين أسماء الأطباء النصارى في العصر الاخشيدى هاشم وابن توفيل وارسانه وقوريل ومرجب وابن عثمان . ولكنه نص غامض ولم نجد ما يؤيده في طبقات الأما لابن أبي أصيبعة .

(٢) السكندى : الولاة والقضاة ص ٣٥١ و ٣٩٠

(٣) أنظر أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٦٩ ، ويحيى بن آدم القرشى : كتاب ا-

ص ٥١ ، والمواردى : الأحكام السلطانية ص ١٢٨ ، وسيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٣٨ — ٤١ ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٧٤ — ٧٥

(٤) راجع الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١٠ ص ١٠٠ و ج ١١ ص ٣٦ ، وأبو يوسيف : كتاب الخراج ص ٧٢ — ٧٣ ، والمواردى : الأحكام السلطانية ص ١٢٩ ، وسيدة كا-

مصر في فجر الاسلام ص ٢٠٣ — ٢١٥ ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٨٢

(٥) راجع متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٨٩ وما أشار اليه من المراجع القديمة

وكانت العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة في العصر الاخشيدى طيبة في معظم الأحيان . وكانت المشاغبات بين الفريقين تنشأ حين يقصد الشعب أن يحارب تسيطر أهل الذمة على الشؤون المالية في البلاد وحين ينتصر البيزنطيون على المسلمين في أطراف الشام وحين يحتاج المسلمون على السماح للمسيحيين بتعمير الكنائس .

ومن ذلك ما يروى عن هياج العامة وتخريب الكنائس في مصر حين ورد الخبر بأن البيزنطيين دخلوا الشام سنة ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) وقتلوا وخرّبوا ^(١) . ولما غزا الامبراطور نقفور جزيرة اقريطش في العام التالي وخرّب ما فيها من المساجد وسبى من أهلها خلقا كثيرا ووصل خبر ذلك إلى مصر ثار العامة وخرّبوا احدى الكنائس في مصر القديمة ^(٢) .

ومما روى ابن زولاق قصة لسيدويه المصرى مع موظف كبير من الموظفين في العصر الاخشيدى كان قد قطع عطاءً يتناوله سيديويه من ديوان الاحباس فثتمه سيديويه وعيره بأنه « عمار الكنائس » ^(٣) .

ويبدو أن أولى الأمر كانوا يستكتبون الشعراء المسلمين فصائد ينسبونها إلى المسيحيين ويذكرون فيها ما فعلوه في المدن الاسلامية وأهلها وذلك استنهاضا لهم المسلمين وحثا لهم على الأخذ بالتأثر . ومن ذلك القصيدة المروفة باسم القصيدة الأرمنية التي تنسب إلى شاعر ارتد عن الإسلام واتصل بالامبراطور نقفور ونظم هذه القصيدة حول منتصف القرن الرابع الهجرى وزعموا أنه أرسلها إلى الخليفة المطيع لله . ومن آياتها :

تغوركم لم يبق فيها — لو هتكم وضعفكم إلا رسومُ المعالمِ
فتحننا الثغورَ الأرمنيةَ كلها بفتيانِ صدقِ كاليوثِ الضراغمِ
واقريطشُ قد جازت إليها مراكي على ظهرِ بحرٍ مُزِيدٍ متلاطمِ

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١١٦

(٢) المرجع نفسه ص ١١٧

(٣) ابن زولاق : أخبار سيديويه المعرى ص ٥٠ — ٥١

فُزِمَهُمْ أُسْرَى وَسِيقَتْ نَسَاؤُهُمْ ذَوَاتُ الشُّعُورِ الْمُسْبِلَاتِ الذُّوَاعِمِ
إِلَى حَلَبٍ حَتَّى اسْتَبَحْنَا حَرِيمَهَا وَهَدَّمْنَا مِنْهَا سُورَهَا كُلَّ هَادِمِ
أَخَذْنَا النِّسَاءَ مِنَ الْبَنَاتِ نَسُوْقُهُمْ وَصَبِيَّاتَهُمْ مِثْلُ الْمَالِكِ خَادِمِ
وَمَصْرُ سَأَفْتَحَهَا بِسِيفِي عَنُودَ وَأَخُذُ أَمْوَالَهَا بِهَا وَبِهَائِمِ
وَأَجْرِي كَافُورًا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ بِمِشْطٍ وَمَقْرَاضٍ وَقِصِّ حَاجِمِ

وهكذا تسير آيات هذه القصيدة معددة الأقاليم الإسلامية وما فعله المسيحيون في الانتصار عليها وما يريدون إتمامه للقضاء على الإسلام وأهله ، إلى أن تنهى بهذه الآيات :

هناك تخلو الأرض من كل مسلمٍ لكل نقي الدين أعلف زاعمِ
سأفتح أرضَ الله شرقاً ومغرباً وأنشر ديناً للصليب بصارمي
فعمسى علا فوق السمواتِ عرشه يفوزُ الذي والاهُ يوم التخاصمِ
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى فصار رفاتا بين تلك الرماثمِ^(١)

ولا شك في أن انتصارات البيزنطيين في شمالي الشام ومثل هذه القصائد وما إليها من الأخبار التي كانت تروى استنهاضاً لهم المسلمين ، كل ذلك كان يؤدي في بعض الأحيان إلى توتر العلاقات بين المسلمين والنصارى في مصر والشام وغيرهما من ديار الإسلام .

وكان يحدث أحياناً أن يتدخل الأمير الاخشيدى بين المسيحيين لفض الخصومات التي تقوم بين الشيع والطوائف المختلفة . وقد انقسم المسيحيون على أنفسهم في تئيس انقساماً كبيراً بدأ قبيل ولاية الاخشيد واستمر حتى تدخل فيه هذا الأمير . ففي سنة ٣٢٢ مات أسقف تئيس وكان بينه وبين البطريك وحشة وولى الأخير على تئيس أسقفاً من بين أنصاره من أهلها يسمى تادفيلس ، ولكن أهل تئيس خاصة والأقباط

عامة انقسموا حزبين: أحدهم مع البطريك والأسقف تاوفيلس والآخر عليهما ، واجتمع إلى تاوفيلس بنوه واخوته وجماعة من أهل البلد « وقصد استصلاح من كان نافراً وجعل يقصد منازلهم راجلاً وخفض جناحه لهم ولاطفهم فلم يغبه ذلك شيئاً وقام لسكل من الحزبين غرض في نصرة هواه حتى كان الأب لا يكلم ابنه ولا المرأة تخاطب بعلمها وانتشرت الحرومات بينهم وصارت القرابين تنتقل من هيكل إلى هيكل وتكسر على المذابح ويستعين كل فريق منهم على الآخر بالسلطان ، وخرج جماعة من النافرين عنه من أهل تيس من النصارى إلى الاخشيد محمد بن طنج بمصر ^(١) . فأرسل الاخشيد معهم قائداً على رأس جماعة من الجند وقبض على البطريك وعلى الأسقف تاوفيلس وختمت الكنيسة ومنع الناس من الصلاة فيها وحمل ما في خزائنها من الأموال والتحف إلى الاخشيد ولم يأمر بإداته بها إلا بعد وساطة طائفة من وجوه القبط وكتابهم .

وليس في النصوص التاريخية والأدبية التي وصلت إلينا من العصر الاخشيدى ما يشير إلى وجود أحياء مخصصة لأهل الذمة في النسطاط بحيث لا يتعدونها . وإن كان طبعاً أن يؤثر أهل كل دين أن يعيشوا متقاربين . وكان في الصحراء الغربية والصحراء الشرقية أديرة لا يزال بعضها قائماً حتى اليوم .

(هـ) الرقيق

كانت مصر في العصر الاخشيدى من أعظم أسواق الرقيق الأسود وكانت القوافل تجلب إليها العبيد من الجنوب . وكان الرقيق الأبيض يصل إلى أسواقها من بزنطة وارمينية وثغور البحر الأبيض المتوسط ومن أسواق الرقيق في سائر ديار الاسلام . وكان نجار اليهود يستأثرون بجلب الغلمان والجواري من أوروبا ^(٢) .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ٩٤ و ٩٥

(٢) متر: الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣١٥

وكان المسلمون يحسنون معاملة عبيدهم وإمامهم في معظم الأحيان ، وذلك عملاً بروح الاسلام وتعاليمه . وكان من البر والعادات المحمودة أن يعتقد السيد كثيراً من العبيد الذين يملكهم . ومن ذلك ما يقال عن عتق محمد بن علي الماذرائي مائة ألف مملوك في حياته ^(١) . وفي هذا مبالغة واضحة ، ولكنه يشهد بأقبال هذا الوزير على مرضاة الله بمثل هذا العمل النبيل . وكانت لهذا الماذرائي جارية عالية القدر رفيعة المنزلة ، اسمها ست الناس ^(٢) . ولعلها المقصودة في نص جاء في ابن زولاق عن جارية الماذرائي كانت تجلس في شباك من شبابيك قصره وحولها جوارها قيام بالمذاب ^(٣) .

ويلوح أن السيد الذي كان يعتقد عبداً أو جارية له كان يحرر وثيقة بذلك . وقد وصلت اليينا وثيقة من هذا النوع محفوظة في دار الكتب المصرية ، ولكنها لا ترجع الى العصر الاخشيدى نفسه بل الى سنة ٣٩٣ هـ . (١٠٠٣ م) ^(٤) ونرجح أن ذلك كان متبعاً في العصر الاخشيدى أيضاً .

وكان كثير من العبيد المعتقدين يحملون السلاح وينخرطون في سلك الجيش ، وكان بعضهم يصل الى مكانة عالية فيه ، وقد يعده ذلك لتقلد بعض الوظائف الرئيسية في الادارة ، وفضلاً عن ذلك كان لبعض الغلمان والجوارى سلطان كبير على سادتهم .

ولكن المعتقدين كانوا لا ينجحون تماماً في التخلص من وصمة الرق ، ولا ريب في أن قصائد المتنبى في هجاء كافر تفصح عن احتقار الرأى العام للأرقاء المعتقدين ، وحسبنا قوله .

فَلَا تَرَجَّ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فِي رَأْسِهِ ^(٥)

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٦٢

(٢) المقرئى : المقفى (النص العربى في رسالة جوتشلك) ص ١٢٦

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٥

A. Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library 1. p. 61 (٤)

(٥) ديوان المتنبى ص ٤٣٠

وقوله أيضا :

العبدُ ليسَ حرٌّ صالحٍ بأخٍ نوَّ أنهُ في ثيابِ الحرِّ مَولودُ^(١)

وكانت مصر في العصر الاخشيدى غاصة بالعبيد الأباقي ، شأنها في ذلك شأن سائر ديار الاسلام في القرن الرابع الهجرى . وكان معظم العبيد الأباقي يشتغلون في الأعمال الزراعية .

(٢)

الجيش والبحرية

(١) الجيش

عرفنا أن الجيش والاسطول كانا عدة الاخشيد في دخول مصر والتمكين لنفسه فيها بالقضاء على سلطان المعارضين لإمارته . وكان الجيش فضلا عن ذلك عدته في صد غزوات أعدائه كان رائق وسيف الدولة والفاطميين .

والمعروف أنه حين قدم الاخشيد إلى مصر كان الجند فيها قد انقسموا طائفتين : أهل الشرق أو المشاركة وعلى رأسهم قائد يدعى حبكويه ، والمغاربة وعلى رأسهم حبشى ابن احمد . وكان بين الطائفتين منازعات كثيرة أدت إلى نشوب القتال بينهما ^(١) . وأكبر الظن أن أساس تلك المنازعات تعدد الاجناس والطوائف التي كان يتألف منها الجيش في ذلك الوقت .

وكذلك كان الجيش على عهد الاخشيد يتألف من ترك وسودانيين ومغاربة وعماليك من اجناس مختلفة . ويقال إن الجيش الاخشيدى بلغ اربعمائة ألف مقاتل في مصر والشام ^(٢) . ولكن علينا أن نقبل هذا الرقم بتحفظ كبير لأن المبالغة فيه واضحة ، وحسبنا أن نفكر في أن مثل هذا العدد لم يكن من السهل تمويته أو تدبير الشكناات له فضلا عن أنه لا يتناسب مع عدد سكان البلاد في ذلك الوقت ولا مع القوة اللازمة للدفاع عنها . ويقال ان جيش الاخشيد كان أعظم جيوش عصره فلما استدعاه المتقي واقترب من مدينتي الرقة والرافقة أشرف أهلها على السواحل والأسوار ونظروا من عظم العسكر وحسن عدته مالم يشاهدوا مثله ^(٣) .

(١) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٢ و ٢٨٣

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥ والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٩٤

وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٢ وابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٣

(٣) منز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٥٢ نقلا عن كتاب العيون والحداثق (مخطوط

برلين رقم ٩٤٩١ ص ٢١٣ ب) .

ولما توفى الاخشيد واستبد كافور بالأمر ولم يبق شيء من الأمر لأونوجور ولا لأخيه من بعده ضم إلى جيشه عدداً كبيراً من السودانيين^(١). والراجح أنه فعل ذلك ليكونوا عدة له ولا سيما بعد أن انقسم الجند إلى طائفتين: الاخشيدية والكافورية. ولسنا نعرف من النصوص التاريخية ما يعيننا على البحث في نظام الجيش الاخشيدى وعدده ورواتب القواد والجند وعتادهم وما إلى ذلك مما يعنى به المؤرخون المحدثون، بعد أن كان المؤرخون المسلمون في العصور الوسطى يهملونه إلى حد كبير.

والراجح أن حفظ النظام بين الجند في العصر الاخشيدى كان أمراً شاقاً وذلك لسكثرة العناصر التي كان يتألف منها الجيش. ولكن الاخشيد وفق في هذا الميدان بفضل حزمه وبعد نظره وما تهيأ له من صفات القيادة والزعامة. ولا شك في أن الرواتب والمنح والعطايا التي كانت تغدق على القواد والجند كان لها أثر طيب في كسب رضاء الجيش وبث الطاعة والاخلاص بين صفوفه. فضلاً عن أن الحروب المتصلة والأخطار التي تعرضت لها الدولة، كل ذلك جعل القواد والجند أمام أهداف يجب الوصول إليها وأعداء يجب التغلب عليهم فكان لا بد لهم من نظام يعينهم في هذا السبيل.

وعلى الرغم من مهارة كافور وبعد نظره وخبرته في القيادة والزعامة فإن فريقاً من الجند ساءهم استبداده بالأمر فانقسم الجيش، كما مر بنا، إلى جند ينصرون أبناء الاخشيد وآخرين ينصرون كافورا. ويبدو أن كافورا كان يعتمد على المال والعطايا في القبض على زمام الجيش. ويقال ان القواد كانوا يجتمعون في داره فيخضع عليهم ويمنحهم الهبات الكبيرة. ويروى أنه أمر لأحد القواد من أنصار أولاد الاخشيد بأربعة عشر ألف دينار في يوم واحد فظل هذا القائد عبداً له حتى مات^(٢).

أما بعد وفاة كافور فقد دبت الفوضى إلى صفوف الجيش وثار كثير من الجند على رؤسائهم وطلبوا بأرزاقهم، وكان هذا كله من الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة

(١) المقرئى : المخطوط ج ١ ص ٩٤

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٧

الآخشيدي ونجاح الغزو الفاطمي^(١) . وذلك أن تدبير أمور الجند بعد وفاة كافور أصبح لسمول^(٢) الآخشيدي^(٣) ولكنه لم يكن موقفاً في قيادته . ولا سيما بعد أن تعود الجند أن يشتري الأسماء طاعتهم بالمال والعطايا . وهكذا نراهم يطلبون إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات من الأموال ما لم يستطع دفعه ، فلما تبين لهم عجزه نهبوا داره ودور نفر من أتباعه وكتب فريق منهم إلى الخليفة الفاطمي يزيدون له فتح مصر^(٤) .

ومن البيانات التي نعرفها عن الجيش في العصر الآخشيدي أن محمد بن طنج كان يستعرض الجيش في أيام الأعياد وفي بعض المناسبات الأخرى ، كما كان يفعل ابن طولون من قبله^(٥) . وكان قواد الجيش يشتركون مع وجوه البلاد في التشاور بشأن تولية الأسماء وإعلان الولاء لهم^(٦) .

وكان محمد بن طنج الآخشيدي وكافور يخرجان على رأس الجيش في المعارك المختلفة في معظم الأحيان . ولكن الآخشيدي أناب عنه علي بن محمد بن كلا على رأس الجيش الذي أرسله إلى الشام بعد مقتل محمد بن رائق^(٧) . كما أرسل فاتكا وكافورا على رأس جيوش إلى الشام سنة ٣٣٣ هـ^(٨) ، وكان يرسل اخوته في بعض الأحيان على رأس المعارك الحربية المختلفة .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٢٩

(٢) في بعض الروايات ثمول بالشين المعجمة . أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤

ص ١٠ حاسية

(٣) ينسب في بعض الأحيان إلى كافور فيقال سمول الكافوري ، أنظر أبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦

(٤) المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٣٠٣ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٣ و ٢٤

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٧

(٧) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩١

(٨) المرجع نفسه ص ٢٩٢

وكان من عادات الجند في المعارك أن يرسلوا الأسرى إلى الحاضرة ومعهم رؤوس الجند الغنى للدلالة على ما أحرزوه من النصر والظفر ولتطمئن النفوس . وذلك أن ورود أى أخبار غير مطمئنة من ميدان القتال كان من شأنه أن يشير الذعر بين الناس حتى لقد يضطر أولو الأمر إلى الطواف في الحاضرة لتهدئة الخواطر ومنع السكان من مغادرة المدينة ^(١) .

وقد وصلت إلينا وثيقة على ورق محفوظة الآن في مجموعة الأرشيدوق رينر في فيينا تتضمن تقريراً مقديماً من قائد فرقة من الجند قامت برحلة استطلاعية على حدود البلاد استغرقت اثني عشر يوماً . وحدث أثناء عودتها إلى الفيوم أن أراد القائد اختصار الطريق فقاد الجند في الصحراء وضل بهم الطريق ثلاثة أيام بلياليها وكاد الجند يموتون من العطش ولكن الله هياً لهم النجاة فوصلوا إلى الفيوم سالمين ^(٢) .

(ب) البحرية

ومما يؤسف له أن النصوص التاريخية التي وصلت إلينا عن البحرية الاخشيدية نادرة جداً ، مع أننا نعلم أن صناعة السفن في مصر وخاصة السفن الحربية كانت من أهم الصناعات في فجر الإسلام ، كما أن المصريين كان لهم الفضل الأكبر في عظمة البحرية الإسلامية ، إذ كانت الخلافة تعتمد عليهم في إنشاء أسطولها الحربي . بل المعروف أن بناء السفن كان في البداية بمصر فقط وظل كذلك إلى زمن معاوية بن أبي سفيان . وكان اسم « الصناعة » في مصر يدل على المكان الذي تبني فيه السفن الحربية وكانت صناعة السفن مزدهرة في جزيرة الروضة وفي القازم (السويس) وفي الاسكندرية ^(٣) .

وكذلك اهتم الطولونيون بالبحرية . ولكن السيادة في البحر في ذلك العهد كانت قد عقدت لبني الأغلب الذين هزموا الاسطول البيزنطي واستولوا على صقلية ومالطة

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٨

(٢) Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung p. 255 No. 986

(٣) أنظر سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٩٠ — ٩٢ و٩٤ وما ذكر فيه من المراجع القديمة و Aly Mohamed Fahmy: Muslim Sea-Power in the Eastern Mediterranean

ونهبوا السواحل الإيطالية بل وصلوا أحياناً إلى روما . وكان هناك أيضاً ركن من الإمبراطورية الإسلامية اقتضى موقعه الجغرافي أن يكون له أسطول كبير . وهو منطقة الثغور بين أملاك الروم والمسلمين . والمعروف أن أسطول الخلافة في طرسوس هو الذى قام بقيادة دميانة لمساعدة القائد محمد بن سليمان فى حملته على مصر ونجح فى القضاء على الأسطول الطولونى فى تينس حين تعرض لمنعه من التقدم فى مياه النيل ^(١) .

ولما تقلد الاخشيدي إمارة مصر دخل البلاد وأقبل معه أسطول بقيادة صاعد ابن كلفم ودخل هذا الأسطول نجر دمياط وسارت سفنه فى النيل بعد أن هزمت السفن المصرية فى شعبان سنة ٣٢٣ هـ . ووصل الأسطول إلى جزيرة الروضة واستولى على ما فيها من السفن فى رمضان من السنة نفسها ^(٢) .

وقد عرفنا فى الفصول السابقة أن ابن طنجج بعد أن دخل مصر ونزل بدار الامارة فيها ، ثار عليه بعض الثوار واشتبكوا مع جيوشه وأسطوله واستطاع هؤلاء الثوار قتل صاعد قائد أسطول الاخشيدي ، كما أنهم أحرقوا كل ما فى جزيرة الروضة من السفن . ووقف ابن طنجج تجاهم بجيشه وانكبه لم يستطع أن يقوم بأى عمل حاسم ^(٣) .

وكان هذا الحادث سبباً فى أن فكر ابن طنجج فى نقل « الصناعة » من مكانها إذ قال : « صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشيء » ^(٤) . ويقال انه بدأ فى نقلها سنة ٣٢٥ من جزيرة الروضة إلى دار خديجة بنت الفرج بن خاقان زوجة احمد ابن طولون وكانت هذه الدار بساحل الفسطاط . أما موضع الصناعة بالجزيرة فأقام مكانه البستان الختار ^(٥) وأصبح يطلق على دار خديجة اسم « الصناعة الكبرى » ^(٦) .

(١) أنظر Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 174-175 وما ذكر من المراجع القديمة .

(٢) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٥ و ٢٨٦ ، وابن سعيد : المغرب ص ١٢

والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩

(٣) السكندى الولاة والقضاة : ص ٢٨٦ و ٢٨٧ ، والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٩٧

(٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٩٧ ، وابن سعيد : المغرب ص ١٣

(٥) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٨١ و ١٩٧ ، وابن سعيد : المغرب ص ١٨ ، وعلى مبارك :

الخطط التوفيقية ج ١٨ ص ٨ وعلى بهجت والبير جبريل : كتاب حفریات الفسطاط ص ٣٢ ،

و Omar Tousson : Mémoioe sur l'histoire du Nil t. 2 p. 351

(٦) ابن دقاق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ج ٤ ص ١٢

ولكن الظاهر أن انشاء هذه « الصناعة الكبرى » لم يقض تماماً على « الصناعة » في جزيرة الروضة . إذ يقول المقرئى : « وكانت مراكب الاسطول مع ذلك تنشأ في الجزيرة وفي صناعتها » (١) .

ويقال ان تكين حينما كان يلى مصر ففكر في نقل الصناعة من الجزيرة ، واستشار بعض خاصته ، وكان من بينهم محمد بن طنج ففكر إذ ذاك في دار خديجة ولكنه لم يذكر لتكين هذا الرأى . وتحدث الاخشيد بعد ذلك عما دار في نفسه حينئذ فقال : « وقتل أدع هذا الرأى لنفسى إذا ملكت مصر ، فبلغت ذلك والحمد لله » (٢) .

ويشهد ذلك بأن الاخشيد كان يتطلع إلى حكم مصر ، فلا عجب إذا عمل على تحقيق هذا الهدف بكافة الوسائل .

ومما يؤسف له أننا لا نعرف شيئاً يستحق الذكر عن نشاط البحرية الاخشيدية خارج المياه المصرية وعن رجال الاسطول وروايتهم وعن أنواع السفن التي كانوا يستخدمونها .

والظاهر أن المصريين كانوا يعرفون في العصر الاخشيدى التقليد المتبع في عصرنا الحاضر بشأن الاحتفال بانزال السفن إلى البحر حين يتم بناؤها . فقد كتب يحيى بن سعيد الانطاكى أن كافورا « ركب إلى دار الصناعة ووقف لي طرح مركباً حربياً عظيماً كان بها إلى البحر . وكان على الشط مركب آخر مرسي فاجتمع الناس فيه وجلسوا على حافته وتزاحوا عليه لينظروا نزول المركب الآخر إلى البحر فانقلت ذلك المركب الذى كانوا مجتمعين فيه بهم ومال عليهم فقتلهم بأجمعهم وغرق عدة من المراكب اللاصقة له في البحر مملوءة أناساً وهلك جميع من كان فيها ومات من الناس زهاء خمسمائة رجل » (٣) .

(١) المقرئى : المخطط ج ٢ ص ١٩٧

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٣

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١١٦ و ١١٧

(٣)

الأعياد

كان الشعب في مصر الاخشيدية يحتفل بأعياد المسلمين وأعياد النصارى ، فضلا عن المناسبات التي تحتفل فيها الأسرات بأعيادها الخاصة .

وكانت الحكومة تشترك في الاحتفال بعيد الفطر، فيقيم الجيش عرضاً كبيراً ويتأهب الناس للاحتفال بالعيد فيقبلون على شراء ما يحتاجون اليه في آخر شهر رمضان ويجلس الأمير في منظره على باب دار الامارة ويمر الجند أمامه في أحسن ملابسهم ثم يتبعهم حرسه الخاص وينصب بعد ذلك السباط لأفراد الشعب فياً كلون ويحملون ما يريدون من الطعام ^(١) . ولسنا نعرف أى نص في وصف هذا السباط ، ولسنا نقرأ في وصف السباط الذي كان يقام بقصر الخليفة الفاطمي أن طوله نحو ثلاثمائة ذراع وعرضه سبعة أذرع ^(٢) . وكانت تعمل أسمطة أخرى في عيد النحر .

ومن الأعياد التي كان المصريون يقبلون على الاحتفال بها عيد الغطاس . وقد سمي بهذا الاسم لأن كثيراً من النصارى كان يغطس فيه في النيل . وكان من التقاليد القديمة بمصر الإسلامية أن يركب صاحب شرطة الفسطاط ليلية الغطاس في مركب كبير وتوقد بين يديه الشموع والمشاعل فيطوف الشوارع وينادي في الناس ألا يختلط المسلمون بالنصارى في تلك الليلة والايكبدروا عليهم عيدهم . وذلك أن النصارى كانوا في سحر تلك الليلة يخرجون إلى شاطئ النيل ويغطسون فيه . وكانت بعض طوائفهم تخرج من كنيسة ميكايل بقصر الشمع إلى شاطئ النيل في جمع وفير بالقراءة الملحنة والصلبان المشهورة وتصلي ويخطب الأسقف فيهم ويدعو للسلطان « وكان لأهل مصر وأهل الملل والمذاهب في هذا العيد من الطيبة والفرح ما لا يكون لهم في غيره من أيام السنة وأعيادها » ^(٣) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٦

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٨٧

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٩٦—١٩٧

وقد كتب المسعودى عن الاحتفال بليلة الغطاس بعد أن شاهده بعينه ، قال :
« وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها . وهى ليلة إحدى عشرة
تمضى من طوبة وستة من كانون الثانى . ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر
والاخشيدي محمد بن طنج في داره المعروفة بالختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل
مطيف بها . وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب القسطاط ألف مشعل غير ما أسرج
أهل مصر من المشاعل والشمع . وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو آلاف من الناس
المسلمين والنصارى ، منهم فى الزوارق ، ومنهم فى الدور الدانية من النيل ، ومنهم
على الشطوط لا يتناكرون ، ويحضرون كل ما يمكنهم إظهاره من المأكول والمشارب
والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف . وهى أحسن ليلة
تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ، ويفطس أكثرهم فى النيل ويزعمون
أن ذلك أمان من المرض ومبرئ من الداء »^(١) .

وكان القبط يحتفلون بعيد الميلاد فى التاسع والعشرين من شهر كيهك . والمعروف
أن الفاطميين كانوا يشتركون فى الاحتفال بهذا العيد ويفرقون فيه الطعام والحلوى
على كبار الموظفين^(٢) . وليس لدينا من النصوص ما يؤكد اشتراك الاخشيديين
مع القبط فى الاحتفال بهذه الذكرى . كما كان القبط يحتفلون أيضاً بخميس العهد
— أو خميس العدس كما كان العامة يقولون — وذلك قبل عيد الفصح بثلاثة أيام .
ومن التقاليد التى أدخلتها الدولة الفاطمية — بعد العصر الأخشيدى — ضرب نقود
خاصة توزع فى هذا العيد^(٣) .

(١) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٦٤ والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٥ و٩٤٤
وج ٢ ص ١٥٤ ، انظر أيضاً متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ ، ورتون :
أهل النمة فى الاسلام ص ١١٥ ، وعلى مبارك : الخطط التوفيقية ج ١ ص ٢٥

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٥ و ٩٤٤

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٩٥ ؛ وانظر أيضاً : Silvestre de Sacy : Bibliothèque :

وكان المصريون يحتفلون في العصر الاخشيدى بفتح الخليج وتشترك الحكومة في هذا العيد . وقد زادت عنايتها بهذا الاحتفال منذ العصر الفاطمي ^(١) . كما كانوا يحتفلون أيضاً بالنوروز القبطى وهو أول السنة القبطية . ويبدو أن الاحتفال بهذا العيد كان يتميز بإيقاد النيران وصب الماء في الطرق . وقد منع المعز لدين الله الفاطمى هذا العبت عندما بالغ العامة فيه سنة ٣٦٣ و سنة ٣٦٤ هـ ^(٢) .

وكان المصريون يتزاورون للتهنئة في أيام الأعياد . والظاهر من بعض النصوص أن الأثرياء منهم كانوا يقدمون هدية من المال حين يزورون الفقراء من أصدقائهم ^(٣) .

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٧٠ و ٤٩٣ والقلاشندى ج ٣ ص ٥١٨ — ٥٢١ ج ٨

٣٢٨ — ٣٣٠

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٤٩٣

(٣) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ٣٣ و ٣٤

(٤)

الأخلاق والعادات

يبدو أن النزعة الدينية في مصر على عهد الاخشيديين وفي القرن الرابع بوجه عام كانت أقوى منها في بلاد الشرق الاسلامي . ولسنا نظن أن كثيراً من عامة المصريين في ذلك الوقت كانوا يعتقدون أن الدين من شأن الطبقة الارستقراطية وأن الذنب يجب عليهم أن يحافظوا على الصلاة هم الأغنياء والأمراء وأصحاب الضياع والأموال . والواقع أن مثل هذه الآراء كانت أكثر انتشاراً في شرقي العالم الاسلامي حيث كانت نفوس العامة تنور على ما ينعم به الترك من ترف وما لهم من سلطان في شؤون الدولة . وفي ذلك يقول احمد بن محمد الافريقي الشاعر المعروف بالتميم وهو من شعراء بخارى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ^(١) :

تلومُ على ترك الصلاة حليلتي فقلت اعزبي عن ناظري ، انت طالقُ
 فوالله لا صليتُ لله مُفلساً ! يصلي له الشيخُ الجليلُ وفائقُ
 وتاشُّ وبكماشٍ وكفباشٍ بعده ونصرُ بنُ مُلكٍ والشيوخُ البطارقُ
 وصاحبُ جيشِ المشرقينِ الذي له سراديبُ مالٍ حشوها متضابقُ
 لماذا أصلي ؟ أين باعِي ومنزلي ؟ وأين خيولي والحلي والمناطقُ ؟

أما في مصر فكان القوم أكثر خضوعاً لأولى الأمر وانصرافاً إلى شؤون دنياهم وآخرتهم . ومع ذلك كان كثير منهم بعيداً عن التدين الصحيح كما سنتبين في الصفحات القادمة .

وكان الاعتقاد بالخرافات والكرامات شائعاً بين مختلف طبقات الشعب . ومن ذلك أنه في سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) « ورد الخبر من دمياط إلى مصر بأن رجلاً أقطع اليد قديماً ممن قد أخذ مع قوم اتهموا بقطع الطريق غاب عن البلد زماناً ثم عاد ويده صحيحة .

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ والصغدي : الوافي بالوفيات ج ١ ص ٩٢

وقد ادعى أنها كانت مقطوعة وأنها كانت عند أهله وقال إنه كان في مسجد يتعبد فيه وأن يده عادت صحيحة ، فأقنن الناس به وكثر القول فيه . فوجه الاخشيد من أحضره إلى داره وسأله عن قصته فقال : رأيت في النوم كأن سفن المسجد قد انفتح ونزل إلى منه ثلاثة أنفس : النبي وجبريل وعلى عليهم السلام . فسألت النبي صلى الله عليه وسلم رد يدي فردها إلى وانتهت وقد عادت . وورد من دمياط كتاب بأن جماعة من المستورين رأوه مقطوع اليد ، فأوصله الاخشيد اليه وأكبره واستعظم قدرة الله تعالى فيه ثم قيل إن هذا دلس وكذب وزالت الفتنة والله أعلم ^(١) .

وقد روى الفرغاني المتوفى سنة ٣٦٢ هـ قصة عن زاهد ورع اسمه أبو سهل الصدفي توفي سنة ٣٣١ هـ وكان الاخشيد يحبه ويتبرك بدعائه قال : « حدثني أبو سهل بن يونس في مسجده سنة ٣٣٠ هـ قال : قدم علينا شيخ كبير راهب كان بميفارقين . فحدثنا أنه كان مترهباً في شبابه في صومعة بميفارقين وأنه أشرف في يوم كثير الضباب فنظر إلى طائر قد سقط بحيث يراه وفي فمه قطعة لحم فتركها ثم طار فأتى بأخرى ثم أخرى إلى أن أتى بعدة قطع ثم أن قطع اللحم اجتمعت حتى صارت شخص رجل . ثم أقبل الطائر عليه ينقره ويقطعه ويأكله وهو يستعيت . قال الراهب : فلما نظرت إليه صحت به وقلت له : ما قصتك يا إنسان ؟ وما الذي أرى بك ؟ قال : أنا عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قد وكل الله بي هذا الطائر ، يفعل بي ما ترى ، وينقلني من موضع إلى موضع ، قال الفرغاني : قال أبو سهل : قال لنا الراهب : فلما نظرت منه ما رأيت انحذرت من الصومعة فأسلمت ^(٢) .

وقد وصلت إلينا وثيقة على ورق محفوظة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فينا . وتتضمن طلسمًا للدغة العقرب . وهي ترجع إلى العصر الاخشيدى وفيها رسم عقرب حوله علامات ورموز سحرية ^(٣) .

(١) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٥٤ نقلا عن مخطوط كتاب العيون والحدائق (برلين) ص ٢٠٩ ب و ٢١٠ أ .
(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ١١٥ و ١١٦ نقلا عن مخطوط كتاب العيون والحدائق (برلين) ص ٢٠٨ أ و ٢٠٩ أ .

وكان الشراب منتشرًا رغم نهى القرآن عنه . ولم يكن وقفًا على الشبان بل كان الشيوخ لا يتورعون عن الإغراق فيه . ويحكى عن ابن طباطبا نقيب الطايبين بمصر (المتوفى سنة ٣٥٢ هـ) أنه كان له شعر في الحمر ، ومن ذلك قوله :

يأبدرُ بأدرٍ إلى الكأسِ فربَّ خيرٍ أُنَى على يأسٍ^(١)

ومنه :

أُتْرِكُ الشُّرْبَ والأَنْوَاءَ دَائِمَةً وَالطَّلُّ مِنْهَا عَلَى الأشْجَارِ مَنْشُورٌ
وَالغصنُ يُهْتَزُّ كَالنَّشْوَانِ مِنْ طَرَبٍ وَالوَرْدُ فِي العُودِ مَطْوِيٌّ وَمَنْشُورٌ
لَا وَالتِّي تَرَكْتَنِي يَوْمَ فُرَّقْتَهَا كَأَنَّمَا الرَّمْلُ فِي عَيْنِي مَنْشُورٌ^(٢)

ويروى أن لابنه أبي محمد القاسم بن أحمد الرسى شعرًا في الحمر ، ومنه :

إِذَا الكُرْوَانُ صَاحَ عَلَى الرَّمَالِ وَحَلَّ البَدْرُ فِي بَرَجِ الكَمَالِ
وَجَعَدَ وَجَهَ بَرَكْتِنَا هُبُوبٌ تَمَرُّ بِهِ الجَنُوبُ مَعَ الشَّمَالِ
وَحَرَّكَتِ الغُصُونُ فِشَابَهَتَهَا قَدُودٌ سُقَاتِنَا فِي كُلِّ حَالِ
فَهَاتِ الكَأْسَ مُتْرَعَةً وَدَعْنِي أَبَادِرُ لَدَتِي قَبْلَ ارْتِحَالِي^(٣)

ويقال ان محمد بن علي الماذرائي كان يشرب الحمر ثم تركها وأقبل على الصلاة .

والصيام^(٤) .

وكان سباق الخيل كثيرًا في مصر منذ القرن الثاني الهجري . وفي سنة ٣٢٤ هـ شرع الاخشيد في إجراء حلبة السباق تشبهًا بأحمد بن طولون . وانتشر سباق الحمام .

(١) الثعالي : يتيمة الدهرج ١ ص ٣٦٩

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٩

(٣) الثعالي : يتيمة الدهرج ١ ص ٣٧٠

(٤) المقرئ : المقفى (النص العربي في رسالة جوتشك) ص ١١٧

في عصر الأخشيديين وظل إلى العصر الفاطمي ، ويروى أن الخليفة المعز سابق بحمامه حمام الوزر أبي الفرج يعقوب بن كلثوم فسبق حمامه حمام الخليفة وعظم ذلك على المعز^(١) . وكان القهار منشراً في مصر على عهد الأخشيديين . وكانت مراقبة دور القهار ومنهبا من جملة المهام التي يقوم بها المحتسب . وقد بنا أن الأخشيد أمر بتعلق المواخير ودور القهار وعرفنا أن هذه الدور كان بها شيوخ يسمون المطمعين ولهم رواتب من دور القهار ليحلبوا الناس إليها ويطعمونهم في اللعب^(٢) . وكذلك عمل أحمد بن علي الأخشيد على تعطيل المواخير^(٣) .

وليس في النصوص التي نعرفها عن العصر الأخشيدى أي ذكر للبغاء وإن كنا نعرف أن الفاطميين فرضوا الرسوم على بيوت الفواحش^(٤) ، بعد أن سبقتهم إلى ذلك عضد الدولة في فارس^(٥) . ويبدو أن اللواط كان منشرا في مصر على عهد الأخشيديين^(٦) . والواقع أنه شاع في القرن الرابع في كثير من البلاد الإسلامية^(٧) .

ومما يؤسف له أن نظام السجون في العصر الأخشيدى غير واضح في النصوص التاريخية التي وصلت إلينا . والراجح عندنا أن الحكومة كانت تتحمل قسطا من نفقات السجون وثمان أوقات المحبوسين ، فقد كانت الحكومة المركزية في بغداد تعرف هذا النظام في عصر المعتضد بالله (٢٧٩ -- ٢٨٩ هـ) وكان يخصص له في الميزانية ألف وخمسمائة دينار^(٨) . وفي العصر الفاطمي كانت السجون المصرية تضم وكان الاقبال على التزامها عظيما ، لأن متضمنها كان يحصل منها على دخل كبير ،

(١) الغزولي : مطالع البدور ج ٢ ص ٢٦٠

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٠

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٧

(٤) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٨٩

(٥) متز : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ١٤١ — ١٤٢ وما ذكره من المراجع القديمة .

(٦) ابن زولاق : أخبار سيديويه ص ٤٠ و ٤٢ و ٥٦

(٧) متز : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ١٣٤ — ١٤٠

(٨) هلاك الصابي : تاريخ الوزراء ص ٢١

فقد كان كل من يدخل السجن يدفع ستة دراهم ولو لم يقيم به إلا لحظة^(١). وأكبر الظن أن المسجونين كانوا يستطيعون أن يشتغلوا بصناعة أشياء يبيعونها كما يريدون^(٢). وكان متضمن السجنون يمكنه أن يكسب كثيراً من رعاية بعض ذوى المسكنة من المسجونين. ولسنا نظن أن تضمين السجنون كان معروفاً في العصر الأخشيدى. فليس فى النصوص التاريخية أى إشارة إلى ذلك.

والظاهر أن بعض المذنبين كانوا يجلسون فى العصر الاخشيدى فى مكان فى دار الصناعة على شاطئ النيل يعرف باسم بيت الزفت^(٣).

ويبدو كذلك أن المسجونين كانوا يعطون — أو تحرر لبعضهم على الأقل — شهادة باليوم والساعة التى يطلق سراحهم فيها. ويتبين ذلك من وثيقة من الورق محفوظة فى دار الكتب المصرية (رقم السجل ١٧٥)، ونصها^(٤):

« بسم الله الرحمن الرحيم — الساعة التى أطلق فيها ابو السمح عقبة بن خليفة بن محمد الفضالى أيدى الله ويتم الله خلاصه بمنه وكرمه على خمسة ساعات بقيت من يوم السبت لأربع عشرة بقية من شعبان الجارى فى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة. وكتب عامر بن يزيد بن مجد الله شهادته بخطه ».

وفى ظهرها :

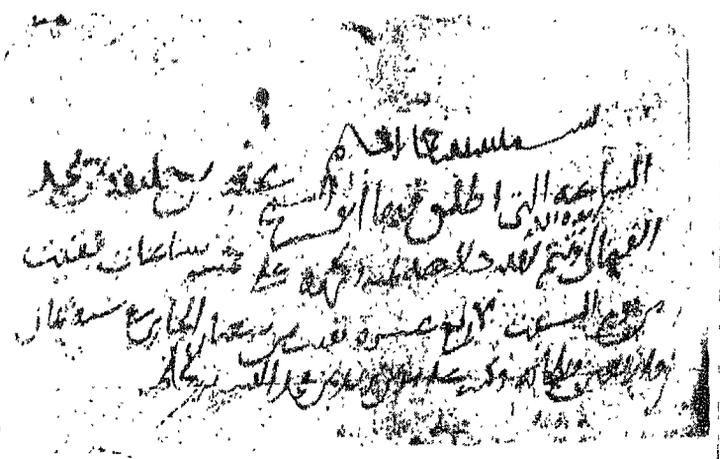
« تذكرة الساعة التى خلى فيها ابو السمح عقبة بن خليفة أيدى الله » .
ومن المحتمل أن تكون هذه شهادة بتاريخ إطلاقه مؤقنا للتحقيق معه أو لأى غرض من الأغراض، وذلك لأن عبارة: « ويتم الله خلاصه بمنه وكرمه » قد تحملنا على الظن بأن اطلاق سراحه لم يكن نهائياً. ومهما يكن من الأمر فالظاهر أن هذا المسجون

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٩

(٢) وازن ابن الداية : المكافأة ص ٢٥

(٣) ابن زولاق : أخبار سيويه ص ٣٠

كان من ذوى المسكنة ، كما تشهد بذلك تكنيته بأبي السمح والدعاء له بعبارتى
« أيدى الله » و « يتم الله خلاصه بمنه وكرمه » (١) .



شكل (ب) وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية

[عن جرومان]

ومن الطريف أن مصر كانت تعرف في العصر الاخشيدى ما نعرفه ونأسف
له في عصرنا الحالى من اعتبار الصعيد الأعلى منقى يرسل إليه المنضوب عليهم .
ومن ذلك أن محمد بن تكين نفى إلى اخميم بعد أن هزمه أحمد بن كيفاغ (٢) .

(١) مما يجدر بنا ملاحظته أن الذين كانوا يتقلدون المناصب الكبيرة لم يكونوا فى مأمن
من أن ينكبوا ويلقى بهم فى السجون أو تصادر أملاكهم . وصفوة القول أنهم كانوا تحت رحمة
أولى الأمر . ومن طريف ما يروى أن محمد بن على الماذرائى اتخذ رشيقا الخادم حاجباً له فأما
مضت عليه سنة فى هذه الوظيفة وشى به بعض الناس إلى الماذرائى واتهموه بأنه كسب من الرشوة
عشرة آلاف دينار نشاطبه الماذرائى فى ذلك خلف بلايمان المغاظة على بطلانه . فأقسم الماذرائى
قافلاً : « لئن خرجت سنتنا هذه ولا تسكسب هذه الجملة لا صحبتنى !! » ولم يزل رشيق فى خدمة
الماذرائى حتى صودر الأخير وأخذ الأمير منه ومن حاجبه مالا جزيلاً . أنظر القرزى : الخطط

ج ١ ص ٣٣٠

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١١ و ١٤

ولكن الغريب أن الاسكندرية كانت تعتبر من الأماكن التي ينفى إليها غير المرغوب في بقائهم بالخاضرة^(١)

وكان الأغنياء من المصريين في العصر الاخشيدى يسرفون في الطعام فكانت مواعدهم عامرة بما لذ وطاب من أنواعه . بل انهم كانوا يحرضون على تقديمها في الأواني الجميلة من الخزف المصنوع في مصر أو المستورد من الخارج . وقد روى ابن زولاق أنه عندما كان محمد بن طفج الاخشيدى يلى الحوفين من قبل محمد بن تكين كانت أمه معه في مصر فسألهما خمسمائة دينار لتحفظها له ولم يكن يملك غيرها . وحدث ذات يوم أن كان الاخشيد « يأكل وعنده جماعة وعلى المائدة غضار^(٢) وطيافير^(٣) قد تفشرت ، فأغتمت وأخرجت من الخمسمائة دينار مائتي دينار واشترت مائدة حسنة وغضارا صينيا وطيافير جوداء »^(٤) . والواقع ان هذا النص يصور لنا شيئا من مستوى المعيشة في ذلك العصر ، أساسه ان والده الاخشيد انفقت نحو مائة جنيه في شراء مائدة جديدة مع ما يلزمها من الأواني الخزفية .

ومن ألوان الأطعمة التي كان عليه القوم يقبلون عليها في العصر الاخشيدى الحمضية . وكانت تصنع من عصير البرتقال وماء الورد والمسك والأفاويه في الحصرم^(٥) . وكان الولع بالسكر والحلوى ظاهرا في هذا العصر^(٦) . ومن لطيف الشعر الذي يشير الى الطعام والولائم في هذا العصر قصيدة للشاعر عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

(١) ابن سعيد: المغرب ص ٤٥

(٢) الفضار الصحفة أو الصحن السكبير من الفخار أو الخزف . أنظر Dozy : Supplément

aux Dictionnaires Arabes 11. p. 216

(٣) الطيافير جمع طيفور وهو الصحن المقعر العميق ، أنظر المرجع نفسه ج ٢ ص ٤٨

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٩

(٥) المرجع نفسه ص ٣١

(٦) القرظي : الخطط ج ١ ص ٣٣٢

الذى اتصل بالمتنبي وروى عنه . وقد كتبها الى بعض إخوانه يستدعيه لمأدبة طعام وشراب وتحدث في آياتها عن الشواء والحلوى والحمر الذى أعدها لهذه المأدبة ^(١)

وكان في أسواق الفسطاط كثير من أصناف الأطعمة التى تعد للبيع بعد طهيها ولا سيما الشواء ^(٢) والحمص المسلوقة ^(٣) ، وكان بها طباخون يبيعون الطيخ ^(٤)

وعرف الأغنياء في مصر الاخشيدية الماء المثلج . وكان الثلج يحمل من الشام الى قصر كافور الاخشيدى بمصر ليستعمل في تبريد الماء والمشروبات . ولكن الظاهر أنه لم يكن يصل الى مصر كل يوم بانتظام ^(٥) .

وكان القوم يقبلون في مجالسهم الخاصة وما دهم على سماع المغنين والمغنيات ، ولكن يبدو أن أهل الورع والتقوى من الفقهاء والامراء كانوا يتحرجون من سماع الغناء . ومما يروى في هذا الصدد أن الاخشيد سيخط مرة على مقبل المغنى فخبسه ، فطلب من الفقيه أبى بكر الحداد أن يشفع فيه عند الأمير ففعل . وقبل الاخشيد شفاعته وواعد بأن يطلق سراح المغنى ويبعث به الى ابن الحداد . فلما انصرف ابن الحداد دعا الاخشيد مقبلاً فقال له : « تربة طعج لئن خالفتنى لأردنك الى الحبس ! قد شفيع فيك ابن الحداد الفقيه فخذ العود فامض وغن له . » فركب مقبل الى ابن الحداد بالعود فدخل اليه فشكره وقال له : « قد أمرت بأمر لا أدرى والله كيف أفعله » فقطن ابن الحداد وقال : « والله ما سمعته قط إلا في دور الناس من السطح » . وقام مقبل وجاء الى دار الاخشيد وحلف أنه حمل العود ولكنه وجد عند ابن الحداد جمعا من العلماء والفقهاء وقص على الأمير جواب ابن الحداد ^(١) .

(١) انظر الثعالبي : بتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٤

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٣

(٣) المقرئى : الخطوط ج ١ ص ٣٣١

(٤) ابن ظافر الازدى : أخبار الدول المنقطعة (فى وستنفلد) ج ٤ ص ٥٩

(٥) الغزولى : مطالع البدر ج ٢ ص ٧١ ، انظر أيضاً متر : الحضارة الاسلامية

ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيدي نفسه كان يطرب لسماع المغنين والمغنيات . وقد وصل
الينا حديث مأدبة أقامها محمد بن علي الماذرائي جمع فيها المغنين من الرجال والنساء ^(١) .
وكان من عادات القوم في الحفلات والمناسبات السعيدة أن ينثروا النقود
على الحاضرين . وكان هذا تقليدا في المآدب التي يقيمها الأمير أو التي تقام له ^(٢) ،
ولسكنه تقليد عرفته مصر في العصر الطولوني أيضا ^(٣) .

ويبدو أن بعض الأغنياء من المصريين في العصر الاخشيدي لم يكونوا يتأقنون
في ملابسهم فحسب ، بل كانوا يفخرون بالحصول على النادر والتمين منها . وكانت الفراء
الغالية معروفة في هذا العصر ^(٤) . ومما يؤسف له أننا لم نستطع أن نعرف كل أنواع
الملابس المنتشرة بين المصريين حينذاك ، كما لم نستطع أن نعرف هل كانت لبعض
الطوائف — كالجنود والشرطة مثلا — أزياء خاصة تميزهم عن غيرهم . وعلى كل حال فإن أهم
ما نعرفه من الملابس في ذلك العصر الدراعة والطيلسان والسراويل والحفطان ^(٥) .

وكان إقبال وجوه القوم على الروائح العطرية عظيما . وقد روى ابن زولاق
أن الحسين بن أبي زرعة قاضي مصر كان يبالغ في التطيب ، ويذكر أن طنج بن جف
والد الاخشيدي كانت له في دمشق « قبة مشبكة يتطيب فيها ، فاذا تطيب لم يخف على أكثر
أهل دمشق بخوره ^(٦) . وكان الاخشيدي يحب العنبر ويجمع منه مقادير كبيرة ^(٧) .
وأكبر الظن أن كثيرا من الروائح العطرية كان يستورد من إيران ^(٨) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٩

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣١

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٣٤

(٥) أنظر متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١٨٦ — ١٩١ وراجع Dozy : Dictionnaire

des vêtements chez les Arabes

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ٥

(٧) المرجع نفسه ص ٣٥ — ٣٦

(٨) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٥

وكانت الحمامات العامة معروفة في مصر على عهد الاخشيديين ، ولكن يبدو أن المتزمين من المسلمين كانوا ينظرون اليها نظرة ارتياب ^(١) ، ولا عجب فانه يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : « بئس البيت الحمام ! تكشف فيه المورات ، وترفع فيه الأصوات ، ولا تقرأ فيه آية من كتاب الله » ^(٢) . وكان الغنى يستطيع أن يستأجر الحمام كله فيخلى له ولا يسمح بدخول غيره إلى أن يغادره ^(٣) . ويبدو أن سرقة الثياب من الحمام كانت أمراً شائعاً في ذلك العصر حتى قيل : « دعوتان مغفول عنهما عند دخول الحمام : سلمك الله من الزلق ، وحرس ثيابك من السرقة ! » ^(٤) .

والراجح أن عقود الزواج وبعض الوثائق الأخرى في المعاملات بين الناس كانت تحرر من أكثر من نسخة واحدة ، كما يتبين من بعض وثائق وصلت إلينا . ومنها ورقة محفوظة في دار الكتب المصرية وترجع إلى سنة ٢٩٧ هـ أي إلى قبيل العصر الاخشيدى ^(٥) .

وقد وصل إلينا عدد من الوثائق يتضمن عقود زواج ، ولكنها ترجع إلى نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع الهجرى ، وليس من بينها ما يرجع إلى العصر الاخشيدى . ولكننا — إذا تذكرنا أن التطور بطيء في مثل هذه الطقوس والتقاليد — عرفنا أننا نستطيع أن نستنبط من هذه الوثائق بيانات كثيرة عن الشؤون المتصلة بعقود الزواج من خطوبة وشهود ومهر ومعجل ومؤخر ووصايا بحسن الصحبة والمعاشرة والأمسك بمعروف أو تسريح بإحسان ، واشتراط من جانب الزوجة أن يكون لها حق طلاق أى امرأة يتزوجها الزوج بعدها وبيع أى جارية يتخذها بعد زواجهما ^(٦) .

(١) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٥ ، وما ذكره من المراجع القديمة .

(٢) الفزولى : مطالع البدور ج ٢ ص ١٧

(٣) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ٤٠

(٤) المرجع نفسه ص ٤٠

(٥) A. Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library, 1, p. 119

(٦) أنظر المرجع نفسه ج ١ ص ٦٥ — ١٢١

كما وصلت إلينا وثيقة محفوظة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فيينا تتضمن بيان بعض حوائج تتجمل بها احدى العرائس في القرن الرابع الهجرى . ومن هذه الحوائج الحنا وماء الورد والحروب والدارصيني فضلا عن نعل من نعال السند المشهورة ^(١) .

وكان الصيد من الرياض المحببة إلى وجوه القوم في مصر على عهد الاخشيديين ولا سيما في اقليم الحوف ^(٢) . ولكن الاقبال على هذه الرياضة في الشام كان أعظم منه في مصر ^(٣) .

« وكان الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بان حنزابه يهوى النظر إلى الحشرات من الأفاعى والحيات والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجرى هذا الجرى . . . وكان في داره قاعة لطيفة مرصعة ، فيها سلال الحيات ولها قسيم فراش حاو من الحواة ومعه مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطها . وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد له ما يقدر عليه من الحيات ويتباهون في ذوات العجب من أجناسها وفي السكبار وفي الغربية المنظر . وكان الوزير يثيبهم في ذلك أوفى الثواب ويبدل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها . وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في السلال ويطرحونه في ذلك الرخام ويحرشون بين الهوام وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه . فلما كان ذات يوم أنفذ رقعة إلى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب — وكان من أعيان كتاب آباءه ودولته ، وكان عزيزا عنده وكان يسكن في جواردار ابن الفرات — يقول له فيها : نُشعر الشيخ الجليل — أدام الله سلامته ! — أنه لما كان البارحة وعرض علينا الحواة الحشرات الجارى بها العادات

(١) Papyrus Erzherzog Rainer: Führer durch die Ausstellung p. 256. No 1014

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٨

(٣) أظن ديبوان المتنبى ص ١٨٤ و ١٨٥ و ٢٠٣ ، والنزولى : مطابع البدر ج ٢ ص ٢١٧

ووازن متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢١٩ و L. Mercier : La Chasse et les Sports chez

les Arabes ,Zaky M. Hassan : Hunting as Practised in Arab Countries of the Middle Ages.

انساب إلى داره منها الحية البتراء وذات القرنين السكبرى والعقربان الكبير وأبو صوفة؛ وما حصلوا لنا إلا بعد عناء ومشقة، وبجملته بذلتها للحواة. ونحن نأمر الشيخ — وفقه الله تعالى! — بالتوقيع إلى حاشيته وصيته بصون ما وجد منها إلى أن تنفذ الحواة لأخذها وردها إلى سلمها. فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها: أتأني أمر سيدنا الوزير — أدام الله نعمته وحرس مدته! — بما أشار إليه في أمر الحشرات. والذي يعتمد عليه في ذلك ان الطلاق يلزمني ثلاثا إن بت أنا أو أحد من أولادى في الدار، والسلام»^(١).

وكان لبعض الأطباء في ذلك العصر سكرتيرون أو مديرو أعمال كانوا يتسلمون أجور العلاج، كما يتبين من وثيقة على ورق محفوظة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فيينا تتضمن أمرا من طبيب إلى سكرتيره بأن يكتب لشخص اسمه حسين بن شعيب وصل بالنقود التي دفعها للطبيب نظير تشريطه^(٢).

وكان استئجار البيوت للاقامة بها معروفا في مصر الاخشيدية. وطبيعى أن الماطلة في دفع أجورها لم تكن أمرا نادرا^(٣). ولكن ما وصل إلينا من النصوص لا يشهد بأن الفنادق والربط والحوانق كانت معروفة بمصر في ذلك العصر، وان كانت مألوفا في إيران^(٤).

وكان للأثار المصرية القديمة شأن عظيم في العصر الاخشيدى، فكان القوم يعجبون بها وينسبون لها القوى السحرية ويذهبون في تفسيرها مذاهب شتى. ومن أخبارهم في هذا الشأن صور عديدة دونها المسعودى الذى زار مصر حينذاك. فقد حدثنا عن احدى ملكات مصر القديمة قال انها ملكت ثلاثين سنة « واتخذت بمصر البرابى

(١) ياقوت: معجم الأدباء ج ٧ ص ١٧٠ — ١٧١ والمقرئى: الخطط ج ٢ ص ٣١٩

(٢) Papyrus Erzherzog Rainer: Führer durch die Ausstellung p. 256 No. 1032

(٣) ابن زولاق: أخبار سيويه المصرى ص ٢٣ و ٢٨ و ٢٩

(٤) وازن ميز: الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٤٤ — ٣٤٥

والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت في البرابي^(١) صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا، وصور ما يرد في البحر من المراكب من بحر المغرب والشام، وجمعت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان أسرار الطبيعة وخواص الأحجار والنبات والحيوان. وجعلت ذلك في أوقات حركات فلكية واتصالها بالموثرات العلوية. فكانوا إذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصورة التي في البرابي من الابل وغيرها^(٢) فيتعور ما في ذلك الجيش وينقطع عن مصر أذى جنده. وإذا كان الجيش من جهة الشام أتلفوا الصور التي تمثل أهل هذا القطر فينكب هذا الجيش وتتجو مصر من أذاه^(٣).

والواقع أن المصريين في العصر الاخشيدى وفي العصور الوسطى عامة كانوا يرون في الآثار المصرية القديمة كنوزا يسعد بعضهم عند العثور عليها ويجد آخرون في الكشف عنها حتى كانوا يسمونها «المطالب». وكان أهم ما ينشدونه التحف المصنوعة من المعادن النفيسة. وفي ذلك يقول المسعودي «ولمصر أخبار عجيبية من الدقائق وما يوجد من الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعها الأرض وغيرهم من الأمم ممن سكن تلك الأرض وتدعى «المطالب»^(٤).

وتحدث المسعودي عن اشتراك الاخشيد في البحث عن بعض هذه الكنوز الأثرية فقال: «وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد أغرى بمحفر الحفائر وطلبة الكنوز وذخائر الملوك والأمم السالفة المستودعة بطن الأرض ببلاد مصر وقع اليهم كتاب ببعض الأقاليم السالفة^(٥)، فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام المقدم ذكرها بأن فيها مطلبا عجيبا فأخبروا الاخشيد محمد بن طنج بذلك، فأذن لهم

(١) جمع برى وهي كلمة من القبطية ومعناها المعبد. انظر Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes I, p. 63.

(٢) راجع عن الصور وأثرها السحري عند الساميين تعليقات الدكتور زكي محمد حسن على كتاب التصوير عند العرب لأحمد تيمور باشا ص ١٣٦ — ١٣٨

(٣) المسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٩٩ — ٤٠٠ والمقرئى: الخطط ج ١ ص ٣٩

(٤) المسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ١٤٤، والمقرئى: الخطط ج ١ ص ٤٠

(٥) أى الكتابات والحروف القديمة.

في حفره وأباح لهم أعمال الحيلة في استخراجها . فحفروا حفرا عظيما الى أن اتهموا إلى أزج وأقباء^(١) وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من نوع الخشب قد طلى بالأظلمية المسانعة من سرعة البلى وتفرق الأجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال ، أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والفيروزج والزرجد ومنها ما وجوها ذهب وفضة . فكسر بعض تلك التماثيل فوجد في أجوافها ربما بالية وأجساما فانية . وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الأبنية كالبرابي وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذي قد طلى منه ذلك الميت الموضوع في تمثال الخشب وما بقي من الطلاء متروك في ذلك الإناء . والطلاء دواء مسحوق وأخلط معمولة لا رائحة لها فجبل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من الأنواع التي للطيب . وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومقادير أعماهم وتباين صورهم . وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر والمرمر أو من الرخام الأخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل . والصور تليها أنواع من الكتابات لم يفهم على استخراجها أحد من أهل الملل . وزعم قوم من ذوى الدراية منهم أن لذلك القلم من حين فقد من الأرض أعنى أرض مصر أربعة آلاف سنة^(٢) .

وأكبر الظن أن هذه الاستكشافات التي أشار إليها المسعودى كانت في مقبرة من مقابر الدولة القديمة وأن التماثيل التي ذكرها يشبه بعضها ما نعرفه من تماثيل هذا العصر في تاريخ مصر القديم كتمثال شيخ البلد والكتاب الجالس القرفصاء والأميرة نقرت والأميرع حوتب^(٣) ، كما أن بعضها الآخر نواويس على هيئة تماثيل .

(١) الأزج البيت يبني طولا والقبو البناء المعقود بعضه إلى بعض على هيئة القبة .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٤١٧ — ٤١٩

(٣) انظر Denison Ross : The Art of Egypt through the Ages pp. 97—115

وكان اكتراء الحمير في العصر الاخشيدى وسيلة عادية للانتقال بين سكان المدن ولا سيما الفسطاط . أما في الريف فكان معظم أهل الطبقة الوسطى يمتلكون حميراً لهذا الغرض . وكان في الفسطاط موضع لاكتراء الحمير في مكان يعرف باسم دار الحرم^(١) . وكان لكثير من أهل الطبقة الوسطى في المدن حمير يتهقون بها ويعيرونها أصدقاءهم في بعض الأحيان^(٢) .

والراجح أن الاستئجار لم يكن للمساكن أو الحمير فحسب بل كان الناس يستأجرون الأثاث أيضاً^(٣) .

ومن العادات الطريفة التي عرفتها مصر في العصر الاخشيدى جمع المال من الناس تبرعا للثئون الدينية والأهداف الوطنية بوساطة صندوق يوضع في الجامع ليطرح الناس فيه ما يشربون به . ولكن الاقبال على مثل هذا التبرع كان نادرا ، وأكبر الظن أن ذلك يرجع إلى اعتقاد الشعب بأن الأمير والحكومة يستطيعان النهوض من مال الدولة بالمشروعات التي يراد أن يجمع لها المال من الشعب . وقد حدث أن وردت كتب أهل الثغور إلى الاخشيد تستحثه على فداء الأسرى المسلمين عند الروم فأمر الاخشيد بصندوق فجعل في الجامع العتيق ليطرح الناس فيه ولكنهم لم يطرحوا شيئاً يستحق الذكر ، فأنفذ الاخشيد السفن والمال لفدية الأسرى من جيبة الخاص أو من مال الدولة بمعنى آخر^(٤) .

والراجح أن الصياح على الجنائز كان مألوفا بمصر في العصر الاخشيدى ، وإن كنا لا نعرف نصوصا تاريخية صريحة في هذا الشأن . ولكن القرائن تشهد

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٣٢

(٢) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ٥٠

(٣) متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٢٨ وما ذكره من المراجع القديمة .

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ١٨

بوجوده . فالمعروف أن ولاية مصر قبيل الدولة الطولونية عملوا على منع النداء على الجنائز^(١) ، وعلى سجن الناجحات ومنع النساء من زيارة المقابر^(٢) ، وأمر بعضهم بمنع النساء من الصياح على الموتى وبألا يشق على ميت ثوب ولا يسود وجهه ولا يتعلق شعر^(٣) . كما نعرف أيضا أن والى مصر عيسى النوشري أمر في سنة ٢٩٤ هـ (٩٠٧ م) بمنع النواح والنداء على الجنائز^(٤) . ولكن الظاهر أن هذا المنع المتكرر لم يكن ليستطيع القضاء على تلك العادات التي عرفها الشعب المصري منذ العصور القديمة ، كما يتبين من الرسوم التي نقشت على الآثار الفرعونية ولا سيما في الدولة الحديثة^(٥) . فلا عجب إذا رأينا أن الحاكم بأمر الله « حظر على النساء كشف وجوههن وراء الجنائز ومنع من البكاء والعيول وخروج النوايح بالطلبل والزمر على الميت »^(٦) .

وكان وجوه القوم وعلمائهم يدفنون في دورهم ثم يتقلدون بعد فترة من الزمن إلى المقبرة . ومن الأمثلة التي نعرفها في هذا الصدد محمد بن علي الماذرائي حين توفي سنة ٣٤٥ هـ^(٧) .

وقد خطا المسلمون خطوات واسعة في تنظيم نقل البريد في القرن الرابع الهجري بواسطة الحمام . ويبدو أن القرامطة كانوا أول من استعملوه في العراق على صورة واسعة النطاق^(٨) . ومهما يكن من الأمر فإن استعماله انتقل إلى مصر والشام أيضا . ومما يروى ابن زولاق أن الاخشيدي خرج يوما للصيد على مقربة من دمشق فرأى

(١) الكندي : الولاية والقضاة ص ٢٠٣

(٢) المرجع نفسه ص ٢١٠

(٣) المرجع نفسه ص ٢١١ وانظر متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١٩٢ — ١٩٣

(٤) الكندي : الولاية والقضاة ص ٢٦٦

(٥) E. Drioton et Vandier : L'Egypte p. 105

(٦) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٨٦

(٧) المفريزي : الخطط ج ٢ ص ١٥٦ وانظر متز : الحضارة الاسلامية ج ٢

١٩٤ — ١٩٥

(٨) انظر متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٥٨ — ٣٥٩ ، وما ذكره من المراجع القديمة .

حماماً فأرسل عليه طائر الصيد الجارح فأمسكه فاذا مع الحمام كتاب من غلام للراشدي الذي كان واليا على الرملة ثم على دمشق . وكان هذا الكتاب إلى أحد الدمشقيين ينبئه فيه أن ما عليه ثمانون ألف دينار فانصرف الاخشيدي إلى داره وأحضر الرجل وطالبه بالمال وأخذ منه ^(١) .

وقد خلف لنا الجغرافيون المسلمون في القرن الرابع الهجري وصفا لمصر بصور لنا ما كانت عليه في العصر الاخشيدي ، فان بعضهم زارها قبيل قيام هذا العصر ، كما زارها آخرون قبل سقوط الدولة الاخشيديّة أو بعده بقليل .

ولسنا نريد أن نعود الى ما كتبه المسعودي ، فقد مرّت بنا مقتطفات كثيرة مما دونه عن هذه البلاد . أما الاصطخري — وقد عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري — فقد أفرد فصلا طويلا عن ديار مصر في كتابه المسالك والممالك . ثم لقي جغرافيا آخر من معاصريه : هو ابن حوقل ، وطلب اليه أن يراجع كتابه المسالك والممالك ففعل ولكنه ما لبث أن أخرج كتابا بنفس الاسم اعتمده عليه على ما كتبه الاصطخري في كتابه . وقد طاف ابن حوقل في العالم الاسلامي من شرقه الى غربيه وكتب عن مصر حين زارها بعد سقوط الدولة الاخشيديّة بتسع سنوات ^(٢) . وطبيعي اننا نستطيع أن نستنبط من وصفه ما كانت عليه مصر من العمارة في العصر الاخشيدي . ومما كتبه ابن حوقل عن مدينة الفسطاط أنها « مدينة حسنة ينقسم النيل عندها قسمين فيعدي من أحدها الى الآخر فعدوة أولى فيها أبنية حسنة ومساكن جميلة تعرف بالجزيرة يعبر اليها بجسر فيه نحو ثلاثين سفينة ويعبر من هذه الجزيرة على جسر فيه آخر الى القسم الثاني الى أبنية جميلة ومساكن على الشط الثالث تعرف بالجزيرة . والفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والحصبة والطيبة واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام ومتاجر فخام . . . وبساتين

(١) ابن سميّد : المغرب ص ١٠

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٨٧ — ١٠٨

فضرة والدار يكون بها طبقات ست وسبع وخمس طبقات وربما سكن في الدار
المساكنان من الناس»^(١) .

كما تحدث ابن حوقل عن مدينة الاسكندرية وكثرة عمائرها وما فيها من الرخام والمرمر
والأعمدة وعن فنارها المشهور^(٢) . وتحدث عن تيبس ودمياط وما كانتا تنتجانها
من المنسوجات الثمينة « التي ليس في جميع الأرض ما يداينها في الحسن والقيمة وربما
بلغ الثوب من ثيابهم مائتي دينار اذا كان فيه ذهب . وما لا ذهب فيه يبلغ المائة دينار»^(٣) .
وتحدث كذلك عن شطا ودبيق ودميرة وتونة وغيرها من مراكز صناعة النسيج في مصر،
وعن الاشمونين واسوان والبلينا والفيوم وغيرها من مراكز العمران في البلاد .

* * *

وقد وصل الينا بعض وثائق من العصر الاخشيدى تكشف عن بعض نواحي
المعاملات في المجتمع . ومن هذه الوثائق عقد بيع جزء من منزل محفوظ في دار الكتب
المصرية ومكتوب على ورق أبيض ومؤرخ من سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢ م) (انظر شكل ج) .
وهذا نص هذا العقد كما قرأه واكمل بعض كلماته الناقصة الأستاذ جرمان :

« هذا ما اشترى يحنس بن شنودة بن بطاقس من موسى بن سكريس وسمويل
بن شنوده بن قفري من سكان ططون^(٤) من كورة الفيوم اشترى منهما حصتهما
من المنزل المشاع بينهما وبين سرماده بن يحنس بن قزمان وهو اثنا عشر سهما من أربعة
وعشرين سهما بحده وحدوده وسفله وعلوه وداخل فيه وخارج منه حده القبلي منزل
قفري القمبشاوى وحده البحرى طريق المسارة وحده الشرقي منزل حرميده بن سسنه
وحده الغربي عرصة لورثة بنى ابشاية . اشترى ذلك منهما بهذه الثلاثة الدنانير وثلاث عينا
ذهبا وازن بالجديد . قد قبض موسى بن سكريس وسمويل بن شنوده الثلاثة الدنانير وثلاث

(١) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٩٦

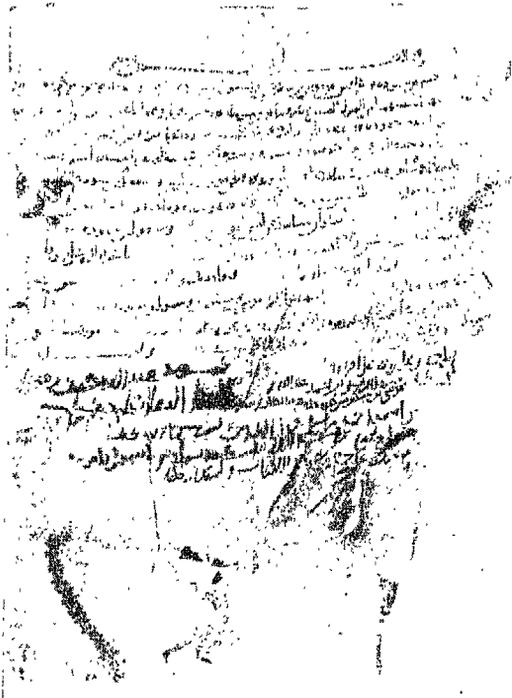
(٢) المرجع نفسه ص ٩٩

(٣) المرجع نفسه ص ١٠١ — ١٠٢

(٤) هي مدينة تطون الحالية من أعمال مركز اطسا . انظر أيضا أبو عثمان النابلسي

الصفدى : تاريخ الفيوم وبلاده ص ٨٦

وثالث وسلم ذلك الى يحنس بن شنودة بطاقس وقبضه وحازه وملكه وصار ذلك مال من ماله وملك من ملكه إن شاع باع وإن شا بنا وإن شا سكن ، ليس لموسى بن سكريس وسمويل بن شنودة في هذا المنزل بعد هذا الكتاب دعوى ولا طلبه بوجه من الوجوه ولا سبب من الأسباب ، باعوا ذلك على شرط يبيع الاسلام وعهدته فما كان من علة



شكل (ج) وثيقة بردية من سنة ٣٤١ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرمان]

أو تباعة أو طارى يدين فانتاذ ذلك وخلاصه على موسى بن سكريس وسمويل بن شنوده بالغ ما بلغ من خالص مالهما ، شهد على اقرار موسى بن سكريس وسمويل بن شنوده بجميع ما في هذا الكتاب بعد أن قرى عليهما وعرفوه وأقروا بفهمه في صحة عقلهما وبدنهما وجواز أمورهما طابعين غير مكرهين ولا مجبرين طالبين راغبين . وذلك في جمادى الآخر من سنة احدى واربعين وثلاثمائة .

شهد محمد بن احمد بن على بن رحمة على اقرارها بما فيه وكتب بخطه .

شهد عبد الرحمن بن هدى البقار على جميع ما فيه .

شهد ابراهيم بن احمد على اقرار موسى بن سكريس بجميع ما في هذا الكتاب

وكتب بخطه .

شهد خيار بن اسماعيل بجميع ما في هذا الكتاب وكتب شهادته بخطه .

(شهد) جبريل بجميع ما في هذا الكتاب وكتب عنه خيار بن

اسماعيل بأمره ومحضه .

(شهد) بن يوسف على جميع ما في هذا الكتاب وكتب شهادته

بخطه « (١)

وفي دار الكتب المصرية وثيقة أخرى من سنة ٣٤١ هـ أيضا (٢) . وتتضمن عقد بيع

بين يحنس بن شنودة بطاقس وعبد العزيز بن مقبل ، ولا تختلف عباراته كثيرا
عن عبارات العقد الذى نقلناه هنا . ويبدو أن السمسرة كانت أمرا مقررا ومعترفا به

وإن كنا لانجد الإشارة إليها صراحة في الوثائق التى نعرفها من العصر الاخشيدى .

ولكننا نجدها في العصر الفاطمى في عقد بيع منزل من سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٧ م)

محفوظ في دار الكتب المصرية وفيه نص على أن على المشترية السمسرة المقررة (٣) .

والظاهر أنها أبطلت في عصر الناصر محمد بن قلاوون (٤) .

وقد وصلت إلينا وثيقة أخرى على ورق وهى محفوظة الآن بمجموعة الأرشيدوق رينر

في فيينا وتتضمن وصلا باستلام إيجار طاحونة قدره دينار ، تسلمه يوحنا بن فيكتور

من أبى بكر في مدينة أشمون سنة ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) (٥) .

(١) راجع تعليقات الأستاذ جرومان في A. Grohmann: Arabic Papyri in the Egyptian

. Library. I. pp. 174-179

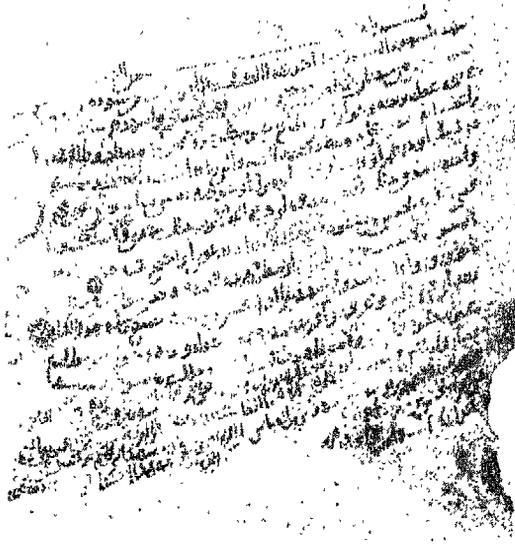
(٢) المرجع نفسه ج ١ ص ١٨٠ — ١٨٥

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٥٨

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٩

(٥) Papyrus Erzherzog Rainer: Führer durch die Ausstellung: p. 256 No. 1040

وفي دار السكتب المصرية وثيقة على ورق ترجع إلى سنة ٣٤٨ هـ وتتضمن تسجيل هبة من يحنس بن شنودة بن بطرس بطاقس لصبية رباها . وهبها ثلث ما يملك « من دينار



شكل (د) وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار السكتب المصرية
[عن جرمان]

أو درهم أو ثوب أو نحاس أو منزل أو عرصة أو شيء مما يساوي درهم واحد صدق ذلك عليها صدقة لوجه الله لا يريد بذلك جدي ولا شكورا»^(١) (أنظر شكل د).

(١) A. Grohmann : op. cit. 11, p. 157-160

ولكننا لا نتفق مع الأستاذ جرمان في فهم السطور الخامس والسادس والسابع من هذه الوثيقة ؛ لأننا نذهب إلى أن يحنس تصدق على هذه الصبية بثلث ما يملك ، ولا نوافق على ما ظنه من أنه تصدق بهذه الجارية على صبية ثانية وإن تلك الجارية تساوى ثلث ما يملك .

(٥)

الزراعة

كانت الزراعة المصدر الأساسي لثروة مصر في العصر الاخشيدى ، كما كانت في العصور القديمة وفي سائر العصور الإسلامية وكما لا تزال حتى الآن . وكان الفلاحون يزرعون القمح ^(١) ويعنون بزراعة الكتان ويصدرونه كما يصدرون المنسوجات المصنوعة منه إلى الخارج . وقد أشير إلى زراعته في كثير من الوثائق البردية ^(٢) ، كما ذكرته المراجع التاريخية الإسلامية ^(٣) . وعلى الرغم من أن القطن كان يزرع في مصر في العصور القديمة وفي العصور الوسطى ^(٤) فإنا لانجد له ذكرا في النصوص التاريخية التي نعرفها من العصر الاخشيدى . وكان الفول يزرع بكثرة وقد جاء ذكره في الوثائق البردية وفي المراجع التاريخية ^(٥) ، وكذلك القثاء ^(٦) . أما قصب السكر فإن الوثائق البردية تشهد بزراعته في مصر منذ القرن الثالث الهجرى ^(٧) ، ولكن الظاهر أن زراعته لم تنتشر بمصر تماما إلا منذ العصر الفاطمى ^(٨) . ومن حاصلات مصر

(١) A. Grohmann : op. cit. II, p. 48-49

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٤٦

(٣) ابن ممتى : كتاب قوانين الدواوين (انظر الفهرس من ٤٤٧ — ٤٤٨) والسيوطى :

حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥١

(٤) ابن ممتى : المرجع السابق (الفهرس من ٤٤٧) ، ومتر : الحضارة الاسلامية

ج ٢ ص ٢٩٦

(٥) جرومان : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٢ ، وابن ممتى : المرجع السابق (الفهرس من ٤٤٧)

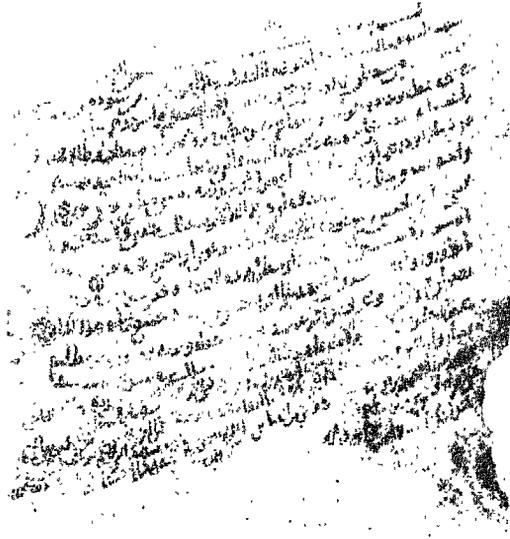
(٦) ابن ممتى : المرجع نفسه (الفهرس من ٤٤٧) ، وجرومان : المرجع نفسه ج ٢ ص ١٧٢

(٧) Papyrus Erzherzog Rainer : Führer durch die Ausstellung p. 183 No. 705

وانظر السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٦

(٨) ابن ممتى : المرجع السابق (الفهرس من ٤٤٧) ، ومتر : الحضارة الاسلامية

وفي دار السكتب المصرية وثيقة على ورق ترجع إلى سنة ٣٤٨ هـ وتتضمن تسجيل هبة من يحنس بن شنودة بن بطرس بطاقس لصبية رباها . وهما ثلث ما يملك « من دينار



شكل (د) وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار السكتب المصرية

[عن جرمان]

أو درهم أو ثوب أو نحاس أو منزل أو عرصة أو شيء مما يساوي درهم واحد صدق ذلك عليها صدقة لوجه الله لا يريد بذلك جدى ولا شكورا»^(١) (أنظر شكل د).

(١) A. Grohmann : op. cit. II. p. 157-160

ولكننا لا نتفق مع الأستاذ جرمان في فهم السطور الخامس والسادس والسابع من هذه الوثيقة ؛ لأننا نذهب إلى أن يحنس تصدق على هذه الصبية بثلاث ما يملك ، ولا توافق على ما ظنه من أنه تصدق بهذه الجارية على صبية ثمانية وان تلك الجارية تساوى ثلث ما يملك .

(٥)

الزراعة

كانت الزراعة المصدر الأساسي لثروة مصر في العصر الاخشيدى ، كما كانت في العصور القديمة وفي سائر العصور الإسلامية وكما لاتزال حتى الآن . وكان الفلاحون يزرعون القمح ^(١) ويعنون بزراعة السكتان ويصدرونه كما يصدرون المنسوجات المصنوعة منه إلى الخارج . وقد أشير إلى زراعته في كثير من الوثائق البردية ^(٢) ، كما ذكرته المراجع التاريخية الإسلامية ^(٣) . وعلى الرغم من أن القطن كان يزرع في مصر في العصور القديمة وفي العصور الوسطى ^(٤) فإنتا لانجد له ذكرا في النصوص التاريخية التي نعرفها من العصر الاخشيدى . وكان الفول يزرع بكثرة وقد جاء ذكره في الوثائق البردية وفي المراجع التاريخية ^(٥) ، وكذلك القثاء ^(٦) . أما قصب السكر فإن الوثائق البردية تشهد بزراعته في مصر منذ القرن الثالث الهجرى ^(٧) ، ولكن الظاهر أن زراعته لم تنتشر بمصر تماما إلا منذ العصر الفاطمي ^(٨) . ومن حاصلات مصر

(١) A. Grohmann : op. cit. II, p. 48-49

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٤٦

(٣) ابن ممتي : كتاب قوانين الدواوين (انظر الفهرس ص ٤٤٧ — ٤٤٨) والسيوطي :

حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥١

(٤) ابن ممتي : المرجع السابق (الفهرس ص ٤٤٧) ، ومتر : الحضارة الاسلامية

ج ٢ ص ٢٩٦

(٥) جرومان : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٢ ، وابن ممتي : المرجع السابق (الفهرس ص ٤٤٧)

(٦) ابن ممتي : المرجع نفسه (الفهرس ص ٤٤٧) ، وجرومان : المرجع نفسه ج ٢ ص ١٧٢

(٧) Papyrus Erzherzog Rainer : Führer durch die Ausstellung p. 183 No. 705

وانظر السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٦

(٨) ابن ممتي : المرجع السابق (الفهرس ص ٤٤٧) ، ومتر : الحضارة الاسلامية

في العصر الاخشيدى القلقاس^(١) والأترج المدور^(٢) والزيتون^(٣). ولا محل هنا لذكر سائر الحاصلات التي برد ذكرها في الوثائق البردية ولا في النصوص التاريخية المكتوبة في القرن الرابع الهجري^(٤)، فهي معروفة ولا تزال من حاصلات البلاد إلى اليوم . وقد وصلت النيا ووثائق تمكشفت عن بعض نواحي الزراعة في العصر الاخشيدى . ومنها وثيقة على ورق ترجع إلى سنة ٣٥٦ هـ وهي محفوظة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فيينا^(٥) . وتضمن بالعربية واليونانية وصلا لمزارع اسمه على بالخراج الذي دفعه لحساب المسالك أبي علي، وهو الخراج المستحق على الأرض التي كان يفايحها بالمزراعة^(٦) . ويبدو من الوثائق البردية أن المستأجر كان يأخذ على عاقبه عمارة الأرض^(٧) أى إصلاح جسورها ومد ترعها وحفر خليجها^(٨) . وتشير بعض الوثائق البردية الأخرى إلى المتقبلين وهم الذين كان يرسي عليهم ضمان الخراج على صفقات الأرض حين ينادى عليها في المسجد الجامع . وكان التقبل لأربع سنوات

- (١) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ، وما ذكره من المراجع القديمة .
 (٢) جلب إليها من الهند في القرن الرابع الهجري . انظر السمودي : سروج الذهب ج ٢ ص ٤٣٨ ، والمقرئزى : الخطط ج ١ ص ٢٨ ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .
 (٣) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٦٠ ، وما يذكره من المراجع القديمة .
 (٤) راجع ابن ماتي : كتاب قوازين الدراوين (الفهرس ص ٤٤٢ وما بعدها) .

Papyrus Erzherzog Rainer ; Führer durch die Ausstellung p. 257 No. 1061 (٥)

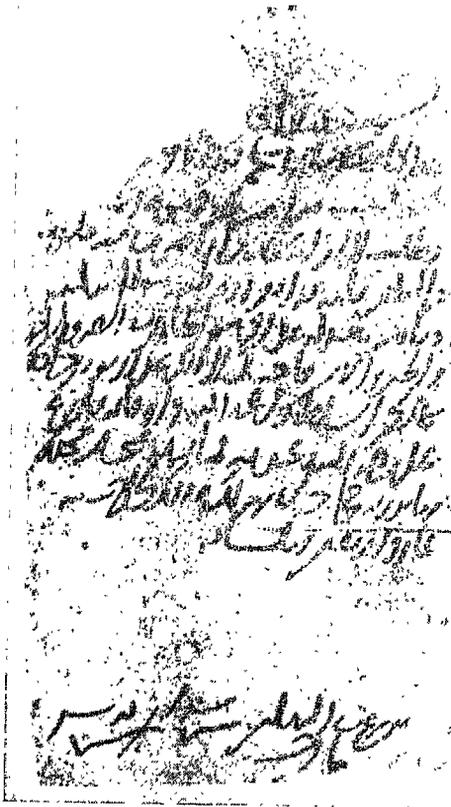
(٦) إذا أجز المالك جزءاً من أرضه وانفق مع المستأجر على أن يؤدي الايجار من المحصول عرف ذلك باسم المزارعة . وفي القاموس زارع فلان أى طامله على الأرض ببعض ما يخرج منها ويكون البذر من مالكها . وتدل الوثائق البردية على أن الجزء الذي كان يأخذه المالك من المحصول كان النصف في بعض الأحيان وكان في أحيان أخرى الثلث أو الربع . وكان ينص في عقد المزارعة على الطرف الذي يدفع الخراج أو يقوم بتغير ذلك من النفقات . انظر ص ١٨١ من المرجع المذكور في الحاشية السابقة . وانظر الشروط المختلفة في إيجار الأرض بمصر في فجر الاسلام كما تبدر من الوثائق البردية في Grohmann : Arabic Papyri in the

Egyptian Library 11. p. 34.

A. Grohmann : op. cit. II. p. 60 (٧)

(٨) المقرئزى : الخطط ج ١ ص ٨٢

حتى تتعادل سنو المحصول الضعيف بسنى المحصول الطيب^(١) . وقد وصلت النينا وثيقة من الورق محفوظة في دار الكتب المصرية وترجع إلى سنة ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) وتضمن عقد إيجار فدادين ثلاثة بثلاثة دنانير^(٢) . (أنظر شكل هـ) .



شكل (هـ) وثيقة بريدية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]

وكان المصريون يستعملون النيلة للتلوين باللون الأزرق . وكان شجر النيلة يزرع في الصعيد وفي الواحات . وكان يحدد في كل مائة يوم ويبقى في الأرض الجيدة ثلاث سنين

(١) Grohmann : op. cit. II. p. 39-40

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٥٢

وفي السنة الأولى يسقى في كل عشرة أيام دفعتين ، وفي السنة الثانية ثلاث دفعات ،
وفي الثالثة أربع دفعات ^(١) .

وطبيعي أن الري في مصر حينئذ كان بطريق الحياض . وقد كتب ابن حوقل
في هذا الصدد : « وزرعهم بماء النيل تمتد قنم المزارع من حد اسوان إلى حد
الاسكندرية ويقوم الماء في أرضهم بالريف والحواف منذ امتداد الحر إلى الخريف ثم ينضب
فيزرع ثم لا يسقى بعد ذلك ولا يحتاج إلى سقى البتة » ^(٢) .

(١) . المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٧٢

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٩٧

(٦)

الصناعة والتجارة

كانت أهم الصناعات بمصر في العصر الاخشيدى صناعة النسيج وقد أثمرنا إليها عند الكلام على صاحب الطراز، وسوف نعود إليها في الفصل الذى نعتده للكلام على الفنون والآثار ، لأن هذه الصناعة بلغت من الرقى درجة جعلتها من ميادين الفن التطبيقى .

ومن الصناعات التى عرفها مصر فى ذلك العصر صناعة الحصر^(١) . وكان يصنع منها أنواع فاخرة تقليدا للحصر المصنوعة فى عبادان^(٢) .

وشهد العصر الاخشيدى تدهور صناعة القراطيس من البردى . وأصبح الورق يرد إلى ديار الاسلام من الصين كما يصنع فى سمرقند ودمشق وطبرية وطرابلس الشام^(٣) .

ويبدو أن المصريين فى القرن الرابع الهجرى تعاملوا من الزنوج صناعة بعض أنواع الجلود^(٤) .

وكان لمصر شأن عظيم فى التجارة فى العصر الاخشيدى ، ولا عجب فقد كانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب مختلف البحار والبلاد فى القرن الرابع الهجرى . ولكن المصريين كانوا لا ينزحون عن مصر للتجارة إلا فى الندرة^(٥) . وكان فى مصر جالية كبيرة من الفرس يحترفون التجارة . كما كان لليهود نشاط ملحوظ فى هذا الميدان^(٦) . وبلغت ثروة بعض التجار فى مصر فى بداية العصر الاخشيدى درجة عظيمة ، حتى ان أحدهم

(١) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ٢٧

(٢) المرجع نفسه ص ٢٧ حيث يجب أن نقرأ العبادان بدلا من العبادات ، وانظر أيضا

متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٥

(٣) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٨ و ٣٠٩ ، وما ذكر فيه من المصادر القديمة .

(٤) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٧٩ ، وما ذكر فيه من المصادر القديمة .

(٥) الثعالبي : لطائف المعارف ص ١٠١

(٦) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٢٢ — ٣٢٣ وما ذكر فيه من المراجع القديمة .

— وهو عفان بن سليمان البراز — حين توفي استطاع الاخشيدي أن يأخذ من ماله نحو مائة الف دينار^(١) .

وكانت الملاحة النهرية على النيل كثيرة جداً في القرن الرابع الهجري حتى تعجب المقدسي وهو بمصر من كثرة المراكب السائرة والراسية هناك^(٢) . ولم تكن التجارة مع بلاد النوبة بأيدي المصريين وإنما كان تجار النوبة هم الذين يأتون في النيل حتى منطقة الجنادل ثم ينقلون بضائعهم على ظهور الجمال إلى أسوان .

وكانت مصر تستورد الحيوانات للذبح من برفة^(٣) . وكانت المدن المصرية غنية بأسواقها كما تبين من كثرة المدن التي أشار ابن حوقل إلى ما فيها من أسواق عاصرة^(٤) .

وكان الذهب يستخرج من الصحراء الشرقية بين أسوان وعيذاب وكان وادي علاقي مركز الذين يبحثون عن هذا المعدن النفيس وكان لسكان هذا الوادي عبيد من الزوج يعملون في استخراج النبر^(٥) . وفي سنة ٣٣٢ هـ كان سيد قبيلة ربيعة صاحب السلطان في هذه المنطقة^(٦) . كما كان معدن الزمرد يستخرج على مقربة من المنطقة نفسها^(٧) ومن مدينة فقط^(٨) .

وكان بين المصريين في العصر الاخشيدي ملاحون مهرة في المدن الساحلية وفي بحيرة تيس . وقد أعجب ابن حوقل — مع كثرة ما شاهده في أسفاره الطويلة — بمهارة الملاحين الذين رأهم في تيس فكتب أن « هذه البحيرة قليلة العمق يسار في أكثرها

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٧ ، أنظر أيضاً الكندي : الولاة والقضاة ص ٣٠٥

(٢) المقدس : أحسن التقاسيم ص ١٩٨

(٣) البكري : المغرب (طبعة دي سايين) ص ٥

(٤) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٨٩ وما بعدها .

(٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٣٤ وما بعدها .

(٦) المقرئ : الخطط ج ١ ص ١٩٦ — ١٩٧

(٧) المرجع نفسه ج ١ ص ١٩٧

(٨) السعدي : مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣

بالمداى وتلتقى السفينتان تحك لحداهما الأخرى هذه مصعدة وهذه نازلة بريح واحدة مملأة شرعها بالريح ومتساوية في سرعة السير»^(١) .

وكانت الملاحة في البحر الأحمر صعبة لما فيه من شعاب بارزة ورياح معاكسة . ولهذا كانت الملاحة فيه بالنهار فقط ، فأذا جن الليل أُرست المراكب في مواضع معروفة^(٢) . واحتفظ نهر النيل الذي يسير موازيا لهذا البحر بأهميته الكبيرة بوصفه طريقاً من طرق الملاحة النهرية . وكانت عيذاب الثغر الذي تلتقى عنده تجارة البحر بتجارة النهر ، فكانت البضائع تصل إليه من قوص وأسوان ثم يعبر التجار منه إلى جدة ، كما كانت ترد إليه في البحر الأحمر من الحبشة واليمن وزنجبار ثم تحمل على الابل في الصحراء مسيرة عشرين يوماً إلى أسوان أو قوص^(٣) .

(١) ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك ص ١٠٣

(٢) المسمودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٥٦

(٣) منز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٦٨ — ٣٦٩ وما ذكر فيه من المراجع القديمة .

الباب الثامن

الآثار والافنون

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

ΠΕΡΙΣΤΕΡΙΑ ΠΛ. ΑΓ. ΠΑΥΛΟΥ

الآثار والفنون

كان العصر الاخشيدى — على قصره — عصر ازدهار فى تشييد العمار وإنتاج التحف والآثار الفنية التى تمثل شتى ميادين الفن الإسلامى . ولكن الذى وصل الينا من آثاره قليل بسبب تقادم العهد بها من ناحية وبسبب مجيء العصر الفاطمى بعدها من ناحية أخرى . والعصر الفاطمى — كما نعرف — بلغت فيه الفنون الإسلامية فى مصر أوج عظمتها وطفئت آثاره على ما كان فى مصر قبلها من الآثار الإسلامية^(١) . ومهما يكن من الأمر فقد وصل الينا من العمار الاخشيدية أثران : هما مشهد أولاد طباطبا ومحراب قديم غربى مشهد يحيى الشبيه .

مشهد آل طباطبا

أما مشهد آل طباطبا فيرجع إلى سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٣ م) . ويقع على بعد خمسمائة متر غربى ضريح الإمام الشافعى ونحو مائتين وثلاثين مترا شمالى حمامات عين الصيرة بالقاهرة . ويتألف من مساحة من الأرض شكلها غير منتظم وطولها نحو ثلاثين مترا وعرضها نحو عشرين مترا وفى طرفها الجنوبى قبتان ويحيط بها جدار وتضم عددا من القبور (أنظر اللوحة رقم ٢) . ولكن كثيرا من المباني القائمة فى هذا المشهد حديثة العهد . فلا يكاد يعيننا منها إلا بقايا دعائم صليبية الشكل ومبنية من الطوب القديم وترجع إلى عهد تشييده . ويدل وضعها على أنها كانت تقسم المشهد كله إلى تسعة أجزاء مربعة الشكل وكانت تحمل اثنى عشر عقدا .

(١) أنظر زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين .

وقد قام الأستاذ كريزويل بدراسة هذه البقايا المعهارة دراسة دقيقة^(١) . وقامت إدارة حفظ الآثار العربية بإزالة الأتربة التي كانت تخفي المعالم القديمة ، فاستطاع الأستاذ كريزويل أن يثبت أن هذا المشهد لم تكن له جدران خارجية بل كان شبه مظلة محمولة على دعائم من الطوب وتضم تسعة أروقة عليها تسع قباب (أنظر اللوحيتين رقم ٣ و ٤) .

وقد خلف لنا ابن الزيات وصف هذا المشهد كما كان في بداية القرن التاسع الهجري (الحامس عشر الميلادي) فتحدث عن مشهد القاضي بكار^(٢) ثم عن مشهد طباطبا^(٣) ثم عن عين الصيرة^(٤) . وهذا هو ترتيب المشهد الذي نحن بصددده ؛ فهو على بعد خمسة وسبعين مترا جنوبي قبر القاضي بكار ومائتين وثلاثين مترا شمالي عين الصيرة . وذكر ابن الزيات أن الذين دفنوا في مشهد طباطبا هم علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا المتوفى سنة ٢٥٥ هـ^(٥) وأحمد بن علي بن الحسن بن طباطبا^(٦) وعبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن ابن ابراهيم طباطبا المتوفى سنة ٣٤٨ هـ^(٧) وخديجة ابنة محمد بن اسماعيل بن القاسم الرسي ابن ابراهيم طباطبا المتوفاة سنة ٣٢٠ هـ^(٨) وأبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن محمد ابن أحمد بن علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا^(٩) وأبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن أحمد

(١) ستظهر هذه الدراسة المفصلة في الجزء الثالث من كتاب الأستاذ كريزويل عن المعارة الاسلامية وهو الذي تقوم بطبعه الان مطبعة جامعة اكسفورد وقد تفضل المؤلف فأطلعنا على هذه الدراسة وله منا وافر الشكر والتقدير .

(٢) ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ٤٨

(٣) المرجع نفسه ص ٥٩

(٤) المرجع نفسه ص ٦٤

(٥) المرجع نفسه ص ٥٩ — ٦٠

(٦) المرجع نفسه ص ٦٥

(٧) المرجع نفسه ص ٦٠ — ٦١ ، أنظر سيرته في ابن خاسكان : وفيات الأعيان

ج ١ ص ٣٢٦

(٨) ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ٦١

(٩) المرجع نفسه ص ٦٢

ابن علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ومعه والدته وابنه^(١) ونفيسة ابنة علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا^(٢) ثم الشريف طباطبا الأصغر أخو عبد الله بن أحمد وقد توفى سنة ٣٣٤ هـ^(٣) وأمينة ابنة الحسن بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا^(٤) والحسين بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن ابراهيم طباطبا ووالده^(٥) ونفيسة ابنة علي الأزرق^(٦). وهكذا يتبين أن الذين دفنوا في هذا المشهد أفراد من بين الجيلين الثالث والتاسع من أسرة ابراهيم طباطبا الذى قدم إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد^(٧).

ومهما يكن من الأمر فإن الأستاذ كرزويل يذهب إلى أن تاريخ تشييد هذا المشهد يقع حول سنة ٣٣٤ هـ أى سنة وفاة الشريف طباطبا الأصغر ، وذلك بالنظر إلى أن طرازه المعماري فريد في نوعه وأن الأثرين اللذين يشبهانه بعض الشبه يرجع أحدهما إلى القرن الخامس الهجرى ويرجع الثانى إلى نهاية القرن الرابع أو إلى القرن الخامس .

محراب قديم^(٨)

على مقربة من ضريح الإمام الشافعى تربة تعرف باسم تربة يحيى الشبيه . والى غربها فى حذاء جدارها الخلقى آثار محراب صغير من الجص ، لا يظهر منه إلا الجزء العلوى أما باقيه فمدفون فى الأرض . ولكنه لم يكن كذلك منذ نحو خمسين عاما حين رآه

(١) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٦٢

(٢) المرجع نفسه ص ٦٣

(٣) المرجع نفسه ص ٦٣

(٤) المرجع نفسه ص ٦٣

(٥) المرجع نفسه ص ٦٣

(٦) المرجع نفسه ص ٦٣

(٧) أنظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١٠ ص ٥٠ وابن خلكان : وفيات الأعيان

فراز باشا مهندس الأوقاف و فطن الى أهميته الأثرية و خشي أن تنفتت أجزاءه و تضيع معالمه فعمل على أن تؤخذ له صورة أو نموذج من الجص أودعت دار الآثار العربية بالقاهرة منذ سنة ١٩٠٣^(١) (أنظر اللوحة رقم ٥) .

و باطن هذا المحراب الجصى على هيئة المحار . و الراجح أن هذا الباطن قد أضيف الى المحراب الأصلي ، لأن طرازه لم يظهر قبل سنة ٥١٦ هـ^(٢) و لا يمكن أن يكون معاصرا لطراز الكتابة السكوفية أو الزخارف النباتية فى اطار العقد و توشيحته . و هى زخارف كلها أقرب الى الطراز العباسى الطولونى منها الى أى طراز آخر (أنظر اللوحة رقم ٦) . و قد درسها الأستاذ فلورى دراسة دقيقة و رجح أنها ترجع الى العصر الاخشيدى . و لا يتسع المجال هنا للاسترسال فى وصف الزخارف المذكورة و شرح مميزاتهما . يعنى به الاختصاصيون فى تاريخ الفنون الاسلامية .

ولكن ازدهار فن العمارة فى العصر الاخشيدى تشهد به البيانات التى نقرأها فى النصوص التاريخية عن القصور و شتى العمارات التى شيدت فى هذا العصر ثم عفت آثارها فلم يصل اليها شئ منها .

و أهم هذه المنشآت قصر المختار و البستان الذى شيده الاخشيد فى جزيرة الروضة سنة ٣٢٥ . و قد روى ابن زولاق قصة إنشاء هذا البستان فقال: ان الاخشيد قال لصالح بن نافع أنه أراد منذ تمت له إمارة مصر أن ينقل دار الصناعة من جزيرة الروضة وأن يجعل موضعها بستانا يسميه المختار ، ثم أمره أن يخرج الى الجزيرة ليعمد مشروع هذا البستان مع دار كبيرة تقام فيه و ان يقدر ما يلزم لذلك من النفقات ، فخرج صالح بن نافع مع بعض من لهم دراية بمثل هذه الأمور و خطوا تصميم البستان و القصر و أحقوا

(١) Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe, Exercice 1904 p. 38

و مكس هرتس بك (ترجمة على بك بهجت) : فهرس مقتنيات دار الآثار العربية ص ٢٦٣

(٢) Flury : op. cit. p. 106

بهما دارا للحرس ودارا للغلمان وخزائن للطعام والملابس والفرش وما الى ذلك ، وعرضوا هذا التصميم في رقعة كبيرة من الورق على الاخشيد فأعجب به وسأل عن نفقاته فقيل له : ثلاثون ألف دينار ، فاعترض الاخشيد على إنفاق هذا المال الكثير وقال إنه يريد الاقتصاد في نفقات هذا المشروع ، وما زال بهم حتى انخفض رقم المال اللازم الى خمسة آلاف دينار . ومع ذلك فان الاخشيد — على عادته في الحرص على المال — أصر على أن تجمع هذه النفقات من تبرع رجال حاشيته ومن اليهم من القادرين على الدفع ، فأخذ صالح بن نافع ورقة وبدأ قائمة التبرعات بأن سجل على نفسه التبرع بثلاثمائة دينار ، وتبعه غيره حتى جمع لهذا المشروع ستة آلاف دينار . وأشرف على تنفيذ المهندسان زقازق وابن ابى الرداد . وكان الاخشيد بعد ذلك يفاخر أهل العراق بهذا المنزه ^(١) .

ويبدو أن الاخشيد كان شديد العناية بتجميل حاضرة ولايته ، فقد ذكرت المراجع التاريخية أنه أنشأ بستانا آخر شمالي الفسطاط عرف بعد ذلك باسم البستان الكافورى ^(٢) وأنه عنى به وجعل له أبوابا من حديد وأنه كان ينزل به ويقم فيه أياما كاملة . وعنى به من بعده ابنه أبو القاسم اونوجور وأبو الحسن على في أيام إمارتهما . وكان كافور كثيرا ما يتنزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذى كان فيه ، وكانت خيوله بهذا الميدان . ولما قدم جوهر القائد الى مصر على رأس جيوش الفاطميين نزل بجوار هذا البستان وأصبح البستان جزءا من القاهرة واتخذة الخلفاء الفاطميون منزها لهم ^(٣) .

وكتب على مبارك باشا أن جوهر القائد لما قدم بجيشه الى ساحل الفسطاط في شعبان من سنة ٣٥٧ « نزل بجرى الفسطاط التى فيها اليوم الجامع الأزهر وبيت القاضى وخان الحلبي وبين القصرين وما جاورها من الأماكن التى بين الجبل والخليج .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٣ — ١٤

(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٥

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٥٧

وكانت هذه البقعة رمالا فيما بين مصر الفسطاط وعين شمس التي تسمى الآن بالمطرية ، يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط الى عين شمس فيما بين الخليج المعروف في أول الاسلام بـخليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والخليج المعروف باليحاميم لمروره بجنازتهما ، اذ اليحاميم اسم للجبل الأحمر الكائن بشرقي العباسية . وكان ذلك الخليج يمر بقرتها ، وقد زال من مدة ولم يبق له أثر . وعند نزول جوهر بهذه الرملة لم يكن بها بنيان غير البساتين وأما كن قليلة منها بستان الاخشيدي محمد بن طهج المعروف بالكافورى . وكان هذا البستان فى شرقى الخليج ، محله اليوم فيما بين جامع الشعراى والسكة الجديدة قريبا من قنطرة الموسكى تمتدا فى الجهة الشرقية الى النحاسين . وكانت مساحته تبلغ ستة وثلاثين فدانا بمقياسنا اليوم ، وبجانبه من الجهة القبلىة ميدان الاخشيدي ومحله الآن من بر الخليج الشرقى الى شارع السكرية والغورية ^(١) .

* * *

وكانت عناية الأمراء الاخشيديين بالمساجد عظيمة فكانوا يطلقون لها النفقات ويأمرون بهارتها ومدتها بما يلزم من الحصر والمصاييح وما إلى ذلك . وقد وصلت الينا أسماء عدد من المساجد المعروفة فى هذا العصر إلى جانب المسجد العتيق أو المسجد الجامع أو جامع عمرو ، فحفظت لنا النصوص التاريخية أسماء مسجد الریح ^(٢) ومسجد عبد الله ^(٣) ومسجد الزمام ^(٤) ومسجد ابن عمرو ^(٥) ومسجد الاقدام ومسجد موسى ^(٦) .

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١ ص ٤

(٢) ابن زولاى : أخبار سيويه المزمى ص ٣٢

(٣) المرجع نفسه ص ٣٦

(٤) المرجع نفسه ص ٤١

(٥) المرجع نفسه ص ٤٤

(٦) المرجع نفسه ص ٥٦

وأمر أبو الحسن علي بن الاخشيد ببناء مسجد في الحيزة ، ويبدو أن الفضل في بناء هذا المسجد كان لكافور لأن أهل الحيزة علموا أن الفضاء الذي شيد فيه هذا المسجد كان يراد أن تقام فيه حوائت وغير ذلك من عمائر الاستغلال ولكنهم كانوا يريدون فيه مسجداً فخاطبوا كافورا في الأمر وتم لهم بناء المسجد ^(١) .

ومن المساجد التي شيدت في العصر الأخشيدي مسجد الفقاعى في سفح جبل المقطم وقد بناه كافور الاخشيدى ^(٢) . ومنها مسجد موسى في المنطقة نفسها وقد بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات ^(٣) .

وتذكر المراجع التاريخية أن كافورا شيد بعض القصور الجميلة في مصر مثل دار الفيل التي سميت بهذا الاسم لأنها كانت تضم عدداً من الفيلة . وقد سكنها كافور من سنة ٣٤٦ إلى أن توفي سنة ٣٥٧ ^(٤) .

ومن العمائر الاخشيدية جوسق كبير شيده في القرافة الوزير أبو بكر محمد بن علي الماذرائى على هيئة الكعبة . وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق في الأعياد ويوقد كله في ليلة النصف من شعبان ويجتمع القراء حوله لقراءة القرآن ^(٥) .

ومما ينسب الى الماذرائى أيضاً دار تسمى دار قبر . وقد وقفها هذا الوزير على ولده وبعد انقراض عقبه على الفقراء والمساكين بمدينة الرسول ^(٦) . وتنسب الى الوزير ابى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات دار تعرف بدار حنزابة ^(٧) .

(١) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٢٧

(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٥٦

(٣) المرجع نفسه ج ٢ ص ٤٥٦ ، وابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٤

(٤) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٢٥ ، أنظر أيضاً المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣١

(٥) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٥٣

(٦) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ٩

(٧) المرجع نفسه ج ٤ ص ١٠

وأنشأ الاخشيد سنة ٣٣٠ قيسارية^(١) لبيع المنسوجات في سوق كان يعرف باسم سوق الحمام^(٢). ويبدو أنه أنشأ قيساريات أخرى وحوانيت ودورا كان يجبس دخلها على المستشفى الذي شيده^(٣).

ومن العبائر الاخشيدية التي تنسب الى الاخشيد مستشفى أو مارستان كان يعرف باسم المارستان الأسفل تميزا له عن المارستان الطولوني^(٤). كما ينسب الى كافور مارستان شيده هذا الأمير سنة ٣٤٦ هـ. والراجح عندنا أنه هو المارستان الأسفل المنسوب الى الاخشيد، لأن المقرئ لم يذكر بين المارستانات أي مارستان شيده الاخشيد نفسه، فضلا عن أن اشارة ابن دقاق الى الاخشيد في نسبة المارستان الأول ليست صريحة تماما، فقد يكون المقصود اوتوجور الاخشيد الذي كان أمير البلاد حين شيده كافور المارستان.

ومن المنشآت الرئيسية التي شيدت في العصر الاخشيدى « سبع سقايات » شيدها الوزير جعفر بن الفرات لسكان القسطنطين حين أصبحوا يحتاجون في موسم الجفاف الى جلب الماء من منطقة جزيرة الروضة بسبب جفاف الخليجان وانحسار مياه النيل الى تلك المنطقة^(٥). وقد حفر هذا الوزير بئرا لينقل منها الماء الى سبع السقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين التي كانت بنحط الحمراء وكتب عليها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لله الأمر من قبل ومن بعد وله الشكر وله الحمد ومنه المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات وما وفقه له من البناء لهذه البئر وجريانها الى السبع سقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين وحبسه وسبله وقفا مؤبدا لا يحل تغييره ولا العدول بشيء من مائه ولا ينقل ولا يبطل ولا يساق إلا الى حيث مجراه الى السقايات المسبلة فمن بدله بعد ما سمعه فأثمأه على الذين يدلونه ان الله سميع عليم وذلك في سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم » .

(١) القيسارية بمعنى السوق . أنظر Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes 11, p. 432

(٢) السكندى : الولاية والقضاء (الملحق) ص ٥٦٢

(٣) ابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ٩٩

(٤) المرجع نفسه ج ٤ ص ٩٩

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٤٤

وقد حفظ لنا المقرئى نص هذه الكتابة التاريخية حين تحدث عن بئر الوطاويط^(١).
ومن الطريف إنها وجدت على لوحة كبيرة من الحجر فى حى الصليبية عند مدخل
الشارع الصغير الذى يصل شارع الصليبية بمجامع ابن طولون والذى كان يعرف باسم
عطفة بئر الوطاويط . ولكن هذه اللوحة كسرت وضاعت بعض أجزائها فلم يبق
منها إلا نحو ثلاثة سطور قرأها فان برشم وثقت^(٢).

وهذه الكتابة وثيقة عظيمة الشأن ، لأنها تشهد بأن المقرئى جدير بالثقة فيما يكتبه
وبأنه يحرص على الدقة فيما يسجله عن الآثار ، ولأنها أقدم «وقفية» وصلت إلينا فى تاريخ
مصر الإسلامية : ومهما يكن من الأمر فان هذه البئر لم تكن تعرف عند إنشائها باسم
بئر الوطاويط . وقد ذكر المقرئى أن السقايات خربت بمرور الزمن وبنى فوق البئر
وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط .

ومن الآثار التى ترجع الى العصر الاخشيدى مجموعة من شواهد القبور محفوظة
فى دار الآثار العربية بالقاهرة^(٣) . وتشهد حروف الكتابة فى هذه الشواهد — سواء
منها المحفور والبارز — بأن الزخارف الكتابية دخلت على الخط الكوفى قبل العصر
الفاطمى^(٤) ، فأصبحت هامات الحروف وذيوها تنتهى فى بعض الأحيان برسوم
زخرفية تبشر بالزخارف الفنية التى طرأت على الخط الكوفى فى العصر الفاطمى حتى
أصبح يعرف باسم الكوفى المزهر^(٥) .

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٣٥

(٢) Wiet : Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte 11. pp. 91-94

(٣) G. Wiet : Catalogue Général du Musée Arabe du Caire. Stèles Funéraires t. 5 pp. 24-151.

(٤) Ibid pl. 12, 13, 17, 24, 26, 36

(٥) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٣٨ و ١٤ E. Kühnel : Islamische Schriftkunst

وفي اللوحات رقم ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ رسم أربعة من شواهد القبور في العصر
الاخشيدي ، ففي اللوحة رقم ٧ شاهد قبر من الحجر الجيري عليه كتابة محفورة بالخط
الكوفي البسيط ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله أحد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن
كفوا (هكذا !) أحد اللهم صلى
على محمد النبي وعلى اله الطاهرين
وارحم ام الحسن ابنت
عمر بن احمد بن عيسى بن سابق
بن ابي تراب وارض عنها واغفر لها
وتجاوز عن سيئاتها والحقها بنبيها
محمد (هكذا !) صلى الله عليه واله وسلم
توفيت يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة
خلت من جمادى الأولى سنة اثنين
وثلاثين وثلاثمائة وهي تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله وما شرع من دينه وحجته »

وفي اللوحة رقم ٨ شاهد قبر من الرخام عليه كتابة محفورة بالخط الكوفي
وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم
كل شيء هالك الا وجهه له
الحكم واليه ترجعون هذا
قبر محمد بن وساس بن محمد
البرزاز توفي رحمه الله يوم

الأربعاء لليلتين خلنا من ذى
الحجّة سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة
وفيه دفن ابنه عبد الله بن
محمد بن فساس توفى رضى الله
عنه يوم الاربعاء لخمس وعشرين
ليلة خلت من ذى القعدة سنة
ثلاث وثلاثين وثلثمائة «

وفي اللوحة رقم ٩ شاهد قبر من الحجر الجيري وله إطار بارز وعليه كتابة محفورة
بالخط السكوفي ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى ا
لارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون
بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات
والارض ولا يوده حفظهما وهو العلى
العظيم اللهم صلى على محمد وعلى اله الطا
هرين وارحم محمد بن يسين بن محسن بن محمد
بن محسن الجعفرى توفى يوم الثلاثاء لسبع عشر
خلون من جمادى الأولى سنة خمس واربعين وثلثمائة «

وفي اللوحة رقم ١٠ شاهد قبر من الرخام عليه كتابة بارزة بالخط السكوفي تدل
على أنه لحفيد ابن الجصاص التاجر الجوهري الذى صحب خمارويه بن أحمد بن طولون

والذى سبق السلام عليه . وقد توفى ابن الجصاص سنة ٣١٥ هـ ، وهذا نص الكتابة على شاهد حفيده :

« بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الله

الصمد لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا احد

هذا قبر عثمان المكنى

بابي عمرو بن عبيد الله

بن الحسين بن عبد الله

الجوهري المعروف با

بن الجصاص توفى يوم الا

ربعا ليلة (هكذا !)

بقيت من جماد

ى الأولى سنة خمس

وخمسين وثلاثمائة

الحقة الله بنيه محمد

صلى الله عليه وعلى اله اسلم (هكذا !)

وقد وصلت الينا بضع أوراق محفوظة الآن فى مجموعة الارشيدوق رينرفى فينا ، ويظن أنها مما عثر عليه فى الفيوم . وعلى إحداها رسم فارس ذى لحية وقبعة مخروطية الشكل وفى إحدى يديه ترس وفى الآخر رمح . وفى الوجه الآخر العبارة الآتية : « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت » ثم « الحمد لله شكرا . الحمد لله وحده مما صور أبو تميم حيدرا »^(١) .

(١) A. Grohmann and Th. Arnold : The Islamic Book fig. 4

ويبدو في رسوم هذه الأوراق التأثر بأساليب الفن القبطى وسيادة الألوان البدائية كالأحمر والأصفر والأخضر ، والراجح عند مؤرخى الفنون الاسلامية أنها ترجع إلى العصر الإخشيدى .

أما صناعة النسيج فى عصر الإخشيديين فقد ازدهرت ازدهارا عظيما ، كما عرفنا عند الكلام على وظيفة صاحب الطراز . وكانت الحكومة تراقب صناعة النسيج الأهلية مراقبة دقيقة وتختتم الأقمشة بخاتم رسمى ولا تسمح بأن يتولى التجارة فيها إلا التجار الذين ترخص لهم بمزاولة هذا العمل . وكانت المراكز الرئيسية لهذه الصناعة هى المناطق التى يكث فيها القبط . وكان القطن والكتان ينسجان فى كثير من مراكز صناعة النسيج . ولا سيما بالدلتا فى تينيس وشطا وديبق ودمياط فضلا عن الفرما والاسكندرية ، كما كانا ينسجان فى الهنسا والاشمونين واحمهم وأسيوط من مدن الصعيد .

وقد كتب ابن حوقل عن تينيس ودمياط وذكر ما بهما من « الحبل السنية التى ليس فى جميع الأرض ما يدانها فى الحسن والقيمة . وربما بلغ الثوب من ثيابهم مائتى دينار إذا كان فيه ذهب ، وما لا ذهب فيه يبلغ المائة دينار »^(١) كما أشار إلى ما كان يصنع فى الهنسا من « الستور والبسط والمضارب والفساطيط » وذكر أن الزوج من بعض هذه الستور كان يساوى نحو ثلاثمائة دينار^(٢) .

وكانت المنسوجات المصرية فى العصر الإخشيدى لاتزال متأثرة بالزخارف التى استعملها النساجون فى نهاية العصر القبطى وفى فجر الاسلام « وأكثرها رسوم طيور أو حيوان أو أشكال آدمية صغيرة فى جامات بيضية الشكل متعددة الأضلاع أو موزعة توزيعاً غير منتظم . وفيها أشكال هندسية وخطوط متقاطعة ودوائر متماسة »^(٣) (أنظر اللوحة رقم ١١)

(١) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠١

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٥

(٣) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ١٧

وقد رأينا كيف ظهرت الكتابة العربية على المنسوجات وتحدثنا عن قطع النسيج التي وصلت إلينا حاملة أسماء الخلفاء العباسيين والوزراء في العصر الاخشيدى ، ونضيف هنا رسم قطعة منها عليها كتابة نقرأ منها « بشطا على يد فائز أمير المؤمنين أطال الله بقاءه سنة سبع وخمسين وثلثمائة . الحير مقبل إن شاء الله »^(١) (أنظر اللوحة رقم ١٢) .

ومن المنسوجات التي انتشرت في العصر الاخشيدى مجموعة تنسب إلى الفيوم في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، وقد جاء اسم هذا الإقليم في كتابة على قطعة منها محفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة (أنظر اللوحة رقم ١٣) وفي هذه القطعة شريط أحمر به رسوم جمال في أسلوب تخطيطى بسيط دون مراعاة للنسب أو محاكاة للطبيعة . ونحت هذه الرسوم كتابة إما بيضاء أو بنية اللون وحروفها غربية ولها ذاتية خاصة بما في سيقانها من زخارف مدرجة الشكل وبما بين هذه السيقان من شتى الزخارف الصغيرة باللون الأصفر أو الأخضر ونص هذه الكتابة (سعا) دة ونعمة كاملة لصاحبه مما عمل في طراز الخاصة بمظمور (؟) من كورة الفيوم »^(٢) .

وكان المصريون في العصر الاخشيدى يستوردون من اليمن المنسوجات التي اشتهر بانتاجها هذا الإقليم والتي تمتاز بزخارفها المؤلفة من الخطوط المتعددة الألوان^(٣) (أنظر اللوحة رقم ١٤) .

ونمت في العصر الاخشيدى صناعة الخرف ذى البريق المعدنى ، ولكن زخارفه ظلت بدائية الى أن تم تطورها في العصر الفاطمى^(٤) .

أما صناعة الحفر في الخشب في العصر الاخشيدى فقد كانت ذبلا وتطوراً للإساليب المعروفة في عهد الطولونيين أى للطراز العباسى عامة وامتازت بأن أساس زخارفها

(١) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. 5. p. 20 No. 1639

(٢) أنظر زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٣٧ — ١٣٩

(٣) C. J. Lamm : Cotton in Mediaeval Textiles of the Near East pp. 151-156, 235-238

(٤) أنظر زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ج ١ ص ١٠٠ — ١٠٨ ، وزكى محمد

حسن : كنوز الفاطميين ص ١٤٧ وما بعدها ، وزكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣١٠

« حفر منحرف الجوانب » تخلق فيه الزخرفة من بضعة فروع وخطوط حلزونية تغطي الأرضية كلها (انظر اللوحة رقم ١٥) وقد تؤلف هذه الخطوط رسماً تخطيطياً محوراً عن الطبيعة لحيوان أو طائر ^(١) (انظر اللوحة رقم ١٦) .

وكانت تصنع من الخشب ألواح صغيرة تحفر فيها كتابات لتسجيل ما يملكه الأفراد من العقار في عبارات قانونية . ومن ذلك لوح مكسور في دار الآثار العربية لا تزال عليه الكتابة الآتية : « بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله ويمن وسعادة

وعشرين سهماً من جميع هذه الدار وحانوتها (من كل حق)

هو لها داخل فيها ومن كل حق هو لها خارج منها (كل قليل)

وكثير هو لها من حقوقها الذي هي لها فيها .

بن هرون بن موسى البراز ملكها من فضل . . . » ^(٢) (انظر اللوحة رقم ١٦)

(١) أنظر زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٤٨ و E. Pauty : Catalogue du Musée Arabe. Les Bois Sculptés Jusqu'à l'époque Ayyoubide pl. 18-22.

(٢) J. D. Weill : Catalogue du Musée Arabe. Les Bois à Epigraphes Jusqu'à l'Époque Mamlouke pp. 60-61.

البَابُ التَّاسِعُ

الفقهاء والعلماء والأولياء

الفقهاء والعلماء والأدباء

زيد أن تتحدث في هذا الباب عن الجوانب الممتازة في الحياة العقلية في العصر الاخشيدى . ولا ريب في أن أهم مظاهرها نشاط الفقهاء والعلماء والأدباء ، وليس من السهل تمييز كل طائفة منها تمييزا خاصا لأنها كانت تلتقي في بعض الأحيان . ولكننا نقصد حملة علوم الشريعة والعبادات حين نتحدث عن الفقهاء ، ونقصد المتخصصين في فن واحد حين نتحدث عن العلماء . أما الباقيون ممن تكلموا في فنون مختلفة فهم الأدباء .

وكان العصر الاخشيدى غنيا بهذه الطوائف جميعها ، وكانت تلتقي في مجالس الأمراء وعلية القوم ^(١) وتحظى بتقديرهم وراعتهم . ومن ذلك أن الاخشيد أعجب بعلم أحد الفقهاء فولاه على سواحل مصر ^(٢) . كما أن اونوجور كان يجالس سيديويه المصرى ويناديه ^(٣) . وكان الوزير محمد بن على بن مقاتل يجرى على هذا الأديب مبلغا من المال في كل شهر ^(٤) . وكان بالفسطاط سوق كبير للوراقين يسعى اليه أهل العلم والأدب ^(٥) . وقيل إن الخليفة عبد الرحمن الناصر أرسل من الأندلس عشرة آلاف دينار لتفرق على فقهاء المالكية فأمر كافور بعشرين ألف دينار لتفرق على فقهاء الشافعية ^(٦) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ٣٩ ، والسكندى : الولاة والقضاة (الملحق)

ص ٥٦٩

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٠ — ٣١

(٣) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصرى ص ١٨ و ٣٦

(٤) المرجع نفسه ص ٣٥

(٥) المرجع نفسه ص ٥١

(٦) ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ١٦٠ — ١٩١

وكان الفقهاء والعلماء والأدباء يلتقون في المساجد للمناظرة وبحث المسائل
الفقهية والأدبية . ومن المساجد التي كانوا يقبلون على الجلوس فيها لهذا الغرض مسجد
عمرو بن العاص^(١) ، ومسجد ابن عمرو^(٢) ، ومسجد عبد الله^(٣) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصري ص ٢٢ و ٢٣ و ٤٢ و ٥٢
(٢) المرجع نفسه ص ٤٤ و ٤٦
(٣) المرجع نفسه ص ٤٦

(١)

الفقهاء

ظهر من المحدثين في مصر الاخشيدية أبو بكر أحمد بن عمرو الطحان المتوفى سنة ٣٣٣ ، وأبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المتوفى سنة ٣٤٧^(١) . وقد استطاع ابن يونس أن يكون إماما متيقظا حافظا في الحديث وإن كان لم يرحل ولم يسمع الحديث بغير مصر ، وكان العرف قبل القرن الرابع لا يجيز للانسان رواية الحديث من غير لقاء رجاله ومن غير إجازة مكتوبة تخوله حق الرواية^(٢) . وقد ألف ابن يونس كتابا في تاريخ مصر على هيئة سير لعلمائها . وضاع هذا الكتاب ولكننا نجد بعض مقتطفات منه في حواشى المخطوط الذى طبع منه الاستاذ جيت كتاب الولاية والقضاة للاسكندى ، كما أن ابن حجر نقل عنه فيما كتبه عن القضاة . ويبدو من هذه المقتطفات أن الكلام على الحديث والمحدثين كان أساس ما كتبه ابن يونس في التاريخ^(٣) .

ومن المحدثين الذين ظهوروا في عصر الاخشيديين حمزة بن محمد بن علي البهاى الكنتانى وقد توفى سنة ٣٥٧ ، وسعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن وهو بغدادى ترح الى مصر وتوفى سنة ٣٥٣ ، ومنهم محمد بن علي بن حسن المصرى ثريل تينس وكانت وفاته سنة ٣٦٩ ، والحسن بن رشيق المتوفى سنة ٣٧٠ ، وابن النحاس أحمد بن محمد بن عيسى ابن الجراح وقد قام بأسفار طويلة وتوفى سنة ٣٧٦ عن خمس وثمانين سنة . ومنهم ابن مسرور عبد الواحد بن محمد بن أحمد ، نشأ في بلخ وأقام بمصر وتوفى سنة ٣٧٨ ، وأحمد بن ابى الليث نصر بن محمد النصيبى المتوفى سنة ٣٨٦ ، ومنهم الوزير أبو الفضل جعفر ابن الفرات المتوفى سنة ٣٩١^(٤) .

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٤

(٢) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣١٥ وما ذكره من المراجع القديمة .

(٣) أنظر ص ٤٤ من المقدمة الانجليزية التى كتبها جيت لسكتاب الولاية والقضاة للاسكندى .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٤ — ١٦٥

وعاش بمصر في العصر الاخشيدى نفر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحنظ
والمنفردين بعلم الاسناد وقد سرد السيوطي أسماءهم وتاريخ وفاتهم^(١).

استقرت المذاهب الفقهية الكبرى في القرن الرابع الهجرى . وكانت السيادة في مصر
للمذهبين الشافعى والمالكي ، وفي سنة ٣٢٦ هـ كان للشافعيين في جامع عمرو
خمس عشرة حلقة والمالكيين مثلها ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط^(٢) .
وكانت المنافسة تقوى والنزاع يشتد في بعض الأحيان بين أصحاب المذاهب المختلفة بمصر ،
وقد حدث في سنة ٣٢٦ أن « عاد أصحاب مالك والشافعى الى القتال في المسجد الجامع
العتيق »^(٣) ويبدو أن الأمراء الاخشيديين وأتباعهم كانوا يكرهون الشافعية^(٤) .

وكان على رأس الفقهاء الشافعية في العصر الاخشيدى ابو بكر محمد بن احمد بن محمد
ابن جعفر المعروف بابن الحداد وكان « فقيها محققا غواصا على المعاني تولى القضاء بمصر والتدريس ،
وكانت الملوكة والرعايا تكرمه وتمظمه وتقصده في الفتاوى والحوادث . وكان يقال
في زمنه : عجائب الدنيا ثلاث : غضب الجلاد ونظافة السواد والرد على ابن الحداد »^(٥) .
وكانت ولادته سنة ٢٦٤ ووفاته سنة ٣٤٤ أو سنة ٣٤٥ ، « وكان متصرفا في علوم كثيرة
من علوم القرآن الكريم والفقه والحديث والشعر وأيام العرب والنحو واللغة وغير ذلك .
ولم يكن في زمانه مثله وكان محببا إلى الخاص والعام . وحضر جنازته الأمير ابو القاسم
أوتوجور بن الاخشيد وكافور وجماعة من أهل البلد »^(٦) وكان أحد أجداده يبيع
الحديد فنسب إليه . ولابن الحداد أخبار كثيرة مع الأمراء الاخشيديين تشهد بعلمه

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٣ — ١٧٤

(٢) ابن سعيدي : المغرب ص ٢٤

(٣) المرجع نفسه ص ٢٤

(٤) الكندي : الولاية والقضاء (الملحق) ص ٥٥٥

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٨٠

(٦) المرجع نفسه .

همته وثقته في نفسه ^(١) . ولا عجب فقد كان « طويل اللسان غير مطعون عليه في قول ولا فعل مجموعا على صيانة وطهارة . وكان من محاسن مصر حاذقا بعلم القضاء حسن التوقيعات » ^(٢) .

ومن فقهاء الشافعية الذين أدركوا العصر الاخشيدى ابو عبد الله الحسين بن ابي زرعة الدمشقي المتوفى سنة ٣٢٧هـ . وقد عرفنا أنه ولي القضاء في بداية حكم الاخشيد ^(٣) . ومنهم أبو بكر محمد بن بشر بن عبد الله الزبيرى المتوفى سنة ٣٣٢هـ ^(٤) ، وابو رجا محمد ابن احمد بن الربيع الاسوانى المتوفى سنة ٣٣٥هـ ، ويقال انه كان أديبا شاعرا وأنه نظم قصيدة طويلة بلغت ثلاثين ومائة الف بيت (هكذا !!) ذكر فيها أخبار العالم وقصص الأنبياء وغير ذلك من كتب الطب والفلسفة ^(٥) .

ومن فقهاء الشافعية في مصر الاخشيدية عبد الرحمن بن سلمويه الرازى ، قدم الى مصر وتفقها بها ودرس في جامع عمرو وتوفى سنة ٣٣٩هـ ، ومحمد بن ابراهيم بن الحسين المعروف بابن سكره ، وهو بغدادى الأصل سكن مصر وتوفى سنة ٣٤٢هـ ، ومنهم عبد الله ابن محمد الحصبى ، وقد عرفنا أنه ولي قضاء مصر وتوفى سنة ٣٤٨هـ ، ومحمد بن موسى ابن عبد العزيز الكندى ويلقب بسبويه وكان شاعرا فصيحاً يتظاهر بالاعتزال وتوفى سنة ٣٥٩هـ وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن الناصح المتوفى سنة ٣٦٥هـ ^(٦) .

أما فقهاء المالكية فقد أدرك منهم العصر الاخشيدى هرون بن محمد بن هرون الاسوانى المتوفى سنة ٣٢٧هـ ^(٧) ، وعلى بن عبد الله بن أبى مطر الاسكندرانى المتوفى سنة ٣٣٠هـ ، ومن فقهاء المالكية في ذلك العصر محمد بن يحيى بن مهدى الاسوانى

(١) الكندى : الولاية والقضاة (الملحق) ص ٥٥١ — ٥٥٧

(٢) المرجع نفسه ص ٥٥٢

(٣) المرجع نفسه ص ٤٨٧ و ٤٨٨ ، ٥٦٢ — ٥٦٣

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٧

(٥) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٦٧ ؛ لعل المقصود ثلاثين ومائة وألف بيت .

(٦) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٧ — ١٨٨

(٧) الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٩٣

وقدولى قضاء مصر ومات سنة ٣٤٠^(١)، وبكر بن محمد بن العلاء القشيري وأصله من البصرة ثم نرح الى مصر وتوفى بها سنة ٣٤٤^(٢). ومنهم أحمد بن محمد بن جعفر الأسواني الصواف المتوفى سنة ٣٦٤ أو سنة ٣٧٤^(٣)، ومحمد بن يوسف بن بلال الأسواني المتوفى سنة ٣٧٦^(٤). وكان على رأس فقهاء المالكية في فترة من العصر الاخشيدى ابو اسحق محمد بن القاسم ابن شعبان المتوفى سنة ٣٥٥^(٥).

وكان لمصر سبق مذكور في ميدان التصوف وذلك منذ بدء ظهور طوائف الصوفية في مصر مهد الرهينة المسيحية^(٦). وكان ذو النون المصرى المتوفى بالجيزة سنة ٢٤٥ من أكبر النساك في بداية التصوف ويعد من أقطاب الصوفية وله فضل كبير في وضع كثير من التعاليم الصوفية التي نعرفها الآن، بل يقال انه أول شيخ أعلن اعتناقه العقيدة الصوفية^(٧). ومات بمصر قبيل قيام الدولة الاخشيدية قطب آخر من أقطاب الصوفية: هو أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الجمال^(٨).

ومن الصالحاء والصوفية الذين أدركوا العصر الاخشيدى أبو الحسن على بن محمد بن سهل الدينورى المتوفى بمصر سنة ٣٣١، وأبو الخير الأقطع المتوفى سنة ٣٤٣، ومن الصوفية في هذا العصر أبو على الحسن بن أحمد الكاتب المصرى المتوفى سنة ٣٤٣، وأبو بكر محمد ابن أحمد بن سهل الرملى النابلسى. وكان الأخير يكره الفاطميين حتى يروى أنه قال: لو كان معى عشرة أسهم رميت الروم بسهم ورميت بنى عبيد بتسعة. فلما فتح الفاطميون مصر قتله المعز سنة ٣٦٣، ويروى أن لهذا الصوفى قصة مع كافور تشبه قصة هذا الأمير

(١) الادفوى: الطالع السعيد ص ٣٦٤، والسكندى: الحولة والقضاة ص ٥٣٢ — ٥٣٤

(٢) السيوطى: حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٢

(٣) السيوطى: المرجع نفسه، وقد ذكره الادفوى في الطالع السعيد ص ٧٤ باسم أبى جعفر

أحمد بن محمد بن هارون بن موسى الاسوانى.

(٤) الادفوى: الطالع السعيد ص ٣٦٦

(٥) السيوطى: حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤١

(٦) السكندى: الحولة والقضاة ص ١٦٢، والمقرئى: الخطط ج ١ ص ١٧٣

(٧) R. L. Nicholson: Studies in Islamic Mysticism

(٨) السيوطى: حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٣ — ٢٤٤

مع الشيخ أبى عبد الله بن جاباز ، وهى القصة التى رويها عند الكلام على أخلاق كافر^(١) . وبيان ذلك أن كانه را الاخشيدى بعث الى أبى بكر محمد بن احمد بن سهل الرملى بهدية من المال فردها وقال : قال الله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» ، فلاستعانة بالله تكفى ، فرد كافر الرسول بالمال اليه وقال له : قال الله تعالى « له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى »^(٢) فأين ذكر كافر هنا ؟ فقال أبو بكر : صدق ، الملك والمال لله ، كافر صوفى لا أنا ، ثم قبل المال^(٣) .

* * *

وانتقلت من العراق الى مصر فى القرن الثالث الهجرى صورة من خلافت المتكلمين ، وذلك منذ بعث المسأمون الى ولاية الأماص بمنشوره الذى أمر فيه بأخذ العلماء والقضاة بخلق القرآن . وقد ورد كتاب المسأمون على كيدر والى مصر سنة ٢١٨ هـ فامتحن قاضيا وفقهاءها وقالوا بخلق القرآن^(٤) . وما لبثت هذه الحركة أن اشتدت فى خلافة الواثق ، وقد كتب السكندى فى هذا الصدد : « أن أمر الخنة كان سهلا فى ولاية المعتصم لم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أو أبوا ، حتى مات المعتصم وقام الواثق سنة سبع وعشرين ومائتين فأمر بأن يؤخذ الناس بها ، وورد كتابه على محمد بن ابى الليث بذلك . وكأنها نار أضمرت . . . فلم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالحنة . فهرب كثير من الناس وملئت السجون بمن أنكر الخنة وأمر ابن ابى الليث بالاكتتاب على المساجد : لا اله الا الله رب القرآن الخلق . فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد وأمرهم أن لا يقربوه »^(٥) .

(١) أنظر صفحة ١٣٥ إلى ١٣٧ من هذا الكتاب .

(٢) قرآن كريم سورة طه ، الآية ٦

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٥

(٤) السكندى : الولاية والقضاة ص ١٩٣ و ٤٤٥

(٥) المرجع نفسه ص ٤٥١

وكان المعتزلة في القرن الثالث الهجري يعالجون مسائل كلامية محضة ودفنوا خصوصهم في القرن الرابع الى الاجابة عن هذه المسائل^(١) . وفي مصر أثير الجدل في الاعتزال فاعتنقه قوم ورفضه آخرون . وظلت حركة المعتزلة في مصر حتى بعد أن ورد كتاب المتوكل على الوالي هرثمة بن النضر سنة ٢٣٤ « يأمر بترك الجدل في القرآن »^(٢) وهكذا شاهدت مصر في العصرين الطولوني والاخشيدي بعض من يعتنقون مذهب الاعتزال .

وروى ابن زولاق أن سيديوه المصري كان معتزليا وكان « يظهر الكلام في الاعتزال في الطرق والاسواق » وكان الناس يتحملون ذلك منه لاعتقادهم أنه لم يكن سليم العقل تماما . وقال ابن زولاق أن سيديوه أخذ علم الاعتزال عن أبي علي محمد بن موسى القاضي الواسطي وكان وجه المتكلمين بمصر . ويروى أن سيديوه كان يوم الجمعة في سوق الوراقين^(٣) في جمع كبير ، وفي الحاضرين أبو عمران موسى بن رباح الفارسي المتكلم أحد شيوخ المعتزلة المشهورين ، وكان سيديوه بصيح ويقول : الدار دار كفر أحسبكم أنه ما بقى في هذه البلدة العظيمة أحد يقول القرآن مخلوق إلا أنا وهذا الشيخ أبو عمران أبقاه الله ، فقام أبو عمران يعدو حافيا خوفا على نفسه حتى لحقه رجل يغلته^(٤) .

(١) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣١٣

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٩٧

(٣) نلاحظ أنه لم تكن هناك مدارس في العصر الاخشيدي وإنما كانت الدروس تلقى في المساجد وفي بيوت عالية القوم ، ولم تكن سوق الوراقين لبيع الكتب ونسخها بحسب ولكنها كانت مجمعا للأدباء ومحلا للمناظرات .

(٤) ابن زولاق : أخبار سيديوه المصري ص ١٨ — ١٩ و ص ٢٣ — ٢٤

(٢)

الأدباء

كان حظ النثر الفنى أعظم من حظ الشعر فى العصر الاخشيدى . وكان فى هذا النثر
المسجحة العراقية والميل إلى السجع والمزاوجة مع إطناب فى اللفظ وتكرار المعنى وإقبال
على الجمل القصيرة ^(١) .

وكان زعيم الكتاب فى هذا العصر ابراهيم بن عبدالله بن محمد النجيسى . وكان خبيراً
بعلوم العربية ، أخذ النحو عن الزجاج وأخذ عنه بعض المصريين ومنهم أبو الحسين المهلبى
وجنادة اللغوى . ومن انشائه الكتاب الذى أرسله الاخشيد الى المانوس ملك الروم ^(٢) ،
وكان قد ورد الى الاخشيد « كتاب المانوس عظيم النصرانية يفتخر فيه ويزعم أن له المنة
عليه فى خطابه إذ جرت عادته ألا يخاطب إلا خليفة » ^(٣) فقرأ هذا الكتاب على الاخشيد
فطلب الى كتابه إعداد رد له ، وكتب جماعة منهم ، ووقع اختيار الأمير على الرد
الذى أعده النجيسى فأرسله الى حاكم بيزنطة . وقد أعجب النجيسى نفسه بالكتاب
فنسخ منه نسخاً وأتقدها الى العراق يفتخر بها ^(٤) . ولما كان لهذا الكتاب شهرة كبيرة
فى تاريخ الاخشيديين والنثر فى عصرهم فانا ننقله فيما يلى ^(٥) :

« من محمد بن طنج مولى أمير المؤمنين ، الى أرمانوس عظيم الروم ومن يليه . سلام
بقدر ما أتم له مستحقون ، فانا نحمد الله الذى لا اله إلا هو ونسأله أن يصلى على محمد
عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

(١) أنظر أحمد أمين بك : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٧٣ وزكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع .
(٢) هورومانوس لسكاينوس Romanus Lucapenus الذى استولى على عرش بيزنطة من سنة
٩١٩ إلى ٩٤٤ وكان الأمر الناهى فحجب بذلك الأمبراطور قسطنطين السابع بورفروجينيتوس
Constantine Porphyrogenitus الذى امتد حكمه نظرياً من ٩١٢ إلى ٩٥٩ . (٣٠٠ — ٥٣٤٨)

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ١٨

(٤) المرجع نفسه ص ٢٣

(٥) المرجع نفسه ص ١٨ — ٢٣ ، والقلمشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٠ — ١٨

أما بعد ، فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا واسحاق رسوليك ، فوجدناه مفتتحا بذكر فضيلة الرحمة ، وما نمتى عنا اليك ، وصح من شيمنا فيها لديك ، وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة في رعايانا ، وما وصلت به هذا القول من ذكر الفداء والتوصل الى تخليص الأخرى الى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهمناه .

فأما ما أطنبت فيه من فضيلة الرحمة فمن سديد القول ، الذي يليق بذوى الفضل والنبيل . ونحن بحمد الله ونعمه علينا بذلك عارفون ، واليه راغبون ، وعليه باعثون ، وفيه بتوفيق الله ايانا مجتهدون ، وبه متواصون وعاملون ، وإياه نسأل التوفيق لمرشد الأمور وجوامع المصالح بمنه وقدرته .

وأما ما نسبته الى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فأنا نرغب الى الله جل وعلا الذي تفرد بكامل هذه الفضيلة ، ووهبها لأوليائه ثم أثابهم عليها ، أن يوفقنا لها ، ويجعلنا من أهلها ، ويسرنا للاجتهاد فيها ، والاعتصام من زيغ الهوى عنها ، وعرة القسوة بها ، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك موقوفا على طاعته ، وموجبات مرضاته ^(١) ، حتى نكون أهلا لما وصفنا به ، وأحق حقا بما دعوتنا اليه ، ومن يستحق الزلفى من الله تعالى ، فأنا فقراء الى رحمته . وحق لمن أنزله الله بحيث أنزلنا ، وحمله من جسيم الأمر ما حملنا ، وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بمولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، أن يبتهل الى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فإن ذلك اليه وبيده : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المكاتبية لما يقتضيه عظم ملككم ، وأنه الملك القديم الموهوب من الله ، الباقي على الدهر ، وانك انما خصصتنا بالمكاتبية لما تحققته من حالنا عندك ، فإن ذلك لو كان حقا ، وكانت منزلتنا كما ذكرته تقصر عن منزلة من تكاتبه ، وكان لك في ترك مكاتبتنا غم ورشد ، لسكان من الأمر البين أن أحظى وأرشد وأولى من حال محلك أن يعمل بما فيه صلاح رعيته ، ولا يراه وصمة ولا نقيصة ولا عيبا ، ولا يقع في معاناة صغيرة من الأمور

(١) أهلها : موجها لمرضاته .

تعقبها كبيرة ، فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار ، ويجحوظ النجار ، ويعرض مهمته ، فيما ينفع رعيتيه . والذي تجشمته من مكاتبنا ان كان كما وصفته فهو أمر سهل يسير ، لأمر عظيم خطير ، وجل نفعه وصلاحه وعائده تخصمكم ، لأن مذهبنا انتظار إحدى الحسينين ، فمن كان منسأ في أيديكم فهو على بينة من ربه ، وعزيمة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو بسبيله ، وإن في الأسارى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشده البأساء على نعيم الدنيا وخيرها لحسن منقلبه ، وحيد عاقبته ، ويعلم أن الله تعالى قد أعاده من أن يفتنه ، ولم يعذه من أن يبئليه . هذا الى أوامر الانجيل الذى هو إمامكم ، وما توجيه عليكم عزائم سياستكم ، والتوصل الى استنقاذ أسرائلكم . ولولا أن إيضاح القول فى الصواب ، أولى بنا من المساحة فى الجواب ، لأضربنا عن ذلك صفحا . إذ رأينا أن نفس السبب الذى من أجله سما الى مكاتبة الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أو عدا عنهم الى من حل محلنا فى دولتهم ، بل الى من نزل عن مرتبتنا ، هو أنه لم يثق من منعه ، ورد ملتسمه ممن جاوره ، فرأى أن يقصده الخلفاء الذين الشرف كده فى اجابتهم ، ولا عار على أحد وان جيل قدره فى ردهم ، ومن وثق فى نفسه ممن جاوره ، وجد قصده أسهل السبيلين عليه ، وأدانها الى ارادته ، حسب ما تقدم لها من تقدم . وكذلك كاتب من حل محلنا من قصر عن محلنا ، ولم يقرب من منزلتنا ، فهما لكنا عدة ، كان يتقلد فى سائف الدهر كل مملكة منها ملك عظيم الشأن .

فهما ملك مصر الذى أطفى فرعون على خطر أمره ، حتى ادعى الالهية وافتخر على نبي الله موسى بذلك .

ومنها ممالك اليمن التى كانت للتبابعة ، والاقبال العباهة : ملوك حمير ، على عظم شأنهم ، وكثرة عددهم .

ومنها أجناد الشام التى منها جند حمص ، وكانت دارهم ودار هرقل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها . ومنها جند دمشق على جلالته فى القديم والحديث ، واختيار الملوك المتقدمين له . ومنها جند الأردن على جلاله قدره ، وأنه دار المسيح صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والحواريين . ومنها جند فلسطين

وهي الأرض المقدسة ، وبها المسجد الأقصى ، وكرسی النصرانية ، ومعتقد غيرها ، ومحج
النصارى واليهود طرا ، ومقر داود وسليمان ومسجدهما . وبها مسجد إبراهيم وقبره
وقبر اسحاق ويعقوب ويوسف وإخوته وأزواجهم عليهم السلام ، وبها مولد المسيح
وأمه وقبرها .

هذا إلى ما نقله من أمر مكة المحفوفة بالآيات الباهرة ، والدلالات الظاهرة ،
فانا لو لم نقلد غيرها لكانت بشرفها وعظم قدرها وما حوت من الفضل توفى
على كل مملكة ، لأنها محج آدم ومحج إبراهيم وارثه ومهاجره ومحج سائر الأنبياء
وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام وداره وقبره ومنبت ولده ومحج العرب على من الحقب .
ومحل أشرفها وذوى أخطارها على عظم شأنهم ونخامة أمرهم . وهو البيت العتيق ،
المحرم المحجوج إليه من كل فج عميق ، الذى يعترف بفضله وقدمه أهل الشرف ،
من مضى ومن خلف ، وهو البيت المعمور ، وله الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بترتبه ، وإنها مهبط الوحى ،
وبيضة هذا الدين المستقيم الذى امتد ظله على البر والبحر ، والسهل والوعر ، والشرق
والغرب ، وصحارى العرب على بعد أطرافها ، وتنازح أقطارها ، وكثرة سكانها
في حاضرتها وباديتها ، وعظمتها في وفودها وشدتها ، وصدق بأسها ونجدتها ، وكبر
أحلامها ، وبعد مراتبها وانعقاد النصر من عند الله براياتها . وإن الله تعالى أباد خضراء
كسرى وشرذ قيصر عن داره ومحل عزه ومجده بطائفة منها . هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا ،
وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسى من أعظم كراسيكم : بيت المقدس وأنطاكية ،
والاسكندرية . مع ما لنا من البحر وجزأره ، واستظهارنا بأتم العناد . وإذا وفيت
النظر حقه علمت أن الله تعالى قد أصفانا بجبل الممالك التى ينتفع الأنام بها ، وبشرف الأرض
المخصوصة بالشرف كله دنيا وآخرة ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك
فوق كل منزلة ، والحمد لله ولى كل نعمة .

وسياستنا لهذه الممالك قريبتها وبمبيدها على عظيمها وسعتها بفضل الله علينا وإحسانه
الينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا ، كما كتبت الينا وصح عندك من حسن السيرة ، وبما يؤلف
بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية وجميعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ،
وبوسمها الأمن والدعة في المعيشة ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً على نعمه التي تفوت عندنا عدد العادين ،
وإحصاء المجتهدين ، ونشر الناشرين ، وقول القائلين ، وشكر الشاكرين . ونسأله
أن يجعلنا ممن تحدث بنعمته عليه شكراً لها ، ونشراً لما منحه الله منها ومن رضى
اجتهاده في شكرها ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ، وكان سعيه مشكوراً ،
انه حميد مجيد .

وما كنت أحب أن أباهيك بشيء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز الاستيفاء لما وهبه
الله لنا من شرف الدين الذى كترمه وأظهره ، ووعدنا فى عواقبه الغلبة الظاهرة ، والقدرة
القاهرة ثم الفوز الأكبر يوم الدين . لكنك سلكت مسلكاً لم يحسن أن نعدل عنه ،
وقلت قولاً لم يسعنا التقصير فى جوابه ، ومع هذا فأنا لم نقصد بما وصفناه من أمرنا
مكائرتك ، ولا اعتمادنا تعيين فضل لنا نفوذ به ، إذ نحن نكرم عن ذلك ، ونرى
أن نكرمك عند محلك ومزلتك ، وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك فى الخير
ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن فى يدك من أسرى المسلمين ، وعطفك عليهم ، وتجاوزك
فى الاحسان اليهم ، جميع من تقدمك من سلفك . ومن كان محموداً فى أمره ، رُغب
فى محبته ، لأن الخير أهل أن يحب حيث كان . فان كنت إنما تؤهل لمكاتبتك ومماثلتك
من اتسعت مملكته ، وعظمت دولته ، وحسنت سيرته ، فهذه ممالك عظيمة ، واسعة
حجة ، وهى أجل الممالك التى ينتفع بها الأنام ، وسر الأرض المخصوصة بالشرف . فان الله
قد جمع لنا الشرف كله ، والولاء الذى جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه
مخصوصين بذلك الى مالنا بقديمنا وحديثنا وموقعنا . والحمد لله رب العالمين الذى جمع
لنا ذلك بمنه واحسانه ، ومنه نرجو حسن السعى فيما يرضيه بلطفه ولم يبطو عنك أمرنا
فما اعتمادنا .

وان كنت تجرى في المكاتبه على رسم من تقدمك فانك لو رجعت الى ديوان بلدك ، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل محلنا ، ولا أغنى غنائنا ، ولا ساس في الأمور سياستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ما قلدنا ، ولا فوض اليه ما فوض الينا . وقد كوتب أبو الجيش خنارويه بن أحمد بن طولون . وآخر من كوتب تكين مولى أمير المؤمنين ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها .

ونحن نحمد الله كثيرا وآخرا على نعمه التي يفوت عندنا عددها عد العادين ، ونشمر الناشرين . ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة ، ولكننا قصدنا بما عددنا من ذلك حالات: أولها ، التحدث بنعمة الله علينا ، ثم الجواب عما تضمنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكاتبه ، وتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك . وعندنا قوة تامة على المكافأة على جميل فملك بالأسارى وشكر واف لما توليهم وتنوخاه من مسرتهم إن شاء الله تعالى وبه الثقة ، وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة ، والتوفيق للسداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يحبه ويرضاه ويثيب عليه ، ويرفع في الدنيا والآخرة أهله بمنه ورحمته .

وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر لأنه موهوب لكم من الله خاصة ، فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . وإن الملك كله لله يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير واليه المصير ، وهو على كل شيء قدير . وإن الله عز وجل نسخ ملك الملوك وجبرية الجبارين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين وشفع نبوته بالامامة وحازها الى العترة الطاهرة من العنصر الذي منه أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والشجرة التي منها غصنه ، وجملمها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر ، ويلقبها ماض الى غابر ، حتى تجز أمر الله ووعدده ، وهر نصره وكتبه ، وأظهر حجته وأضاء عمود الدين بالأئمة المهتدين ، وقطع دابر الكافرين ليحقق ويبطل الباطل ولو كره المشركون حتى يرث الله الأرض ومن عليها واليه يرجعون .

وإن أحق ملك أن يكون من عند الله وأولاه وأخلفه أن يكلفه الله بحراسته وحياطته ، ويخفه بعزه وأيده ، ويحمله بهاء السكينة في بهجة الكرامة ، ويحمّله بالبقاء والنجاح ملاح فجر ، وكر دهر ، ملك امامة عادلة خلفت نبوة فجرت على رسمها وسانها ، وارسمت أمرها ، وأقامت شراستها ، ودعت الى سبيلها ، مستصرة بأيديها ، منجزة لوعدها ، وإن يوما واحدا من امامة عادلة خير عند الله من عمر الدنيا تملسكا وجبرية . ونحن نسأل الله تعالى أن يديم نعمه علينا ، واحسانه الينا بشرف الولاية ثم بحسن العاقبة بما وفر علينا نخره وعلاؤه ، ومجده واحسانه ان شاء الله ، وبه الثقة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأما الفداء ورأيك في تخليص الأسرى ، فانا وان كنا واثقين لمن في أيديكم احدى الحسينيين ، وعلى بيضة لهم من أمرهم ، وثبات من حسن العاقبة وعظم المثوبة ، عالمين بما لهم ، فإن فيهم من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا ولذتها ، سكونوا الى ما يتحققه من حسن المنقلب وجزيل الثواب . ويعلم أن الله قد أعاده من أن يفتته ، ولم يعذه من أن يبتليه ، وقد تبينا مع ذلك في هذا الباب ما شرعه لنا الأئمة الماضون ، والسلف الصالحون فوجدنا ذلك موافقا لما التمسته ، وغير خارج عما أحببته ، فسررنا بما تيسر منه ، وبعثنا الكتب والرسل الى عمالنا في سائر أعمالنا ، وعزما عليهم في جمع كل من قبلهم وأتباعهم بما وفر الايمان في انقاذهم ، وبذلنا في ذلك كل ممكن ، وأخرنا اجابتك عن كتابك ليتقدم فعلنا قولنا ، وأنجزنا وعدنا ، ويوشك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن الموقع منك ان شاء الله .

وأما ما ابتدأته به من المواصلة ، واستشعرته لنا من المودة والمحبة ، فان عندنا من مقابلة ذلك ما توجيه السياسة التي تجمعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلفنا على تباين النحل ، فان ذلك من الاسباب التي تخصنا واياك . ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رسلك وبسطهم ، والاستماع منهم والاصفاء اليهم والاقبال عليهم ، وتلقينا انبساطك الينا والطافك ايانا بالقبول الذي يحق علينا ، ليقع ذلك موقعه . وزدنا في توكيد ما اعتمده ما حملناه رسلك في هذا الوقت ، على استقلالنا

ياه ، من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعدله وحكمته أودع كل قرية صنفاً ليتشوف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سبباً لعلمارة الدنيا ومعايش أهلها . ونحن نفرذك بما سلمناه الى رسولاك لتقف عليه ان شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكننا أصحابك منه ، وأدنا لهم في البيع وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة . وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأنا به ورعايته ، ورُبّ ما غرسته ، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك . والله يعين على ما تنويه من جميل ، ونعتقده من خير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتداءً بجميل لزمه الجرى عليه والزيادة ، ولا سيما اذا كان من أهله وخليفاه به ، وقد ابتدأنا بالمؤانسة والمباسطة ، وأنت حقيق بعارة ما بيننا وباعتقادنا بجوانحك وعوارضك قبلنا ، فأبشر بتيسير ذلك ان شاء الله .

والحمد لله أحق ما ابتدئ به ، وختم بذكره ، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلم تسليماً .

ولم يكن النجيري من كتاب الرسائل والانشاء فحسب ، بل كان ينظم الشعر في بعض الأحيان . وقد قيل في هذا الصدد ان الفضل بن عباس دخل على كافور الاخشيدي فقال له : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ (بكسر الميم) فتبسم كافور إلى أبي اسحاق النجيري فقال أبو اسحاق :

لَا غَرَوَ ان لَحْنَ الداعِي لسيدنا
فمشل سيدنا حالت مهابتُهُ
فان يكن خَفَضَ الأيام عن دهش
من شدة الخوف لامن قلة البصر
فقد تفاءلتُ في هذا لسيدنا
والفأل مأثورة عن سيد البشر
بأن أيامه خَفَضَ بلا نَصَبٍ
وان دولته صفو بلا كَدَرٍ

فأمر له كافر بثلاثمائة دينار ولابن عباس بمنها^(١) .

ومن أدباء العصر الاخشيدى ابن سيويوه المصرى . وهو أبو بكر محمد بن موسى ابن عبد العزيز السكندى الصيرفى المعروف بسيويوه ولد بمصر سنة ٢٨٤ وتوفى سنة ٣٥٨ وكتب بن زولاق أن سيويوه كانت فيه « خلال تشبه المتقدمين والمتصدرين ، كان بحفظ القرآن ويعلم كثيراً من معانيه وقرآته وغريبه وإعراجه وأحكامه عالماً بالحديث وغريبه ومعانيه وبالرواة ويعرف من النحو والغريب ما لقب بسيويوه . ويعرف صدرا من أيام الناس والنوادر والأشعار ، وتفقه على قول الشافعى »^(٢) .

وكان سيويوه من تلاميذ أبى بكر محمد بن أحمد بن الحداد فقيه العصر الاخشيدى . وبلغ من علو مكانته فى الأدب ومن فكاهته فى المنادمة ان جالس أو نوجور بن الاخشيد والحسين بن محمد الماذرائى . وقد رأينا فى الصفحات السابقة أنه كان يقول بالاعتزال ومما يروى فى هذا الصدد أنه قال لأستاذه ابن الحداد ذات يوم : أيدك الله امتنعت من القول بخلق القرآن وجعلت الخالق عدد آى المصحف ! وبدا كأن ابن الحداد لم يفهم ما أراد سيويوه فقال : كيف قلت يا أبابكر ؟ فقال : نعم ! إذا لم تقل أنه مخلوق فهو خالق : فقال له أبو بكر بن الحداد : لا تدخلنى فيما لا أعرف^(٣) .

ويبدو أن أحد الشيوخ الذين درس عليهم سيويوه أدرك أنه يطلب العلم لوجه الله والعلم فقال له يوما : لو كان كل من سمع منى مثلك لما استحللت أن اكتبتم ، وكنت أنا أمضى إليهم !^(٤) . وهذا قول يكشف عن جانب من الحياة العلمية فى هذا العصر . ويشهد بأن كثيراً من طلبية العلم فيه كانوا ينشدون الأهداف المسادية حتى اضطر مثل هذا الأستاذ إلى التصريح بأنه لو كان كل تلاميذه مثل سيويوه لسعى إليهم بنفسه ولما استحل أن يكتبكم من علمه شيئاً .

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ١ ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة

ج ٤ ص ٣

(٢) ابن زولاق : أخبار سيويوه المصرى ص ١٧ — ١٨

(٣) المرجع نفسه ص ١٩

(٤) المرجع نفسه ص ١٩

وكان سيديوه يحضر مجالس العلم في الجامع العتيق وعند علية القوم وفي سوق الوراقين، ثم اعتل بمرض السوداء وقيل إنه وقع في بئر فأصابه مس من الحبل أو الشدوذ وأصبح يمد من عقلاء المجانين حتى عني ابن زولاق — وكان زميلا له في الدرس — بجمع أخباره وتسجيل جزء من نثره ونظامه المرتجل وأخباره مع الأمراء ووجوه القوم في عصره، ولا سيما من تناولهم بالنقد اللاذع والتهم المر.

وقيل ان صالح بن نافع — أحد كبار الحاشية في العصر الاخشيدى — مر على سيديوه ذات يوم في موكب كبير بالحجاب والجند فنذكر سيديوه — وكان زميلا له في الكتاب — أن أبا صالح كان شيخاً نوبيا يسمسر في العطر وأن صالحاً كان عطاراً مع أبيه وغازله الموكب الذي يتعالى فيه على الناس فصاح به : «أى شيء هذا أنت فاسد ابن ضارا ارجع إلى شد الاشنان والسدر والزرنيخ» فأمر صالح بن نافع بأن يحمل سيديوه إلى المارستان . ولكن الناس غضبوا لذلك فاستدعى الاخشيد سيديوه وسأله في بعض المسائل العلمية واقتنع بفضله فأطلقه وأمر صالح بن نافع بأن يعتذر ويحسن إليه ^(١).

وكان سيديوه اشتراكي الميول يكره الأغنياء وعليه القوم ، وكان معظمهم يخشونه ويتقون شره ، وله في ذلك نوادر كثيرة . منها أن رجلا سأله عن رأيه في أصحاب المهن فسأله سيديوه عن مهنته وعلم أنه يصنع الحصر ، فقال : أى حصر ؟ التي تعمل اعتباراً أو تعمل افتخاراً ؟ فقال الرجل : حصر السامان والعبادان ^(٢) ، فقال سيديوه : هذه حصر الافتخار لا تحل لك لأنك سبب الفتنة بعمل الحصر السامان فيستزيد الغنى ويقول أنا أجلس على حصر سامان ، وأما حصر الاعتبار فحصر الحلفا التي يأوى إليها الفقراء والعبدان والمساكين والسودان ^(٣).

وقيل إن سيديوه رأى الناس يوم جمعة قد اجتمعوا في الطرقات فأكتظت بهم فصاح : ماهذه الأشباح الواقفة والتماثيل الماكفة ؟ سلط عليهم قاصفة يوم ترجف الراجفة تبعها

(١) ابن زولاق : أخبار سيديوه المصرى ص ٢٥ — ٢٧

(٢) كان أشهر الحصر ما يصنع بعبادان وكانت حصرها تقلد في مصر وفارس ، أنظر متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٤ وما ذكره من المراجع القديمة .

(٣) ابن زولاق : أخبار سيديوه المصرى ص ٢٧

الرادفة وتغلي قلوبهم واحفة ! فقال له رجل : هو الاخشيد ينزل الى الصلاة . فقال :
 هذه للأصلع البطين المسمن البدن ، قطع الله منه الوتين ولا سلك به ذات اليمين ! أما كان
 يكذبه صاحب ولا صاحبان ولا حاجب ولا حاجبان ولا تابع ولا تابعان ، لا قبل الله له
 صلاة ولا قرب له زكاة ، وعمّر بحجته الفلاة ^(١) !

وروى أن سيديوه رأي جعفر بن الفرات وقد ركب في موكب عظيم بعد موت كافور
 فقال : ما بال ابن الفضل قد جمع كتابه ولفق أصحابه وحشد بين يديه حجّابه وشمّس
 أنفه وساق العساكر خلفه!؟ أبلغه أن الاسلام طرق فخرج ينصره ، أو أن ركن الكعبة
 سرق فخرج لهذا الأمر يفكره!؟ فقال له رجل : هو اليوم صاحب الأمر ومدبر الدولة .
 فقال : يا عجبا ! أليس بالأمرس نهب الأتراك داره ودكدكوا قراره وأظهروا عواره
 حتى أصبح عنهم مستترا ومنهم متحجراً ، وهم إذك بدعونه وزيراً ، صيره اليوم عليهم
 أميراً!؟ ما عجب فيهم كيف رضوه ونصبوه ، بل عجب فيهم كيف تولى أمرهم وأمس غدرهم ^(٢) .
 ومما يدعو الى شيء من العجب أن سيديوه المصرى كان يملن سيخظه على كافور
 غير هياب ^(٣) وكان كافور يعلم ذلك وبأسف لأن بعض عليه القوم كانوا يشملونه برعايتهم
 مداراة له وتخلصاً من لسانه ^(٤) . ولكن هذا الأمير لم يتخذ أى إجراء إيجابي لعقابه
 أو القضاء عليه أو الانتقام منه .

ومهما يكن من الامر فان سيديوه امتاز بنثر غنى بالسجع الذى يشبه سجع الكهان ،
 ولكن بعض هذا النثر خفيف على السمع وتظهر فيه الصنعة الفنية

وكان لسيديوه شعر سهل ولسكنه فقير الى الصور الشعرية العالية ، ومن ذلك قوله :
 واخترت لنفسك ما زادت فواضله على نواقصه تختّر بقسطاس
 واقصد إلى العلم لا تطلب به بدلاً فالعلم من أجله كوّنت في الناس

(١) ابن زولاق : اخبار سيديوه المصرى ص ٢٨

(٢) المرجع نفسه ص ٥٣

(٣) المرجع نفسه ص ٣٢ و ٤٠ و ٤٦

(٤) المرجع نفسه ص ٣٤ و ٣٥ و ٤١ و ٤٣

وانبئنا مقالة مَنْ يَنْهَكَ عن نظري نبدَّ الطبيبِ لداءِ القُرْحَةِ الآسِي^(١)

، منه قوله حين حجبه البواب عن أحد معارفه من عليّة القوم :

أنا بالبَابِ واقِفٌ من صلا ة الصبِحِ في السَّرْجِ ممسِكٌ لعِنايِ

ويَعانِي البوابُ ما أنا فيه وَيَرَانِي كَأَنَّهُ لا يَرَانِي

واعْتَمَدَ أَنْ اسْتَخَفَّ بِمولا ه وإِسقاطِهِ من الإِخوانِ

أَوْ يَزِيلَنَّه بَصْفَعٍ وَجَمِيعٍ في قفاهِ أَوْ يورِمُ الأَخْدَعانِ^(٢)

وكان سيديويه مع ذلك خبيراً بنقد الشعر . ويروي أنه لقي المتنبي وأنكر عليه قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

وقال : هذا كلام فاسد لأن الصداقة ضد العداوة والصداقة مأخوذة من الصدق

ولو كان قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من مداراته بد

لـكان أحسن وأجود^(٣) .

* * *

أما الشعر في العصر الاخشيدى فكان هزئلا ، وهذه ظاهرة تستحق النظر لأن مصر أخرجت في هذا العصر من الفقهاء والنحويين والمؤرخين من يضاؤون نظراءهم في العراق كما أن فنون العبارة والفنون الزخرفية في هذا العصر كانت تشابه الفنون العباسية في العراق ، ولكننا لا نجد من الشعراء المصريين فيه من يساوي شعراء العراق أمثال أبي تمام والبحتري وابن الرومي^(٤) .

(١) ابن زولاق : أخبار سيديويه المصري ص ٢٠

(٢) المرجع نفسه ص ٣٥

(٣) المرجع نفسه ص ٤٤

(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٧١ — ١٧٢

ومهما يكن من الامر فقد ظهر بمصر في العصر الاخشيدى طائفة من الشعراء ،
ومنهم أحمد بن محمد بن اسماعيل بن القاسم بن ابراهيم طباطبا نقيب الطالبين المتوفى
سنة ٣٤٥^(١) أو سنة ٣٥٢^(٢) . وقد كتب ابن سعيد أن له أدبا واسعا وشعرا مليحا
في الزهد والغزل^(٣) ، وروى بعض مقتطفات من شعره^(٤) ، كما روى الثعالبي أبيانا
من مختاراته ومن بينها :

خليلي انى للثريا لحاسدُ وإنى على صَرف الزمان لواجدُ
أبقى جميعها شملها وهى سبعةُ وأفقدُ من أحببتهُ وهو واحدُ
كذلك من لم تخترمهُ منيةُ يَرى عجباً فيما يرى ويُشاهدُ^(٥)
والملاحظ أن معظم ما روى من شعره في الغزل والوصف^(٦) ، اللهم إلا ثلاثة أبيات
من الشعر السياسى نظمها في الخلاف على ولاية مصر بعد وفاة الاخشيد ، وقد سبق
ذكرها^(٧) .

ومن شعراء العصر الاخشيدى القاسم بن احمد الرسى وهو ابن الشاعر السابق
وقد روى ابن سعيد والثعالبي طائفة من شعره^(٨) . وأدرك القاسم الدولة الفاطمية .
ومن طريف شعره يهجو ابن كلس ويحذر منه المعز الخليفة الفاطمى :

توقَّ معزَّ الدين شوَّمَ ابنِ كَلَسِ ولا تقبلنَّ منهُ مقالَ مُدلسِ
فانَّا أرذناهُ لكافورَ شربةٍ فزادَ على تقديرنا ألفَ مجاسِ^(٩)

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٨

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٥١

(٣) المرجع نفسه ص ٤٩

(٤) المرجع نفسه ص ٤٩ — ٥١

(٥) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧٠

(٦) النواجى : حلبة الكهيت ص ٣٣٩

(٧) أنظر صفحة ٩٤ من هذا الكتاب .

(٨) ابن سعيد : المغرب ص ٥١ ، والثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧٠ — ٣٧١

(٩) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧١

وكان من أفراد أسرة طباطبا شعراء آخرون مثل إبراهيم بن أحمد الرسى وابنه الحسين بن إبراهيم^(١) .

ومن شعراء الاخشيد سعيد قاضى البقر . وكان مقربا الى هذا الأمير لما امتاز به من حلول الفكاهة وحسن الحديث^(٢) . ومن شعراء هذا العصر صالح بن رشدين^(٣) وأحمد بن صدقة^(٤) . ومنهم أبو هريرة أحمد بن عصام ، وكان من أصحاب النوادر واللهو والمجون والادمان على شرب الخمر^(٥) ، وكانت له مجالس شرب في بعض الأديرة المشهورة بخمرها العتيق ، وقد وصفها في أشعار رواها المقرئى في الكلام على الديارات بمصر^(٦) .

ومن شعراء العصر الاخشيدى أيضاً محمد بن الحسن بن زكريا ، ومهلل بن يموت . وقد روى لها شعر في رثاء الاخشيد ومدح ابنه اونوجور^(٧) . ومنهم عبد الله بن محمد ابن أبي الجوع^(٨) وصالح بن مؤنس^(٩) .

ومما يؤسف له أن شعرا كثيرا من العصر الاخشيدى فقد ولم تسجله المراجع التى وصلت اليها . ولكن ما نعرفه من شعر هذا العصر يشهد باقبال على اللهو والمجون مع وصف للطبيعة وجمالها^(١٠) ، وحب للفكاهة والدعابة .

ولسنا نريد أن نتحدث هنا عن الشعراء الذين وفدوا على مصر فى العصر الاخشيدى أو أقاموا فيها فترة من الزمن ، لأننا لانزى للطبيعة المصرية أثرا فى شعرهم وحسبنا .

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٧١

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٠٣

(٣) المرجع نفسه ص ٨٧ — ٨٨ ، والثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٧ — ٣٥٨

(٤) ابن سعيد : المغرب ص ٨٧ — ٨٨ ، والثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٨١

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٠٤ والثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٦١

(٦) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٤

(٧) النويرى : نهاية الأرب ج ٥ ص ١٨٤ و ١٨٦

(٨) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٥٣

(٩) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٤٦ — ٣٥١

(١٠) أنظر وصف ابن طباطبا للجلال فى ابن سعيد : المغرب ص ٥٠

أن المتنبي « يسمى المقطم في مدحه لكافور ويسمى الالهرام في رثائه لابي شجاع ويذكر النواظير في هجائه لكافور ويذكر السواقي في مدحه لكافور وتعريضه بسيف الدولة ولكنه لا يزيد على التسمية والذكر . وقد طلب اليه كافور أن يصف دارا جديدة انتقل اليها فلم يزد على أن وصف كافورا وهنأ بالدار ولم يلمهه موقع الدار من النهر والجبل وما يخف بها من الحدايق والبساتين شيئا ولم ير إلا كافورا الذي يستطيع أن يمنح المال والولاية » (١) .

يبد أن أحد هؤلاء الشعراء الوافدين على مصر يجب استثنائه من هذا الحكم أو يجب أن نحسبه مصريا . وهو أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم وقد نشأ في اقليم الرملة الذي كان من املاك الاخشيديين في ذلك العصر . ويشهد ديوان هذا الشاعر بأنه وفد على مصر عدة مرات وأنه كلما بعد عنها حن اليها والى ما بها من الرياض وحياة اللهو والمجون .

ومن شعره في هذا الصدد :

قد كان شوقى إلى مصرٍ يُورِّقُنِي
أغدو إلى الجزيرة الفيحاء مُصْطَحِبًا
بَيْنَنَا أُسَامِي رَيْسًا فِي رِئَاسَتِهِ
أما الشبابُ فقد صاحبتُ شَرَّهُمْ
من شادينٍ من بنى الأقباطِ يعمدُما
ومنه أيضا :

سَلامٌ على دَيْرِ القُصَيْرِ وَسِجْنِهِ
منازلُ كانتَ لي بَيْنَ مَآرِبُ
هُنَالِكَ تَصِفُو لِي مِشَارِبُ لَدُنِي
بِحَنَاتِ حُلُوانٍ إلى النَخَلاتِ
وكانتُ مواخيرى ومُنزَهَاتِي
وتصحبُ أيامُ السُّرورِ حَيَاتِي (٢)

(١) طه حسين : مع المتنبي ص ٥٥١

(٢) ديوان كشاجم ص ٦٤

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٢

(٣)

العلماء

(١) النحويون

أدرك العصر الاخشيدى من علماء النحو احمد بن محمد بن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢^(١) . وهو من أسرة اشتهرت بالدراسات النحوية . وقال عنه المبرد انه شيخ الديار المصرية فى العربية . وقد رحل الى بغداد وأخذ النحو عن الزجاج وعاد الى مصر فألف كتاب «الاتصار لسبويه» وكتاب «المقصود والممدود»^(٢) . ونبع من النحويين بمصر فى بداية العصر الاخشيدى أيضا أبو جعفر النحاس، وقد درس النحو فى العراق عن الأخفش الصغير والمبرد والزجاج وكان زميلا لابن ولاد فى الدراسة بالعراق وفى التدريس بمصر . وقد حذق فضلا عن ذلك علوم القرآن وألف كثيرا فى علوم اللغة وفى الأدب وفى تفسير القرآن وإعرابه ومعانيه ومات سنة ٣٣٨ . وكان له ولابن ولاد الفضل فى اطراد نمو الدراسات اللغوية والنحوية بمصر وتلقى العلم عليهما كثير من المصريين ونشطت حركة التأليف^(٣) .

ومن أدرك العصر الاخشيدى من النحويين المصريين محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم المتوفى سنة ٣٣٠ . وقيل انه كان يعلم الأمراء النحو^(٤) .

(ب) المؤرخون

قد يكون أكبر نصيب لمصر فى الثقافة الاسلامية ما كتبه أبنائها فى التاريخ . وقد نبغ من المؤرخين المصريين فى فجر الاسلام ابن عبد الحكم . أما العصر الاخشيدى فقد أخرج من المؤرخين ابن يونس والسكندى وابن زولاق .

(١) السيوطى : بنية الوعاة ص ١٠٥ و ١١٢ و ١٦٩

(٢) ياقوت : معجم الأديباء ج ٤ ص ٢٠١ — ٢٠٣

(٣) ابن خلسكان : وفیات الأعيان ج ١ ص ٣٥ و ياقوت : معجم الأديباء ج ٤ ص ٢٢٤ — ٢٣٠

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٤

أما ابن يونس الصدفي^(١) فقد تحدثنا عنه في الصفحات السابقة عند الكلام على الفقهاء وذكرنا أنه كان يعنى بالتاريخ ولا سيما للبحث في الحدين . وقيل انه جمع لمصر تاريخين: أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصريين ، والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر الغرباء الواردين على مصر . ويبدو أن بعض معاصريه كانوا لا يثقون بما يكتبه في التاريخ وأن آخرين كانوا يتصدون للدفاع عنه ، كما يتبين من الآيات الآتية التي قبلت في رثائه سنة ٣٤٧ هـ :

أبا سَعِيدٍ وَمَا نَالُوكَ إِنْ نُشِرَتْ
عَنكَ الدَّوَابُّ تُصَدِّقًا وَتُصَوِّبًا
مَازَلْتَ تَلَهَّجُ بِالتَّارِيخِ تَكْتُبُهُ
حَتَّى رَأَيْتَكَ فِي التَّارِيخِ مَكْتُوبًا
نَشَرْتَ عَن مِصْرَ مَنْ سَكَّانَهَا عِلْمًا
مُبْجَلًا بِجَهَالِ القَوْمِ مَنْصُوبًا
كَشَفْتَ عَن فُخْرِهِمُ لِلنَّاسِ مَا سَجَعْتَ
وَرَقُ الحَمَامِ عَلَى الأَغْصَانِ تَطْرِيًا
أَعْرَبْتَ عَن عَرَبٍ نَقَبْتَ عَن نَحْبِ
سَارَتْ مَنَاقِبُهُمْ فِي النَّاسِ تَفْقِيًا
أَنْشَرْتَ مِثْلَهُمْ حَيْمًا بِنَسْبَتِهِ
حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ إِذْ كَانَ مَنْسُوبًا^(٢)

أما الكندي فشيخ المؤرخين المصريين قبل الدولة الفاطمية . وهو محمد بن يوسف ابن يعقوب بن حفص بن يوسف التجيبي الكندي، ولد سنة ٢٨٣ وتوفي سنة ٣٥٠، والراجح أنه تلقى العلم في مصر إذ ليس لدينا ما يشير الى أنه رحل الى غيرها من البلاد . وهما يكن من الأمر فقد درس العلوم الدينية ، ولا سيما الحديث ، ثم انصرف الى التاريخ والتأليف فيه فكتب طائفة من الكتب لم يصل إلينا معظمها ولكنها كانت أساسا لكتب أخرى ألقت في موضوعها في العصور التالية . ومن ذلك أنه ألف كتابا في الخطط^(٣) . وقد أشار

(١) نسبة إلى قبيلة الصدف .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٩ — ٣٥٠

(٣) بدأ المقرئ في الفصل الذي عقده لذكر الخطط التي كانت في مدينة الفسطاط بقوله : « اعلم أن الخطط التي كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة فقبل لتلك في مصر خطة وقيل لها في القاهرة حارة » أنظر المقرئ : الخطط ج ١ ص ٢٩٦ — ٢٩٧

اليه المقرئى حين قال فى مقدمة كتابه « الخطط » ان أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها فى ديوان جمعه هو ابو عمر محمد بن يوسف الكندى ^(١). كما ان أباصالح الأرمى أشار فى كتابه كنائس وديور القاهرة ^(٢) الى كتاب خطط مصر للكندى ، فضلا عن أن ابن دقاق المتوفى سنة ٨٠٩ نقل فى كتابه الانتصار لواسطة عقد الامصار ^(٣) أخبارا عن الكندى يرجح أنها من كتاب عن الخطط لأنها تتصل بالنسطاط وخرائبها . وأزقتها وما الى ذلك .

ويبدو أن الكندى ألف كتاباً عن جامع عمرو وسماه « أخبار مسجد أهل الولاية الأعظم » ^(٤). والمعروف أن أهل الولاية خليط من القبائل التى لم تكن ممثلة فى جيش عمرو بن العاص تمثيلاً يسمح بأن يكون لكل منها خطة مستقلة فى النسطاط ، فجمعهم عمرو فى خطة سماها أهل الولاية . كما ألف الكندى « كتاب الموالى » تحدث فيه عن الموالى الذين ارتقوا فى مصر ونالوا المراتب العالية فترجم لهم وكتب أخبارهم ^(٥). وكتب الكندى مؤلفات أخرى ضاع معظمها . ولكن أعظم مؤلفاته هو الكتاب الذى وصل إلينا ووقف على طبعه المنشرق الأنجليزى جست ، وهو « كتاب الولاية وكتاب القضاة » وقد أشرنا فى التصدير إلى مكانة هذا الكتاب بين المراجع الأصيلة فى تاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح العربى إلى وفاة الأخشيد . والواقع أن المؤرخين المصريين الذين جاءوا بعد الكندى نقلوا عنه كثيراً . ولا ريب أنه سبقهم إلى الكتابة فى خطط مصر وآثارها وفى تاريخ قضاتها . وقد حذا حذوه فى الموضوع الأول ابن زولاق والنضاعى وابن دقاق والمقرئى والأوحدى والسيوطى . ونسج على منواله فى الكتابة عن القضاة ابن زولاق وابن حجر العسقلانى وابن شاهين .

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤

(٢) ص ٢٩ و ٣٢ و ١٠٧

(٣) ج ٤ ص ٧ — ٩ و ١١ و ١٣ و ١٨ و ١٩ و ٢٣ و ٥٣ و ٦٧ و ٨٦ و ١٠٨ و ١٠٩

(٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٤٦ وابن دقاق : الانتصار ج ٤ ص ١٤

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٧١ وج ٢ ص ١٣٧ و ١٦١ وابن دقاق : الانتصار

ومن الأخطاء الشائعة أن الكندي ألف كتاباً في « فضائل مصر »^(١). ولكن الحقيقة أن صاحب هذا الكتاب هو ابنه عمر^(٢). وقد كتب في مقدمته أن الذي أمره بتأليفه هو كافور الاخشيدى وأشار إلى والده الكندي بين العلماء الذين جمع من كتبهم ما أمره به كافور، ثم ذكره ثانية بين علماء مصر « الذين برع كل منهم في مذهبه والذين لسكل واحد منهم من الكتب المصنفة ما يعجز عن نظيرها سائر أهل الدنيا ».

أما ابن زولاق فهو الحسن بن ابراهيم بن الحسين الليثى بالولاء^(٣). ولد سنة ٣٠٦ وتوفي سنة ٣٨٧ ودرس على الفقيه أبى بكر بن الحداد، وعلى المؤرخ أبى عمر الكندي، وعنى بتاريخ مصر وكتب ذيلاً لكتاب أمراء مصر وقضاتها للكندى. كما ألف كتاباً في سيرة الاخشيد، وكتاباً في أخبار سيديوه المصرى^(٤)، وقد تحدثنا عنهما في التصدير. ويبدو أنه ألف كتاباً في سيرة كافور وكتاباً آخر في سيرة الماذرائين. ولعله صنف كتاباً مستقلاً في سيرة محمد بن على الماذرائى^(٥). وألف فضلاً عن ذلك كتاباً في « فضائل مصر » وفي خطط مصر وفي تاريخ مصر على السنين، وكتباً أخرى في سيرة جوهر وسيرة المعز وسيرة العزيز^(٦).

ومن المؤرخين المصريين الذين أدركوا العصر الأخشيدى سعيد بن البطريق المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وهو البطريرك الرومى المملىكانى اقبينشيوس وكان طبيباً مشهوراً بالفسطاط^(٧). ثم نصب بطريكاً على الاسكندرية سنة ٣٢١، وقد عني بالتاريخ وكتب فيه مؤلفاً مشهوراً هو « نظم الجوهر أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » وتحدث فيه عن التاريخ منذ الخليفة إلى العصر الذى عاش فيه.

-
- (١) فى دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من هذا الكتاب (تاريخ ٤٢٢).
- (٢) راجع صفحة ١٤ من المقدمة الانجليزية التى كتبها جست لكتاب الولاة والقضاة.
- (٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦٧، وياقوت: معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٢٥
- (٤) من المحتمل أن مخطوطة أخبار سيديوه المصرى التى طبعت فى مصر ليست تامة، لأن فى بعض كتب الأدب قصصاً عن هذا الأديب لا تضمها هذه المخطوطة، أنظر مثلاً الحصرى القيروانى: زهر الآداب (طبعة زكى مبارك ص ٢٠٦ — ٢٠٧).
- (٥) المقرئى: الخطط ج ٢ ص ١٥٧
- (٦) راجع صفحة ٤٥ من مقدمة جست لكتاب الولاة والقضاة.
- (٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٨٦

الباب العاشر

السياسة الداخلية

السياسة الداخلية

(١)

السياسة الدينية

عرفنا في الأبواب السابقة أن الأمراء الأخشيديين كانوا يعظمون العلويين ويظهرون لهم التقدير في شتى المناسبات . وكانت للأخشيد وللكافور قصص مشهورة في هذا الصدد روينا معظمها في مواضع شتى من هذا الكتاب ^(١) .

ومع ذلك فقد كان الجند السودان والترک يتعصبون على الشيعة ، ولا سيما في آخر عهد الدولة الأخشيدية . وقد بلغت الفتنة في يوم عاشوراء سنة ٣٥٠ ميلغاشديدا في القسطنطينية فشب القتال بين الجند السنين من السودان والترک وبين الشيعة . وكان الجنود يسألون من يقابلونه : من خالك ؟ فإن لم يقل معاوية ضربوه . وطاف أحد المتحمسين من السودان يصيح في الطرقات : معاوية خال علي ! وتبعه العامة . وكانت الحكومة تبذل جهودها في المحافظة على النظام ، والظاهر أن زمام الامور أفلت من يدها في هذه المسألة . وأصبح كثير من الناس يرددون تلك الصيحة التي يعرف بها السنن : معاوية خال علي ! بل إن شيخين من العامة كانا يقفان على باب جامع عمرو في كل يوم جمعة ويناديان في وجوه الناس : معاوية خالي وخال أمير المؤمنين وكاتب الوحى ورفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانا يصيحان في وجه أبي جعفر مسلم الحسيني : معاوية خال علي ، ولما ورد الخبر بقيام بنى حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونههم ، خرج كثير من المصريين فلقوا كافورا الأخشيدى بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا : معاوية خال علي ، وسألوه أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبين ^(٢) .

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٦ و ١٨ و ٣٧ و ٣٨ و ٤٢ و ٤٧ : ٤٨

(٢) القرظي : الخطط ج ٢ ص ٣٤٠

وحدث في سنة ٣٥٣ أن أخذ رجل من كبار الشيعة فضرب وعذب حتى مات في السجن ، فحمل ليلاً ودفن فمضى جمع من الناس لينبشوا قبره وأرسلت الحكومة طائفة من الجند لمنعهم من ذلك وقام قتال بين الجند والعامّة^(١) . واضطر كافور محافظة على النظام إلى فرض نظام يكاد يشبه نظام منع التجول في عصرنا الحاضر وأمر بتشديد الحراسة على أبواب المدينة المؤدية إلى الصحراء ومنع الناس من الخروج^(٢) .

وفي سنة ٣٥٦ كتب الناس على المساجد في مدح الصحابة وتفضيلهم على العلويين فأمر كافور بإزالة ما كتبوا « فحدثه جماعة في إعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال : ما أحدث في أيامي ما لم يكن . وما كان في أيام غيري فلا أزيله . وما كتب في أيامي أزيله . ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها^(٣) .

أما السياسة التي كان الأمراء الاخشيدون يتبعونها مع أهل الذمة فلم تكن سياسة ثابتة . ولكن الواضح من النصوص التاريخية أن الاخشيديين كانوا لا يضطهدون المسيحيين وأن سوء المعاملة التي كانوا يشكون منها في بعض الأحيان لم تكن موجهة إليهم بصفهم الطائفية وإنما كان الأمراء الاخشيديون ولا سيما الاخشيد نفسه يعملون على مصادرة أموالهم أحياناً كما كانت تصادر أموال كثير من المسلمين في ذلك العصر .

وكان الخلاف بين المسيحيين ينتهي الى الأمير الاخشيدى في بعض الحالات ، فيفصل فيه بشيء من العنف . وقد ينهز الفرصة فيعمل على أن ينال شيئاً من أموال الكنيسة أو كنوزها^(٤) .

وكان موضوع بناء الكنائس وتعميرها من الموضوعات التي لم يكن للمسلمين فيها سياسة ثابتة . فكان يسمح للنصارى في بعض الأحيان ببناء كنائس جديدة وأحياناً أخرى كانوا يمنعون حتى من إصلاح الكنائس القديمة^(٥) . وحدث سنة ٣٢٦ أن أنهدم جانب

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٤٠

(٢) المقرئى : تماظ الحنفا ص ١٩٨

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٤٠

(٤) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ٩٥ والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٩٥

(٥) أنظر متر : الحضارة الالامية ج ١ ص ٧٠ والمراجع التي أشار اليها .

من كنيسة أبي شنودة ، بمصر فبذل النصارى للاخشيد مالا كثيرا ليطلق لهم عمارتها فأمر بأن تؤخذ فتوى الفقهاء . فأما ابن الحداد فأفتى بالألا تعمر وبذلك أفتى الفقهاء من أصحاب مالك . ولكن فقها اسمه محمد بن علي أفتى بأن لهم أن يرموها ويعمروها . وعرف الناس فتواه فحملوا النار الى داره وأرادوا قتله فاخترق وندم على فتياه . ونار العامة وأغلقوا الدروب وأحاطوا بالكنيسة ، فأرسل الاخشيد طائفة من الحند فزحف العامة ورموهم بالحجارة فسحب الاخشيد الجند ودعا ابا بكر بن الحداد وأمره أن يذهب الى الكنيسة فيتركها قائمة إذا كانت تبقى ويهدمها إذا كانت توشك على السقوط وتندرب بالخطر . وذهب ابن الحداد ومعه أحد المهندسين واستظاعا أن يدخلوا الكنيسة وطاف المهندس وفي يده شمعة ثم عاد الى ابن الحداد وقال له : تبقى هكذا خمس عشرة سنة ثم يسقط منها موضع ثم تبقى الى تمام أربعين سنة وتسقط جميعها . فانصرف ابن الحداد الى الاخشيد ونقل اليه ما حدث فأمر الاخشيد بتركها من دون عمارة . وكان أمرها كما قال المهندس . فعمرت سنة ٣٦٦ ولو تركت لسقطت ^(١) .

ولم يكن الرهبان يعفون من الجزية في فجر الاسلام إلا إذا كانوا مساكين يتصدق عليهم كباقي المساكين . ولكن الحكومة كانت تتشدد في جباية الجزية أحيانا . وقد حدث في مصر سنة ٣١٢ أن « أخذ الرهبان والاساقفة بأداء الجزية فأخذت الجزية منهم ومن الضعفاء والمساكين ومن جميع الديارات بأسفل مصر والصعيد ومن رهبان طور سيناء ، وسافر قوم من الرهبان الى العراق واستعانوا بالمتقندر فكتب لهم ألا تؤخذ الجزية من الرهبان ولا من الاساقفة . . . وأن يجري أمرهم على ما كانوا عليه ^(٢) .

وقد وصلت الينا وثيقة من البردى مؤرخة من سنة ٣٣٠ ومحافظة الآن في مجموعة الارشيدوق رينر في فينا وتنضمن وصلا باستلام جزية قدرها ثلث دينار وثلثا قنطاري

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٢ — ٣٣ والسكندى : الولاة والقضاة (الملحق)

من بكام بن دانييل ، سلمها الى تيود وروس بن خائيل أمام أبو الحسن بن عيسى وقيدت في الورقة الرابعة من سجل الديوان ^(١) . وهذه الوثيقة مهمة لانها من أحدث الوثائق المكتوبة على البردى منذ طغى استعمال الورق العادي ففضى في النهاية على الكتابة على الاوراق البردية .

وحدث بعد وفاة علي بن الاخشيد واستقلال كافور بالأمر أن وقع المسيحيون في بيت المقدس ضحية لموجة من الاضطهاد لم يكن أساسها طائفيا ، وإنما كان قوامها رغبة الوالى محمد بن اسماعيل الصناجى في الاستيلاء من البطريك على أكثر ما يمكنه الاستيلاء عليه من المال . والواقع أن هذا الوالى أرهق بطريك بيت المقدس بمطالبه المالية حتى اضطر الأخير الى السفر الى مصر حيث رفع شكواه الى كافور فكتب كافور الى الحسن بن عبيد الله بن طنج خليفته على الشام يأمره بمنع الصناجى عن البطريك وقبض يده عن مطالبته بما لا يجب له عليه . وكتب الحسن بن عبيد الله بن طنج الى الصناجى في هذا المعنى . ولكن الصناجى لم يقلع عن سياسته العاشمة فذهب البطريك الى الرملة حيث كان يقيم الحسن بن عبيد الله بن طنج فوجه معه الحسن طائفة من الجنود ومعهم قائد يسمى تكين . وكانت مهمتهم حماية النصارى ومنع الصناجى من اضطهادهم فكبر ذلك على الصناجى وجمع عشيرته وأتباعه وقبض على تكين وجنوده واعتدى على الكنائس واشترك اليهود مع المسلمين في هذا الاعتداء وقتلوا البطريك ^(٢) .

ومما يؤسف له أن المراجع التاريخية لا تذكر لنا ما فعلته الحكومة المركزية في مصر لرد هذا الاعتداء على طائفة من رعاياها . وأكبر الظن أنها لم تفعل شيئا . ولا عجب فقد كانت الدولة الأخشيدية تكاد تختصر في هذا الوقت .

(١) Papyrus Erzherzog Rainer : Führer durch die Ausstellung p. 243 No. 916

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١٢٤ — ١٢٥ ؛ وقد لاحظنا أن الأستاذ محمد كرد علي سمى والى بيت المقدس المشار اليه هنا « الصناجى » بدلا من الصناجى ، أنظر محمد كرد علي : خطط الشام ج ١ ص ٢١٥

وَمَا تَجِدُ إِلَّا إِشْرَارَ إِلَيْهِ أَنْ الْأَخْشِيدَ لِحُصِّ سِيَاسَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي وَجَّهَهُ
إِلَى أَرْمَانُوسَ فِي الْعِبَارَاتِ الْآتِيَةِ :

« وَسِيَاسَتُنَا لِهَذِهِ الْمَمَالِكِ قَرِيبُهَا وَبَعِيدُهَا ، عَلَى عَظَمَتِهَا وَسَعَتِهَا بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَاحْسَانِهِ
الْيَنَّا وَمَعُونَتِهِ لَنَا وَتَوْفِيقِهِ إِيَّانَا ، كَمَا كَتَبْتَ إِلَيْنَا وَصَحَّ عِنْدَكَ مِنْ حَسَنِ السَّيْرَةِ ، وَبِمَا يُؤَافِ
بَيْنَ قُلُوبِ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالرَّعِيَّةِ ، وَيَجْمَعُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ ،
وَيُوسِعُهَا الْأَمْنَ وَالِدَعَةَ فِي الْمَعِيشَةِ وَيَكْسِبُهَا الْمُوَدَّةَ وَالْحُبَّةَ » ^(١) .

(١) القلقشندي ج ٧ ص ١٤

(٢)

الأمن

كان الأمن مستتباً في مصر الاخشيدية استتباً لم تعرفه البلاد في فترات طويلة من تاريخها قبل تولية محمد بن طغج . ولا ريب في أن السبب في ذلك أن الاخشيديين كانوا يحتفظون بجيش كبير لحماية ملكهم من أعدائهم على الحدود الشمالية الشرقية ومن الفاطميين الذين كانوا يهددونهم من الغرب . وطبيعى أن زمام الأمور لم يفلت من يد الحكومة إلا نادراً ، وكان ذلك حين يشتد الغلاء وينتشر الوباء ويعز وجود القمح فيقبل بعض الناس على نهب الضياع والاغارة على المزارع ^(١) .

وقد حدث في سنة ٣٣٠ هـ — حين سار الإخشيد لاسترجاع الشام بعد مقتل ابن رائق — أن خلت الفسطاط من الجند وانتهز هذه الفرصة أحد العلويين ، وهو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن علي بن أبي طالب المعروف بابن السراج وسار إلى قرية شرونة ^(٢) . ثم اتجه منها إلى غربي النيل فنهب سمسطا . ومن الغريب أن المراجع التاريخية لا تشرح أسباب هذه الثورة ولا أهدافها . ويبدو أن هذا العلوى لم تكن له أهداف معينة أو أنه خشى عودة الجند من الشام وإخماد ثورته والتمثيل به فسار إلى برقة حيث دخل في طاعة الخليفة الفاطمي ^(٣) . ولكن هذا التأثير قدم الى مصر ثانية بعد وفاة الاخشيد ، فوصل اليها في ربيع الآخر سنة ٣٣٥ . ويبدو أن أونوجور أخبر بقدمه ، وأنه لم يشأ الاتقام منه ، بل سمح له بالخروج للحاق بالجيش الاخشيدى في الشام فخرج بعد أيام وتوفي بالرملة ^(٤) . ولسنا نعرف من المراجع التاريخية سبب عودته الى مصر ، كما أننا لا نعرف

(١) المقرئى : الخطاط ج ١ ص ٣٢٩

(٢) قرية بالصعيد الأدنى شرق النيل وعلى مقربة من الهنسا ، أنظر ياقوت : معجم البلدان

ج ٥ ص ٢٥٩ وابن الجيعان : التحفة السنية في أسماء البلاد المصرية ص ١٦٨

(٣) السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩١

(٤) المرجع نفسه ص ٢٩٤ — ٢٩٥

هل هو الذى تقدم بالتوبة وعرض رغبته فى التكفير عن ذنبه فى ميدان القتال أم أن الحكومة الاخشيدية رأّت التخلّص من وجوده بمصر فأمرته بالحقاق بالجند المصري فى الشام .

وقامت بعد وفاة الاخشيد ثورة أخرى حين كان كافور واونوجور فى الشام (١) . فقد خرج والى الأشمونين المعروف باسم غلبون بعد أن استبد بالأمور فى منطقة نفوذه حتى شكاه منه التجار وأذاعوا أنه يريد أن يثور بها . وأعدت الحكومة جماعة من الجند سيرتهم اليه فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٥ ولكن هذا الثأر دبر كميناً لهم واستطاع أن يقتل كثيراً منهم وأفلت قائدهم شادن الاخشيدى بنفسه . ونظمت الحكومة جيشاً لاخضاع غلبون ولكنه خالف الجيش فى الطريق واستطاع الوصول الى الفسطاط فدخل دار الامارة ويبدو — كما مر بنا — أنه اتفق مع محمد بن على الماذرائى — على أن يقوم هذا الوزير بتدبير الأمور . ولكن الجيش الاخشيدى كره على غلبون فى الفسطاط وهزمه وطرده منها فخرج الى الشرقية ولحقه الجند الاخشيديون وكانت بينهم معركة شديدة انتهت بقتل غلبون فى ذى الحجة سنة ٣٣٦ ، وشغلت الحكومة والناس بهذه الثورة واضطربت الأمور فى تلك السنة حتى أن أحداً من المصريين لم يستطع الذهاب الى الحج فيها (٢) .

ويبدو أن بعض رؤساء العشائر البدوية كانوا يثورون على سلطان الاخشيديين فى الشام . ولكن المراجع التاريخية لم تفصّل الكلام على هذه الثورات . ولسنا نعرف إلا ما ذكره أبو المحاسن فى حوادث سنة ٣٤٤ حين ذكر وفاة شملة بن بدر الاخشيدى الذى ولى امرة دمشق من قبل أونوجور بن الاخشيد وكان شجاعاً بطلاً قتل فى طبرية

(١) مر بنا فى رواية للدقريزى فى المقتى أن كافورا فقط هو الذى كان فى الشام أنظر

(٢) الكندى: الولاية والقضاة ص ٢٩٥—٢٩٦ والمقريزى: الخطط ج ٢ ص ١٥٦ وأبو المحاسن:

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٢ و ج ٤ ص ٢ و Wiet: L'Egypte Arabe (Histoire de la Nation و

في حرب كانت بينه وبين مهلهل العقيلي^(١) . كما جاء في ديوان المتنبي أنه نظم قصيدة يذكر فيها قيام شيبب العقيلي على كافور وقتله بدمشق سنة ٣٤٨ ومن أبيات هذه القصيدة المشهورة :

بِرَغْمِ شَيْبِيبٍ فَارَّقَ السِّيفُ كَمَفِّهِ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَصْطَاجِبَانِ
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانٌ^(٢)

وخرج على الحكومة الاخشيدية في سنة ٣٥٢ ثائر في بادية الشراة بالشام . وهو من بنى سليم يدعى محمد بن احمد السلمي ، واجتمع اليه أنصار كثيرون فقوى أمره وأرسل كافور الى الشام جيشا لحماية البلاد ولكنه أمر قواده أن يتركوا هذا الخارجى وشأنه والا يبدأوه بالقتال . وظل الفريقان على تلك الحال إلى أن عمل رجل من بنى عقيل على أسر هذا الثائر وحمله الى مصر . وقيل إنه اركب فيلا وطيف به في شوارع الفسطاط تشهيرا به واعتقل مدة ثم عفي عنه^(٣) .

وحدث في سنة ٣٥٥ أن خرج بنو سليم على الحجاج السائرين من مصر والشام فقتلوا منهم عددا كبيرا ونهبوا ما كان معهم من الأموال الطائلة لأن الحجاج في هذا العام كانوا جمعاً غفيراً ، ولا سيما أن كثيراً من أهل الثغور والشام هربوا خوفاً من الروم وحملوا ما استطاعوا حمله من أموالهم وأرادوا أن يقصدوا مكة ليسيروا منها إلى العراق^(٤) .

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٣

(٢) ديوان المتنبي ص ٤٠٤ — ٤٠٦

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٢١

(٤) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٢٠٦

(٣)

السياسة المالية

كان « تاضين » الأراضى لمستغليها بمصر الاخشيدية يجرى — كما كان في فجر الإسلام — فى المسجد الجامع كل أربع سنين فينادى على البلاد صفقات صفقات فى جامع عمرو وأمام صاحب الحراج أو من يقوم مقامه ومعه المختصون من الكتاب والموظفين^(١) .

ومن طريف ما وصل الينا من أخبار الاخشيد أن الحسن بن طاهر العلوى كان يتخذ أشد الحذر حين يكتب الى مصر فى الفترة التى قضاه فى الشام ليسفر فى الصلح بين الاخشيد وابن رائق — وذلك بعد أن علم أن ابن رائق يراقب ما يكتبه الى مصر^(٢) — فكان اذا كتب الى الاخشيد حرص على أن يرسل كتابه بواسطة حمام الزاجل ، ولكنه لم يكن يستطيع ذلك دائما فكان فى بعض الأحيان يكتب الى أخيه الحسين بن طاهر لينوب عنه فى ابلاغ الاخشيد ما يريد . وحدث ذات مرة أن ورد الى الحسين بن طاهر كتاب من أخيه الحسن يطلب فيه أن يسأل الاخشيد « أن يعفيه من ضمان بلبليس وفاقوس فانه قد عجز عنهما لقلة فأندتهما وكثرة غشيان البوادى لهما » وتعجب الحسين ابن طاهر لأن ضمان هاتين الضيعتين لم يكن فى يد أخيه الحسن . فحمل الكتاب الى الاخشيد وقرأه عليه . فاستدعى الاخشيد كاتب ديوان الحراج ، وسأله اذا كان ضمان فاقوس وبلبليس فى يد الحسن بن طاهر فأجاب بالنفى . فاستنبط الاخشيد أن الحسن بن طاهر أراد أن ينقل اليه أن ابن رائق عزم على القيام بهجوم مفاجئ على مصر وأن الواجب الاستعداد والاستعانة بحامية قوية للدفاع عن فاقوس وبلبليس . وبادر الامير الى ارسال ثلاثة آلاف جندى الى فاقوس ومثلها الى بلبليس . وكتب الحسين ابن طاهر الى أخيه الحسن : « قد أفتاك من ضمان فاقوس وبلبليس وضمنهما من يقدر عليهما »^(٣) .

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٢

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٣٨

(٣) المرجع نفسه ص ٣٧

وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة وثيقة بردية ترجع الى سنة ٣١٢ هـ ، أى الى قبيل العصر الاخشيدى وتنص من تقبل أراض من كورة الأشمونين لأربع سنين متواليات أو لها سنة ٣١٢ وآخرها سنة ٣١٥^(١) . وتشهد وثائق أخرى بأن الخراج كان يدفع على أقساط موزعة على السنة^(٢) . وكانت جباية الضرائب على الأرض الزراعية تتمشى مع حال الزراع وأوقات الغرس والحصاد أى أنه لم يكن بد من السير طبقا للسنة الشمسية . ولما كان القوم لا يستطيعون ترك السنة الهلالية بما لها من علاقات بأمور الدين من عبادات ومعاملات فقد سارت السنتان الهلالية والخرجية مع اختلافهما جنبا لجنب ، وحدث اضطراب كبير بسبب تفاضل السنين حتى صارت الجباية الخراجية فى السنة التى تنتهى إليها تنسب فى التسمية الى ما قبلها . ولما لم يكن من الجائز كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر « لأنهم لو فعلوا ذلك لتزحزحت الأشهر الحرم عن مواقعها وانخرقت المناسك عن حقائقها » لذلك كله « رأى أمير المؤمنين نقل سنة ٣٥٠ الخراجية الى سنة ٣٥١ الهلالية جمعا بينهما »^(٣) .

وكان خراج مصر فى عصر الاخشيد مليونين من الدنانير فى السنة^(٤) . وكتب ابن زولاق أن الاخشيد استخرج من مصر فى احدى عشرة سنة اثنين وعشرين ألف ألف دينار سوى خراج الرملة وطبرية ودمشق والسواحل^(٥) . ولسنا نعرف هل كان الاخشيد يرسل كل هذا الخراج الى الحكومة المركزية فى بغداد أم كان يحتفظ بقسط كبير منه . والراجح عندنا أنه كان يرسل منه الى بغداد ما يزيد على نفقات دولته ، ولا سيما حين لم يكن مشغولا بجروب دفاعية . تقتضيه النفقات الكبيرة . ولم يكن هذا عسيرا عليه فقد كانت مصر تحمل الى بيت المال فى دار الخليفة قبيل الدولة الاخشيدية

(١) Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library. 11. pp. 57-64.

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٣٨

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٩ ، ومتر : الحضارة الاسلامية ج ١

ص ١٨١ — ١٨٣

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٩

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ٣٦

نحو مليونين ونصف مليون من الدنانير في بعض الاحيان^(١) . ويبدو أن زيادة الإيرادات على المصروفات كان متوسطها في عصر الاخشيدي نحو مليون دينار في السنة ، حتى اعتبر ابن اياس أن هذا الرقم هو خراج مصر في أيام الاخشيدي^(٢) .

وإذا صح ما ذكره أبو صالح الارمني في تاريخه (الكنايس ص ٣٠) فقد بلغ خراج مصر في سنة من حكم كافور ثلاثة ملايين ومائتي وسبعين الفا من الدنانير . وكتب ابن زولاق أن كافورا جبي سنة ٣٥٦ من اقليم الفيوم وحده ستمائة وعشرين الف دينار^(٣) . وقد ذكر ابن حوقل أن خراج مصر بلغ في سنة ٣٥٩ — أى بعد سقوط الدولة الاخشيديّة مباشرة على يد جوهر القائد — ثلاثة ملايين ومائتي الف دينار^(٤) .

وليس في المراجع التاريخيّة ما يفصل الكلام على أنواع الضرائب بمصر في العصر الاخشيدي^(٥) . ولكن المعروف أن الضرائب كانت ثقيلة وأن نظام الاحتكار كان لا يزال سائداً بعض مرافق الحياة . وقد زار المقدسي مصر في بداية العصر الفاطمي ، ولا ريب في أن قسطاً كبيراً من حديثه عنها ينصرف إلى العصر الاخشيدي . ومما كتبه عن المكوس : « أما الضرائب فثقيلة بخاصة تبنيس ودمياط وعلى ساحل النيل . وأما ثياب الشطوية فلا يمكن القبطي أن ينسج شيئاً منها إلا بعد ما يحتم عليها بخاتم السلطان ، ولا تباع إلا على يد سماسرة عقدت عليهم . وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ثم تحمل إلى من يطويها ثم إلى من يشدها بالقشر ثم إلى من يشدها في السقف وإلى من يجزمها . وكل واحد منهم له رسم يأخذه ، ثم على باب الفرضة يؤخذ

(١) قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ص ٢٥١ ، متر : الحضارة الاسلاميّة ج ١ ص ٢١٩

(٢) ابن اياس : نشق الأزهار ص ٣٧ ؛ أنظر أيضاً عمر طوسون : مالية مصر من عهد

الفراعنة إلى الآن ص ٥٢

(٣) المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٢٤٩

(٤) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠٧

(٥) أنظر ما كتب عن الضرائب في فجر الاسلام في جرمان : المحاضرة الرابعة عن الأوراق

البردية العربيّة (دار الكتب المصريّة) ص ٥ وما بعدها . وسيدة كاسف : مصر في فجر الاسلام

ومن صادرهم الاخشيد أبو بكر محمد بن علي الماذرائي^(١) ، ومحمد بن كلا^(٢) ، وبارشكور^(٣) وعمران بن فارس^(٤) . ولكن الواقع أن معظم من كانوا يصادرون كانوا من كبار موظفي الدولة أو ممن كانت لهم معاملات معها أصابوا منها مالا وفيرا . وكما كان الناس في دار الخلافة يتوقعون المصادرة ويعملون على إخفاء أموالهم وخداع أولى الأمر^(٥) ، كذلك كان القوم في مصر الاخشيدية يبتدعون الوسائل لإخفاء ثروتهم ومن بينهم من اتخذ له فسقية دس فيها مائة ألف دينار دون أن ينتبه البتاء^(٦) .

وكان الاخشيد لا يعدم الحجج ليبرر أمام الناس ما يقوم به من المصادرات من وقت الى آخر . فكان يذهب إلى أنه إنما يفعل ذلك لسد نفقات دولته والاتفاق على حيوشه ، ولمعاقبة الموظفين الذين يرتشون أو يسيئون استعمال ما لوظائفهم من النفوذ والحجاء . بل إن الاخشيد سبق ما نعرفه الآن من ضرائب التركات فكان يعمل على الاستيلاء على جزء من تركة كبار التجار والموظفين^(٧) . ومن ذلك أن عثمان ابن سليمان البرزاز توفى سنة ٣٢٣ هـ فأخذ الاخشيد من ميراثه نحو مائة ألف دينار^(٨) ومع ذلك كله فقد كان الاخشيد رقيقا في معاملة الذين يصادهم فلم يعذب أحدا ، بل كان يأتي أن يرى الذين يأمر بمصادرتهم إلا بعد أن تنتهي المصادرة^(٩) .

ولم يؤثر عن كافور أنه مال إلى مصادرة عماله وأغنياء البلاد في عصره . أما بعد وفاته فقد قبض الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات على كثير من وجوه القوم في مصر ، ومنهم

(١) ابن سعيد : المغرب ص ١٤ — ١٦ والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٥٦

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١٧

(٣) المرجع نفسه ص ١٦

(٤) المرجع نفسه ص ٨

(٥) أنظر متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٤ — ١٩٦ ، وما ذكره من المراجع القديمة .

(٦) ابن سعيد : المغرب ص ١٧

(٧) المرجع نفسه ص ٣٦

(٨) المرجع نفسه ص ١٧

(٩) المرجع نفسه ص ١٥ و ٣٧

يعقوب بن كلاس ، وصادر منهم أموالا كثيرة^(١) . ولما قدم من الرملة الحسين ابن عبيد الله بن طغج قبض على جعفر بن الفرات وصادر أمواله .

وقد اشتد الغلاء بمصر في عصر الدولة الاخشيدية مرات عدة . وكانت الحكومة تبذل كل الجهد في تخفيف وبلائه . فقد انتشر في سنة ٣٢٩ غلاء عظيم واختفت الاقوات من الأسواق وعز القمح وسائر الحبوب وتبعه وباء شديد^(٢) . ووقع الغلاء في سنى ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٣^(٣) . ثم وقع الغلاء الشديد في مصر من سنة ٣٥٢ واستمر تسع سنين متتابعة وكان من الأسباب التي أضعفت الدولة الاخشيدية وعجلت سقوطها . وكان سببه الرئيسى يرجع إلى النقص في فيضان النيل ، مما أدى إلى اختفاء القمح واضطراب الاحوال وكثرة الفتن ونهب الضياع^(٤) .

« ثم مات كافور ، فكثرت الاضطراب واعددت الفتن وكانت حروب كثيرة بين الجند و الامراء قتل فيها خلق كثير وانتهت أسواق البلد وأحرقت مواضع عديدة فأشدد خوف الناس ، وضاعت أموالهم وتغيرت نياتهم وارتفع السعر وتعذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل وية بدينار . واختلف العسكر ، فلاحق الكثير منهم بالحسن بن عبيد الله بن طغج ، وهو يومئذ بالرملة ، وكان الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمي ، وعظم الارجاف بمسير القرامطة إلى مصر . وتواترت الاخبار بمجيء عساكر المعز من المغرب إلى أن دخلت سنة ٣٥٨ ودخل القائد جوهر بعساكر الامام المعز لدين الله وبنى القاهرة المعزية . وكان مما نظر فيه أمر الاسعار ، فضرب جماعة من الطحانيين وطيف بهم وجمع سماسرة الغلات بمكان واحد وتقدم ألا تباع الغلات إلا هناك فقط ، ولم يجعل لمكان البيع غير طريق واحدة فسكان لا يخرج قدح قمح إلا ويقف عليه سليمان بن عزة المحتسب »^(٥) .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٧ — ١٣٨

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ٩٧

(٣) المقرئى : إغاثة الأمة بكشف النمة ص ١١ — ١٢

(٤) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١٢٩ — ١٣٠ ، والمقرئى : إغاثة الأمة ص ١٢ — ١٣

(٥) المقرئى : إغاثة الأمة ص ١٣ — ١٤

البَابُ الحَادِي عَشَرَ

العلاقات الخارجية والغزو الفاطمي

العلاقات الخارجية والغزو الفاطمي

(١)

مع الحمدانيين

عرفنا أن الخليفة المتقي غادر بغداد وأقام عند الحمدانيين سنة ٣٣٧^(١) . ثم استدعى الاخشيد لمقابلته في مدينة الرقة لعله يجد فيه عوناً على أمير الأمراء في بغداد . وعرفنا أن اللقاء لم يسفر عن أي نتيجة إيجابية فماد الاخشيد الى مصر . وكان سيف الدولة يرقب الحالة عن كثب ورأى أن الفرصة سانحة لمحاولة الاستيلاء على الشام التي كان الحمدانيون يتطلعون الى انتزاعها من أيدي الاخشيديين . فسار إلى حلب وقسرين وحمص وأنطاكية والثغور الشامية وسائر الولايات والمدن الشامية فاستولى عليها وأقام الدعوة فيها للمستكفي الذي خلف المتقي — ولأخيه ناصر الدولة ولنفسه^(٢) .

وقيل في هذا الصدد إن الإخشيد عاد من الرقة إلى حلب ثم غادرها إلى مصر بعد أن ولى عليها من قبله أبا الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن وليد الكلابي . ولكن عشرته من الكلابيين حسدوه على هذه الولاية وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسألوا إليه حلب ، وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة ولاية فقال له ناصر الدولة : الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك منه . وعرف سيف الدولة اختلاف الكلابيين وضعف أبي الفتح عن مقاومته فسار إلى حلب ودخل أبو الفتح في طاعته^(٣) .

(١) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٤٤

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤١

(٣) كمال الدين عمر بن العديم الحلبي : زبدة الحلب في تاريخ حلب ص ٣٦٥ — ٣٦٧

(في Sayf al-Da'ula edité par Marius Canard)

ومهما يكن من الأمر فإن الاخشيد كتب إلى المستنكفي يشكو إليه سيف الدولة .
ولكن أمير المؤمنين لم يملك إلا أن يرسل الخلع النفيسة اليه والى ابنه اونوجور . وبلغ
الاخشيد أن سيف الدولة سار الى حمص يريد دمشق ^(١) فأرسل إلى الشام جيشاً ^(٢)
مر بدمشق وسار الى حمص فالتقى بسيف الدولة عند بلدة الرستن ^(٣) . وكان النصر
لسيف الدولة وفتحقر الجيش الاخشيدى إلى دمشق ثم خرج منها قاصداً الرملة ليعود
إلى مصر . وسار سيف الدولة في أثر الجند المصريين يريد دمشق ، وكتب إلى أهلها
كتاباً قرىء على منبر المسجد الجامع فيها وحملت نسخته إلى الاخشيد ، وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من سيف الدولة ابى الحسن إلى جماعة الأشراف
والعلماء والأعيان والمستورين بمدينة دمشق أطال الله بقاكم وأدام عزكم وسعادتكم
وكفافتكم ونعمتكم ، كتابنا اليكم من المعسكر المنصور بظاهر عين الجر ^(٤) عن سلامة
وجميل كفاية بلولاها خالص الدعاء والشكر . وقد علمتم — أسعدكم الله — تشاغلي
بجهاد أعدائى وأعداء الله الكفرة وسبيلهم ^(٥) وقتلى فيهم وأخذى أموالهم وتخربى ديارهم
وقد بلغكم خبر القواين فى هذه السنة وما أولانا الله وخولناه ، وأظفرنا به واستعملت
فيهم السنة فى قتال أهل الله فما اتبعت مدبراً ولا دفعت إلى جريح حتى سلم من قد
رأيتهم ^(٦) . وقد تقدمنا إلى وشاح بن تمام بصياتكم وحفظكم وحوط أموالكم وفتح
الدكاكين وإقامة الأسواق والتصرف فى المعاش إلى حين موافاتنا إن شاء الله ^(٧) »

(١) ولكن كمال الدين ابن العديم (المرجع السابق ص ٣٦٨) ذهب إلى أن الاخشيد
هو الذى بدأ بارساك الجيش إلى الشام .

(٢) أنظر السكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٢ ، والمقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٩

وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٥

(٣) عند المكان الذى يعبر فيه نهر العاصى الطريق من حمص إلى حماه ، أنظر ياقوت : معجم
البلدان ج ٤ ص ٢٤٩

(٤) موضع بين بعلبك ودمشق ، ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢٥٤

(٥) لهماء وسبيهم .

(٦) إشارة إلى ما فعله سيف الدولة فى الرستن حين أسر جنوده أن لا يقتلوا أحداً من الجيش
الاخشيدى المنهزم وقال لجنده : الدم لى والمالك لىكم ! ثم أطلق سراح الأسرى وعددم نحو

أربعة آلاف ، أنظر كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٦٨

(٧) ابن سعيد : المغرب ص ٤١ — ٤٢

فلمّا وصلت نسخة هذا الكتاب إلى الاخشيد عزم أن يسير بنفسه للقاء سيف الدولة. فاستخلف على مصر ابنه اونوجور وسار على رأس جيشه إلى دمشق، وكان سيف الدولة قد دخلها بجنده ومعهم أهله^(١). ويبدو أن أحد قواد الاخشيد — واسمه عيسى كيل — كان قد انضم إلى سيف الدولة واتصل به في دمشق، فكتب الاخشيد من الرملة إلى عيسى كيل يعده بالأموال الطائلة والمسكافأة الطيبة ويمنيه بتقليده الوظائف السامية وأرسل إليه خاتمه ليثبت الدعوة له بين أهل دمشق ويحضهم على الزحيب به وطرده سيف الدولة. والظريف أن عيسى هذا « شرب وسكر ودعا الناس إلى الاخشيد »^(٢) ثم أفاق من سكره وهرب ليلاً إلى الاخشيد فأحسن هذا الأمير جزاءه وأفلح في دخول دمشق بعد أن فر منها سيف الدولة^(٣). وطارد سيف الدولة الاخشيد إلى حمص فقتلهم في حمص حيث نشب القتال بينهما. وكان النصر في البداية لسيف الدولة ولكن نصره انقلب إلى هزيمة^(٤). ومع ذلك فإنه لم ينصرف بل عسكر مواجهاً للاخشيد^(٥). ولم تكن هزيمته حاسمة مما دعا الاخشيد إلى أن يخرج للسلم ويعمل على الصلح، وقد سفر الحسن بن طاهر بين الأميرين، وتم الصلح بينهما في ربيع الأول سنة ٣٣٤ على أن يكون لسيف الدولة من جوسية^(٦) إلى حمص إلى سائر أعمالها، وأن يكون للاخشيد من دمشق وما بين يدها

(١) في بعض الروايات أنه حاصرها فقتل ولم يفلح في دخولها، أنظر ابن العبري : تاريخ

مختصر الدول ص ٢٨٩

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٤٢

(٣) قيل ان سيف الدولة كان قد غادرها فترة قصيرة للقاء الاعراب الضارين حولها وأنه لما عاد إليها منعه أهلها من دخولها. وربما كان ذلك بتأثير عيسى بن كيل. أنظر كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٦٩

(٤) أنظر وصف هذه الواقعة في كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٦٩

(٥) وفي رواية أخرى أن سيف الدولة هرب إلى الرقة : وقيل إنه أراد دخول حلب فمنعه أهلها وان الاخشيد دخل حلب وعات أصحابه فسادا في أرجائها، ثم عاد إلى دمشق وانتهت المفاوضات بينه وبين سيف الدولة إلى « أن أفرج الاخشيد له عن حلب وحمص وانطاكية وقرر عن دمشق مالاً يحمله إليه في كل سنة » أنظر كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٧٠ والذهبي : تاريخ الاسلام ص ٦٥

(٦) بلدة على خمسة وثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب الغربي من حمص : أنظر ياقوت : معجم

البلدان ج ٣ ص ١٧١

إلى آخر أعمالها ، وزوجه فاطمة بنت أخيه عبيد الله بن طنج^(١) . وسار سيف الدولة إلى حلب واستقر الاخشيد في دمشق إلى أن مات في نهاية سنة ٣٣٤ هـ .

والراجح أن الاخشيد سعى الى عقد الصلح مع سيف الدولة لأنه كان يعتقد أن انتصاره عليه لم يكن حاسماً وأن الحرب بينهما ستدوم الى أن يتم النصر لسيف الدولة . وكان قواد الاخشيد وجنده يكرهون هذا الصلح ويودون مواصلة القتال للقضاء على سيف الدولة ، وقد طلبوا من شيخ من شيوخ دمشق كان الأخشيد يأنس به أن يلومه على ما تم بينه وبين سيف الدولة من الصلح والمصاهرة . فلما حدثه الشيخ في ذلك أجاب بقوله : « اعلم أن علي بن حمدان (سيف الدولة) كاتبنا من الرملة فبذلنا له فلم يفعل وكاتبنا من طبرية فامتنع ثم سرنا اليه ورزقنا الله تعالى النصر عليه وعلى أصحابه الظفر فلم ينصرف وخيم حذاءنا بوجه صفيق وقلة حياء فتوقفت عنه . فقال لي الغلمان : دعنا مضى تلقاه ففكرت في قولهم ولم أخل من أحد وجهين : إما أن يهزمننا ويرزق علينا النصر فتكون الفضيحة وإما أن نرزق عليه النصر فنأخذ فأيس أعمال به ؟ هلا هو أكثر من أن أنزله في مضرب يشبهه وأتفق عليه ما يصلح له ثم أحجزه وأرده لأخيه وأهله لأنهم لا يتركونه ؟ وأقل ما كان يكفيناه مائتا ألف دينار . ثم لا أطيق غلماني من ادلالهم والتسحب على بما عملوا ويطلبون مني الأعمال والولايات . فرأيت أن مسالته ومصالحته أفضل وأصلح^(٢) ، وأرسلت اليه الحسن بن طاهر أعده بالأموال والخروج عن أعماله فلما رأوا الحسن بن طاهر قد مضى ازدحموا على يسبوني ويشتموني ويسألون الله الراحة مني^(٣) . »

(١) ابن سعيد : المغرب ص ٤٢ . وقد ذكر ابن سعيد أن فاطمة هذه ابنة الاخشيد نفسه ولكن الصحيح أنها ابنة أخيه عبيد الله كما ذكر كمال الدين ابن العديم (المرجع السابق ص ٣٧٠) .

(٢) كان الحمدانيون يرفون ذلك حق المعرفة ، وحسبنا قول شاعرهم أبي فراس الحمداني :
فلما رأى أى الاخشيد ما قد أظله تلافاه يثنى غربه ويكاشر
رأى الصهر والرسل الذى هو طاقده ينال به ما لا تنال العساكر

أنظر ديوان أبي فراس الحمداني ج ٢ ص ١١٧ و ١٤١ — ١٤٢

(٣) ابن سعيد : المغرب ص ٤٣

وهكذا نرى كيف كان الاخشيد بعيد النظر لا يلقى بنفسه في مغامرات يعرف أنها لا تؤدي الى نتائج عملية . كما نرى أنه كان يؤثر أن ينال بالمال ما يعجز عن الحصول عليه بجد السيف . ويبدوننا فضلا عن ذلك أنه كان يعلم تمام العلم أن النزاع بينه وبين الحمدانيين على الشام كان لا بد أن ينتهى بانتصارهم عليه ، وبعد الشقة بين مصر وبين هذا الاقليم ، ولأنه كان المجال الحيوى لتوسع الحمدانيين . ومن المحتمل أن الاخشيد كان لا يكره أن تظل دولة الحمدانيين دولة حاجزة بينه وبين البيزنطيين تكفيه مئونة التعرض لهجومهم من وقت الى آخر .

ولما مات الاخشيد وخلفه ابنه أونوجور وسار كافور بجند مولاه من الشام الى مصر خلت دمشق من حامية قوية ترد عنها الحمدانيين ، وطمع فيها سيف الدولة فاتجه اليها وسقطت في يده بعد أن استسلم اليه حاكمها الاخشيدى . وقيل ان سيف الدولة كان يسير يوما في الغوطة بظاهر دمشق ومعه كبير من وجوه القوم فيها ، اسمه الشريف العتيق ، فقال له سيف الدولة : ماتصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد . فقال له الشريف العتيق : هي لأقوام كثيرة ، فقال له سيف الدولة : لأن أخذتها القوانين ليتبرؤون منها ^(١) . فأسرها الشريف في نفسه وأعلم أهل دمشق بذلك . وألح سيف الدولة في مطالبة الدمشقيين بودائع الاخشيد فكانوا كافورا يستدعونه ^(٢) . فجاهم ومعه سيده أونوجور ، وخرج سيف الدولة الى اللجون ^(٣) ، وأقام قريبا من معسكر الاخشيديين . ثم نشب القتال بين الجيشين ، وكان النصر للمصريين فتقهقر سيف الدولة الى دمشق فخص . وهنا أعاد تنظيم صفوفه وجمع جيشا كبيرا من الأعراب وكر على المصريين شمالي دمشق وكان النصر له في البداية ولكنه انهزم وتفرقت جيوشه .

(١) في تاريخ المسكين ص ٢١٥ : « ان أخذتها النواب واستولى عليها الدراوين لتبرز عنها أهلها » .

(٢) ابن سعيد ص ٤٥ — ٤٦ ، وابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٦٤ . وكال الدين

ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٧١ — ٣٧٢

(٣) الى الجنوب الشرقى من حيفا ، انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٣٢٣

وطارده الاخشيدون الى حلب فهرب الى الرقة ، ثم بدأت المفاوضات بين الطرفين وانتهت الى الشروط التي كانت بين الاخشيد وسيف الدولة ^(١) . ولكن يبدو أن الاخشيديين لم يقبلوا هذه المرة أن يدفعوا جزية سنوية لسيف الدولة عن احتلالهم دمشق ^(٢) . وعاد اونوجور وكافور الى مصر بعد عقد هذا الصلح وظل السلام قائماً بين سيف الدولة والاخشيديين منذ سنة ٣٣٦ هـ .

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩١ و ٢٩٢
(٢) كمال الدين ابن العديم : المرجع السابق ص ٣٧٣ و ٣٧٤

(٢)

مع البيزنطيين

كان الاخشيد يعنى بما يجرى في الثغور وعلى الحدود بين أملاك المسلمين وأملاك بيزنطة في آسيا الصغرى ، وكانت أعماله الخاصة لا تشغله عن ذلك ، وكان البيزنطيون يحترمونه ويحشون بأسه ، فلا عجب إذا راسله الإمبراطور رومانوس وكتب إليه — متخطياً الخليفة — يتودد إليه ^(١) ويطلب تبادل الأسرى ^(٢) وتنظيم الفداء . وبإدله الإخشيد ودأ بود ، فأكرم رسله وحملهم إلى مليكهم هدايا من طرائف مصر ، كما سمح لبعض أتباع الإمبراطور ببيع ما قدموا به من البضائع وابتاع ما أرادوه من منتجات مصر ^(٣) .

وقد عرفنا أن الفداء الذي وقع بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٣٣٥ شرع فيه الاخشيد « أمير مصر والشام والثغور الشامية » وكان قد قدم إليه بدمشق في ذى الحجة سنة ٣٣٤ أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقي الأذنى ومعه رسول إمبراطور بيزنطة لتنظيم هذا الفداء . وكان أبو عمير من شيوخ الثغور وقد سبق أن أوفد في سفارة إلى القسطنطينية ، كما رافق السفراء البيزنطيين الذين قدموا إلى بلاط المقتدر سنة ٣٥٥ هـ ^(٤) . واسكن الاخشيد كان مريضاً وما لبث أن توفي فرجع كافر بالحيش إلى مصر وصحب معه إلى فلسطين أبا عمير ورسول الإمبراطور فدفع إليهما ثلاثين ألف دينار من مال هذا الفداء . وسارا الرسولان إلى مدينة صور ثم ركبا البحر إلى طرسوس وكتب نصر النملى أمير الثغور الشامية

(١) يشهد بذلك ما جاء في الرد الذي كتبه النجيري على لسان الاخشيد : « وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المكتابة لما يقتضيه عظم ملككم وأنه الملك القديم الموهوب من الله الباقي على الدهر وأك انما خصصتنا بالمكتابة لما تحمقته من حالنا عندك . . . الخ » .

(٢) يبدو من الرد الذي كتبه النجيري على لسان الاخشيد أن البيزنطيين كانوا حينذاك يحسنون الى أسرى المسلمين .

(٣) يبدو ذلك أيضا من الرد المشار إليه في الحاشية السابقة .

(٤) انظر صفحة ٨٤ حاشية (١) من Canard: Sayf al.—Daula

سيف الدولة « ودعاه على منابر الثغور الشامية ^(١) فجد في إتمام هذا الفداء فعرف به ونسب إليه » ^(٢) .

وكان نصر المثلث قد دخل سنة ٣٣٠ هـ من ناحية طرسوس إلى بلاد الروم فقتل وسي وغنم وعاد سالماً بعد أن أسر عدداً من علية القوم بين البيزنطيين في هذا الاقليم ^(٣) .
وقيل ان من الأسباب التي حملت نفقور فوكاس البيزنطى على الرحيل عن حلب سنة ٣٥١ — بعد أن فتحتها وعاث فيها فسادا — أن سيف الدولة استنجد بأهل الشام فسار إليه جيش من دمشق على رأسه ظالم بن السلال العقيلي الذي كان يلها من قبل الدولة الاخشيدية ^(٤) . ولا عجب ان هب الاخشيديون لنجدة سيف الدولة فقد كان نفقور قد دوخ بلاد الاسلام وانتزع من أيدي المسلمين كثيراً من المدن والحصون والمعاقل .

والواقع أن المسلمين في القرن الرابع لم يهملوا واجب الجهاد . وكان الغزاة منهم يتدفقون من كل أنحاء البلاد الإسلامية إلى إقليم الثغور ، ولا سيما مدينة طرسوس التي كتب عنها ابن حوقل : « عليها سوران من حجارة ، كانت تشتمل على خيل ورجال وعدة وعتاد وكراع . وكان بينها وبين الروم جبال متشعبة من اللكام كالحاجز بين العمليين ، ورأيت غير عاقل يميز وسيد حصيف مبرز يشار إليه بالدراية والفهم واليقظة والعلم يذكر أن بها مائة ألف فارس . وكان ذلك عن قريب عهد من الأيام التي أدركتها وشاهدها . وكان السبب في ذلك أنه ليس من مدينة عظيمة من حد سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والحيل وطبرستان والحزيرة واذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب إلا وبها (أى بطرسوس) لأهلها

(١) مما يشهد بأن الثغور الشامية كانت حتى ذلك الوقت تابعة للاخشيد وأنه هو الذى بدأ هذا الفداء وأن أمير الثغور من قبله لم يدخل في طاعة سيف الدولة إلا بعد وفاة الاخشيد .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٦٥

(٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ١٢٧

(٤) كمال الدين ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ص ٣٩١ — ٣٩٢

دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها إذا وردوها وتكثر لديهم الصلوات وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة الجسيمة، إلى ما كان السلاطين يتكلفونه وأرباب النعم يمانونه وينفذونه متطوعين متبرعين، ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نقيس إلا وله عليها وقف من ضيعة ذات مزارع وغلات أو مسقف من فنادق»^(١).

(٣)

مع النوبيين

من المعروف أن الحملة التي قام بها على بلاد النوبة عبد الله بن سعد والى مصر سنة ٣١ هـ انتهت إلى عقد اتفاق بين مصر وبين ملك النوبة يعرف باسم البقط . وهو بمثابة معاهدة سياسية وتجارية بين مصر وملك النوبة المسيحية ، قوامها ألا يعتدى أحدهما على الآخر وأن تؤدى النوبة إلى مصر عدداً معيناً من الرقيق كل سنة وأن تؤدى مصر إلى النوبة قدرماً معيناً من منتجات مصر ^(١) .

ولكن هذه المعاهدة كانت تنقض بين حين وآخر ، وكان ملوك النوبة يقدمون على غزو الصعيد الأعلى كلما أحسوا من أنفسهم القوة على هذا الغزو ، وظنوا أن الحكومة المصرية لن تستطيع أن تصدمهم إلا بعد فترة يتاح لهم فيها أن يظفروا بما يريدون من السلب والنهب .

ومع ذلك فقد كانت تجارة الرقيق زاهرة بين مصر وبلاد النوبة . وحسبنا أن نذكر عدد الجند السودان في جيش الطولونيين والاششيديين .

وقد كتب المسعودى حين زار مصر في سنة ٣٣٢ أن النوبيين كانوا لا يزالون يقدمون السبي الذى اتفق عليه في البقط وكان يتسلمه نائب أمير مصر في أسوان ^(٢) .

وحدث في سنة ٣٣٩ أن أغار ملك النوبة على إقليم الواحات بمصر فقتل عدداً من سكانها وسبي وأحرق وخرب ^(٣) .

كما حدث في ذى الحجة سنة ٣٤٤ أن أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جمعاً من سكانها ونهب قراها ، فخرج إليه جيش من قبل أونوجور وعلى رأسه محمد بن عبد الله

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٨٨ — ١٨٩ ، والسكندى : الولاة والقضاة ص ١٢ — ١٣ ، والقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٠٠ ، وسيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ١٥ — ١٦ ، و J. Spencer Trimingham : Islam in the Sudan, pp. 61-76.

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩ — ٤٠

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١١٢

الخازن واستطاع هذا الجيش أن يصد التوبيين وأرسل بعض أسراهم إلى مصر فضربت أعناقهم . ثم طارد الجيش المصرى ملك النوبة وفلول جيشه واستطاع أن يفتح مدينة إريم وعاد إلى مصر فى منتصف جمادى الأولى سنة ٣٤٥ ومعه مائة وخمسون أسيراً وعدد من رعوس القتلى^(١) .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١١٤ ، والمقرزى : الخطط ج ١ ص ٦٩٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ ، وأبو الهاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦

(٤)

مع الفاطميين

عرفنا كيف استطاع الاخشيد — بعد أن ولى على مصر — أن يهزم الجند المغاربة الذين كرهوا الخضوع له واصلوا بالفاطميين في المغرب . ورأينا أنهم فروا من الاسكندرية إلى الرمادة في طريقهم إلى برقة . وهناك توفى زعيمهم في صفر سنة ٣٢٤ . وكانوا قد كتبوا إلى القائم بأمر الله الخليفة الفاطمي يسألونه أن يبعث إليهم بجيش يفتحون به مصر . وقد لبى الخليفة الفاطمي دعوتهم وأنفذ إليهم جيشاً أمره بالمسير معهم إلى الاسكندرية فبلغوها في شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٤ هـ . وبعث إليهم الاخشيد جيشاً على رأسه أخوه الحسن بن طغج وقائده صالح بن نافع ، والتقى الجيشان في قرية من قرى البحيرة وحلت الهزيمة بالمغاربة وفرت فلولهم إلى برقة ^(١) .

ويبدو أن الخليفة الفاطمي أدرك أن الأفضل لتحقيق أهدافه وسياسته أن يأخذ الاخشيد باللين وأن يعمل على كسب صداقته ، فكتب إليه كتاباً قرأه على خاصته وأرفق به رقعة كتبها بخطه ولم يقرأها على أحد من مستشاريه ، فكأنها رسالة ملكية خاصة . وهذا نصها : « قد خاطبتك أعزك الله في كتابي المشتمل على هذه الرقعة بما لم يحز لي فيه عقد الدين وما جرا به الرسم من سياسة أنصار يستجلبون وضمنت رقعتي ما لم يطلع عليه أحد من كتابي وذوى المكانة عندي . وأرجو أن تردك صحة عزيتمك وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه ، فقد شهد الله على ميلي إليك وايتباري لك ورغبتى في مشاطرتك ما حوته يميني واحتوى عليه ملكي ، وليس يتوجه لك العذر في التبخلف عن إجابتى لأنك قد استفرغت مجهودك في مناصحة قوم لا يرون إحسانك ولا يشكرون إخلاصك يخلفون وعدك ويخفرون ذمتك لم يعتمد منهم أحد حسن المكافأة ولا جميل المجازاة . وليس ينبغي لك أن تعدل عن منهج من تصحك وايتار من آثرك إلى من يجهل موضعتك ويضيع

حسن سميك . وأنا أعلم أن طول العادة في طاعتهم قد كثره إليك العدول عنهم ، فإن لم نجد من نفسك معونة على اتباع الحق ولزوم الصدق فإني أَرْضَى منك بالموودة والامر والطاعة حتى تقيعني مقام رئيس من أهلك تسكن إليه في أمرك وتمول عليه بمثل ذلك . وإذ اندبرت هذا الامر علمت أن الذي يجملي على التطاطي لك وقبول الميسور منك إنما هو الرغبة فيك وأنت حقيق بحسن مجازاتي على ما بذلته والله بريك حسن الاختيار في جميع أمرك وهو حسبنا ونعم الوكيل » (١) .

ولكن الاخشيدي رأى أن يترك لنفسه فرصة التفكير في الامر فلم يكتب رد هذا الكتاب لتسليمه إلى رسول الخليفة الفاطمي بل « احتج إليه بأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يجوز له أن يبوح بما في نفسه إلى كاتب ، إذ كان الصواب يقتضي ذلك . ثم قال : وأنا أتدبر الجواب وأجيب عنه ويصل مع من أتق به وأسلك من حسن الموااة ما لم يكن غيري يسلكه » (٢) .

ولاريب في أن الاخشيدي كان يفهم أن الخليفة الفاطمي يدعو إلى الدخول في طاعته . وكان الاخشيدي يخشى أن يخرج على الخلافة العباسية فقد كان ضعفها يسمح له بأن ينعم بقسط وافر من الاستقلال ، وفضلا عن ذلك فإن من المحتمل أنه كان يكره أن يتخلى عن مذهبه السني ويلقى بنفسه في أحضان الدولة الفاطمية الشيعية . ومع ذلك فإنا لانظن أن هذا الاحتمال الأخير كان له وزن كبير عند الاخشيدي . فقد عرفنا أنه لما وجد أن الحكومة المركزية في بغداد لم تنصره على ابن رائق فسكّر في الدعوة للخليفة الفاطمي في خطبة الجمعة وفي قطع صلته بالخليفة العباسي (٣) . ولكن بعض أخصائه نصحوه بالعدول عن ذلك .

(١) ابن سميد : المغرب ص ٢٦

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦ — ٢٧

وقيل ان الاخشيد بعث بكتاب الى الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله يعرض عليه زواج ابنته من ولى عهد الخليفة . وقرأ القائم بأمر الله هذا الكتاب على مستشاريه فأشاروا عليه باجابة هذا الطلب، وبعث الخليفة الى الاخشيد: ^(١) «وصل كتابك وقد قبلنا ما بذلت . وهى وديعة لنا عندك وقد منحناها من بيت مالنا قبلك مائة الف دينار فتوصل ذلك اليها» ^(٢) . ولكن الاخشيد كان يظن أن القائم سيرسل اليه من الهدايا والاموال ما يفخر به فلما خاب ظنه وقف مشروع المصاهرة .

ومهما يكن من الامر فقد نظم الاخشيد علاقته بالحكومة المركزية فى بغداد ، وأدرك أن الافضل له البقاء تحت لوائها ^(٣) . واضطر الفاطميون الى مراقبة الحالة فى مصر عن كثب على الرغم من أن مطامعهم فى فتح هذه البلاد كانت تشتد سنة بعد أخرى . فقد كان يجذبهم اليها رخاؤها وثروتها ومركزها الجغرافى فى قلب العالم الاسلامى ، فضلا عن يأسهم من استقرار الأمور فى المغرب ورغبتهم فى التقدم نحو الشرق لعلمهم يستطيعون من مصر أن يسيطروا على الشرق الادنى ويسقطوا الخلافة العباسية .

وكانت سياسة كافور أن يبقى على حسن العلاقة بالخلفاء العباسيين من ناحية وبالفاطميين من ناحية أخرى . وقد عرفنا أن أبا المحاسن بن تفرى بردى كتب فى هذا الصدد أن كافورا كان « خبيرا بالسياسة فطنا ذكيا جيد العقل داهية . كان يهادى المعز صاحب المغرب ويظهر ميله اليه ، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء» ^(٤) .

(١) ابن سعيد : المغرب ٢٧

(٢) إذا صح ما نفهمه من هذا النص فإن القائم كان يفرض ان الاخشيد دخل فى طاعته . وان للقائم فى ذمته جزية أو مالا للخزانة الفاطمية وان القائم منح ابنة الاخشيد مائة ألف دينار من هذا المال المستحق للفاطميين .

(٣) ومع ذلك فإنه لم يعلن أى عداوة للفاطميين . ومما يستحق الذكر أنه أثناء قتال ابن رائق كان يفكر فى الهرب إلى بلاد الروم أو المغرب إذا حلت به الهزيمة . أنظر ابن سعيد : المغرب ص ٢٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦

وكان الفاطميون يسفرون في بعض الأحيان عن نيّهم العدائية نحو مصر في عصر كافور . وحدث أن أطلق الخليفة المعز جموعا من عساكره في المغرب هجمت على الواحات المصرية فأعد كافور جيشاً أجلاهم عنها ويبدو أنه قام بشبه « تعبئة » جزئية في هذه المناسبة » وصارت الطبول تضرب على بابه خمس مرات في اليوم والديلة وعدتها مائة طبلية من نحاس » (١) .

ولكن الفاطميين عملوا على نشر الدعوة لأنفسهم في مصر . بل قدم رسل المعز الفاطمي الى كافور يدعونه الى الدخول في طاعته فلاطفهم ولم يعط أى رد حاسم . بينما استطاع دعاة الفاطميين أن يأخذوا البيعة للمعز من كثير من وجوه القوم ورؤساء الجند الاخشيديين من الطوائف المختلفة (٢) .

والحق أن الفاطميين كانوا يطمحون أن استيلاءهم على مصر كان قريب الوقوع ولم يعد إلا مسألة وقت فحسب . ولا عجب فقد كان دعائهم يعملون في مصر منذ سقوط الدولة الطولونية . وزاد اتصالهم بوجوه مصر منذ قيام الأخشيد . ومن الأمثلة على هذا الاتصال في العصر الاخشيدى أن الوزير محمد بن على الماذرائى اتهم — حين كان معزولا في قبضة الفضل بن جعفر بالشام — بأنه كاتب الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله وزين له فتح مصر (٣) . ومن ذلك أن أبا الطاهر الذهلى الذى تولى قضاء مصر سنة ٣٤٨ ناظر رسولا قدم إلى مصر من قبل الفاطميين (٤) . ومنه أيضا ما عرفناه من أن أبا جعفر أحمد ابن نصر شيد دارا كبيرة وكانت تؤخذ فيها البيعة لصاحب المغرب (٥) .

بل قيل ان المعز لدين الله الفاطمي قدم إلى مصر في زمن كافور وان كافورا خرج اليه هو وعبد الله بن طباطبا « فقال عبد الله : ما نسبك ما حسبك !! فرجع المعز وهذه هي المرة الأولى » (٦) . والراجح عندنا أن من المحتمل أن يكون المعز قد قدم

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٧

(٢) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٧

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦

(٤) ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ٦٣

(٥) ابن زولاق : أخبار سيويه المصرى ص ٤٠

(٦) ابن الزيات : السكواكب السيارة ص ١٧٥

إلى « مكان ما » على الحدود المصرية وأن يكون كافور قد خرج للقائه ومعه ابن طباطبا للمفاوضة في مصير البلاد . ولا ننسى في هذه المناسبة قطعة النسيج المصرية التي كانت في مجموعة تانو المؤرخة من سنة ٣٥٥ وعليها عبارة « بسم الملك الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه سنة خمس وخمسين وثلثمائة »^(١) . فمن المحتمل أنها من مجموعة صنعت لاهدائها للمعز ، وأنها تشهد بأن كافورا كان حريصا على وده وصداقته وأنه كان « يكسب الوقت » ويرى أن مصر آيلة لاحتمال إلى الفاطميين . ومن المحتمل أيضا أن في تاريخها خطأ كتابيا . ولكنتنا على كل حال لا نميل إلى أن نستنبط منها أن مصر كانت قد دخلت في طاعة الفاطميين في ذلك التاريخ .

* * *

ولما مات كافور واستقل جعفر بن الفضل بن الفرات بالوزارة وتدير المملكة لأحمد بن علي بن الاخشيد اضطربت الأمور لأنه قام بشبه انقلاب سياسي ، فقبض على طائفة من كبار الموظفين وذوى الرأى وصادر أملاكهم . وكان من بينهم يعقوب ابن كلس ، ولكن أبا جعفر مسلم بن عبيد الله الشريف الحسينى شفع له عند ابن الفرات فأطلق سراحه وبقى ابن كلس محتفيا عند مسلم الحسينى ثم هرب إلى بلاط المعز في المغرب^(٢) .

وقد أخفق ابن الفرات في القبض على زمام الأمر ، فقد كانت الحالة المالية في البلاد سيئة إلى أبعد حد وكانت المجاعة والأوبئة واضطراب الأمن قد أفقدت الحكومة كل هيئة واستقرار ، ولا سيما حين عجزت عن دفع رواتب الجند . وعن جمع الضرائب^(٣) . وزاد الطين بلة أن « طمع أهل القرى في الجند »^(٤) . ثم هزم القرامطة

(١) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. 5 p. 11 No. 1622

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٧ وج ٢ ص ٤٤٠

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ١٣٨

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٤

الحسن بن عبيد الله بن طنج في الشام وسقطت في يدهم الرملة وانسحب الحسن بن عبيد الله إلى مصر وقبض على ابن الفرات وأراد أن يتولى تدبير الأمور . ولسكنه ما لبث أن أطلق سراحه وفوض إليه الحكم وعاد إلى الشام .

وصفوة القول أن سوء الحالة الاقتصادية والاضطراب السياسي الذي حل بالبلاد والدعوة الفاطمية التي انتشر أمرها كل ذلك حمل كثيرا من أولى الرأي في البلاد على الكتابة إلى المعز لدين الله يطلبون إليه القدوم إلى مصر لإنقاذها من الفوضى التي دبت إليها منذ احتفت شخصية كافور .

والواقع أن وجود كافور كان السبب الأساسي في تأخير الغزو الفاطمي . ومن الطريف في هذا الصدد أن في بعض المراجع روايات خيالية عن تخييط جثته بعد وفاته وإيهام الناس أنه لا يزال حيا ودوام الحال على هذا المنوال إلى أن كشفت الحقيقة بعد ثلاث سنين فكتب الناس إلى المعز ^(١) . كما أن دعاة المعز في مصر كانوا يقولون : « إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها ، وبيننا وبينكم الحجر الأسود — يعنون كافورا الاخشيدي » ^(٢) .

أما الفاطميون فكانوا يستعدون لغزو مصر قبيل وفاة كافور . ففي سنة ٣٥٥ أسر المعز بجفر الآبار في طريق مصر وفي نهاية جمادى الآخرة من سنة ٣٥٧ هـ وردت الأخبار من مصر إلى المغرب بموت كافور ^(٣) . فبدأ المعز في إعداد المال اللازم للحملة التي سيرها لفتح مصر سنة ٣٥٨ ^(٤) .

(١) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد الثاني الجزء الثاني ص ٨٧

(٢) المقرئى : تماظ الحنفا ص ١٤٦ — ١٤٧ وأبو الهاسن : النجوم الزاهرة

ج ٤ ص ٧٢

(٣) المقرئى : تماظ الحنفا ص ١٣٨

(٤) المرجع نفسه ص ١٣٩

ومن الوسائل التي استعملها المعز في حث شيوخ دولته على استنهاض الهمم لهذا الفتح أن سمعهم قصة قال إنها تشهد بترف المصريين وضعف نفوسهم وذهاب الغيرة منهم ، وقوام هذه القصة أن ابنة الاخشيد خرجت الى السوق لتشتري جارية تتمتع بها ^(١) .

ومما يذكر بوسائل الدعاية والفتح في أيامنا هذه أنه لما مات كافور أرسل المعز الى دعائه في مصر أعلاما أمرهم أن يفرقوها على من يبايع من الجند لينشروها عند وصول جنوده الى مصر ^(٢) .

ولما قرب الجيش الفاطمي من الاسكندرية كان للوزير جعفر بن الفرات شأن ظاهر في مشاوره أهل الرأي واستقر رأيهم في النهاية على مفاوضة جوهر القائد في شروط التسليم واتفق القوم على تأليف وفد للمفاوضة كان على رأسه الشريف أبو جعفر مسلم الحسيني وأبو اسماعيل الرسي والقاضي ابو طاهر الذهلي . والتقى الوفد بالقائد الفاطمي عند تروجة وانتهت المفاوضات بعهد الأمان الذي كتبه واعلنه للمصريين وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من جوهر الكتاب ، عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله ، صلوات الله عليه ، لجماعة أهل مصر الساكنين بها ، من أهلها ومن غيرهم ، انه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معي ، وهم : أبو جعفر مسلم الشريف — أطال الله بقاءه — وأبو اسماعيل الرسي — أيده الله — وأبو الطيب الهاشمي — أيده الله — وأبو جعفر احمد بن نصر — أعزه الله — والقاضي — أعزه الله وذكروا عنكم أنكم التستم كتابا يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم — ففرقتهم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وحسن نظره لكم ، فلتحمدوا الله على ما أولاكم ، وتشكروه على ما حماكم ، وتدابوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا الى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة عليكم وبالسلامة لكم ، وهو أنه — صلوات الله عليه — لم يكن إخراجا للعساكر المنصورة ، والجيوش المظفرة

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ١٤٣ والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٦٦

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ص ١٤٧

إلا لما فيه اعزازكم وحمایتكم والجهاد عنكم ، إذ قد تحطفتكم الأيدي ، واستطال عليكم المستنذل وأطمعته نفسه بالاعتقاد على بلدكم في هذه السنة والتغلب عليه وأسر من فيه ، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق ، وتأكد عزمه ، واشتد كلبه ، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — باخراج العساكر المنصورة ، وبادر بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق ، الذين عمهم الحزى ، وشملتهم الذلة ، واكنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا واتصل عندهم الخوف ، وكثرت استعانتهم وعظم ضجيجهم وعلاصراخهم ، فلم يغفهم إلا من أرمضه أمرهم ومضه حالهم ، وأبكى عينه ما نالهم وأسهرها ما حل بهم ، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، فرجا ، بفضل الله عليه ، واحسانه لديه ! وما عوده وأجراه عليه ، استمناذ من أصبح منهم في ذل مقيم ، وعذاب أليم ، وأن يؤمن من استولى عليه المهمل^(١) ويفرخ روع من لم يزل في خوف ووجل ، وآثر اقامة الحج الذي تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه للخوف المستولى عليهم ، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، وإذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى فسفكت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتماد ما حرت به عادته من صلاح الطرقات ، وقطع عبث العابثين فيها ، ليتطرق الناس آمنين ، ويسيروا مطمئنين ، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه — صلوات الله عليه — انقطاع طرقاتها ، لخوف مادتها إذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين .

ثم تجويد السكة ، وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة ، وقطع الغش منها ، إذ كانت هذه الثلاث خصال هي التي لا يتسع لمن ينظر في أمور المسلمين إلا اصلاحها ، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها .

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — إلى عبده من نشر العدل ، وبسط الحق ، وحسم الظلم ، وقطع العدوان ، ونفي الأذى ، ورفع المؤن ، والقيام في الحق ، وإعانة المظلوم مع الشفقة والاحسان وجميل النظر ، وكرم الصيحة ، ولطف

(١) لعلمها الزهول بمعنى الفزع .

العشرة ، وافتقاد الاحوال وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم ، وحين تصرفهم في أوان
 ابتغاء معاشهم ، حتى لا تجرى أمورهم إلا على ما لمَّ شعئهم ، وأقام أودهم ، وأصلح بلهم
 وجمع قلوبهم وألف كلمهم على طاعة وليه مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله
 عليه — وما أمر به مولانا من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرضى — صلوات
 الله عليه — بإبانتها عليكم .

وأن أجريكم في الموارث على كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه — وأضح
 ما كان يؤخذ من تركت موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها ، فلا استحقاق
 لمصيرها لبيت المال .

وأن أتقدم في رم مساجدكم ، وتزيينها بالفرش والايقاد ، وأن أعطى مؤذنيها
 وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم ، وأدرها عليهم ، ولا أقطعها عنهم ، ولا أذفعا
 إلا من بيت المال ، لا بأحالة على من يقبض منهم .

وغير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — مما ضمنه كتابه
 هذا ما ذكره من ترسل عنكم ، أيدهم الله ، وحباكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا
 أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — من أنكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها في كتاب
 أمانكم ، فذكرتها إجابة لكم ، وتطمينا لأنفسكم ، وإلا فلم يكن لذكرها معنى ،
 ولا في نشرها فائدة ، إذ كان الاسلام سنة واحدة ، وشريعة متبعة ، وهي إقامتكم
 على مذهبكم ، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء المفروض في العلم ، والاجتماع عليه
 في جوامعكم ومساجدكم ، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة
 — رضى الله عنهم — والتابعين بعدهم ، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم
 وفتواهم ، وأن يجرى الأذان ، والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام ليلته ،
 والزكاة ، والحج ، والجهاد على أمر الله في كتابه ، ونصه نبيه — صلى الله عليه وسلم —
 في سنته ، واجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه .

ولكم على أمان الله التام العام ، الدائم المتصل ، الشامل الكامل المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام ، وفي أنفسكم وأموالكم وأهاليكم ونعمكم وضياعكم ورباعم وقليلكم وكثيركم ، وعلى أن لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجن ، ولا يتعقب عليكم متعقب ، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ، ويذب عنكم ، وينع منكم ، فلا يتعرض الى أذاكم ، ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ، ولا في الاستطالة على قلوبكم — فضلا عن ضعيفكم — وعلى أن لا أزال مجتهدا فيما يعمم صلاحه ، ويشملكم نفعه ، ويصل اليكم خيره ، وتعرفون بركته ، وتغبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه .

ولكم على الوفاء بما التزمته ، وأعطيتكم إياه ، عهد الله ، وغليظ ميثاقه وذمته ، وذمة أنبيائه ، ورسله ، وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين — قدس الله أرواحهم — وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله — صلوات الله عليه — فصرحون بها ، وتعلمون بالانصراف اليها ، وتخرجون إلى ، وتسلمون على ، وتكونون بين يدي ، إلى أن أعبر الجسر ، وأنزل في المناخ المبارك ، وتحفظون وتحافظون — من بعد — على الطاعة ، وتنابرون عليها ، وتسارعون إلى فرضها ، ولا تأخذون وليا لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وتلزمون ما أمرتم به ، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين .

وكتب جوهر القائد الأمان بخطه في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأختيار .

وكتب بخطه في هذا الكتاب .

« قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين — صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين — « كتبت هذا الأمان على ماتقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — وعلى الوفاء بجميعة لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ما شرطت فيه ، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ، صلى الله على محمد وعلى آله الطيبين » (١) .

وهكذا نرى أن هذا الأمان هدف إلى إيهام المصريين أن جيوش الفاطميين قدمت لهم إيمانهم ، وعرض ، فضلا عن ذلك ، لبرنامج من الإصلاح كقائمة شعائر الحج وإصلاح الطرقات والعمل على استتباب الأمن وتوفير الأقوات وإصلاح العملة وقطع الغش منها ونشر العدل . ونلاحظ أنه قد نص على العدول عما كان متبعاً في العصر الاخشيدى من أخذ جزء لبيت المال من تركات الموتى من غير وصية من المتوفى . كما وعد بترميم المساجد وتأنيثها وأن تدفع للمؤذنين فيها والقومة والأئمة رواتبهم من بيت المال لا بإحالة على من يقبض منهم . كما نص العهد على إقامة أهل مصر على مذهبهم في العبادة أى أنهم لا يلزمون بالتحول إلى المذهب الشيعى . ونص كذلك على تأمينهم على أنفسهم وأموالهم وضياعهم . وصفوة القول أن هذا الكتاب لم يكن أمناً ومعاهدة فحسب بل كان أشبه شيء بخطاب عرش يرسم الخطوط الرئيسية لسياسة الحكومة الجديدة .

ورجع الوفد بهذا الأمان إلى الوزير ابن الفرات وتبين في الوقت نفسه أن طائفة كبيرة من الجند غير راضين عن عقد الصلح كما رفضه بعض وجوه القوم^(١) . وقال الجند : « ما بيننا وبين جوهر إلا السيف » وأقروا عليهم قائداً من بينهم اسمه نحرير شوزان ، وبقى أحمد بن على بن الاخشيد لا يفكر فيه .

ووصل جوهر بجيشه إلى الحيزة وأفلحت بعد ذلك فرقة من جيشه في عبور النيل عند منية شلقان شرقى القناطر الخيرية الآن . ووقع القتال بينها وبين الجند المصريين فقتل منهم عدد كبير ثم استقر رأى المصريين على مطالبة الشريف مسلم الحسينى بالكتابة إلى جوهر فى إعادة الأمان ، ولجى القائد دعوة الشريف فأعاد الأمان . وخرج أبو جعفر مسلم وجعفر بن الفرات وسائر الأشراف والقضاة والعلماء ووجوه التجار والأعيان إلى الحيزة لاستقبال القائد الفاطمى ، ودخل جوهر عاصمة البلاد فى شعبان من سنة ٣٥٨^(٢) . وهكذا بدأ حكم الفاطميين فى مصر وانقضى عهد الدولة الاخشيدية . وقامت بعض المقاومة للحكم الجديد ، لاسيما بين البشامرة — على ساحل الدلتا بين فرعى دمياط ورشيد — ولكن الفاطميين أفلحوا فى القضاء عليها^(٣) .

(١) المقرئى اماط الحنفا ص ١٥٤

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٧ — ١٥٨

(٣) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٢ الجزء ٢ ص ٨٨

خاتمه

خاتمة

عرضنا في الأبواب السابقة لشتى النواحي السياسية والاجتماعية والفنية من تاريخ مصر في العصر الاخشيدى ، وهو فترة من تاريخها في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وذيل لتاريخها قبل الاخشيديين ومدخل لتاريخها في العصر الفاطمى ، بل إنه من بعض النواحي وثيق الصلة بتاريخ العالم الإسلامى كله في الفترة التى زاد فيها ضعف الخلافة العباسية حتى بلغ أشده .

ورأينا أن استقلال مصر عن الخلافة في العصر الاخشيدى كان استقلالا ملموسا لاشك فيه ، وإن ظلت الروابط الروحية ومقتضيات الأحوال السياسية تربطها بالحكومة المركزية فى بغداد من غير أن تصل بها الى التبعية المطلقة . وكان مثلها فى ذلك مثل الدولة الطولونية ، وإن كان استقلال الطولونيين يبدو لبعض الباحثين أوضح وأظهر أثرا . ولعل بعض السبب فى هذا أن الاخشيديين لم يحاربوا الحكومة المركزية صراحة كما فعل ابن طولون وخمارويه ، وأن الاخشيديين خلفتهم الدولة الفاطمية التى استقلت مصر على يدها استقلالا لاشك فيه فأنسنت القوم ما كان للاخشيديين من مجد واستقلال .

وقد بدأنا بدراسة تاريخ مصر قبيل قيام الاخشيد لأتنا لانستطيع أن نفهم تاريخ الاخشيديين حق الفهم بغير امعان النظر فى الفترة الواقعة بين سقوط الطولونيين وتولية محمد بن طنجح ، فهى الفترة التى بدأت فيها الغزوات الفاطمية على مصر ، ثم ساد الاضطراب وظهر ضعف الحكومة المركزية فى إقرار الأمن وفرض إرادتها على البلاد ، ولا سيما حين ظهر على مسرح السياسة المصرية محمد بن طنجح بعد وفاة الوالى تكين .

وتحدثنا عن أسرة الماذرائيين التى نزع كثير من أفرادها الى مصر منذ بداية العصر الطولونى واستطاع بعضهم أن يصلوا الى الاشراف على تدبير الشئون المالية فى مصر ، وأن ينفذوا من تدبير هذه الشئون الى السيطرة على معظم مرافق الحياة فى البلاد . وقد رأينا أن الماذرائيين كان لهم الشأن الأول فى حكم البلاد وتدير

أمورها في عصر الاخشيديين وشرحنا المسكاة الخطيرة التي كانت لهذه الأسرة في الادارة المصرية بين عامي ٢٦٦ و ٣٤٥ هـ .

وتبين لنا أن تاريخ العصر الاخشيدى هو تاريخ محمد بن طغج مؤسس الدولة الاخشيدية ثم تاريخ كافور تابعه وتلميذه في ميدان السياسة . ولم يكن ابن طغج إلا جنديا نابهاً من أولئك الجند الترك الذين حفل بذكرهم تاريخ الدولة العباسية منذ عصر الخليفة المعتصم ، والذين استطاع نفر منهم أن يشق لنفسه الطريق وأن يتحكم في مصير بعض الأقاليم الإسلامية وأن يظهر إلى أى حد يمكن لحاكم قوى بشخصيته وعبقريته أن يفيد من الجيوش المؤلفة من العناصر المختلفة الجنس وأن يصل إلى السلطان السياسى والحربى في إمبراطورية اتسعت أرجاؤها حتى أصبح من العسير على الخلفاء الضعفاء أن يحتفظوا بنفوذهم فيها .

وعرفنا أن محمد بن طغج نجح في الاستيلاء على زمام الأمور بمجهوده الشخصية لأن تقليد الخليفة لم يعد يكفى في ذلك الوقت لتثبيت الوالى . وتحدثنا عن اتساع سلطانه وعن النزاع بينه وبين ابن رائق وعن محاولته جذب الخليفة للإقامة في مصر لينتقل إليها مراكز الخلافة العباسية وليتخلص الخليفة من وصاية أمير الأمراء والجند الترك في بغداد .

وتبين لنا من المراجع التاريخية والسكة والطراز ، أن العلاقة بين الإخشيد والحكومة المركزية ظلت علاقة طيبة وأن الاخشيد لم يخرج على الخلافة كما خرج ابن طولون على الموفق صاحب الأمر في حكومة المعتمد العباسى .

وهكذا تقلد الاخشيد أمر مصر والشام والثغور الشامية . أما تقليده الحجاز واليمن فقد اتهمنا إلى أنه كان أمراً سوريا ورمزيا ، إذ أن حكم هذه البلاد كان بيد أسرات محلية ربما خضع أمراؤها خضوعاً اسمياً للخلفاء العباسيين أو لمن يقدمهم أولئك الخلفاء حكم تلك البلاد .

وقد لاحظنا أن قتل ابن رائق واستقرار الحكم في الشام للاخشيد ونجاحه في تدعيم حكمه في مصر ، كل ذلك يعتبر حداً فاصلاً في علاقته بالخلافة ، فقد أصبح

من القوة بحيث استطاع سنة ٣٣١هـ (١٩٤٢ م) أن يأخذ البيعة من قواده لابنه أونوجور .
ثم أتيح له لقاء الخليفة في الرقة وحصل منه على تقليد بحكم مصر ثلاثين سنة
وإذن باستخلاف أونوجور .

وكان من أهم ما عرضنا له في الكلام على خلفاء الاخشيد موضوع التكييف القانوني
للفترة التي استقل فيها كافور بحكم مصر بعد وفاة علي بن الاخشيد سنة ٥٣٥٥هـ .
ورجحنا أن كافور لم يسمح بذكر أحمد بن علي بن الاخشيد في الخطبة ، وأنه استقل
بمصر ، ولكنه كان يشعر أنه غريب عن أسرة الاخشيد . ولعله كان يشعر بما نكاد
نصل إليه من النصوص ، وهو أنه وسط بين الأمير الحاكم والوصى على العرش . فآثر
أن يحتفظ بلقب « الأستاذ » حتى لا يصدم أهل الرأي في البلد باغتصاب لقب الامارة
إلى جانب اغتصابه السلطان ، فضلا عن أن مسألة وصول تقليد من الخليفة إليه ليست
ثابتة تماما .

وقد فصلنا الكلام على أمراء البيت الاخشيدى وعلى البلاط وكبار الموظفين فيه ،
كما درسنا نظام الادارة في مصر ممثلا في الوظائف الرئيسية ، فتحدثنا عن الوزير
والكتاب وولاة الأقاليم وصاحب الشرطة والعامل على الخراج وممثل الأمير في بغداد
وصاحب الطراز ومتولي دار الضرب وعن سائر الوظائف . وقد أفدنا في هذا الميدان
فائدة جلية من المراجع المسادية كأوراق البردى والسكة والطراز والكتابات الأثرية .

وتحدثنا عن القضاء والمظالم والحسبة ، وانهينا إلى ملاحظات هامة بشأن منصب
القاضي : أخطرها شأننا أن الرشوة كانت تدفع في سبيل الوصول إليه أسوة ، بما كان يحدث
حينذاك في منصب القضاء في مقر الخلافة نفسها ، حتى بطلت القاعدة التي تقول بأن
طالب القضاء لا يولى ، وفقد منصب القضاء استقلاله ، وكان لا بد للقاضي من مداراة
الأمير وطاعته ليستطيع الاحتفاظ بمنصبه .

وكان للمجتمع المصرى نصيب وافر من دراستنا في هذا الكتاب ، فقد كتبنا
عن طبقات المجتمع من الاشراف وعلية القوم وأهل الذمة وسواد الشعب والرقيق

وعن رجال الجيش والبحرية ، وعن الأعياد والحفلات ، وعن الأخلاق والعادات ، ومستوى المعيشة ، والسجون ، وعن مجالس الغناء والطرب والملابس والحمامات والزواج والرياضة . كما كتبنا عن استخراج الكونز من الآثار المصرية القديمة ، وعن الزراعة والصناعة والتجارة والملاحة . واستطعنا أن نصل إلى بحوث جديدة وطريقة في هذا الميدان الذي لا يزال يحتاج إلى عناية المؤرخين وجهودهم في البحث . ولا شك أن الفضل فيما أصبنا من التوفيق يرجع إلى المراجع المسادية ، ولا سيما أوراق البردى ، وإلى قراءة كثير من كتب الأدب وتقوم البلدان والرحلات ، فضلا عن الانتباه إلى كل دقيقة وصغيرة في النصوص التاريخية التي وصلت إلينا .

ورأينا أن مصر في عصر الاخشيديين كان لها نصيب وافر في الحياة العقلية والفنية التي ازدهرت في ديار الإسلام حينذاك . وإن يكن من العسير أن ننسب إليها طابعا خاصا في هذا الميدان . ولا غرابة في هذا إذا تذكرنا أن القومية في العالم الإسلامي لم تكن قد وضحت معالمها في العصور الوسطى .

وكان أهم ما وقفنا عنده في الكلام على السياسة الداخلية في العصر الاخشيدى السياسة المالية . واعتمدنا في هذا الصدد على الوثائق البردية وعلى ما جاء في المراجع التاريخية ، وقد رأينا أن الاخشيد أقبل على مصادرة ما كان يجمعه كبار الموظفين والأغنياء من الأموال ، ولعله كان يبرر ذلك بالرغبة في سد نفقات الدولة والانفاق على الجيش ، ومعاينة الموظفين الذين يرتشون أو يسيئون استعمال ما لوطنائهم من النفوذ والحجاء .

وفي اعتقادنا أن الاخشيد وكافورا استطاعا القضاء على الفوضى واضطراب الأمن وما الى ذلك من القلاقل التي سادت في مصر بعد سقوط الطولونيين ، كما أتيج لمصر أن تنعم على يدها بقسط من الاستقرار والهدوء لم تنله أقاليم أخرى من ديار الإسلام في القرن الرابع .

أما الشعب المصرى خلال هذا العصر فكان شعبا هادئا خاضعا ، يغلب على أفرادها طابع الانصراف الى شئونهم الخاصة والعيش على هامش الحياة السياسية في البلاد .

ولا عجب فإننا لا نكاد نجد بمصر في ذلك العصر شعورا قوميا أو وطنيا ، إذ كان الشعب قد اعتاد أن يراقب عن كثب حكاما من خارج البلاد يفدون عليها بين حين وآخر ، ويجمعون للدفاع عنها جيوشا لم يكن للعصر المصرى فيها الغلبة أو الشأن الأول . ولم يكن المصريون في ذلك العصر يستطيعون أن يجمعوا أمرهم على شىء يفرضونه على حكومة البلاد ، ولم يكن أمام الحكومة رأى عام تحسب له أى حساب . وطبيعى أن قيام الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية في القرن الرابع لم يكن له صلة بشعور قومي أو وطنى ، كما كان لقيام الدويلات التى نزعت الى الاستقلال بإيران في القرنين الثالث والرابع الهجرى .

المراجع العربية

- الأبشيهي (محمد بن أحمد أبو الفتح) ، توفي ٨٥٠ هـ — ١٤٤٦ م : « المستطرف في كل فن مستظرف » ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ابن الأثير (علي بن أحمد بن أبي الكرم) ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م : « الكامل في التاريخ » ، ١٢ جزءاً ، بولاق ١٢٩٠ هـ .
- أحمد أمين بك (الدكتور) : « ظهر الاسلام » الجزء الأول ، القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .
- أحمد تيمور باشا : « التصوير عند العرب » أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليمات الدكتور زكي محمد حسن ، القاهرة ١٩٤٢ م .
- أحمد عيسى بك : تاريخ البيهارستانات في الاسلام ، القاهرة ١٩٣٩ م .
- الادريسي (محمد بن محمد بن عبد الله الشريف) ، ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ — ١١٦٥ م « صفة المغرب وأراضي السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ليدن ١٨٦٤ — ١٨٦٦
- الأدفوي (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي) ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م : « الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » مصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .
- ابن آدم القرشي (يحيى) ، ت في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي : « كتاب الخراج » ليدن ١٨٩٥ — ١٨٩٦ م .
- الأصطخري (إبراهيم بن محمد) ، ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي : « كتاب مسالك الممالك » ليدن ١٩٢٧ م .
- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) ، ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ — ١٣٠٠ هـ .
- ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد) ، ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م :
- ١ — « كتاب تاريخ مصر » المعروف باسم « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ٣ أجزاء ، بولاق ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م .
- ٢ — « نشق الأزهار في عجائب الأمصار » طبع قسماً من الكتاب الاستاذ Langlès باريس ١٨٠٧ م .
- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبدالعزيز البكري) ، ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م : « المغرب في ذكر بلاد افریقیة والمغرب » طبع دي سالن ، الجزائر ١٨٥٧ م .
- البهوي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المدني) ، ت بعد نيف وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة / القرن العاشر الميلادي : « سيرة أحمد بن طولون » حققها وعلق عليها محمد كرد علي ، دمشق ١٣٥٨ هـ .

التنوخى (أبو على المحسن بن أبي القاسم) ، ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م :

١ — « الفرج بعد الشدة » مصر ١٣٥٧ هـ .

٢ — « جامع التواريخ المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » ، الجزء الأول ، طبع مصر سنة ١٩٢١ م . والجزء الثامن ، دمشق سنة ١٩٣٠ م .

النعابى (أبو منصور عبد الملك النعابى النيسابورى) ، ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م :

١ — « يتيمة الدهر » ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .

٢ — « اطائف الممارف » ، طبع دى يونج ، لندن ١٨٦٧ م .

جرومان (آدولف) : « أربع محاضرات عن الأوراق البريدية العربية » تعريب الأستاذ توفيق اسكاروس ، القاهرة ١٩٣٠ م .

الجهشيبارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس السكوفى) ، ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م : « كتاب الوزراء والكتاب » حققه ووضع فهارسه الأساتذة مصطفى السقا و ابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شاي . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٨ م .

جورجى زيدان : « تاريخ آداب اللغة العربية » ٤ أجزاء ، الطبعة الثانية سنة ١٩٣٤ م .

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى) ، ت ٨٨٥ هـ / ١٤٥١ م : « التحفة السنوية بأسماء البلاد المصرية » القاهرة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م .

ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين بن على) ، ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م : « وقع الاصر عن قضاة مصر » مخطوط بدار السكتب المصرية رقم ٢١١٥

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) :

١ — « الفاطميون فى مصر » القاهرة ١٩٣٢ م .

٢ — « كافور الاخشيدى » : مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول المجلد السادس . القاهرة مايو ١٩٤٢

٣ — « تاريخ الاسلام السياسى » : الجزء الثالث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٤٩ م .

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) والدكتور على ابراهيم حسن : « النظم الإسلامية » القاهرة ١٩٣٩ م .

الحصرى القيروانى (أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى) ، ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م : « زهر الاداب وثمر الاباب » طبعة الدكتور زكى مبارك ، القاهرة ١٩٢٥

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى) ، ت أواخر القرن ٤ هـ / أواخر القرن ١٠ م : « المسالك والممالك » لندن ١٨٧٣ م .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المغربى) ، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م :

١ — « العبر وديوان البتداء والخبر » ٧ أجزاء ، القاهرة ١٢٨٤ هـ / ١٩٦٥

٢ — « المقدمة » القاهرة ١٢٤٨ هـ / ١٩٣٠ م .

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم) ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م : « وفيات الأعيان » جزاء ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

خليل الظاهري (غرس الدين بن شاهين) ، ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م : « زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك » طبعة Paul Ravaisse باريس ١٨٩٤ م .

ابن الداية (أبو جعفر أحمد بن يوسف) ، ت ٣٣٠ هـ أو ٣٤٠ هـ / ٩٤١ م أو ٩٥١ م :

١ — « سيرة أحمد بن طولون » نشرها فولرز في فييار سنة ١٨٩٥

٢ — « المكافأة » القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

ابن دقناق (إبراهيم بن محمد المصري) ، ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ — ١٤٠٧ م : « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » الجزء الرابع والخامس ، بولاق ١٣٠٩ نشرة المستشرق فولرز ١٨٧٧ .

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد) ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ — ١٣٤٨ م مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ ، المجلد ١٦ حوادث من سنة ٣٠١ هـ إلى سنة ٥٠٠ هـ .

زكي مبارك (الدكتور) : « النثر الفني في القرن الرابع » جزءان ، القاهرة ، ١٩٣٤

زكي محمد حسن (الدكتور) :

١ — الفن الاسلامي في مصر ج ١ ، القاهرة ١٩٣٥ م .

٢ — كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ م .

٣ — مصر والحضارة الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٢ م .

٤ — الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٤٥ م .

٥ — فنون الاسلام ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٦ — دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٢

ج ١ مايو ١٩٥٠

ابن زولاقي (أبو محمد الحسن بن ابراهيم) ، ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م : « أخبار سيدييه المصري » . نشره الأستاذة محمد ابراهيم سعد وحسين الديب ، الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .

ابن الزياد (شمس الدين أبو عبد الله) ، ت ٨١٤ هـ / ١٤١١ م : « الكواكب السيارة » ، المطبعة الأميرية بمصر (١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م) .

ساويرس (أسقف الاثمنونين) . انظر ابن المقفع .

السبكي (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب) ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م : « طبقات الشافعية الكبرى » ٦ أجزاء ، المطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ .

ابن سعيد (علي بن موسى المغربي) ، ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م : « السفر الرابع من كتاب المغرب في حلى المغرب » ليدن ١٨٩٩ م .

سعيد بن بطريق (أفثيشيوس) ، ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م : « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » جزءان ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩٠٥ م .

السمماني (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمماني الفرزي) ، ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م : « أنساب العرب » ليدن ١٩١٢ م .

- السيوطي (جلال الدين) . ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م :
- ١ — « تاريخ الخلفاء » القاهرة ١٣٠٥ م .
- ٢ — « بنية الوصاف في طبقات اللغويين والنحاه » القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .
- ٣ — « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » جزءان ، القاهرة ١٣٢١ هـ .
- سيدة اسماعيل كاشف (الدكتور) : « مصر في فجر الاسلام » القاهرة ١٩٤٧ م .
- ابن سناكر السكتي (محمد بن احمد) ، ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م : « فوات الوفيات » جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ابن الشحنة (أبو الفضل محمد) ، ت ٨٩٠ / ١٤٨٥ م : « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » بيروت ١٩٠٩ م .
- الشيذري (عبد الرحمن بن نصر) ، ت حوالي ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م : « كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة » قام على نشره السيد الباز العريني ، القاهرة ١٩٤٦ م .
- أبو صالح الأرمي (أبو المكارم جرجس بن مسعود) ، ت أوائل القرن السابع الهجري / أوائل الثالث عشر الميلادي : « تاريخ » المعروف بكنائس وأديرة مصر . طبعة Everts كسفورد ١٨٩٥ م .
- الصمدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ، ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م : « الوافي بالوفيات » الجزء الأول ، الآستانة ١٩٣١ م .
- الصولي الشطرنجي (أبو بكر محمد بن يحيى) ، ت ٣٣٥ أو ٣٣٦ هـ / ٩٤٦ أو ٩٤٧ م : « أخبار الراضي بالله والتمني لله من كتاب الأوراق » نشره هيورث دن Heyworth Dunne . القاهرة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م .
- ابن الصبري (أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب) ، ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م أو بعد سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م : « الاشارة إلى من نال الوزارة » طبع مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية سنة ١٩٢٤ م .
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م : « تاريخ الأمم والملوك » ١١ جزءا ، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية بمصر .
- ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا) ، أتم كتابه في سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م : « الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية » المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م .
- ظه حسين بك (الدكتور) : « مع المتنبي » جزءان ، القاهرة ١٩٣٦ م .
- ابن ظافر الأزدي المصري (جمال الدين علي) ، ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ م : « كتاب الدول المنقطعة » صورة شمسية محفوظة في دار السكتب المصرية لجزء من مخطوطة المتحف البريطاني (دار السكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ) ونقل وستنغلد جزءا من مخطوطة غوطا (رقم ٢٤٥) وطابعه في كتاب Die Statthalter von Ägypten Zur Zeit der Chalifen

- ابن عبد الحكيم (عبد الرحمن بن عبد الله) ، ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ — ٨٧١ م : «فتوح مصر وأخبارها» طبعة تورى Torrey نيوهافن ١٩٢٢ م .
- عبد اللطيف البغدادي (الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف المعروف بابن الأبياد) ، ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م : «عبد اللطيف البغدادي في مصر» وهو الكتاب المعروف باسم «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر» طبعة المجلة الجديدة (سلامه موسى) .
- ابن العبري (أبو الفرج بن هرون المنطلي) ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م : «تاريخ مختصر الدول» مطبعة الآباء المسيوعيين بيروت ١٨٩٠ م .
- ابن العديم الحلبي (كمال الدين أبو حفص أو أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله والمعروف بابن أبي جراد) ، ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ — ١٢٦٢ م : «زبدة الحلبي في تاريخ حلب» نشر جزء منه الاستاذ Canard في الفصل الخامس من كتابه Sayf al-Daula .
- ابن عذاري المرآكشي (أبو عبد الله محمد) ، ت في أواخر القرن السابع الهجري / أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلادي : «البيان المغرب في أخبار المغرب» طبعة الاستاذ Dozy ليدن ، الجزء الأول ١٨٤٨ والجزء الثاني ١٨٤٩ — ١٨٥١ م .
- عريب بن سعد القرطبي . ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م : «صلة تاريخ الطبري» الجزء الثاني عشر من كتاب تاريخ الأمم والملوك «للاطبري» الطبعة الأولى بمطبعة الحسينية بمصر .
- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عساكر الشافعي الدمشقي الملقب بثقة الدين) ، ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م : «التاريخ الكبير» ٥ أجزاء ، دمشق ١٣٢٩ — ١٣٣٢ هـ .
- على إبراهيم حسن (الدكتور) : دراسات في تاريخ الممالك البحرية ، القاهرة ١٩٤٤ م .
- على بك بهجت والبير جبريل : حفريات الفسطاط ، القاهرة ١٩٢٨ م .
- على مبارك باشا : «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة» ٢٠ جزء ١ بولاق ١٣٠٦ هـ .
- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحفيظ بن أحمد بن محمد الصالحى) ، ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م : «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ .
- الأمير عمر طوسون : «مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن» الاسكندرية سنة ١٩٣١ م .
- العمرى (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) ، ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م : «التعريف بالمصطلح الشريف» القاهرة ١٣١٢ هـ .
- ابن العميد (الشيخ المسكين جرجس بن العميد بن الياس) ، ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٢ م : «تاريخ المسلمين» ليدن ١٦٢٥ م .
- العيني (بدر الدين محمود) ، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م : «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» الجزء الثالث عشر من سنة ٢٧٩ هـ إلى آخر سنة ٣٣٠ هـ ، والجزء الرابع عشر من سنة ٣٣١ هـ إلى آخر سنة ٤٣٠ هـ (مخطوط بدار السكتب المصرية رقم ٧٥٨٤ تاريخ) .

- الغزولى (علاء الدين على بن عبد الله البهائى الغزولى الدهشقى) ، ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م :
 « مطالع البدور فى منارل السرور » جزءان ، الطبعة الأولى ، مصر ١٢٩٩ — ١٣٠٠ م .
- أبو الفدا (الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة) ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ — ١٣٣٢ م : « المختصر
 فى أخبار البشر » ٤ أجزاء القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .
- أبو فراس الحمدانى (الحارث بن سعيد بن حمدان) ، ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م : « ديوان أبى فراس
 الحمدانى » عنى بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهرسه الدكتور سامى الدهان .
 بيروت ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م .
- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمدانى) ، ت أواخر القرن الثالث الهجرى / أوائل العاشر
 الميلادى : « مختصر كتاب البلدان » ليدن ١٨٨٥ م .
- قدامة بن جعفر ، ت ٣١٠ هـ أو ٣٢٠ هـ أو ٣٢٧ هـ / ٩٢٢ م أو ٩٣٢ م أو ٩٤٩ م : « نبذ من كتاب
 الحراج وصناعة الكتابة » الجزء السادس من المكتبة الجغرافية ١٨٨٩ م .
- القائمشندى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على) ، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م : « صبح الأعشى
 فى صناعة الانشا » ١٤ جزء ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩١٣ — ١٩١٩ م .
- الكاسانى أو الكاسانى (علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الملقب بملك العلماء) ،
 ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م : « بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع » ٧ أجزاء ، الجزء الاول والثانى
 مطبعة شركة المطبوعات العلمية ١٣٢٧ هـ والجزء الثالث الى السابع مطبعة الجلمالية ١٣٣٨ هـ .
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدهشقى) ، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م :
 « البداية والنهاية » ١٤ جزءاً ، مطبعة السمادة بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ م .
- الكرملى (الأب أنستاس) : « النقود المرية وعلم النميات » القاهرة ١٩٣٩ م .
- كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسين بن شهاق أو شاهك) ، ت ٣٥٠ أو ٣٦٠ هـ / ٩٦١ أو ٩٧٠ م :
 « ديوان كشاجم » بيروت ١٣١٣ هـ .
- السكرندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ، ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م : « كتاب الولاة وكتاب القضاة »
 ليدن وبيروت ١٩٠٨ — ١٩١٢ م .
- الأب لويس شيخو اليسوعى : « هلال الصابى وآلئفه » ، (مجلة الشرق ، السنة السادسة .
 بيروت سنة ١٩٠٣ م) .
- المأوردى (أبو الحسن على بن محمد بن جبيب) ، ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م :
 ١ — « الاحكام السلطانية » القاهرة ١٣٣٨ هـ .
 ٢ — « أدب الوزير » المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك ، القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م
- المنبى (أبو الطيب) ، ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م :
 ١ — « ديوان » بيروت ١٩٠٠ م .
 ٢ — القوائد المصرىات الكافورىات ، فى ديوانه طبعة ديتريش فى برلين سنة ١٨٦١

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ — ١٤٧٠ م : « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ١٠ أجزاء ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ م — ١٩٤٩ م .

محمد جمال الدين سرور (الدكتور) : « الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره » القاهرة ١٩٣٨ محمد كامل حسين (الدكتور) : « في الأدب المصري الاسلامى من الفتح الاسلامى الى دخول الفاطميين » القاهرة ١٩٣٩ م .

محمد كامل مرسى باشا (الدكتور) : « الملكية العقارية في مصر وتطورها التاريخي من عهد الفراعنة حتى الآن » ، القاهرة ١٩٣٦ م .

محمد كرد علي : « خطط الشام » ٦ أجزاء ، دمشق ١٩٢٥ — ١٩٢٨

محمد مصطفى زيادة (الدكتور) : « بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك بمصر » مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول المجلد الرابع ، الجزء الأول ، القاهرة سنة ١٩٣٨

المراكشي (أبو محمد عبد الواحد بن علي ، محي الدين) ، ت ٦٦٩ هـ / ١٣٧٠ — ١٣٧١ م : « المنجب في تلخيص أخبار المغرب » طبعة دوزى . ليدن ١٨٨١

مسكويه (أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب) ، ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م : « تجارب الأمم وتغاقب الملهم » الجزء الأول ، ليدن ١٩٠٩ م ، والجزء الخامس والسادس مطبعة شركة التمدن بمصر ، ١٣٣٢ و ١٣٣٣ هـ — ١٩١٤ و ١٩١٥ م .

المسعودى (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) ، ت ٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ أو ٩٥٧ م :

١ — « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ٩ أجزاء ، باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧ م .

٢ — « كتاب التنبيه والاشراف » القاهرة ١٩٣٨ م .

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله) ، من علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ، أو النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى : « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ليدن ١٨٨٧ م .

المريزى (تقى الدين) ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ — ١٤٤٢ م :

١ — « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » جزءان ، بولاق ١٣٧٠ هـ نشر

الأستاذ جاستون فييت جانبا من الجزء الأول (طبعة بولاق) في أربعة مجلدات

في المعهد الفرنسى للأثار الشرقية في القاهرة ، (القاهرة ١٩١١ — ١٩٢٤ م) .

٢ — « تماظ الخفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » نشره الدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٤٨ م .

٣ — « التاريخ الكبير المفقى (نقل جزءا منه جوتشلك في رسالته عن المأذرائيين ، برلين — ليزج ١٩٣١ م) .

٤ — « كتاب النقود القديمة الاسلامية (نشره الأب أنستاس مارى السكرملى في كتابه النقود العربية وعلم النميات) .

٥ — « اغاثة الامة بكشف الغمة » نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٤٠ م .

ابن المقنن (ساويرس أسقف الاشموين) ، ت أواخر القرن ٤ هـ / أواخر القرن ١٠ م :
« سير الآباء البطاركة » الجزء الاول والخامس والعاشر من مجموعة Patrologia Orientalis ،
باريس ١٩٠٧ و ١٩١٠ و ١٩١٥ ، والمجلد الثاني (مطبوعات جمعية الآثار القبطية ، القاهرة ١٩٤٨ م

المسكين : انظر ابن العميد .

ابن ممانى (أبو المسكارم أسعد بن مهذب بن مينا) ، ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م : « كتاب قوانين
الدواوين » نشره وعاق عليه الدكتور عزيز سوربال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ م .

ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف بن حباب) ، ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م : « أخبار مصر »
الجزء الثاني فقط ، طبع في المعهد العلمى الفرنسى وصححه الاستاذ هنرى ماسيه .
القاهرة ١٩١٩ م .

ابن النديم (محمد بن اسحاق) ، ت نحو ٣٨٥ هـ / نحو ٩٩٥ م : « الفهرست » ليزج ١٨٧١
النواجى (شمس الدين محمد بن الحسن) ، ت ٨٥٩ هـ / ١٤٥٥ م : « حباة السكيت » القاهرة ١٣٩٩ هـ .

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م : « نهاية الأرب فى فنون
الأدب » المطبوع منه ١٥ جزءاً ، الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية .

هلال الصبانى (أبو الحسن أو أبو الحسين هلال بن المحسن بن أبى إسحق إبراهيم) ، ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م :
« تحفة الأسماء فى تاريخ الوزراء » نشرة Amelroz بيروت ليدن ١٩٠٤ م .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى) ، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م :

١ — « معجم الأدباء » أو « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » أو « ارشاد الآباء
إلى معرفة الادباء » ٢٠ جزءاً ، القاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٢٨ م .

٢ — « معجم البلدان » ٨ أجزاء . القاهرة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٦ م .

يحيى بن سعيد الانطاكى ، ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م : « تاريخ » أو صلة كتاب سعيد بن بطريق
المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » بيروت . مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٥ م .

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ، ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م : « كتاب
البلدان » (الجزء السابع من مجموعة المكتبة الجغرافية) ليدن ١٧٩٢ م .

أبو يوسف (يعقوب صاحب أبى حنيفة) ، ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م : « كتاب الحراج » بولاق ١٣٠٢ م .

المراجع الأفرنجية

- ALI BEY BAHGAT Les Manufactures d'Etoffe en Egypte au Moyen Age. (Bulletin de l'Institut Egyptien. Quatrième Série, Avril 1903, Le Caire 1903).
- ALI MOHAMED FAHMY Muslim Sea-Power in the East Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A.D. (Alexandria 1950).
- AMEDROZ (H.F.) The Office of Kadi (Journal of the Royal Asiatic Society, 1910, p. 779 & seq.).
- ARBERRY (A. J.) An Introduction to the History of Sufism. London 1943.
- ARNOLD (Th.) The Caliphate. Oxford 1924.
- ARNOLD (Th.) and GROHMANN (A.) The Islamic Book. London 1929.
- BAYNES (Norman H.) and MOSS Byzantium. Oxford 1949.
- BECKER (C. H.) Islamstudien, Vom Werden und Wesen der islamischen Welt, 1 Band (Leipzig 1924).
- Beiträge Zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam (Strassburg 1902-1903).
- Art. Egypt (The Encyclopædia of Islam) vol. II. Leyden-London 1927.
- BERCHEM (Max Van) Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum: première partie, Egypte, Paris 1903.
- BERG (Van den) Principes du Droit Musulman. Alger 1896.
- BOWEN (H.) The Life and Times of Ali ibn Isa, "the Good Vizier". Cambridge 1928.
- BROCKELMANN (Carl) Geschichte der Arabischer Litteratur, 2 vols. Weimar, Berlin 1898-1902, & Supplementband, Leiden 1937-1938.

- BROCKELMANN (C.) History of the Islamic Peoples. London 1949.
- نقله الى العربية بعنوان « تاريخ الشعوب الاسلامية » الدكتور نبيه أمين فارس والاستاذ منير البعلبكي . بيروت . دار العلم للملايين ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م
- BROWNE (E. G.) A Volume of Oriental Studies presented to Edward Browne on his 60th Birthday. Ed. by T.W. Arnold and R.A. Nicholson. Cambridge 1922.
- CANARD (Marius) Sayf al Daula. Alger 1934.
- CARRA DE VAUX Les Penseurs de l'Islam. Paris 1921-1926.
- CODRINGTON (O.) A Manual of Musulman Numismatics (London 1904).
- COMBE (Et.), SAUVAGET (J.) et WIET (G.). Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. Tome Cinquième, Le Caire 1934.
- Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe, Exercice 1904.
- CRESWELL (K. A. C.) Early Muslim Architecture (Umayyads, Abbassids and Tulunids). 2 vols. Oxford 1932-1940.
- DEFRÉMERY Mémoire sur les Emirs-el-Oumara (dans Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres. 1^{re} série. 1. 11. Paris 1852).
- DE SACY (Silvestre) Bibliothèque des Arabisants Français. Tome premier, Le Caire 1905.
- DOZY (R.) Supplément aux Dictionnaires Arabes. 2 vols. Leyden 1881.
- Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. Amsterdam 1845.
- DRIOTON (Etienne) et VANDIER (Jacques) L'Égypte (dans Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, t.11). Paris 1938.

- FARIS (N. A.) The Arab Heritage. Princeton 1944.
- FRANZ (J) Kairo 1903.
- FLURY (S) Ein Stuckmihrab des IV. (X) Jahrhunderts. (Jahrbuch der Asiatischen Kunst, II, 1925).
- GAUDEFROY-DEMOMBYNES (M.) Le Monde Musulman (Histoire du Monde, VII, 1). Paris 1931.
- GOTTSCHALK, (HANS) Die Madaraijjun. (Berlin und Leipzig 1931).
- GROHMANN (Adolf) Arabic Papyri in the Egyptian Library vols. I, II, III. Cairo 1934, 1936, 1938.
- الجزء الأول نقله الأستاذ ادواف جرومان إلى العربية بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن بعنوان «أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية» القاهرة ١٩٣٤ م.
- GROHMANN (A.) Art. Tiraz (in Encyclopædia of Islam).
- GRUNEBaum (G. E. Von) Medieval Islam. Chicago, Illinois, 1947.
- HASSAN IBRAHIM HASSAN Relations between Egypt and the Caliphate. Cairo 1940.
- HEFFENING (W.) Art. Shāhid (Encyclopædia of Islam).
- HERZ BEY (MAX) : Catalogue Raisonné des monuments exposés dans le Musée National de l'Art Arabe. Le Caire 1906.
- ترجمه على بك مهجت بعنوان : فورس مقتنيات دار الآثار العربية ، المطبعة الأميرية بمصر . ١٣٢٧ هـ .
- HEYD Histoire du commerce du Levant au Moyen Age 2 vols. Leipzig 1885-1886.
- HITTI (Ph.) History of the Arabs. London 1946.
- HUART (Cl.) Histoire des Arabes, 2 vols. Paris 1912.
- IBN SAID-VOLLERS Fragments aus dem Mughrib. Weimar 1895.
- ظهرت له ترجمتان باللغة العربية .
- KREMER (A.V.) Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen. 2 Bände (Wien 1875-77).
- KÜHNEL (E) Islamische Schriftkunst. Berlin.

- LANE-POOLE (Stanley) Catalogue of Oriental Coins in the British Museum. London 1875-1890.
- History of Egypt in the Middle Ages. London 1900.
- The Mohammadan Dynasties. London 1925.
- LEVY (R.) An Introduction to the Sociology of Islam, 2 vols. London 1931-1933.
- LAVOIX (Henri) Catalogue des Monnaies Musulmanes. Paris 1896.
- LÉVI-PROVENÇAL (E.) Le Traité d'Ibn Abdun. (Journal Asiatique. Avril-Juin 1934).
- MACDONALD (D. B.) : Muslim Theory, Jurisprudence and Constitutional Theory. London 1903.
- MARCEL : Égypte, depuis la conquête des Arabes jusqu'à la domination Française. Paris 1848.
- MASSIGNON (L.) : Article Karmates (Encyclopædia of Islam).
- : Annuaire du Monde Musulman. Paris 1925.
- MAYER (L. A) : Bibliography of Moslem Numismatics, India Excepted. London 1939.
- MERCIER (Louis) : La Chasse et les Sports chez les Arabes. Paris 1927.
- MEZ (Adam) : Die Renaissance des Islams. Heidelberg 1922.
- قتله إلى العربية في جزأين. الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة بعنوان « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٠ م.
- MINORSKY (V.) Tadkkirat al-Mulûk. A Manual of Safavid Administration. London 1943.
- MUIR (William) : The Caliphate: Its Rise, Decline, and Fall. Edinburgh 1915.
- NICHOLSON (R. L.) : Studies in Islamic Mysticism. Cambridge 1921.

نقل الأستاذ الدكتور على أبو الملا عيني إلى العربية طائفة من الدراسات التي قام بها نيكولسون ونشرت في القاهرة سنة ١٩٤٧ بعنوان : « في التصوف الاسلامي وتاريخه » .

- NUTZEL (H). Königliche Museen Zu Berlin: Katalog der Orientalischen Münzen. Berlin 1898.
- OMAR TOUSSON (Le Prince) Mémoire sur l'histoire du Nil (Mémoires de l'Institut d'Egypte, tomes VIII, IX, X). Le Caire 1925.
- La Géographie de l'Egypte Arabe, Tome Premier. Le Caire 1926.
- Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung. Wien 1894.
- PAUTY (Edmond) Bois sculptés d'Eglises Coptes. Le Caire 1930.
- Les bois sculptés jusqu' à l'époque Ayyoubide. Catalogue du Musée Arabe. Le Caire 1931.
- PEDERSEN (J.) Art. Masjid (Encyclopaedia of Islam, vol. III). Leiden. London 1936.
- Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe T. V. Le Caire 1934. Voir Combe.
- RABINO DI BORGOMALE (H.L.) Coins and seals of Shahs of Iran. Hertford 1945.
- ROSS (E. Denison) The Art of Egypt through the Ages. London 1931.
- SNOUCK HURGRONJE (C.) Mekka 2 Bd. Haag 1888-1889.
- STRZYGOWSKI (J.) Asiens bildende Kunst. Wien 1930.
- TORNBERG (C. J.) Mémoires sur les Monnaies des Ikschidites (dans Nova Acta Regiae Societatis scientiarum Upsaliensis, 3ème Série, vol. II).
- TRIMINGHAM (J. SPENCER) : Islam in the Sudan. Oxford 1949.
- TRITTON (A. S.) The Caliphs and their non-Muslim subjects. Oxford 1930.

ترجمه وعلق عليه الأستاذ حسين حبشي بعنوان « أهل الذمة في الاسلام » القاهرة ١٩٤٩ م .

- TYAN (E.) Histoire de l'organisation judiciaire en pays de l'Islam. Paris 1938.
- WEILL (J. D.) Les Bois à Epigraphes jusqu'à l'Époque Mamlouke. Catalogue du Musée Arabe. Le Caire 1931.
- WIET (G.) The Governors and Judges of Egypt (Journal of the Royal Asiatic Society), July 1914.
- L'Historien Abul-Mahssin. Bulletin de l'Institut d'Égypte. T. XII. 1929-1930.
- Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicum, T. II Égypte. Le Caire 1930.
- Catalogue général du Musée Arabe du Caire. Stèles Funéraires, T. V. Le Caire 1937.
- Les Mosquées du Caire. 2 vols. Paris 1932.
- Notes d'Épigraphie Syro-Musulmane, (dans Syria). T. VII.
- L'Égypte Arabe (Histoire de la Nation Égyptienne, T. IV).
- L'Égypte Musulmane (Précis de l'histoire d'Égypte, T. II). Le Caire 1932.
- Trois Formules d'Indépendance dans l'Égypte Médiévale. Le Caire 1942.
- Les Communications en Égypte du Moyen Age.
- نقاوا إلى العربية محمد وهي بعنوان « المواصلات في مصر في العصور الوسطى » ونشرت في كتاب « في مصر الإسلامية » أخرجه الدكتور زكي محمد حسن والقائم مقام عبد الرحمن زكي .
- WUSTENFELD (F.) Die Statthalter von Agypten Zur Zeit der Chalifen. Gottingen 1875.
- VONDERHEYDEN (M.) La Berbérie Orientale sous la dynastie des Benoû'L-Arslabe. Paris 1927.
- ZAKY MUBARAK La Prose Arabe au IV^e siècle. Paris 1931.

- ZAKY MOHAMED HASSAN Les Tulunides. Paris 1933.
- Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages. Cairo 1937.
- Moslim Egypt and its Contribution to Islamic Civilisation (Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, vol. XI, Part II, Dec. 1949. Cairo).
- Moslem Arts in the Fouad I University Museum, vol. I, Cairo 1950.
- ZAMBAUR (E. de) Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam. Hannover 1927.
- تنشر جامعة فؤاد الأول ترجمة عربية لهذا الكتاب ، أخرجها (الدكتور زكي محمد حسن والأستاذ حسن أحمد محمود) .
- ZETTERSTEEN (K.V.) Article Shurta (Encyclopædia of Islam).

فهرس الأشكال واللوحات

- شكل (أ) ص ١٩٨ : وثيقة بردية من سنة ٣٥٦ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]
- شكل (ب) ص ٢٥٩ : وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]
- شكل (ج) ص ٢٧٢ : وثيقة بردية من سنة ٣٤١ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]
- شكل (د) ص ٢٧٤ : وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
[عن جرومان]
- شكل (هـ) ص ٢٧٧ : وثيقة بردية من سنة ٣٤٨ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية [عن جرومان]
اللوحة رقم ١ : سكة من العصر الاخشيدى [عن لاثوا]
- اللوحة رقم ٢ : مشهد آل طباطبا [عن كريزويل : العمارة الاسلامية في مصر ،
تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٣ : رسم مكمل لمشهد آل طباطبا [عن كريزويل : العمارة الاسلامية
في مصر ، تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٤ : مسقط أفق لمشهد آل طباطبا [عن كريزويل : العمارة الاسلامية
في مصر ، تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٥ : محراب قديم ينسب الى العصر الاخشيدى [عن كريزويل : العمارة
الاسلامية في مصر ، تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٦ : زخارف من الجص في محراب قديم ينسب الى العصر الاخشيدى
[عن كريزويل : العمارة الاسلامية في مصر تحت الطبع]
- اللوحة رقم ٧ : شاهد قبر من سنة ٣٣٢ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثبيت]
- اللوحة رقم ٨ : شاهد قبر من سنة ٣٣٣ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثبيت]
- اللوحة رقم ٩ : شاهد قبر من سنة ٣٤٥ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثبيت]
- اللوحة رقم ١٠ : شاهد قبر من سنة ٣٥٥ هـ ، محفوظ بدار الآثار العربية [عن ثبيت]

- اللوحة رقم ١١ : قطعة نسيج من الصوف والسكتان ، من صناعة مصر في القرن الرابع الهجرى ومحفوظة بدار الآثار العربية [عن ثبيت : معرض المنسوجات في جو بلان بالفرنسية]
- اللوحة رقم ١٢ : قطعة من النسيج المصنوع في مصر سنة ٣٥٧ هـ
- اللوحة رقم ١٣ : قطعة نسيج من السكتان والصوف من صناعة الفيوم في القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة [عن زكى محمد حسن : فنون الاسلام]
- اللوحة رقم ١٤ : قطعة نسيج من صناعة اليمن في القرن الثالث أو الرابع الهجرى .
- اللوحة رقم ١٥ : قطعتان من الخشب ذى الزخارف والسكتابات المحفورة ، من مصر في القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة [عن زكى محمد حسن : الفن الاسلامى في مصر]
- اللوحة رقم ١٦ : قطعة من الخشب ذى الزخارف المحفورة ، من مصر في القرن الرابع الهجرى [عن زكى محمد حسن : الفن الاسلامى في مصر]

الكشاف

احمد بن صالح : ٢٥ ، ٢٦ ، ٦٣
 احمد بن صدقة : ٣٢٤
 احمد بن طباطبا : ٩٤
 احمد بن طولون : ٣٧ ، ١٣ ، ٣٩
 ٤٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٩ ، ٨٧
 ١٠٧ ، ١١٩ — ١٢١ ، ١٩٥ ، ١٧٢
 ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ١٩٨
 ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٤٩
 ٢٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧
 احمد بن عبد العزيز بن اسحق
 الجوهري : ٢٣٨
 احمد بن عبد الله بن اسحق : ٢١٠
 احمد بن عصام (أبو هريرة) : ٣٢٤
 احمد بن علي الماذرائي (أبو الطيب) :
 ٤٧ ، ٤٦ ، ٣٩
 احمد بن علي بن الاخشيد : ٥٥ ، ٩٩
 ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦١
 ١٩٤ ، ٢٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥
 احمد بن علي بن الحسن بن طباطبا : ٢٨٦
 احمد بن عمرو الطحان : ٣٠٥
 احمد بن كيخلف : ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٤
 ٧٠ — ٧٥ ، ٧٩ ، ١٢١ ، ١٧٣ ، ٢٥٩
 احمد بن أبي الليث نصر بن محمد
 النصيبي : ٣٠٥

(١)

أبو ابراهيم الرسي (العلوي) : ١١٧ —
 ١١٨
 ابراهيم طباطبا : ٢٣٣
 ابراهيم بن احمد الرسي (أبو اسماعيل) :
 ٣٢٤ ، ٣٦٦
 ابراهيم بن احمد الماذرائي : ٤٦ — ٤٧
 ابراهيم بن خلف بن طباط : ١٦٣
 ابراهيم بن عبد الله بن محمد النجيري :
 ١٦٧ ، ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣٥٥
 ابراهيم بن كيخلف : ٣٣
 ابراهيم بن مروان : ١٧٨
 إبريم : ٣٥٩
 الأبناء : ٢٥
 الأناث (استئجاره) : ٢٦٨
 الآثار : ٢٨٥ — ٢٩٩ ، ٣٧٦
 الأحباس : ٢١١ — ٢٢١ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٣٥٧
 الاحتكار : ٣٤٣
 احمد بن ابراهيم الماذرائي (الأطروش) :
 ٣٨
 احمد بن ابراهيم الاندلسي : ٢١٧
 احمد بن بسطام : ٦١

١٤٦٠ ، ١٠٦٠ ، ٧٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٣٠ ، ٦٢٠
 ٢٦٠ ، ٢٤٨ ، ٢١٩ ، ٢١٣ ، ١٦٨
 ٣٦٠ ، ٣٤٤ ، ٣٢٩ ، ٢٩٧ ، ٢٧١
 ٣٦٦
 اسماعيل بن بنان : ٢٢٥
 اسماعيل بن هروان العباسي : ٤٠
 الاسماعيلية : ١٤ ، ١٣
 أسوان : ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٥٨
 آسيا الصغرى : ٥٧ ، ٣٥٥
 أسيوط : ١٣٤ ، ٢٩٧
 الاشتراكية : ٣٢٠
 الاشراف : ٢٣٣ — ٢٣٦
 أشمون : ١٨١
 الأشمونين : ٣١ ، ٣٣ ، ١٧٠ ، ٢٧١
 ٢٩٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢
 الاعتزال والمعتزلة : ٢١٩ ، ٣٠٧
 ٣١٠ ، ٣١٩
 الأعلام والرايات : ٣٦٦
 الأعماد : ٢٥١ — ٣٧٦ ، ٢٥٣
 الأغالبة : ١٢ ، ٢٥ ، ٨٤ ، ٢٤٨
 افريقية : ١٢ ، ٢٦ ، ١٦٢
 اقريطش (جزيرة) : ٢٤٠
 الالتزام : ١٠٣
 المانوس (رومانوس لكايينوس) :
 ٣٢٧ ، ٣١١
 امام المسجد : ١٩٧
 الآمر بأحكام الله (الفاطمي) : ١٩٦
 الأمناء : ٢١٨

احمد بن محمد الافريقي (الشاعر) :
 المتيم (٢٥٤)
 احمد بن محمد بن اسماعيل طباطبا :
 ٢٣٣ ، ٢٥٦ ، ٢٢٣
 احمد بن محمد بن بسطام : ٤٧ ، ٦١
 احمد بن محمد بن جعفر الاسواني
 الصوف : ٣٠٨
 احمد بن محمد بن شعيب الداودي : ٢٢٢
 احمد بن محمد بن عيسى بن الجراح :
 ٣٠٥
 احمد بن موسى بن زغلان : ١٧٣
 احمد بن نصر (أبو جعفر) : ٧٢ ،
 ٢٣٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٣
 الأحمدية (الدنانير) : ١٩١
 الاخشيدي (انظر محمد بن طغج)
 اخميم : ٧٠ ، ٢٥٩ ، ٢٩٧
 الأدراسة : ٨٤
 ارسانة (الطبيب) : ٢٣٩
 الأرمنية (القصيدة) : ٢٤٠ — ٢٤١
 أرمينية : ٢٤٢
 ابن اريخا : ٢٣٨
 الأستاذ (لقب) : ٣٠ ، ١٠١ ، ١٢٧ ،
 ٣٧٥
 اسحق بن كنداج : ٥٧
 اسحق بن نصير العبادي : ٧٦
 الأسطول : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٢ ،
 ٢٤٥ ، ٢٤٨ — ٢٥٠
 أسفل الأرض : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٣٣٥
 الاسكندرية : ٣٠ ، ٣٢ — ٤٦ ،

البحرية : (أنظر أسطول)

بدر الحامى : ١٨ ، ٤٥ ، ٥٨٠

بدر الخفيفى : ٢٠١

بدر الكبير (غلام الاخشيد) : ١٢١

بدر غلام يانس : ١٧٤

بدر مولى سعيد بن عثمان : ١٧٣

بدر بن جف : ٥٨

بدر بن عبد الله الاخشيدى : ٨١

البرابى والآثار القديمة : ٢٦٥ — ٢٦٧

برقة : ٢٥ — ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١٦٩

٢٨٠ ، ٣٣٨ ، ٣٦٠

ابن برك : ٢٣٨

البريد وعامل البريد : ٣٩ ، ١٦١ ، ٢٦٩

البريدى (أبو عبد الله ، احمد بن محمد) :

٨٠ ، ٨٥ ، ١٨٥

البستان الكافورى : ٢٨٩

ابن بسطام : (أنظر احمد بن محمد وعلى

ابن أحمد)

البشامرة : ٣٧٠

بشرى التملى : ١٠٦

بشرى الخادم : ٦٥

البصرة : ١٣ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٣٠٨

ابن البطريق (سعيد) : ٩ ، ٣٢٩

بغداد : ١١ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٢٢

٣٤ ، ٤٣ ، ٤٦ — ٤٨ ، ٥١ ، ٦٠

٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٧

٨٩ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١١

١٥٢ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٤

٢٨٧ ، ٣٧٣

الامويون فى الأندلس : ٨٤

أمير الأمراء : ٤٣ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢

٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨

الأندلس : ١٢ ، ١٤ ، ٣٠٣

أنصنى : ١٨١

انطاكية : ١٩٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥١

أهل الذمة : ٩ ، ٢٨ ، ١٠٤ ، ١٧٧

٢٣٩ — ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

٣٣٤ — ٣٣٧ ، ٣٦٨

أهل الراية : ٣٢٨

الاهواز : ٨٠

الأوحدى : ٣٢٨

أونوجور (أبو القاسم بن الاخشيد) :

٤ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠

٩٣ — ١٠٠ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢

١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٥٩

١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٩٤

٢١٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٩

٣٢٤ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٥

إيران : ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٦٢ ، ٣٧٧

بادية السماوة : ١٤٠

(ب)

بادية الشراة : ٣٤٠

بارشكور : ٣٤٥

بازيار : ٦١

بجكم : ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٦٣

البحر الأحمر : ٢٨١

(ت)

تانو : (أنظر مجموعة تانو)
 تانوفيلس (أسقف تنيس) : ٢٤١ ،
 ٢٤٢
 التجارة : ٢٧٩ ، ٣١٨
 التجافيف : ١٢٠
 الترك : ١٣ ، ٦٦ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٤٩ ،
 ١٧٥ ، ٣٣٣
 تروجة : ٣٦٦
 التضمين : ١٠٣ ، ٣٤١
 تطون : ٢٧١
 تسكين الخاقاني : ١٧٤
 تسكين بن عبد الله : ٢٥ — ٢٧ ،
 ٣٠ — ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٦١ — ٦٥ ،
 ٦٩ ، ١٢٨ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ٢٠٦ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٣١٦
 تلسكوست (المستشرق) : ٦
 أبو تميم حيدرا : ٢٩٦
 تنيس : ٧٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ،
 ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥ ، ٣٤٣
 توزر : ٢٦
 توزون : ٨٥ — ٨٩
 ابن توفيل (الطبيب) : ٢٣٩
 ابن تومانس : ١٦٧ ، ١٦٨
 تونة : ٢٧١
 تيمودور بن خابيل : ١٧٧ ، ٣٣٦

البقط : ٣٥٨

بكاربن قتيبة : ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٨٦
 بكام بن دنيال : ١٧٧ ، ٣٣٦
 أبو بكر الصولي : ٢٦
 أبو بكر المحلي : ١٣٥ — ١٣٧
 بكر بن محمد بن العلاء القشيري : ٣٠٨
 بكران بن الصباغ : ٢١١ ، ٢١٥ ،
 ٢٢٠ ، ٢١٩
 بكير (صاحب الطراز) : ١٨١ ، ١٨٢
 البلاط : ١٤٩ — ١٥٢
 بلال المؤذن : ١٣٨
 بلبيس : ٧٠ ، ٣٤١
 بلخ : ٣٠٥
 البلينا : ٢٧١
 بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الجمال :
 ٣٠٨
 البهنسا : ٣٣ ، ٢٩٧ ، ٣٣٨
 بنو بويه : ٩٥
 بويرس (الظاهر) : ٨٧
 بيت الزفت : ٢٥٨
 بيت المقدس : ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
 ١٣٢ ، ٣٣٦
 بئر الوطاويط : ١٦٢ ، ٢٩٣
 بيزنطة والبيزنطيون (انظر أيضاً
 الروم) : ٥٧ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١٠٤ ،
 ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٩٥ ، ٢٤٠ — ٢٤٢ ،
 ٢٤٨ ، ٣١١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ — ٣٥٧
 بيموت واستجارها : ٢٦٥

(ث)

الثغور : ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٧ ، ٥١٠ ، ٥٢٤٩ ،
٢٦٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،
الثلج : ٢٦١
عمل الخادم : ٣٢

(ج)

جابر (صاحب الطراز) : ١٨١ ، ١٨٢ ،
الجالسوسية والجواسيس : ٧٢ ، ١٧٩ ،
جامع ابن طولون : ١١٩ ، ١٧٢ ،
جامع عمرو (الجامع العتيق) : ٩٥ ،
١١٥ ، ١١٩ ، ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ،
٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٣٣ ،
٣٤١

جبل السراة : ٦٢

جدة : ٢٨١

جرومان (آدولف) : ٣ ، ١٢٦ ،
١٨٠ ، ١٨١

جرير بن الحصان : ١٧٨

جست (رفن) : ٤ ، ٣٠٥

ابن الجصاص : (انظر الحسين بن عبد الله
الجوهري)

ابو جعفر النحاس : ٣٢٦

جعفر بن الفضل بن جعفر بن القرات :

٤٤ ، ٧٠ ، ١٠٥ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ،

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ٢١٤ ،

٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٣٠٥ ، ٣٢١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٤ —

٣٧٠ ، ٣٦٦

ابو جعفر بن المتفق : ١٦٧ ، ١٦٨

جف بن بلتكين : ٥٧

الجلود (صناعتها) : ٢٧٩

الجمارك : ١٩٨

جمال الدين الأزدي المصري : (انظر

ابن ظافر)

الجنائز (والنواح) : ٢٦٨ ، ٢٦٩

جنى الخادم (الصفواني) : ٣٣

جوازات السفر : ١٩٨ ، ١٩٩

الجواشن : ١٢٠

جوتشلاك (المستشرق) : ٩

جورجيوس : ١٩٩

جوسية : ٣٥١

جوهر الصقلي : ٥٥ ، ١٠٢ ، ١٩٦ ،

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ،

٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

الجزية : ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٢٩١ ،

٢٢٥ ، ٣٧٠

الجيش : ١٠٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٩٩ ،

٢٤٥ — ٢٤٨ ، ٣٣٨ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ،

جيش بن خمارويه : ٤٠ ، ٥٨ ، ٢٠٦

(ح)

الحاجب : ١٤٩ ، ١٥٠

الحافظ (بمعنى صاحب الشرطة) : ١٧٢

الحاكم بأمر الله : ٦

حامد بن العباس (الوزير) : ٤٧ ، ٥١

حباسة بن يوسف الكتامي : ٢٥ —

٢٩ ، ٤١ ، ٦١

الحسن بن طاهر بن يحيى العلوى : ٤٨١
٤٨٢ ، ١٢١ ، ١٦٦ ، ٢٣٤ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ، ٣٥٢
الحسن بن طفيج : ٦١ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ٨٥ ،
٩٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٤٥ — ١٤٧ ،
١٥٦ ، ١٧١ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٦ ،
٣٦٠
ابو الحسن بن ظفر الكرخى : ٤٩
الحسن بن عبد الرحمن بن اسحق
الجوهري : ٢١ — ٢١٢ ، ٢١٥ ،
٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
الحسن بن عبد الله بن طفيج : ١٠١ ،
١٠٢ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٦٢ ، ١٩٤ ،
٣٣٦ ، ٣٤٦ ، ٣٦٥
الحسن بن علي بن محمد بن احمد بن علي
الحسن بن طباطبا : ٢٣٤
ام الحسن بنت عمر بن عيسى بن سابق
ابن ابي تراب : ٢٩٤
ابو الحسن بن عيسى : ١٧٧ ، ٣٣٦
الحسن بن قاسم : ١٤
الحسن بن محمد الصلحي : ٤٩
الحسن بن مهاجر : ٣٩
الحسن بن موسى الخياط : ١٩٧
ابو الحسين الفرغاني : ١٧٦
الحسين بن ابراهيم الرسى : ٣٢٤
الحسين بن احمد الماذرائى (ابوزنير) :
٣١ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٥ — ٥٢ ،
٥٨ ، ٦٢ ، ٧٤

الحبشة : ١٢٧ ، ٢٨١
حبشى بن احمد : ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥
الحبشى (الشاعر) : ٤٦
الحجج : ٤٠ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ١٠٤ ، ١٣٧ ،
١٦٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٧٠
الحجج : ٣٢ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٦ ،
٩٧ ، ١٣٧ ، ١٦٠ ، ٢١٩ ، ٣٧٤
ابن حجر العسقلانى : ٤ ، ٨ ، ٣٢٨
ابن الحداد (القاضى ابو بكر محمد بن
احمد) : ١١٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ،
٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ — ٢٢٣ ،
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٦١ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥
الحراقة : ١٢٤
حران : ٨٠ ، ١٩٢
ابن حربويه (علي بن الحسين بن حرب) :
٦٣
الحرس الخاص : ١١٢ ، ١٥١ ، ٢٨٩
الحرمين : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٢
الحسبة والمحاسب : ٦٣ ، ٢٠١ ، ٢٢٩ ،
٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٣٤٦ ، ٣٧٥
بنو حسن (بمكة) : ٣٣٣
ابو الحسن البغدادي : ١٣٥
الحسن بن احمد الكاتب المصرى : ٣٠٨
الحسن بن أيوب : ٢٢٠
الحسن بن جابر : ١٢٠
الحسن بن جابر الرياحى : ١٦٢
الحسن بن رشيق : ٣٠٥

الحمدانيون ٧، ٩، ٨٠، ٨٦، ٣٤٩ —
 ٣٥٤
 الحمراء (خطة) : ٢٨
 حمزة بن محمد بن علي العباسي الكناني :
 ٣٠٥
 حمص : ٥٩، ٨١، ١٤٠، ١٤٨، ١٥٨
 ١٩٢، ٢١٩، ٣٤٩ — ٣٥١، ٣٥٣
 الحجير (اكثرؤها) : ٢٦٨
 ابن حنزابة : (انظر جعفر بن الفضل)
 ابو حنيفة والمذهب الحنفي : ٢١٨، ٣٠٦
 حنين بن يحيى : ١٨١
 الحوارة : ٢٦٤، ٢٦٥
 الحوف : ٦٣، ٦٤، ٢٦٠، ٢٦٤
 (خ)
 خادم الكنيسة : ١٩٨
 خادم المسجد : ١٩٧، ١٩٨، ٣٧٠
 الخازن والخازندار : ١٥١
 خديجة بنت الفتح بن خاقان : ٢٤٩،
 ٢٥٠
 خديجة ابنة محمد بن اسماعيل بن القاسم
 الرسي : ٢٨٦
 الخراج (ديوان) : ٢٠٠، ٣٤١
 الخراج (عامل) : ١٧٦ — ١٧٨،
 ٣٤١
 الخرافات : ٢٥٤، ٢٥٥
 الخزف : ٢٩٨
 الخشب (الحفر فيه) : ٢٩٨، ٢٩٩

الحسين بن الحسن بن عبد الرحمن
 بن اسحق الجوهري : ٢٢٤
 الحسين بن حمدان : ٦٠
 الحسين بن ابي زرعة الدمشقي : ٢٠٧،
 ٢٠٨، ٢١٩ — ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٦،
 ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٦٢، ٣٠٧
 حسين بن شعيب : ٢٦٥
 الحسين بن طاهر العلوي : ٣٤١
 الحسين بن طفيح : ٦١، ٦٥، ٨٣
 الحسين بن عبد الله الجوهري : ٧٦،
 ٢٩٥، ٢٩٦
 ابو الحسين بن العجمي : ١٠٧
 الحسين بن علي الرقي : ٧٨
 الحسين بن علي بن معقل : ١٧٣
 الحسين بن عيسى بن هروان : ٢٠٨ —
 ٢١٣، ٢١٩
 الحسين بن محمد بن علي الماذرائي : ١٥٥
 — ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ٣١٩
 الحصر (صناعة) : ٢٧٩
 حلب : ١٨، ٨١، ١٥٨، ١٩٢، ٣٤٩،
 ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤
 حوان : ٣٢٥
 حماة : ٥٩
 حماد (كاتب القاضي ابن وليد) : ٢٢٤
 الحمضية : ٢٦٠
 حمام الزاجل : ٣٤١
 الحمامات : ٢٦٣

الدبايس : ١١٩
 الدبدبة : ١٣٨
 دنيق : ٢٧١ ، ٢٩٧
 الدراعة : ١١٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦
 الدعاء للخليفة الفاطمي : ٨٢
 الدفن (في البيوت) : ٢٦٩
 ابن دقاق : ٣٢٨
 دمشق : ١١ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٤٠ ، ٤٣ ،
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٧ — ٥٩ ، ٦١ ،
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨١ ،
 ٨٣ ، ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٥٠ ،
 ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ،
 ٢١٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٣٤٠ ،
 ٣٤٢ ، ٣٥٠ — ٣٥٦
 دمياط : ٧٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧١ ،
 ٢٩٧ ، ٣٤٣
 دميانة : ٢٤٩
 دميرة : ٢٧١
 ديار مصر : ١٥٨
 الديارات (الأديرة) : ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
 ٣٣٥
 الديلم : ١٣ ، ٨٥ ، ١٩٠
 ديوان الأعمال والجبليات : ١٧٦
 ديوان الانشا (الرسائل) : ١٦٥
 (ذ)
 ذكا الأعور (الرومي) : ٣٠ — ٣٢
 أبو الذكر : (انظر محمد بن يحيى القاضي)

الخط الكوفي : ٢٩٣
 الخطط : ٣٢٧ ، ٣٢٨
 الخفتان : ٢٦٢
 الخلافة العباسية : ١ ، ٣ ، ٧ — ٩ ،
 ١١ ، ١٢ ، ١٧ — ١٩ ، ٥٩ ، ٨٤ ،
 ٨٧ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٣ ،
 الخليج (فتح) : ٢٥٣
 خليج أمير المؤمنين : ٢٩٠
 ابن الخليج : ٢٠ — ٢٤ ، ٤٦
 خمارويه بن احمد بن طولون : ٣٩ ،
 ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٧٦ ، ١١٣ ،
 ١٢٠ ، ١٨٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ،
 ٢٩٥ ، ٣١٦ ، ٣٧٣
 خميس العهد : ٢٥٢
 أبو الخير الأقطع : ٣٠٨
 خير المنصوري : ٢٦

(د)

دار الآثار العربية بالقاهرة : ١٠٥ ،
 ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ،
 ٢٩٩
 دار الامارة : ٢٠١ ، ٢٤٩
 دار تبر : ٢٩١
 دار حزاية : ٢٩١
 دار الفيل : ٢٩١
 دار المكتب المصرية : ١٨١ ، ٢٤٣ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٣٤٢ ،
 ٣٤٤

١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٦ ،
١٩٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ ،
٢٧٠ ، ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ،
٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥ .

الرها : ٨٠

الرهينة والرهبان : ٣٠٨ ، ٣٣٥

الرواتب : ١٦٧ ، ٢٠٠

الروضة (جزيرة) : ٧٣ — ٧٥ ،

٢٤٨ — ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ،

الروم : (انظر أيضا بيزنطة) : ٥٨ ،

١٠٦ ، ١٣٧ ، ١٩٥ ، ٢٤٩ ، ٣٠٨ ،

٣٤٠ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ .

روما : ٢٤٩

رومانوس لوكابينوس (المانوس) :

٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٥٥

رينر : (انظر مجموعة الارشيدوق)

(ز)

الزراعة : ٢٧٥ — ٢٧٨ ، ٣٤٢

ابو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي (القاضي) :

٤٥ ، ٢٠٦

زقازق (المهندس) : ٢٨٩

الزمرد : ٢٨٠

زنجبار : ٢٨١

الزواج : ٢٧٩ ، ٢٨٠

الزواج (عقود) : ٢٦٣

ابن زولاق : ٣ — ٦ ، ٨ ، ٧١ ، ٣٢٨

زويلة : ٣٢

زيادة الله (الاصغر ، الأغلب) : ٢٥

الذمة : (انظر أهل الذمة)

الذهب : ٢٨٠

ذو النون المصري : ٣٠٨

(ر)

الراشدي (أمير الرملة) : ٦٤ ، ٦٥ ، ٢٧٠ ،

الراضي بالله (العباسي) : ٤٤ ، ٥٥ — ٥٧ ،

٧٠ — ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٠ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ،

١٨٤ — ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٣٧٤ ،

راغب (والي طرسوس) : ٥٨

ابن رائف : ٧٩ — ٨٦ ، ٨٩ ، ١١٢ ،

١١٣ ، ١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ،

١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ،

٢٠٨ ، ٢٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٦١ ،

ابن ابي الرداد : ٢٨٩

الرسن : ٣٥٠

الرشيد (العباسي) : (انظر هارون)

رشيد : ٣٢

رشيق الخادم : ٢٥٩

الرقعة : ٥٢ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ،

١٠٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٧٥ ،

الرقيق : ٢٤٢ — ٢٤٤ ، ٣٥٨ ،

ركن الدولة البويهي : ٩٧

رماح بن يوسف : ١٨١

رمادة : ٧٥ ، ٣٦٠

الرملة : ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٨١ — ٨٣ ،

١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ،

أبو سليمان بن يونس : ١١٦

شماعة القهرمانة : ١٢٢ ، ٢٢٣

سمرقند : ٢٧٩

السمسرة : ٢٧٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦

سمسطا : ٣٣٨

سمنود : ٧٣

أبو سهل الصديقي : ٢٥٥

سهل بن محمد الكاتب : ١١٧

السواحل : ٣٤٢

السودان (وأهله) : ١٢٩ ، ١٣٧ ،

١٣٨ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ ، ٣٥٨

سوق الحمام : ٢٩٢

سوق السراجين : ٢٣٥

سوق الوراقين : ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣٢٠

سيبويه المصرى : ٤ ، ٦ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٣٠٣ ،

٣١٠ ، ٣١٩ — ٣٢٢ ، ٣٢٩

سيف الدولة بن حمدان : ٨٥ ، ٨٩ ،

١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٣٨ ،

١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ٢٣٤ ، ٣٢٥ ،

٣٤٩ — ٣٥٤ ، ٣٥٦

سينا : ١٩٦

السيوطى : ٣ ، ٨ ، ٣٢٨

(ش)

شادن الصقلي : ١٢١

شادن مولى الفضل بن جعفر : ١٧٣

ابن شاذان الجوهري : ٢٠٥ ، ٢٠٦

(س)

الساسانيون : ١٩٥

سامرا : ١٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ١٠٧ ، ١٧٩

سباق الحمام : ٢٥٦ ، ٢٥٧

سباق الخيل : ١٢٠ ، ٢٥٦

السباكين : ١٩١ ، ١٩٢

السيح السقيات : ٢٩٢ ، ٢٩٣

السيجن والحبس : ١٥٧ ، ١٩٩ ،

٢٥٧ — ٢٥٩

ابن السراج (محمد بن يحيى العلوى) : ٣٣٨

السراج والسراجون : ٢٣٥

ابن سعيد : ٤ — ٦

سعيد بن عبدان : ٢١٢

سعيد بن عثمان غلام الأحول : ١٧٣

سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن : ٣٠٥

سعيد بن فاخر (قاضي البقر) : ٩٠ ،

١١٣ ، ١٢١ ، ٣٢٤

السكة والتميات : ٩٠ ، ١١٤ ، ١٩١

— ١٩٦ ، ٢٢٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠

ابن سكرة (محمد بن ابراهيم بن الحسين) :

٣٠٧

السلطان (لقب) : ٧١

بنو سليم : ٣٤٠

سليمان بن الحسن بن مخلد : ١٨٤ ،

١٨٦ ، ١٨٧

سليمان الخادم : ٣٢

سليمان بن عزة : ٣٤٦

سليمان بن محمد بن رستم : ١٢٢ ، ١٩٧

الشهود : ٢٢٢ ، ٢٢٣
 ابن أبي السوارب : (انظر محمد بن الحسن)
 شواهد القبور : ٢٩٣ — ٢٩٦
 شيبان بن أحمد بن طولون : ١٧ ،
 ٥٩ ، ١٨
 شيراز : ٦٠
 الشيعة والتشييع : ١٤ ، ١٩٠ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٠

(ص)

صاحب بيت المال : ١٥١
 صاحب الشرطة : (انظر الشرطة)
 صاعد بن كلثم : ٧٢ ، ٧٥ ، ٢٤٩
 صالح بن رشدين : ٣٢٤
 صالح بن محمد (أبو مقاتل) : ٢٢٩
 صالح بن مؤنس : ٣٢٤
 صالح بن نافع : ١٤٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
 ٣٢٠ ، ٣٦٠
 صدقة بن الحسن : ١١٤ ، ١٩١
 الصعبيد : ٣١ ، ٤٤ ، ٧٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠
 ٢٥٩ ، ٢٧٧ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥٨
 الصنفوية (الدولة) : ١٩٢
 صقلية : ٣٢ ، ٢٤٨
 الصناعات (دار) : ١٩٩ ، ٢٤٨ —
 ٢٥٠ ، ٢٨٨
 صندوق التبرعات : ٢٦٨
 صور : ٣٥٥
 الصوفية والنصوف : ٣٠٨

الشافعي (ضريح الامام) : ٢٨٥ ، ٢٨٧
 الشافعي (مذهب) : ٢١٩ ، ٢٢٥ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٩
 الشام : ٢٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٢ ،
 ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ — ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩
 ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٨ — ٩١
 ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٢ — ١٠٦ ،
 ١١١ ، ١٢٢ ، ١٤٥ — ١٤٩ ،
 ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦١ — ١٦٣ ، ١٦٦ ،
 ١٧٠ ، ١٧٩ ، ٢١٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٣٣٨ — ٣٤١
 ٣٤٩ — ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٧٤
 ابن شاهين (سبط ابن حجر جمال الدين
 يوسف) : ٤ ، ٣٢٨
 شبيب العقيلي . ٣٤٠
 الشراب : ٢٥٦
 الشرطة (وصاحب الشرطة) : ٤٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٢ — ١٧٥ ، ٢٠١ ،
 ٢١٨ ، ٢٦٢
 الشرطة السفلى : ١٧٣ ، ٢١٨
 الشرطة العليا : ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢١٨
 الشريعة : ٧٤
 شرونة : ٣٣٨
 الشريف العتيق : ٣٥٣
 شطا : ٢٧١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٤٣
 الشعر : ٣٢٢ — ٣٢٥
 شعلة بن بدر الاخشيدى : ١٧١ ، ٣٣٩
 شفيع (صاحب الطراز) : ١٨١ ، ١٨٢

طنج بن جف : ١٨ ، ٤٥ ، ٥٧ —
٢٦٢ ، ٦١

الطواحين : ٧٠

الطولونيون : ١٧ و ٧ و ١ — ٢٤ ،

٣٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ١٢١ ،

١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ،

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٢ ،

٣١٠ ، ٣٥٨ ، ٣٩٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ،

٣٧٧

الطيب والتطيب : ٦٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ،

١٦٠ ، ٢٦٢

الطيباسان : ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ،

(ظ)

ابن ظافر (جمال الدين علي الازدي

المصري) : ٧

ظالم بن السلال العقيلي : ٣٥٦

الظاهر بيبرس : ٨٧

(ع)

العاضد (الفاطمي) : ٩٩

عامر بن يزيد بن مجد : ٢٥٨

عبادان : ٢٧٩ ، ٣٢٠

العباس بن الحسن : ٦٠ ، ٦١

العباسة : ٥٩

عبد الحميد بن يحيى السكاكبي : ١٧٢

عبد الرحمن الناصر : ١٢ ، ١٤ ، ٣٠٣ ،

عبد الرحمن بن احمد بن يونس : ٣٠٥ ،

٣٢٧

عبد الرحمن بن حبيب : ١٢

الصولي (ابو بكر) : ٢٦

الصبيد : ٥٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٢٢ ،

١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ٢٦٤ ،

٢٧٠ ، ٢٦٩

الصين : ٢٧٩

(ض)

الضرائب : ٣٤٢ — ٣٤٥ ، ٣٦٤ ،

الضرب (دار) : انظر السكة

(ط)

ابو الطاهر الذهلي : ٢١٤ ، ٢١٧ ،

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ،

طباطا (اسرة) : ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،

٢٨٥ — ٢٨٧

طبرية : ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٨٣ ، ١١٧ ،

١٢٣ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٧٩ ، ٣٣٩ ،

٣٤٢ ، ٣٥٢

الطيب وأجور العلاج : ٢٦٥

طيب البلاط : ٢٥١

الطحانيين : ٣٤٦

طرابزون : ٥٧

طرابلس (الشام) : ٢٧٩

طرابلس (الغرب) : ٣٢

الطراز وصاحب الطراز : ١٨٠ —

١٨٣ ، ١٩٠

طرسوس : ٣٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ،

٢٤٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥

الطرق (إصلاحها) : ٣٧٠

عبد الواحد بن محمد بن أحمد (ابن مسرور):

٣٠٥

عبيد (صاحب الطرز): ١٨٢، ١٨١:

عبيد الله المهدي: ١٤، ٢٤، ٢٩، ٣٣،

عبيد الله بن طعج: ٦٠، ٦١، ٦٥،

٧٥، ٨١، ١٢٠، ١٢١، ١٤٨،

١٧١

عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع: ٢٦٠،

٣٢٤، ٣٦١

ابن عثمان (الطيب): ٢٣٩،

عثمان بن سعيد بن العباس بن وليد

المكلابي: ٣٤٩،

عثمان بن سليمان البراز: ٣٤٥،

عثمان بن محمد بن شاذان: ٢١٤،

عدنان بن أحمد بن طولون: ١٢١،

عدي بن أحمد بن عبد الباقي الأذني:

٣٥٥

العراق: ٢٠، ٢٨، ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٥١،

٥٩، ٧٢، ١٩٥، ٢٦٩، ٢٨٩،

٣٠٩، ٣٢٦، ٣٤٠،

عروبة بن يوسف الكتامي: ٢٩،

العريش: ٧٢، ٨٣، ١٩٩،

عز الدولة بنختيار البويهبي: ٩٧،

العزيز بالله (الفاطمي): ٣٢٩،

العسس (صاحب): ١٧٢،

العسكر: ١٧٢، ١٧٣، ٢٠١،

العشاري: ١٢٤،

عضد الدولة: ٢٥٧،

عبد الرحمن بن سهلويه الرازي: ٣٠٧،

عبد الرحمن بن عبد الله العمري: ٢٢٢،

عبد الرحمن بن عيسى بن داوود الجراح:

١٨٥

عبد العزيز بن كليب الجرشي: ٢٦،

أبو عبد الله الشيعي: ٢٤،

عبد الله بن أحمد بن زبر: ٢٠٦،

٢٠٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٦،

عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن

بن إبراهيم طباطبا: ١٢١، ١٣٣—

١٣٥، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٨٦، ٢٩٣، ٣٦٤،

أبو عبد الله بن جاباز الصوفي: ١٣٥—

١٣٧، ٣٠٩،

عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب:

٢٠١

عبد الله بن سعد: ٣٥٨،

عبد الله بن شعيب: (انظر ابن وليد)

عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن

حدج: ١٧٢،

عبد الله بن عبيد الله بن طاهر (أبو محمد):

٢٣٥

عبد الله بن محمد بن خافان: ٤٩،

عبد الله بن محمد بن الخصيب: ٢١٣،

٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧،

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الناصح:

٣٠٧

عبد الله بن وليد: (انظر ابن وليد)

علي بن عبد الله بن أبي مطر
 الأسكندراني : ٣٠٧
 علي بن عيسى (الوزير) : ٤٦ —
 ١٨٥,٥٠
 علي بن محمد الكرخي : ١٧٧
 علي بن محمد بن سهل الدينوري : ٣٠٨
 علي بن محمد بن كلا : ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٢ ،
 ١٥٧ ، ١٦٦ ، ٢٠٠ ، ٣٤٥
 علي بن محمد بن موسى بن القرات :
 ٤٦ — ٤٨ ، ٥١
 عماد الدولة بن بويه : ٨٠
 عمان : ٦٢
 عمر بن الحسن الهاشمي : ١٩٧ ، ٢١٣ ،
 ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٦
 عمر بن محمد يوسف الكندي : ٣٢٩
 عمران بن فارس : ٨١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 ٣٤٥
 عمرو بن العاص : ٦٦
 عمل أسفل (في الفسطاط) : ١٧٣
 عمل فوق (في الفسطاط) : ١٧٣
 العميد (عمدة الكورة) : ١٦٩
 ابن العميد : ١٦١
 العنبر : ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٦٢
 العواصم : ١٥٨
 ابو عون (الوالي العباسي) : ٢٠١
 العيد : (أنظر الأعياد)
 عيداب : ٢٨٠ ، ٢٨١
 ابن عيسى بقطر بن شغا : ١٧٧

عطلة الدواوين : ٢٠١
 عفان بن سليمان البراز : ٢٨٠
 عقبة بن خليفة بن محمد الفضالي (أبو
 السمح) : ٢٥٨ ، ٢٥٩
 عقد بيع منزل : ٢٧١ — ٢٧٣
 عقود ايجار الأرض : ٣٤٤
 عقود الزواج : ٢٦٣
 بنو عقيل : ٣٤٠
 العالويون : ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٣٣ ، ٢٣٣ — ٢٣٦ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٤
 علي بن أحمد العجمي : ١٧٩
 علي بن أحمد الماذرائي : ٣٨ — ٤٠
 علي بن أحمد بن اسحق (أبو الحسن) :
 ٢٠٦
 علي بن أحمد بن بسطام : ٤٧ ، ٦١
 علي بن الاخشيد : ٥٥ ، ٥٥ ، ٩٣ ،
 ١٠١ — ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
 ١٩٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٣٦
 علي بن بدر : ٧٣ ، ٧٤
 علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا :
 ٢٨٦
 علي بن الحسين بن شعيب المدائني : ٣٨
 علي بن خلف بن طباطب : ١٦٢ ، ١٦٣
 علي بن سبك : ١٧٣ ، ١٧٤
 علي بن صالح الروذباري : ١٦٧
 علي بن أبي طالب : ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٣٣٣
 علي بن طهيج : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥

فداء الأسرى : ١٠٤ ، ١٠٦ ، ٢٦٨ ،

٣١٧ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦

الفراء : ٢٦٢

الفرات (بنو) : ١٤٤ ، ١٦١

أبو فراس الحمداني : ٣٥٢

أبو الفرج الباسي : ١٢٢ ، ١٥١

الفرس : ١١ ، ٢٧٩

فرغانة : ٥٦ ، ٥٧

الفرما : ٧٢ ، ٨٢ ، ٢٢٦ ، ٢٩٧

ابن فريدون : ٢٩

القسطاط : ١٧ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧

٣١ — ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٣ ، ٧٤

٧٦ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٤٢

٢٦١ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣

٣٠٩ ، ٣٤٤

الفضل بن جعفر بن الفرات : ٤٤ ، ٧٠

٧٦ ، ٧٢ — ٧٩ ، ١٠٤ — ١٠٦

١٢٠ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٣٥ ، ٣٦٣

الفضل بن عباس : ٣١٨ ، ٣١٩

الفضل بن يحيى : ٢٣٨

فلسطين : ١٦٤ ، ١٩٢ — ١٩٤ ، ١٩٩

٢١٩ ، ٣٥٥

الفنون : ٢٨٥ — ٢٩٩

فون درهايدين (Vonderheyden) :

٢٢٧

الفيوم : ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٧٤

عيسى بن محمد النوشري : ١٩ — ٢٥

٤٦ ، ٢٦٩

عيسى كميل : ٣٥١

عين الجر : ٣٥٠

عين الصيرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

(غ)

الغطاس (عيد) : ٢٥١ ، ٢٥٢

الغلاء : ٣٤٦

غلبون : ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ،

٣٣٩

الغناء والمغنون : ٢٦١ ، ٢٦٢

(ف)

فانك (أبو شجاع الرومي مولى

الاششيد) : ١١٤ ، ١٢١ ، ١٤٤

١٥٠ ، ١٧١ ، ٣٢٥

فاطمة بنت الاششيد : ٨٣

فاطمة بنت عبيد الله بن طفيح : ٣٥٢

الفاطميون : ١ و ٥ و ٧ و ٨ و ١٤ ،

٢٥ — ٣٥ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٢

٧١ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١١٢

١٢٣ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٦٢ — ١٦٤

١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠١

٢١٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧

٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، ٣٢٣

٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٩٠ — ٣٧٠

فاقوس : ٣٥ ، ٧٠ ، ١٢١ ، ٣٤١

فانز (صاحب الطراز) : ١٨١ ، ١٨٣

القطائع : ٢٠١ ، ٢٣ ، ١٧ :

قطر الندى : ٢٦

قفط : ٢٨٠

القلم (السويس) : ٢٤٨

القهار : ٢٥٧ ، ١١٧ ، ١١٦

قديسرين : ١٨ ، ٨٠ ، ١٥٨ ، ٣٤٩ ،

٣٥١

قوريل (الطيب) : ٢٣٩

قوص : ٢٨١

القيروان : ١٢ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٢ ،

٨٤

قيس بن العباس بن احمد بن طولون :

١٢١

القيسارية : ٢٩٢

(ك)

الكتاب : ١٦٥ — ١٦٨ ، ١٩٠

كافور : ٤ ، ٥٥ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ —

١٠١ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

١٢٥ — ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،

١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٠ ،

٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ — ٢١٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢٦ — ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ،

٢٤٣ ، ٢٦١ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٠٣ ،

٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،

٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،

٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣ —

٣٥٥ ، ٣٦٢ — ٣٦٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦

٤٧٥ ، ١٤٤ ، ٢٤٨ ، ١٧١ ، ٢٩٦ ،

٢٩٨ ، ٣٤٣

(ف)

فان برشم : ٣ ، ٢٩٣

فبيت : ٣ ، ٢٩٣

(ق)

القاسم بن احمد الرسي : ٢٣٣ ، ٢٥٦ ،

٣٢٣

قاضي البقر : (انظر سعيد بن فاخر)

القاهر بالله (العباسي) : ٣٥ ، ٣٦ ،

٤٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٦٦

القائم بأمر الله (ابو القاسم ، القاطمي) :

٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ — ٣٣ ،

٦٢ ، ٧٥ ، ٨٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،

٣٦٣

القبط : ٢٨ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،

١٨٠ ، ٢٣٩ — ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،

٢٩٧ ، ٣٢٥ ، ٣٤٣

القرافة : ١٣٦ ، ١٦٤ ، ٢٩١

القرامطة : ١٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ١٠٢ ،

١٦٢ ، ٢٦٩ ، ٣٤٦ ، ٣٦٤

القرآن الكريم : ٣٠٩ ، ٣١٠

قرمان بن مينا (ابو الين) : ١٦٤

القسطنطينية : ٣٥٥

القصيد الأرمينية : ٢٤٠ — ٢٤١

القصر : ٣٢٥

القضاء : ٤ ، ١٧٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ —

٢٢٨ ، ٣٧٥

المارستان الأسفل : ٢٩٢
 المارسان الطولوني : ٢٩٢
 مارستان كافور : ٢٩٢
 المازوت : ١٦٩ ، ١٧٠
 مالطة : ٢٤٨
 مالك (مذهب) : ٢١٩ ، ٣٠٣ ،
 ٣٠٦ — ٣٠٨ ، ٣٠٩
 المؤمنون : ١١ ، ٣٠٩
 متاحف الدولة في برلين : ١٨٢
 متحف بناكي بأثينا : ١٠٥ ، ١٨١ —
 ١٨٣
 متر (آدم) : ٢٠٠ ، ٩
 ابن المتفق : ١٦٧ ، ١٦٨
 المتقي لله (العباسي) : ٨٤ — ٨٨ ،
 ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ،
 ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ٣٤٩
 المتنبى : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٩ —
 ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٤ ، ٢٦١
 المتوكل على الله العباسي : ٥٧ ،
 ٢٠٥ ، ٣١٠
 مجموعة الأرشيدوق رينر : ٣ ، ١٢٦ ، ١٧٧ ،
 ١٩٩ ، ١٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٩٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤
 مجموعة تانو : ١٠٥ ، ١٨١ — ١٨٣ ،
 ٣٦٤
 أبو الحسن : ٣ ، ٦ ، ١٧ ، ١٨ ،
 لحنسب : (أنظر الحسبة)

كتاب الشروط : ٢٢٥
 كتامة : ١٤ ، ٣٢٦
 المكرامات (الاعتقاد بها) : ٢٥٤ ،
 ٢٥٥
 كريويل : ٢٨٦ ، ٢٨٧
 كشاجم (محمود بن الحسين) : ٣٢٥
 الكشي (أبو الفضل احمد بن عبد الله) :
 ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٨ — ٢٢٠
 ابن كلا : (انظر علي بن محمد)
 الكلام (علم) والمتكلمون : ٣٠٩
 المكندي (محمد بن يوسف) : ٣ ، ٤ ،
 ٣٢٧ ، ٣٢٩ — ٣٢٩
 كنيسة أبي شنودة : ٣٣٥
 كورتكين : ٨٥
 الكورة : ١٦٩ ، ١٧٠
 كونل (ارست) : ١٨٢
 كيدر : ٣٠٩
 (ل)
 اللاب : ١٢٧
 لؤلؤ الغوري : ١٧٤
 ابن لؤلؤ : ١٤٠
 (م)
 الماذرائيون : ٨ — ١٠ ، ٣٣ ، ٣٦ —
 ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ،
 ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٥٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٣٢٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤
 ماذرايا : ٣٧

محمد بن سليمان الكاتب : ١٧ — ٢١ ،
٤٠ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،
٢٤٩

محمد بن صالح بن أم شيبان : ٢١٣ ،
٢١٤ ، ٢١٦

محمد بن طفيج الأخشيدي : ١ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٥ —

٦٦ ، ٦٩ — ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،
١١١ — ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤٤ — ١٥٥ ، ١٥١ —
١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،

١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ،
١٩١ — ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ،

٢٠١ ، ٢٠٧ — ٢١٢ ، ٢٢٨ ،
٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،

٢٥٥ ، ٢٦٠ — ٢٦٢ ، ٢٦٦ ،
٢٨٨ — ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ ،

٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ —
٣٣٩ ، ٣٤١ — ٣٤٥ ، ٣٤٩ —

٣٥٥ ، ٣٦٠ — ٣٦٢ ، ٣٧٤

محمد بن عاصم (الشاعر) : ١٣٩

محمد بن عبدة بن حرب : ٤٠ ، ٢٠٦ ،
٢٢٠ ، ٢٢٤

محمد بن عبد الرحمن الروذباري : ١١٢ ،
١٦٧

محمد بن عبد القاهر (أبو الحسن) :
٢٣٨

محمد بن إبراهيم النقيب (أبو بكر) :
٢١٧

محمد بن أحمد الاسكافي القراريطي : ١٨٦ ،
محمد بن أحمد السامى : ٣٤٠

محمد بن أحمد بن الحداد : (أنظر
ابن الحداد)

محمد بن أحمد بن الربيع الاسواني :
٣٠٧

محمد بن أحمد بن سهل الرملى النابلسي :
٣٠٨ ، ٣٠٩

محمد بن إسماعيل الصنماجي : ٣٣٦

محمد بن الأشعث : ١٠٣

محمد بن بدر الصيرفي : ٢٠٦ ، ٢٠٨ —
٢١١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ —

٢٢٥

محمد بن بشر بن عبد الله الزبيرى : ٣٠٧ ،
محمد بن تكين : ٣٦ ، ٤٢ — ٤٤ ، ٦٩ ،

٧٠ ، ٧٧ ، ١١٣ ، ١٦٦ ، ٢٥٩

محمد بن جعفر القرطبي : ٤١ ، ٤٢ ،
٤٨ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٢٩

محمد بن جعفر بن سلام : ٢٢٩

محمد بن الحسن بن أبي الشوارب :
٢٠٦ — ٢٠٩

محمد بن الحسن العباسي الهاشمي : ٢١٣ ،
محمد بن الحسن بن زكريا : ٣٢٤

محمد بن الحسين الماذرائي : ٣٥

محمد بن حمزة بن عبيد الله (أبو الطيب ،
العلوي) : ١١٧

محمد بن داوود : ١٧٤

محمد بن موسى السرخسي : ٢٠٦
محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي :

٣١٠ ، ٣٠٧

محمد بن موسى بن المأمون الهاشمي :
١١٣ ، ٥

محمد بن هاشم : ١٢٨

محمد بن وساس بن محمد البزاز : ٢٩٤ ،
٢٩٥

محمد بن يحيى الأسواني (أبو الذكر) :
١١٢ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٣٠٧ ،

محمد بن يسين بن محسن بن محمد
ابن محسن الجعفرى : ٢٩٥

محمد بن يوسف بن بلال الأسواني : ٣٠٨
محمود بن وهب بن عباس الكاتب : ١٢٨

الحجة بخلق القرآن : ٣٠٩

المختار (بستان وقصر) : ٢٤٩ ، ٢٨٨

ابن المدبر (عامل الخراج) : ٣٨

ابن المدبر الكاتب : ٢٦٤ ، ٢٦٥

المدينة (المنورة) : ٩١ ، ٢٩١

ابن المديني القاص : ٣٣

مرجب (الطبيب) : ٢٣٩

مروان بن محمد (الخليفة الأموي) : ١٧٢
مزاخم بن محمد بن رائق : ٨٣ ، ١١٤ ،

١٤٨

المسبحى (عز الملك) : ٦

المستكفي بالله (العباسي) : ٨٨ ، ٨٩ ،

١٨٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠

المستوفيات : ١١٩

محمد بن عبد الله الخازن : ١٥١ ، ٣٥٨ ،
٣٥٩

محمد بن عبد الله بن الخصيب : ٢١٣
٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٧

محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم : ٢٢٦
محمد بن عبد الوهاب : ١٦٣

محمد بن علي الساصري : ١٨٧

محمد بن علي العسكري : ٢٢١

محمد بن علي بن أحمد المساذرائي : ٣٣ ،
٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩ — ٤٤ ، ٥١ ، ٦٢ ،

٧١ ، ٧٤ — ٧٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٦ ،

١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٥٥ — ١٦٠ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ،

٢٢٥ ، ٢٣٥ — ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦ ،

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٢٩١ ، ٣٢٩ ،

٣٤٥ ، ٣٦٣

محمد بن علي بن حسن المصري : ٣٠٥

محمد بن علي بن مقاتل : ٩٤ ، ١٥٨ ،

١٧٦ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣٠٣

محمد بن أبي علي بن مقلة : ٧٠

محمد بن عيسى النوشري : ٢٥

محمد بن القاسم بن شعبان (أبو اسحق) :

٣٠٨

محمد كرد علي : ٣٣٦

محمد بن أبي الليث : ٣٠٩

محمد بن مسروق الكندي : ٢١٨

محمد بن المنهال : ١٢٣

المعتصم بالله (العباسي) : ١٣ ، ٥٧ ،
 ٣٠٩ ، ٦٦
 المعتضد بالله (العباسي) : ٤٦ ، ٧٦ ،
 ٢٥٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠١
 المعتمد على الله (العباسي) : ٣٨ ، ٨٧ ،
 ٢٠٦ ، ٢٠٥
 المعدلين : ١٩٢
 معز الدولة البويهبي : ٩٥ — ٩٧ ،
 ٢٠١ ، ١٩٠
 المعز لدين الله الفاطمي : ١٣٤ ، ١٨٩ ،
 ٣٠٨ ، ٢٥٣ ، ٢٣٧ ، ١٩٦ ، ١٩٠
 ٣٦٢ ، ٣٤٦ ، ٣٢٩ ، ٣٢٣
 المعونة (صاحب) : ٤٩ ، ٥٢ ،
 المغاربة : ٤٣ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
 ٣٦٠ ، ١٤٦ ، ٨٨
 المغرب : ١٢ — ١٤ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ،
 ١٧٧ ، ١٧٢ ، ٨٨ ، ٨٣ ، ٣٣ ، ٣٢
 ٣٦٢ ، ٣٤٦
 مفلح المقتدرى (أبو صالح) : ٤٠
 مقبل المغنى : ٢٦١
 المقتدر بالله (العباسي) : ٢٥ — ٢٧ ،
 ٥٢ ، ٤٨ — ٤٦ ، ٣٥ — ٢٩ ،
 ١٨٥ ، ١٠٤ ، ٦٥ — ٦٢ ، ٦٠
 ٣٥٥ ، ٣٣٥
 المقرئى : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ٢٩٣ ،
 المقصورة : ١١٩
 ابن مقلة (محمد بن علي) : ٨٥ — ٨٧ ،
 ١٩٥ ، ١٨٤ ، ١٠٧

مسجد الاقدام : ٢٩٠
 مسجد الزمام : ٢٩٠
 مسجد عبد الله : ٢٩٠ ، ٣٠٤
 مسجد ابن عمرو : ٢٩٠ ، ٣٠٤
 مسجد الفقاعي : ٢٩١
 مسجد موسى : ٢٣٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
 ابن مسرور : (انظر عبد الواحد بن محمد)
 المسعودي : ٩
 مسلم بن عبيد الله بن طاهر (أبو جعفر
 العلوي) : ١٣٣ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ،
 ٢١٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٣٣٣ ، ٣٦٤ ،
 ٣٧٠ ، ٣٦٦
 ابن المسيب : ١١٦
 مشتول : ٢٧
 المصادرة : ٥٠ ، ٦٥ ، ١١٥ ، ١١٨ ،
 ١٢٤ ، ١٤٩ ، ١٦٦ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ —
 ٣٧٦ ، ٣٤٦
 المطارد : ١٠١
 المطالب (كنوز الآثار) : ٢٦٦
 المطيع لله (العباسي) : ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٧ ،
 ١٣٢ ، ١٧٧ — ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢١٣ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤٤
 المظالم : ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 مظفر بن ذكا : ٣٠
 مظفر بن العباسي الجيشاني : ١٧٤
 معاوية بن أبي سفيان : ٣٣٣
 ابن المعتز : ٤٧

ميا فارقين : ٢٥٥

(ن)

ناصر الدولة بن حمدان : ١٥٨ ، ١٥٥ ،

١٦٣ ، ٣٤٩

النخجيري : (انظر ابراهيم بن عبد الله)

ابن النحاس : (انظر أحمد بن محمد)

نخري شوزان : ٣٧٠

النحويون : ٣٢٦

النسيج (صناعة) : ١٨٠ — ١٨٣ ، ٢٧١ ،

٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٦٤

نصر الثملي : ٣٥٦ ، ٣٥٥

نصر الحاجب : ٥٠

نصر (صاحب الشرطة) : ١٧٤

النفي : ١٦٨ ، ٧٧

نقفور (الامبراطور) : ٢٤٠ ، ٣٥٦

النقود (نثرها في الحفلات) : ٣٦٢

النوبة والنوبيون : ٥٥ ، ١٢٧ ، ٢٨٠ ،

٣٥٨ ، ٣٥٩

النوروز القبطي : ٢٥٣

النوشري : (انظر عيسى بن محمد)

نوفل بن القرات : ١٠٣

(ه)

هارون الرشيد : ١١ ، ١٣ ، ٨٤ ، ٢٨٧ ،

هارون بن خمارويه : ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٨ ،

٥٩ ، ٩٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٦

هارون بن محمد بن هارون الأسواني :

٣٠٧

ابن مقالة (الأصغر، علي بن محمد) : ١٨٤ ،

١٨٦

المكثفي بالله : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ،

٢٥ ، ٥٩

مكة : ٤٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٣٣٣ ،

الملاححة النهريّة : ٢٨٠

ماليك : ١ ، ٨ ، ٣٣ ، ١٢٤ ،

المنظرة : ٥١ ، ٥٢ ، ٧٧

منجج الصقلبي : ١٢١

المنصور (العباسي) : ١٠٣

منية الأصبع : ٧٣

منية شلقان : ٣٧٠

ابن مهران : ٢٨

مهمل العقيلي : ٣٤٠

مهمل بن يموت : ٣٢٤

الموحدون : ١٧٢

المؤذنون : ١٩٧ ، ١٩٨

المؤرخون : ٣٢٦ — ٣٢٩

موسى بن رباح الفارسي (ابو عمران) :

٣١٠

موسى بن طولون : ١٩٨

موسى بن كعب : ١٠٣

الموصل : ٥٧ ، ٨٥

الموفق : ١٨٣ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ ،

مؤنس الخادم : ٢٧ — ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٢ ،

٦٣ ، ٦٥ ، ٢٢٩

ابن وليد (القاضي عبد الله بن شعيب) :
١١٢ ، ١٢٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١
— ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ،
٢٢٤ ، ٢٢٦

(ي)

اليحامي : ٢٩٠
يحيى الشيبه (تمريته) : ٢٨٧
يحيى بن بكر بن رجاء المعدل : ١٩٦
يحيى بن الحسن بن الأشعث : ٢٠٦
يحيى بن مكى بن رجاء : ٢١٣
يحيى بن مكى : ٢٢٠
أبو يزيد (صاحب الطراز) : ١٨٢ ، ١٨١
يزيد بن حاتم المهلبى : ١٧٢
يعقوب المكناسى : ٣٢
يعقوب بن كلس : ١٦٢ ، ١٧٧ ، ٢١٧ ،
٢٥٧ ، ٣٢٣ ، ٣٤٦ ، ٣٦٤
اليمين : ١١ ، ٢٥ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٨
ينال الحماكي : ١٧٣
اليهود : ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٩ ، ٣٣٦
يوسف بن عمر بن أبي عمر (أبو نصر) :
٢٥٨
ابن يونس : (انظر عبد الرحمن بن احمد)

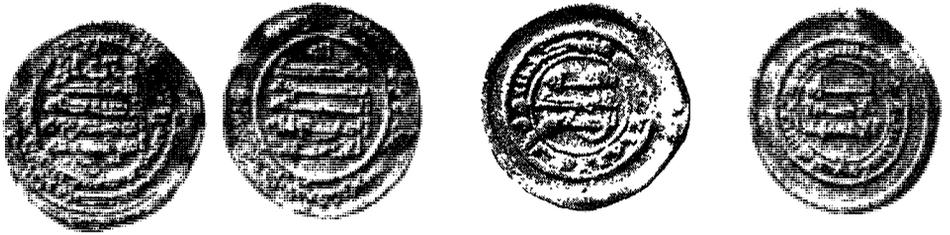
هاشم (الطيب) : ٢٣٩
هرثمة بن النضر : ٣١٠
هلال الصابىء : ٩
هلال بن بدر : ٣٤

(و)

الوائق بالله (العباسى) : ٣٠٩ ، ٥٧
الواحات : ١٦٩ ، ٢٧٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣
وادي علاقي : ٢٨٠
واسط : ٣٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥
والي الحرب : ١٧٠
الوراقون : ٣٠٣
الورق (صناعاته) : ٢٧٩
ابن ورقاء الشيبانى : ١٠٦
الوزارة والوزير : ٥٠ ، ٥١ ، ٨٠ ،
١٥٥ — ١٦٥ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ،
٢٩٨
وستنفلد (F. Wustenfeld) : ٧
وشاح بن تمام : ٣٥٠
ابن ولاد (احمد بن محمد) : ٣٢٦

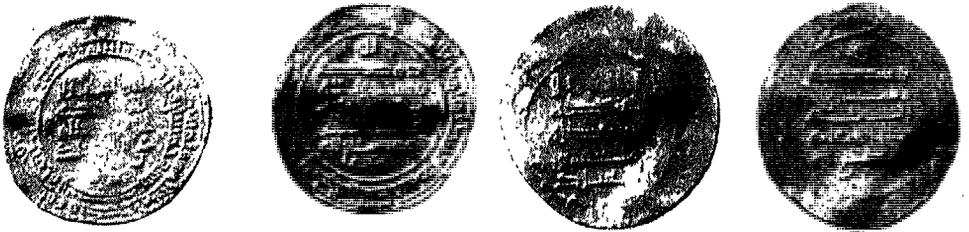
(٢)

(١)



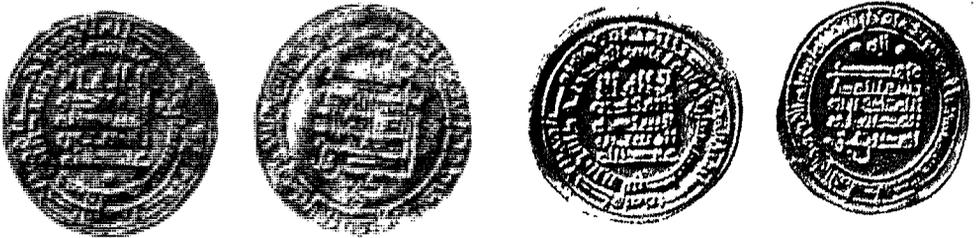
(٤)

(٣)



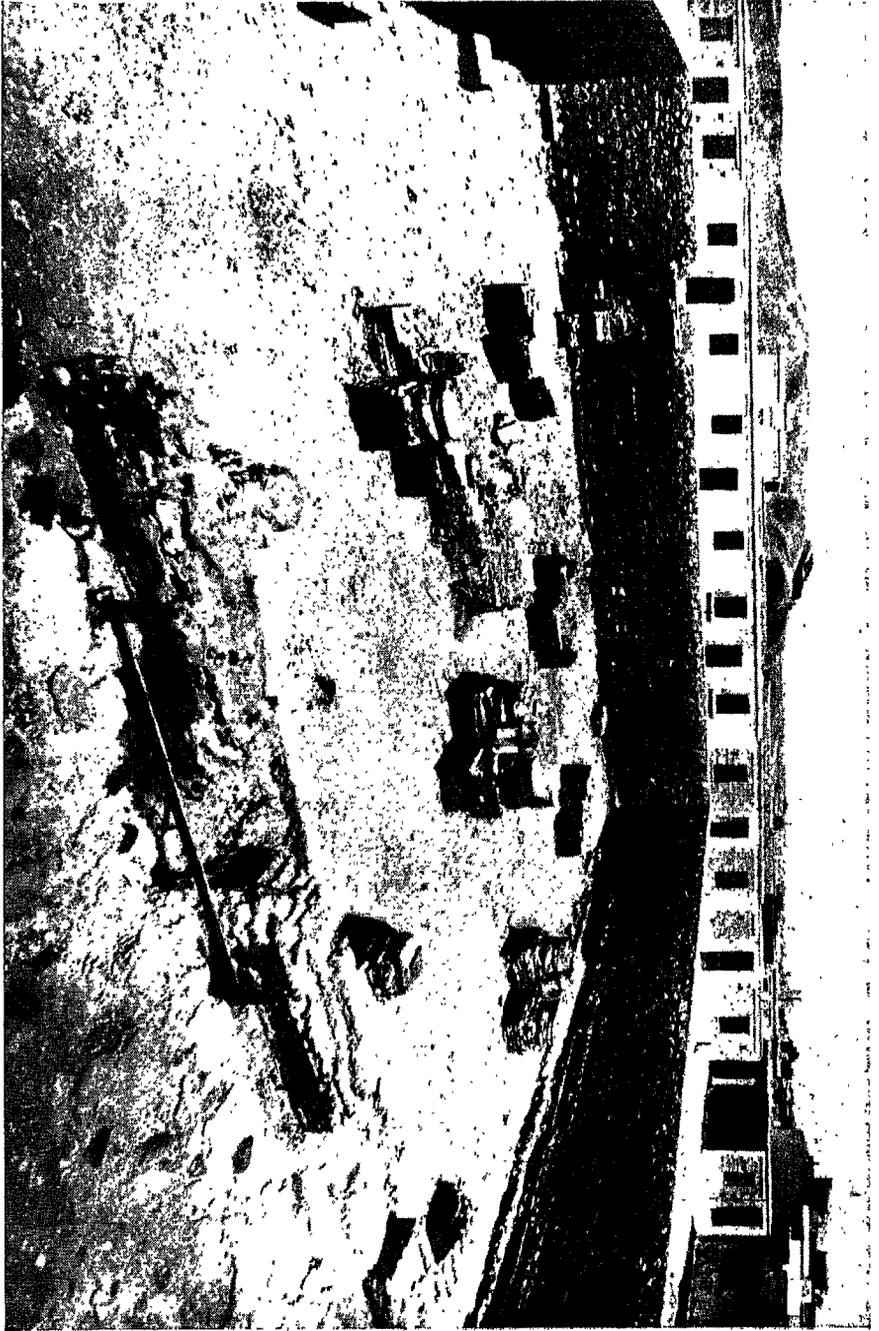
(٦)

(٥)

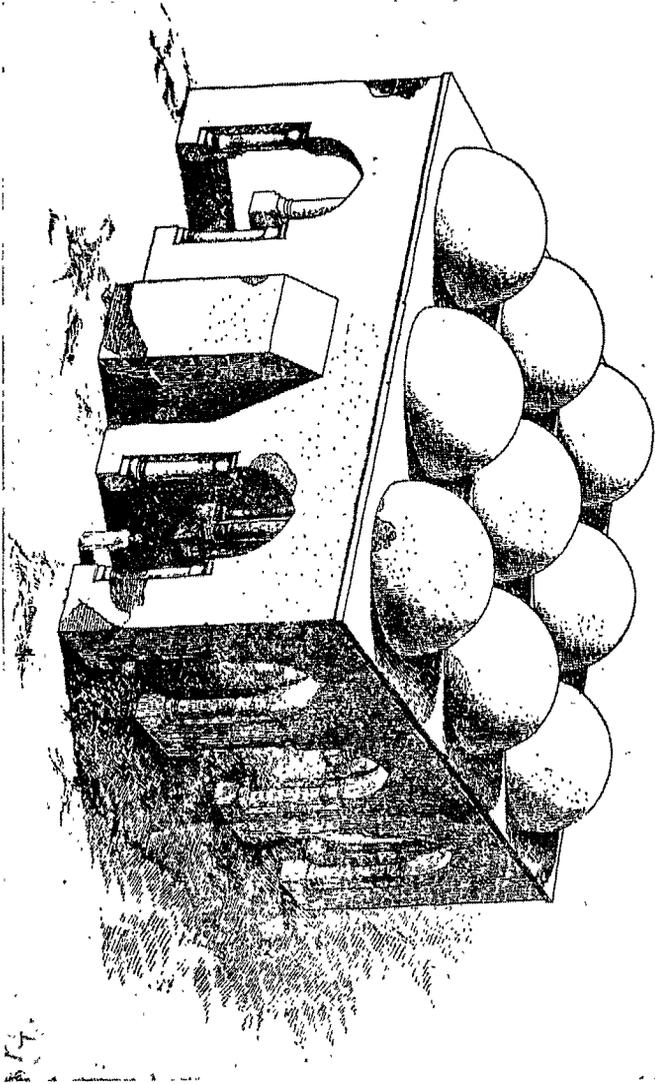


سكة من العصر الاخشيدى

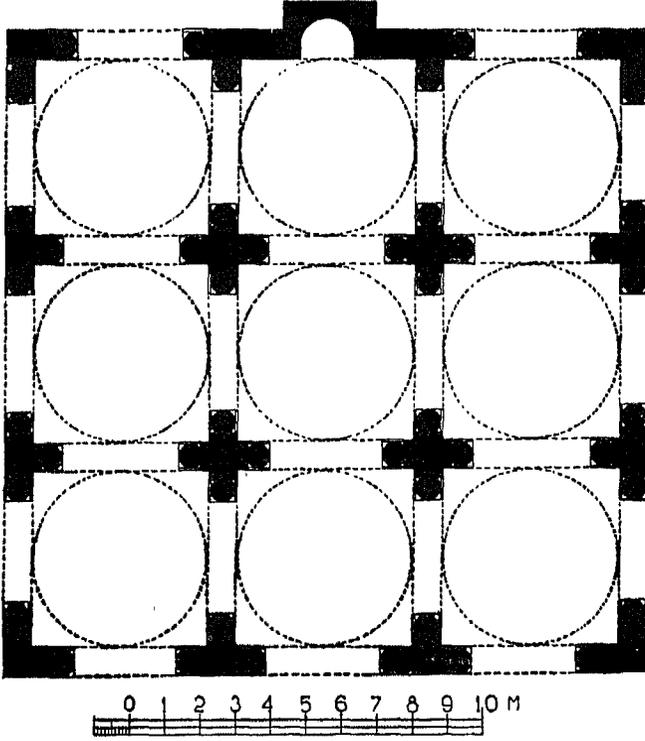
[عن لاثوا]



مشهد آل طباطبایا



رسم مكل لشهد آل طناطنا
[عن كرزويل : المارة الإسلامية في مصر ، تحت الطبع]

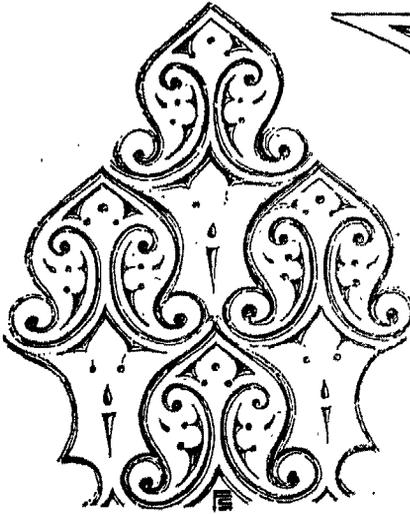


مسقط أفقي لمشهد آل طباطبا

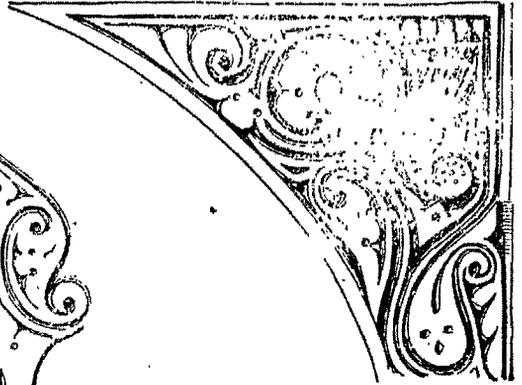
[عن كريزويل : المأثرة الاسلامفة ، نحت الطبع]



محراب قلعة يفسب إلى العصر الأتشيدي
[من كريزويل : المارة الإسلامية في مصر ، تحت الطبع]



4



5



3

زخارف من الجص في محراب قديم ينسب إلى العصر الاخشيدى

[عن كريزويل ، العبارة الاسلامية في مصر ، تحت الطبع]



شاهد قبر من سنة ٥٣٣ هـ . محفوظ بدار الآثار العربية

[عن ثبيت]



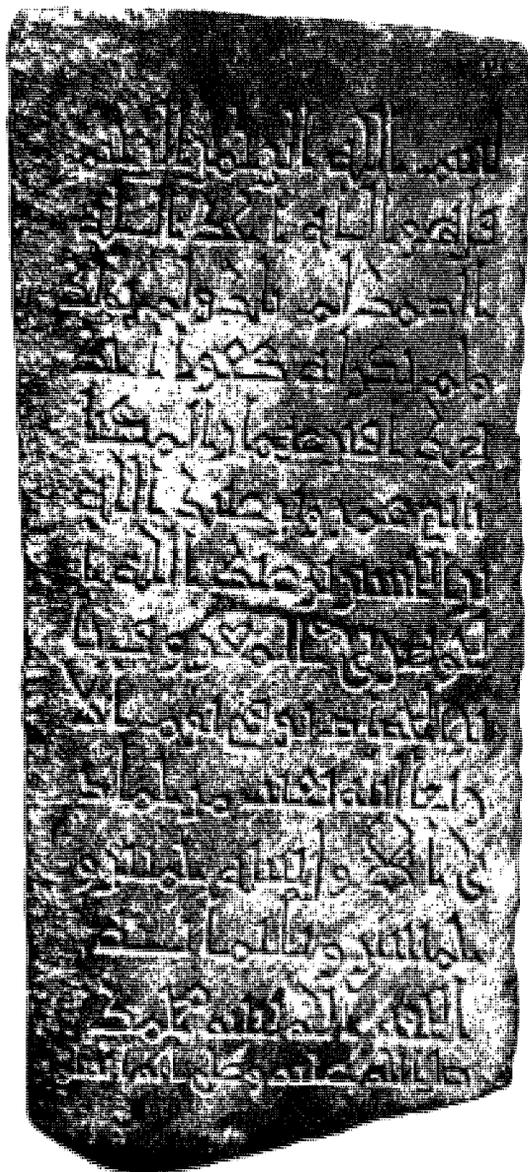
شاهد قبر من سنة ٣٣٣ هـ . محفوظ بدار الآثار العربية

[عن ثبيت]



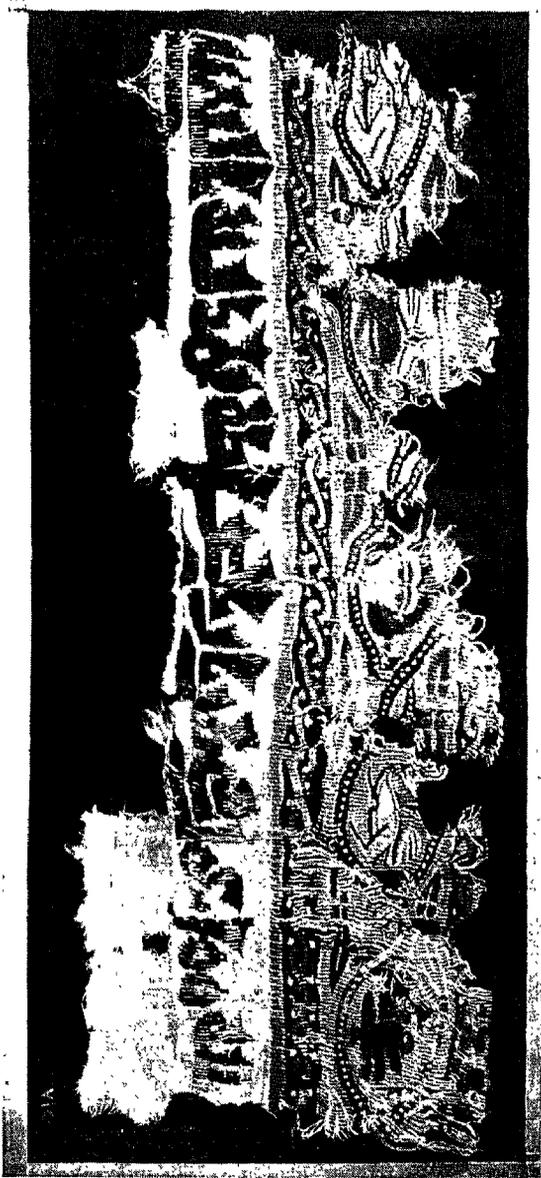
شاهد قبر من سنة ٣٤٥ هـ . محفوظ بدار الآثار العربية

[عن ثبيت]

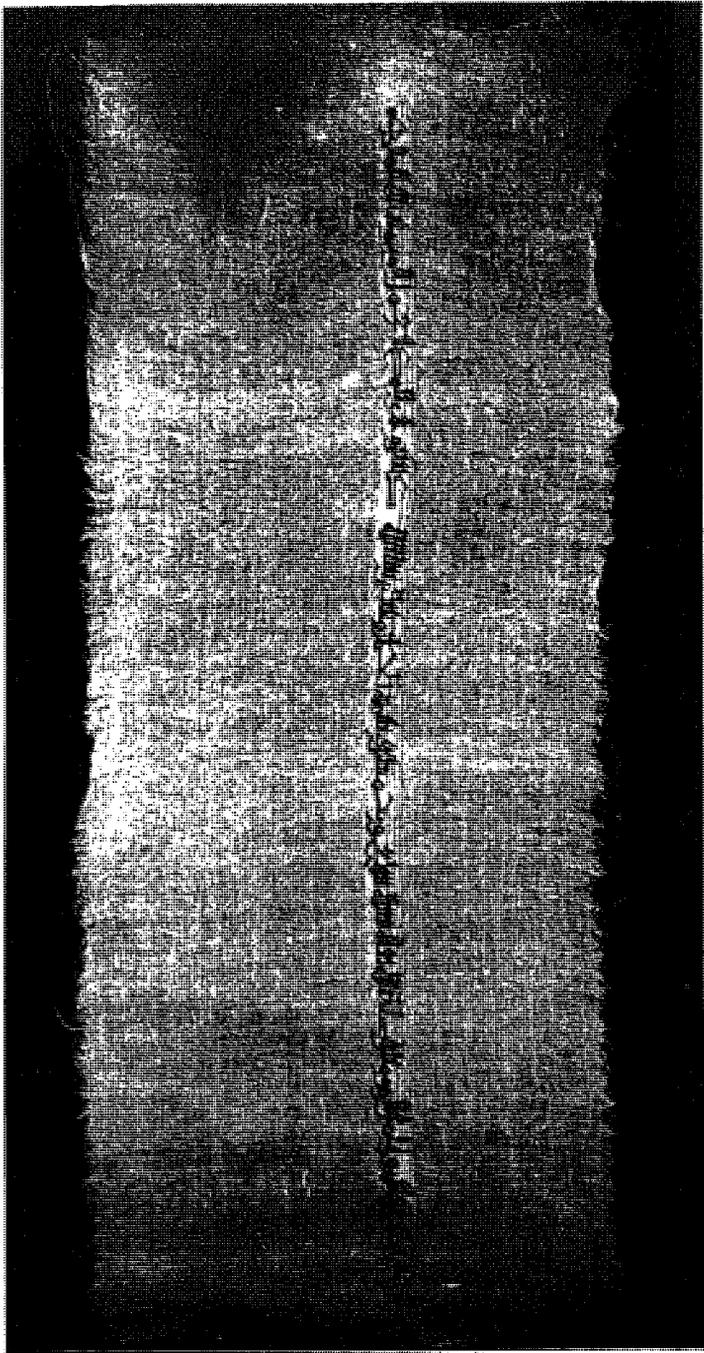


شاهد قبر من سنة ٣٥٥ هـ . محفوظ بدار الآثار العربية

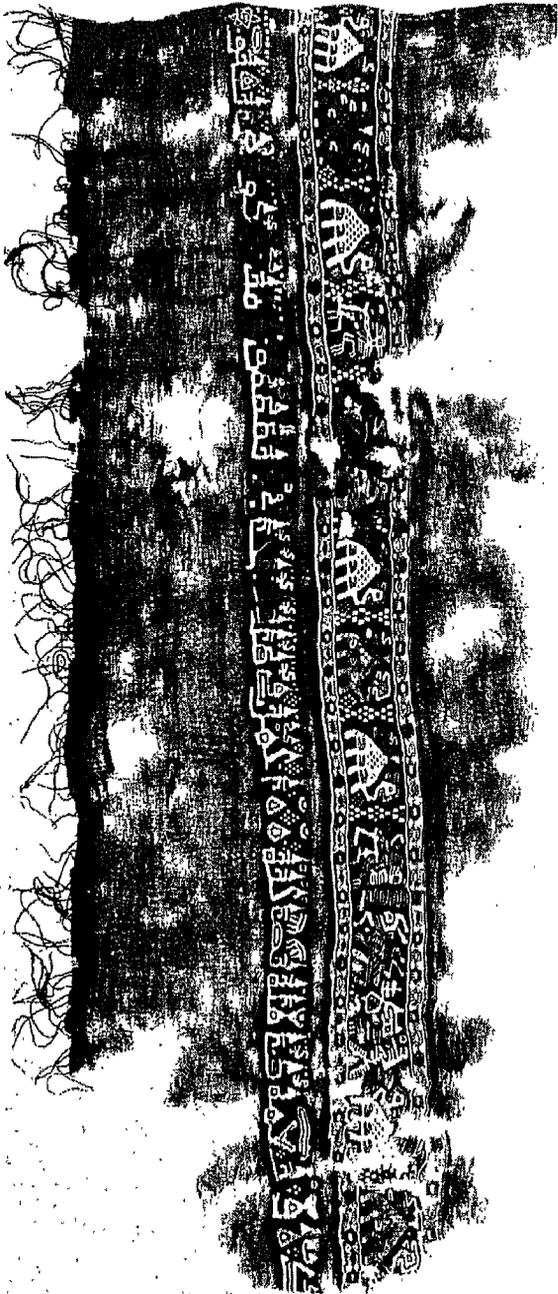
[عن ثبيت]



قطعة نسيج من الصوف والكتان . من صناعة معصر في القرن الرابع الهجري وحفظه بدار الآثار العربية
[عن بيت : مرمز للسوجات في جو بلان ، بالفرنسية]

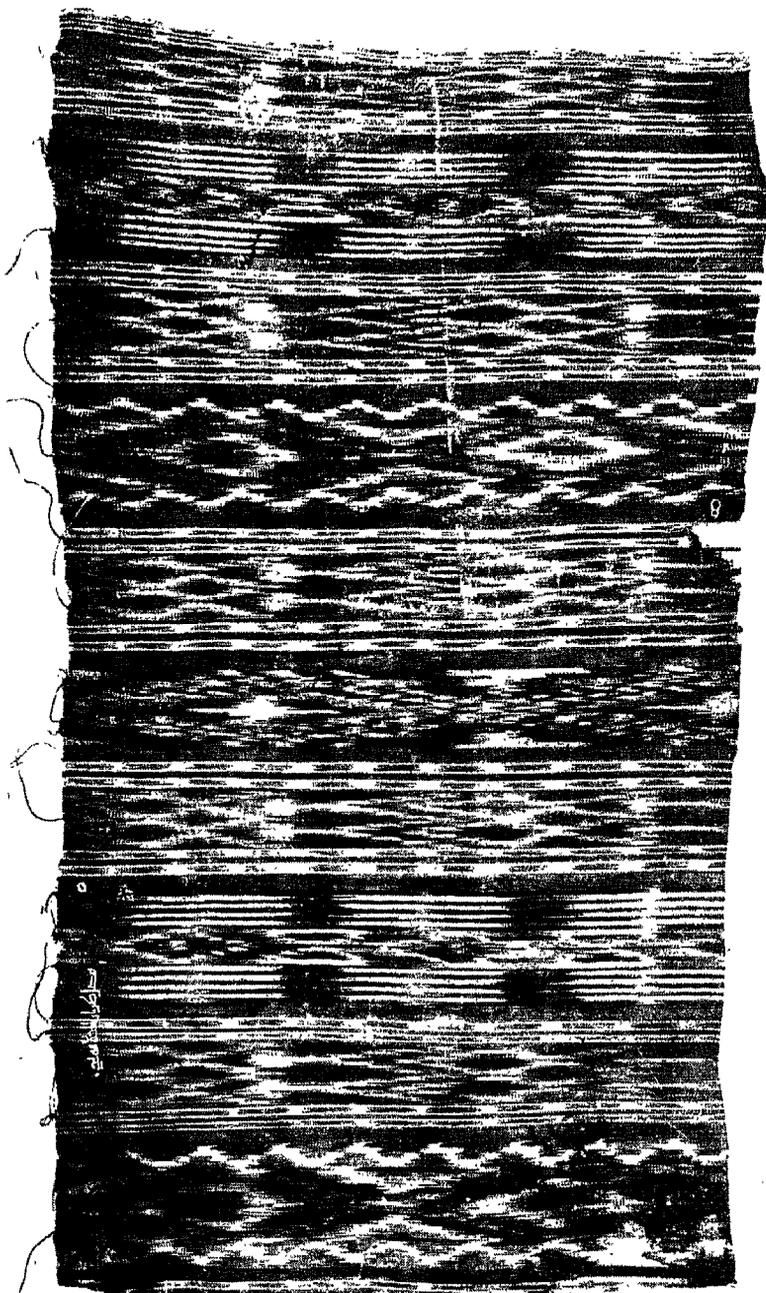


قطعة من النسيج المصنوع في مصر سنة ٢٣٥٧ هـ

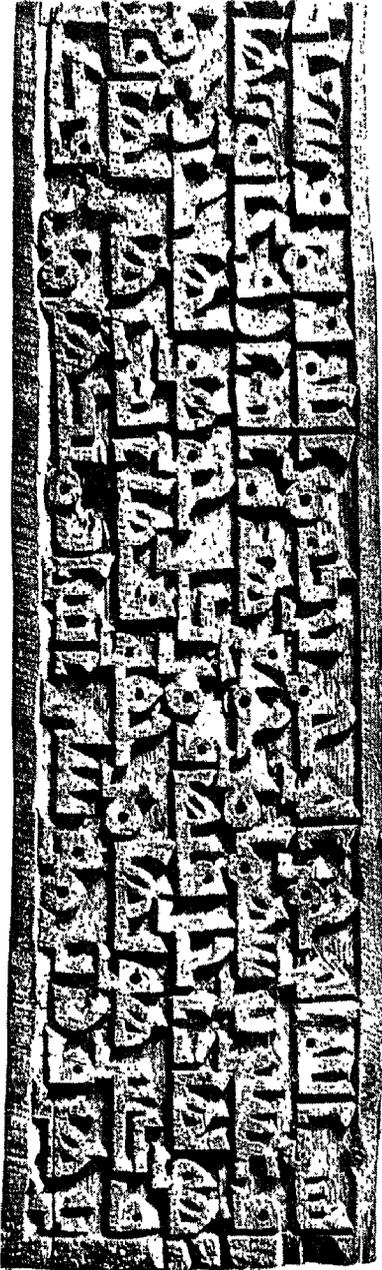


قطعة نسيج من الكتان والصوف من صناعة الفيوم في القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة

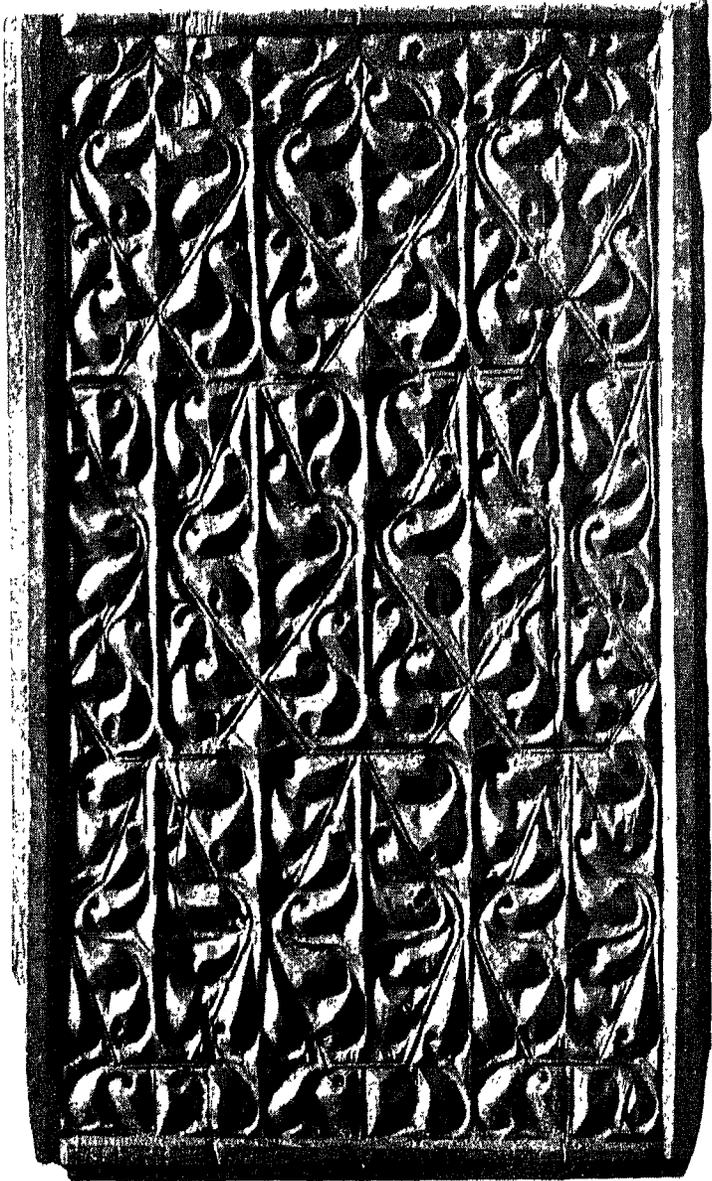
[عن زكي محمد حسن : فنون الاسلام]



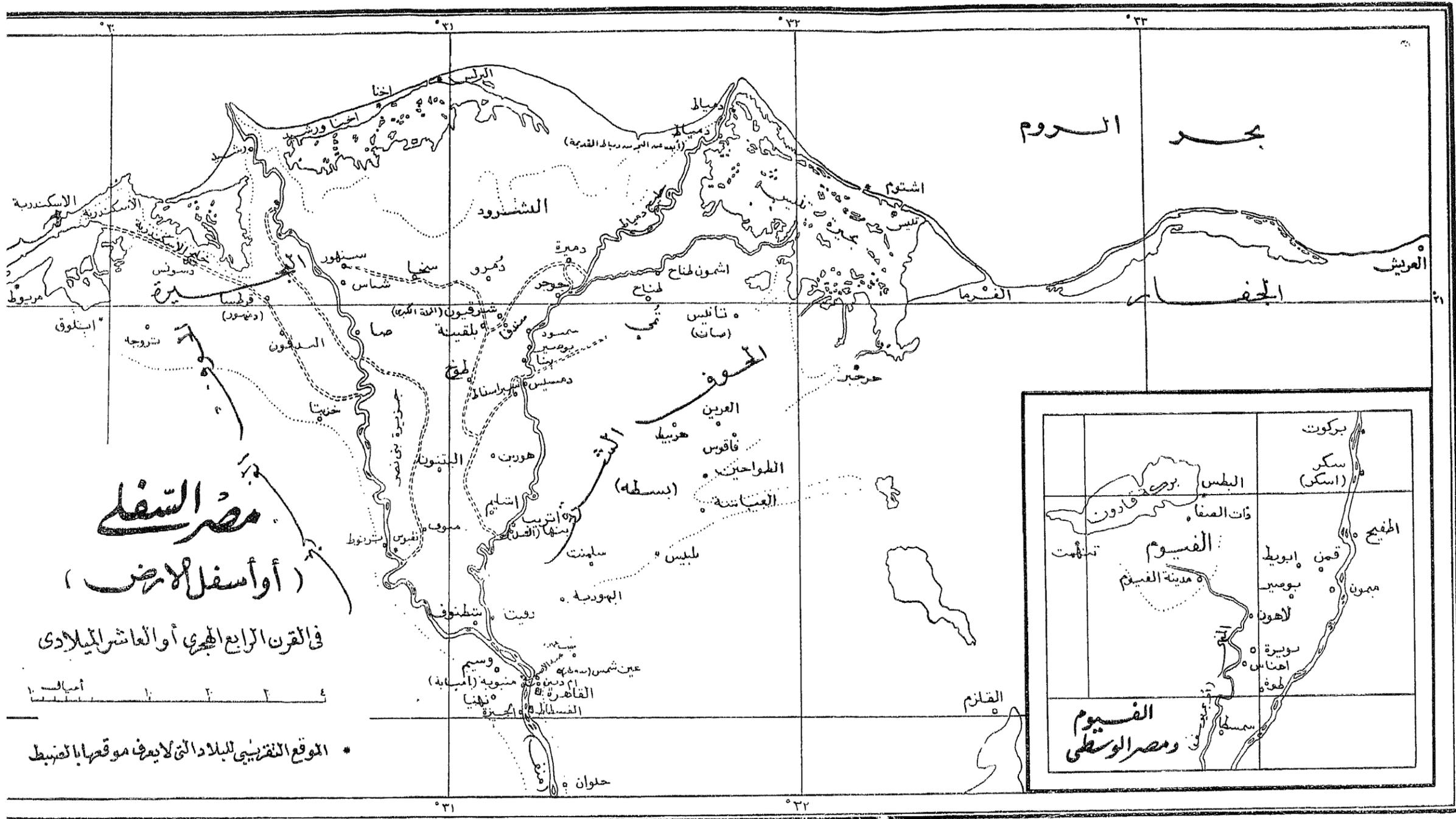
قطعة نسيج من صناعة اليمن في القرن الثالث أو الرابع الهجري



قطعتان من الطعيب ذى الرخارف والكتابات المحفورة . من مصر في القرن الثالث أو الرابع بعد الهجرة

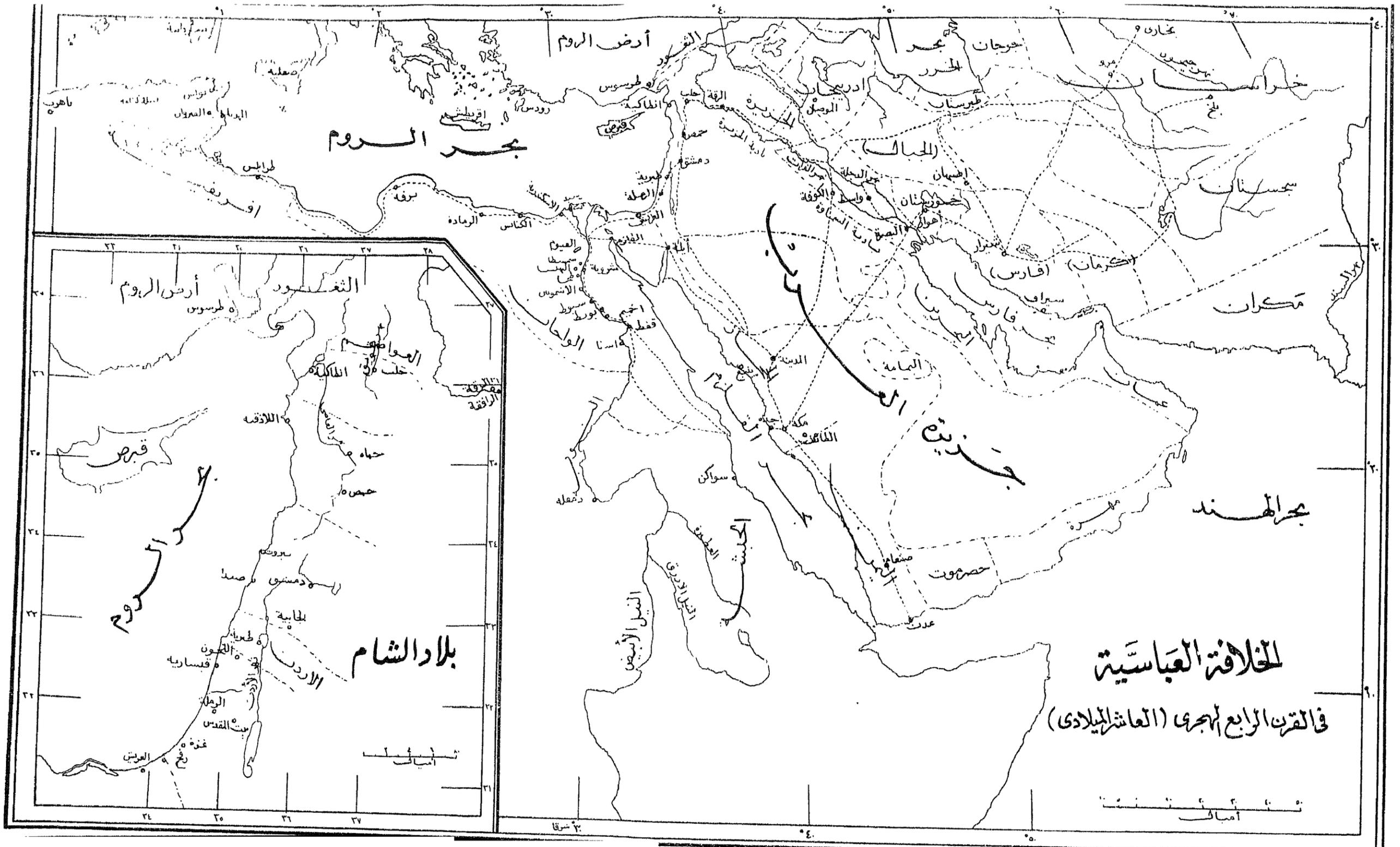


قطعة من الخشب ذى الزخارف المحفورة . من مصر فى القرن الرابع الهجرى
[عن زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر]



عمل محمد بن يحيى عيسى

نفا عن الأستاذ جت Guest في كتاب الولاية والقضاة للكدى



الخلافة العباسية
 في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

بجدار الروم

بلاد الشام

جزيرة العرب

بهار الهند

أرض الروم

أرض الروم

أرض الروم

النيل الأبيض

شرقاً

أميال

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	١	الجواهر	الجواهر
١٢	١٨	البربر	البربر
٢٦	٧٠٢	أن تكينا	أن تكين
٢٦	١٨	أن القاسم	أن أبا القاسم
٢٩	١	كانت جمادى الآخرة	كانت في جمادى الآخرة
٣١	١٢	الحسن	الحسين
٥٧	٤	كلامه	كلامه
١٠٦	٢٠	مثله	مثله «
١٢٢	١٤	تصل	يصل
١٥٧	٨	محمد بن كلا	علي بن محمد بن كلا
١٩٤	١٠	الحسين بن عبيد الله	الحسن بن عبيد الله
١٩٥	٥	الرومان	الروم
١٩٩	١٣	إدارة	أداة
٢٠٦	١١	وية	ولاية
٢٢٢	٢٠	Omedroz	Amderoz
٢٢٩	١٠	ولاية	ولاية
٢٦٠	٦	من قبل محمد بن تكين	من قبل تكين
٢٩٨	٣	علي يد فائز أمير المؤمنين	علي يدي فائز مولاي أمير المؤمنين
٣٠٧	١٠	فقهاء	فقهاء
٣١٩	٢	ابن سيبويه	سبويه
٣٢٤	١٠	عبد الله بن محمد	عبيد الله بن محمد
٣٤٥	١	محمد بن كلا	علي بن محمد بن كلا
٣٤٦	١	الحسين	الحسن
٣٥١	٩	وطارد سيف الدولة الاخشيد	وطارد الاخشيد سيف الدولة

تم طبع هذا الكتاب في عهد حضرة صاحب الخلافة
الملك "فاروق الأول" بمطبعة جامعة فؤاد الأول
في ٢ من صفر سنة ١٣٧٠ هـ

محمد زكي خليل
سردمطبعة جامعة فؤاد الأول

INSTITUTO ALEXANDRINO
DE ESTUDIOS E INVESTIGACIONES
CIENTÍFICAS Y TECNOLÓGICAS

Biblioteca Alexandrina



0250854